الجامعـــة الأُردنيّـــة
كليّة الدّراسات العُلْيـــا
قسم اللّغة العربيّة وآدابهـا
======

٢٤٤
ع ١٤ ـ
ش ٢

شِعْرُ القبائل اليمانيّة الشّاميّة في العصر الأُمـويّ

٧٢١٨٧٢

إعـــداد
مفلح عطاالله صبّاح الغايـــز

بإشـــراف
الأُستاذ الدكتور حســـين عطـــوان

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلّبات نيل درجة الماجستير في تخصّـــص اللّغة العربيّة وآدابها من كليّة الدراسات العُلْيا بالجامعة الأُردنيّـــة

١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـــــــداء

إلى والـــــــدي الحبيبيـــــــن
وإلى أشقائـــــي وشقيقاتـــــــي
وإلى أبناء عمومتـــــي وأقربائـــــــي
وإلى كل من قدّم لـــــي عونـــــــاً .
أهدي رسالتـــــي هـــــــــذه .

مفلح الفايـــــز

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويـــــات

الصفحـــــة

مقدّمـــــة ..... أ ـ د

الفصل الأول : القبائل اليمانيّة الشاميّة قبل الإســـــلام

وبعده : ..... ١ ـ ٥٠

أوّلاً : قبـل الإسلام : ..... ٢ ـ ٢٤

أ ـ القبائل الحِمْيريّة : ..... ٤ ـ ١٥

قبيلة قُضاعـة : ٤

١ ـ تنوخ ٦

٢ ـ سَليح ٨

٣ ـ كلـب ١٠

٤ ـ سائر بطون قضاعة ١١

ب ـ القبائل الكَهْلانيّـة : ..... ١٥ ـ ٢٤

١ ـ الأَزد ١٥

٢ ـ لخْم و جُذام ١٩

٣ ـ سائر القبائل الكهْلانيّة ٢٢

ثانياً : اليمانيّة الفاتحون للشام ..... ٢٥ ـ ٢٨

ثالثاً : القبائل اليمانيّة الشاميّة في العصر الأُمويّ : ..... ٢٩ ـ ٥٠

أ ـ القبائل الحِمْيريّة : ..... ٣٠ ـ ٤٠

١ ـ حِمْيـر ٣٠

٢ ـ قضاعـة : ..... ٣٢ ـ ٤٠

أ ـ تنوخ ٣٣

ب ـ كلـب ٣٤

حـ ـ سائر بطون قضاعة ٣٧

ب ـ القبائل الكَهْلانيّـة : ..... ٤٠ ـ ٥٠

١ ـ الأَزد ٤٠

٢ ـ لخْم وجُذام ٤٢

٣ ـ كِنْدة ٤٥

٤ ـ سائر القبائل الكهْلانيّة ٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفحـــــــة

الفصل الثّاني : لغة القبائل اليمانيّة الشاميّة وأثرهـــا

في قول الشعر : ..... ٥١ — ٧٥

أولاً : لغة القبائل اليمانيّة الشاميّة ..... ٥٢— ٥٩

ثانياً : أثرها في قول الشعر ..... ٦٠— ٧٥

الفصل الثّالث : موضوعات شعر القبائل اليمانيّة الشاميّة : .. ٧٦—١٨٢

أولاً : المَديح : ..... ٧٧— ٩١

١ — المديح السياسيّ : ..... ٧٨— ٨٩

أ ـ مدْح الخلفـــاء ٧٨

ب ـ مدح الأُمراء ٨٥

حـ ـ مدح عمّال الأُمويّين ٨٨

٢ — المديح القبليّ ..... ٩٠—٩١

ثانياً : الغـــزل ..... ٩٢ — ٩٩

ثالثاً : الفخـــر : ..... ١٠٠—١١٩

١ — الفخر القبليّ ..... ١٠٠—١١٦

٢ — الفخر الشخصيّ ..... ١١٦—١١٩

رابعاً : الهجاء : ..... ١٢٠—١٣٨

١ — الهجاء السّياسيّ ..... ١٢٠—١٢٤

٢ — الهجاء القبليّ ..... ١٢٤—١٣١

٣ — الهجاء الشّخصيّ ..... ١٣١—١٣٨

خامساً : الرّثاء : ..... ١٣٩—١٤٧

١ — الرّثاء القبليّ ..... ١٣٩—١٤١

٢ — الرّثاء الشّخصيّ : ..... ١٤١—١٤٧

أ ـ رثاء الأَهـــل ١٤١

ب ـ رثاء بعض رجالات العصر ... ١٤٤

حـ ـ رثاء المحبوبة ١٤٤

د ـ رثاء الأَصدقاء ١٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفحـــــة

سادساً : الوصف : ..... ١٤٧—١٦٥

١ ــ وصف الوقائع الحربيّة. ١٤٧

٢ ــ وصف البيئـة. ١٥٠

٣ ــ وصف الظّعن. ١٥٦

٤ ــ وصف حيوان الصّحراء : ..... ١٥٨—١٦٢

أ ــ وصف الخيل ١٥٨

ب ــ وصف النّاقـة. ١٦٠

٥ ــ وصف الخَمْر. ١٦٢

٦ ــ وصف الشّيب والشّباب. ١٦٣

سابعاً : العتـــــاب. ..... ١٦٦—١٧٢

ثامناً : الحَنيـــــن ..... ١٧٣—١٧٥

تاسعاً : الحِكَم والآداب والمواعظ. ..... ١٧٦—١٨٠

عاشراً : موضوعات أُخرى ..... ١٨١—١٨٢

الفصل الرابع : الدّراسة الفنيّة : ..... ١٨٣—٢٢٠

١ ــ البناء الفنيّ ١٨٤

٢ ــ اللّغة والمعاني ٢٠١

٣ ــ الصّور البلاغيّة. ٢١١

خاتمـة. ..... ٢٢١—٢٣٥

المصادر والمراجع. ..... ٢٣٦—٢٤٦

ملخّص البحث باللّغة الإنجليزيّة. .....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدّمـــــــة

ما تزال حياة الشعر في بلاد الشام في العصر الأُمويّ غامضة لم تُـدْرس دَرْساً وافياً ، بسبب ماشاع بين الباحثين من أنّ الشعر في تلك البيئة قليل ضعيف، وأنّ الشعر الذي وُجد أو سُمِع فيها ، إنّما هو شعر يُحْمل إليها من بيئات أُخرى ؛ لأنّ معظم سُكّانها كانوا من القبائل اليمانيّة، وهي عنْدَهُم لا تُضارع القبائـــــل المُضريّة في الفصاحة والشاعريّة منذ العصر الجاهليّ ، لضعف اسْتِعدادها لقـــول الشعر وحِفْظِهِ وتذوّقه ، ولاخْتِلاطها بالسُّرْيان والرّوم وتأثّرها بلغتهم وثقافتهم .

وكان المُسْتشرق الإيطاليّ كارلو نالينو أوّل مَنْ أشاع هذا الرأْي في كتابه : " تاريخ الآداب العربيّة من الجاهليّة حتّى عصر بني أُمَيّة " ثمّ أذاعه الدكتور طه حسين في حديثه عن بيئات الشّعر الإسلاميّ ، بعد أنْ وسّعه وفصّله ، ولم يقْصُرْه علـــــى بلاد الشّام وحدها ، بل سَحَبه على غيرها من البيئات التي غلبت عليها القبائـــــل اليمانيّة. وقد ظلّ بعضُ الباحثين يقْبلون هذا التّفْسير العرقيّ لما يُظَنُّ من ضآلة الشعر بالشام في العصر الأُمويّ .

ويسْعى هذا البحْث إلى دراسة شعر القبائل اليمانيّة الشاميّة في العصـــر الأُمويّ ، لجلاء حقيقته ، وكَشْف الغُموض الذي يكْتنف صورته ، ولتبْيين أغراضه وتَشْخيـــص أعلامه ، وإبْراز الجوانب الفنّيّة فيه ، لما في ذلك من خِدْمة للتّراث ، وكشْفٍ لجوانـــب من حياة المجتمع الشاميّ السيّاسيّة والاجْتماعيّة ، فقد واكب شعر القبائل اليمانيـــة الأحداثَ السياسيّة والفتن القبليّة التي حدثت بالشام في ذلك العصر ، وعبّر عـــن العصبيّة القبليّة التي استطارت بين القبائل اليمانيّة والقيسيّة الشّاميّة .

وواجهت البحْثَ صُعوباتٌ عدّة منها : ضياعُ الكتب والدّواوين التي جَمَع العلماء فيها شعر القبائل اليمانيّة في الجاهليّة والإسلام ، وضياعُ كثير من المصادر المُهمّـة التي تضمّ شعر القبائل اليمانيّة الشاميّة في العصر الأُمويّ ، وقلّةُ ما وصل إلينا مـــن شعر هذه القبائل ، وتفرّقُه في كثير من المصادر ، واخْتلاف رواياتـــه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنها : أنَّ مُعْظم شعراء هذه القبائل هم من الشُّعراء المُقلّين المُتوسّطين ، وليسوا من أَصْحاب الدّواوين المشْهورين ، وأكثر هؤلاء المُتوسّطين مَغْمورون . ويُسْتثنى منهم النُّعْمان بن بشير الأَنصاريّ ، وعديّ بن الرّقاع العامليّ . فأَمّا النّعْمان بن بشير ، فقد جَمَع يحيى الجبوري شعره ، واقْتَصرْتُ من شعره على مانظَمه بعد انْتِقاله من المدينة إلى الشام . وأَمّا عديّ بن الرّقاع ، فهو أَشهر شعراء القبائل اليمانيّة الشّاميّة في العصر الأُمويّ ، وقد سلم ديوانهُ من الضّياع ، ونَشَره حديثاً الدكتور نوري حمّودي القيْسيّ والدكتور حاتم صالح الضّامن ببَغْداد . وهو يحْتوي تسْعاً وعشرين قصيدة ومقطوعة ، ومجموعُ شعر عديّ فيه هو ألف وثلاثة وتسْعون بيْتاً .

ومن الصُّعوبات التي واجهت البحْث أيضاً : أنَّ المصادر التاريخيّة والأَدبيّة وكتب التّراجم ، لا تُعين كثيراً على تحديد الزّمان والمكان اللّذين عاش فيهما كثير من شعراء اليمانيّة ، فإنّ في كتاب " المُؤْتلف والمُخْتلف " للآمديّ ، و " مُعْجم الشعراء " للمرْزُبانيّ عشرات الشّعراء اليمانيين الذين لا نعْرفُ إلاّ أَسماءهم وقليلاً من أَشعارهم .

والبحْثُ موزّع بين أربعة فصول ، أَفْرَدْتُ الفصل الأَول منها للحديث عن القبائل اليمانيّة الشاميّة قبل الإسلام وبعده . وقَسمْتُه ثلاثة أَقسام : تتبّعْتُ في القسم الأَوّل منها القبائل اليمانيّة التي نزلت الشام قبل الإسلام . وتتبّعْتُ في القسم الثّاني القبائل اليمانيّة التي شاركت في فتْح بلاد الشّام واستوطَنتْها بعد ذلك . واستخْلصْتُ في القسم الثّالث صورةً لجميع القبائل اليمانيّة التي استوطَنت بلاد الشّام في العصر الأُمويّ .

٢٧٨١٤٧

ودرسْتُ في الفصل الثّاني لغة القبائل اليمانيّة الشاميّة وأَثرها في قول الشعر . وقسمْتُه قسمين : أَفْردتُ القسم الأَوّل منهما للغة القبائل اليمانيّة الشاميّة ، فبيّنْتُ أنّ هذه القبائل قد اتّخذَت لهجة قريش التي سادت القبائل العربيّة في الجاهليّة لغة لها . وأنّه لم يكن لها اخْتلاط كبير بالرّوم والسُّريان ، لأنّ أكثرها كانت قبائل بدويّة تتنقّل من مكان إلى مكان في المنطقة الممتدّة من جنوبيّ دمشق إلى حدود الحجاز . وأنّ بعضها قد وُصِفَت بالفصاحة ، إلاّ أنّ علماء اللّغة لم يهتمّوا بشعرها ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يحتجّوا بلُغتها ، لأنّها كانت عُرْضة للاخْتِلاط بالأعاجم .

وتحدّثْتُ في القسم الثّاني عن أثر هذه القبائل في قول الشّعر ، فبيّنْتُ اهتمام القبائل اليمانيّة بالشّعر واحْتِفالها بالشعراء ، وتحدّثْتُ عن أهمّ الأُسر اليمانيّة التي عُرفت بقول الشعر ، وأثبتُّ أسماء الدّواوين والكتب التي جمع العلماء فيها أشعار القبائل اليمانيّة ، وتتبّعْتُ مشاركتها في حركة الشعر منذ العصر الجاهليّ إلى نهاية العصر الأمويّ ، وأوضحْتُ أنّ الشعر فيها متّصل عريق كعراقته في القبائل المُضريّة ، وأنّ ظاهرة قلّة الشعر في القبائل اليمانيّة عامّة وفي القبائل اليمانيّة الشاميّة في العصر الأمويّ خاصّة لا ترجع إلى عوامل النّسب والبيئة والاسْتِقرار ، وإنّما ترجع إلى ضياع معظم شعر هذه القبائل في الجاهليّة والإسلام لأسباب مُتعدّدة .

وتحدّثْتُ في الفصل الثّالث عن موضوعات شعر القبائل اليمانيّة الشاميّة في العصر الأمويّ وهي : المديح ، والغَزل ، والفَخْر ، والهجاء ، والرّثاء ، والوصف ، والعتاب ، والحَنين ، والحِكَم والآداب والمواعظ ، وطلب الأمان ، والتّهْنئة بالزّواج . ورتّبْتُ أشعار اليمانيّة في كلّ موضوع من هذه الموضوعات ترتيباً زمنياً ، وأشرْتُ إلى ما وقع في بعضها من اخْتلاف في الرّواية واضْطراب في النِّسْبة ، وعرّفْتُ بكثير من شعراء اليمانيّة الذين أوْرَدْتُ لهم شعراً ، بالقَدْر الذي أعانني عليه المصادر ، ودللْتُ على مصادر تراجمهم وأخبارهم .

وجعلتُ الفصل الرابع دراسة فنيّة لشعر هذه القبائل ، فتحدّثْتُ عن بنائه الفنّي ، وعن لغته ومعانيه وصوره .

وختمْتُ البحث بخاتمة ضمّنْتُها نتائجه ، وبقائمة لمصادره ومراجعه .

وقد كَثُرت مصادر البحث وتنوّعت ، فمنها : الدّواوين والمجموعات الشّعريّة . ومنها : كتب التّاريخ والفتوح ، وكتب التّراجم والبُلْدان ، وكتب الأنْساب . ومنها أيضاً : الكتب الأدبيّة واللّغوية والنّحويّة . وعُدْتُ إلى بعض المصادر المخْطوطة مثل : أنْساب الأشراف للبلاذريّ ، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر . وانْتفَعْتُ بعددٍ من الدّراسات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأدبيّة والتّاريخيّة الحديثة.

وديوان الحماسة ونقائض جرير والأخطل لأبي تمّام، وأنساب الأشراف، وتاريخ الرّسل والملوك، والأغاني، وتاريخ مدينة دمشق هي أهمّ هذه المصادر وأغناها بأشعار القبائل اليمانيّة الشاميّة وأخبارها في العصر الأمويّ.

وأمّا الأستاذ الدكتور حسين عطوان الذي تفضّل بالإشراف على هذا البحث، فقد غمرني بلطفه ووافر حِلْمه، وأولاني عنايته ورعايته، ومكّنني من الاطّلاع على بعض المصادر المطبوعة والمخطوطة التي لم تتيسّر لي، وقوّم البحث بملاحظاته المُفيدة، وصوّبه بآرائه السّديدة، حتّى خرج على هذه الصّورة، فله منّي أجزل الشّكر وأعظم التّقدير.

والله وليّ التوفيق.

مفلح الغايز

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأوّل

القبائل اليمانية الشامية قبل الإسلام وبعده.

أوّلاً : قبل الإسلام.

ثانياً : اليمانية الفاتحون للشام.

ثالثاً : القبائل اليمانية الشامية في العصر الأموي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً : قبل الإسلام

سَكَنَ العربُ الشامَ[١] منذُ قرون عديدة قبل الميلاد ، إذْ يُقال : إنّ عاداً ملكت الشامَ قبل الميلاد بعشْرةِ آلاف سنة[٢].

" وكان الثّموديّون بالشام في القرن السابع قبل الميلاد ، ولم يزالوا بها إلى القرن الثالث بعد الميلاد [٣] " وكان مُلْكُهم بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحَبَشيّ [٤] ، ومن منازلهم : العُلا والحِجْر (مدائنُ صالح) في شماليّ الحجاز[٥].

ثُمّ جاءَ جيلٌ من العَمالِقَة[٦] ، وهم عربٌ صُرَحاء ، كانت منازلُهُم تمتدُّ من حدود مِصْر فطوْر سيناء إلى فلسطين [٧] ، وقد أسّسُوا لهم مُلْكاً بالشام منذ أربعة آلاف وخمْسمائة سنةٍ قبل الميلاد [٨].

وجاءَ بعد العَمالقةِ الأنباطُ الذين يُرَجّحُ أنّ وجودَهُم في الشام يرْجِعُ إلى حوالي سنة سبْعٍ وثمانين وخمْسمائة قبل الميلاد . واسْتطاعوا منذُ عام

---

(١) قَسَم العربُ الشامَ خمسةَ أجْنادٍ هي : جُنْد فلسطين ، وجُنْد الأُردنّ ، وجُنْد دمشق ، وجُنْد حِمْص ، وجُنْد قِنّسْرين . انظر : البلاذُريّ : فتوح البلدان ص: ١٣٧—١٣٨ .

(٢) د . جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١ : ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ومحمد أحمد باشميل : العرب في الشام قبل الإسلام ، ص: ٢٠—٢١ .

(٣) د . حسين عطوان : الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأُمويّ ص: ٧٦ .

(٤) المسْعوديّ : مروج الذّهب ومعادنُ الجَوْهر ٢ : ١٥٦ .

(٥) د . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربيّ ، العصر الجاهليّ ، ص: ٣٠ .

(٦) العمالقةُ من نسْل لاوذ بن سام بن نوح . وهم وعاد وثمود وطَسم وجَديس وعَبيل وأميم وجُرْهم وحَضْرمَوْت من العرب البائدة ، التي بادَ ذِكْرُ اسمها فلم تعُدْ قبائل معروفة ، لأنها ذابت في غيرها حتى تلاشت. المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١ : ٢٩٥ ، وجُرْجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص: ٤٩ ، والعرب في الشام قبل الإسلام ، ص: ١٠٣ .

(٧) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١ : ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

(٨) العرب في الشام قبل الإسلام ، ص: ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تسعة وستين ومائة قبل الميلاد أَنْ يُقيموا مملكةً(١) ،ازْدَهرت بالتدْريج حتى تحوّلت إلى " إمْبراطوريّة مترامية الأطراف شملت الشامَ كلَّها وسيناء وجانباً من دِلْتا النيل غرباً ،وما بين النَّهْرين في العراق شرقاً ،وحتى وادي القُرى وتبوك وديار ثمود في الجزيرة العربيّة جنوباً (٢)" ،إلى أَنْ قضى عليها الرُّوم في عهد إمبراطورهم تراجان ،في مطلع القرن الثاني للميلاد (٣).

وتحوّل الصَّفويّون إلى الشام في القرن الأوّل قبل الميلاد (٤) ،وهم قبائل عربيّة شماليّة هاجرت من الجزيرة العربيّة وسكنت منْطقة الصَّفاة بحَوْران فنُسِبَت إليها (٥).

وأمّا تَدْمُر فإنّ سكّانَها عربٌ من بقايا العَمالِقة وعاد وقضاعة، وقد ظلّت مملكةُ تدْمُر العربيّة قائمةً إلى أَنْ قضى عليها الرّوم في النِّصْف الثاني من القرن الثالث الميلادي (٦).

وسكنت بعضُ القبائل اليمانيّة بلادَ الشام قبل الإسلام ،ويُرْجِعُ النسّابون هذه القبائل إلى جذْمَيْن كبيرَيْن هما :

حِمْيرُ بنُ سَبأ بنِ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحْطان ،وكَهْلان بنُ سبأ بن يَشْجُب بنِ يَعْرُب بن قحطان (٧).

---

(١) العرب في الشام قبل الإسلام، ص ٣٢، ٣٤ ويقول د. جواد علي: إنّ الأنباط عربٌ، وهم أقرب إلى قُريش وإلى القبائل الحجازيّة التي أدْركت الإسلام من عرب الجنوب. انظر: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ١٤٠.

(٢) نفسه، ص: ٢٤٠. وانظر: العرب قبل الإسلام، ص: ٨٩، والجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، ص: ٧٧.

(٣) نفسه، ص: ٣٥. وانظر: العرب قبل الإسلام، ص: ٨٦.

(٤) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣: ١٤٤.

(٥) نفسه، ٣: ١٥٣.

(٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١: ٦١٨، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣: ٨٠، والعرب في الشام قبل الإسلام، ص: ١٠٦، والجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، ص: ٧٨.

(٧) ابنُ حَزْم: جمهرة أنساب العرب، ص: ٣٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ ـ القبائل الحِمْيريّة(١)

اسْتعمل الرومُ الذين كانت لهم السَّيْطرةُ على بلاد الشام قبل الإسلام بعضَ هذه القبائل على عربِ الشام، واتّخذوها سدّاً يقيهم هجماتِ الفُرْس الطّامعين بأملاكِ دولتهم.

ومن هذه القبائل : قبيلةُ قُضاعة(٢).

قال ابنُ حَزْم : هو قُضاعة بنُ مالك بن حِمْير. وقيل : قُضاعة بنُ مالكِ بن عمرو بن مُرّة ابن زيد بن مالك بن حِمْير بن سبأ(٣).

---

(١) يُقال : إنّ اسم حِمْير : العرنْجَجُ بنُ سبأ. انظر : ابن دُرَيْد : الاشتقاق ٢ : ٥٢٣، وجمهرة أنساب العرب، ص: ٣٢٩. وأمّا سبأ : فاسمه عامر أو عبد شمس، وإنّما سُمّي سبأ، لأنه أوّلُ مَنْ سبى في العرب. انظر : ابن هشام : السّيرة النبويّة ١ : ١١، وجمهرة أنساب العرب، ص: ٣٢٩.

(٢) اسمه عمرو، وقُضاعة لقبه، لأنه انقضع عن قومه، أيْ : بَعُدَ عنهم. الزُّبَيْرُ بن بكّار : الأخبارُ المُوفّقيّات ص: ٣١٧، والبلاذُريّ : أنساب الأشراف ١ : ١٥. وانظر : الاشتقاق ٢ : ٥٣٦. وابن مَنْظور : لسان العرب : مادة : قضع، والنُّوَيْريّ : نهاية الأرب في فنون الأدب ٢ : ٢٨٣.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص: ٤٠٠. ثم ذكر ابنُ حَزْم قولَ مَنْ ينسبُها إلى معدّ ابن عدنان. وهذا الاختلاف في نسب قضاعة ذكرته معظم المصادر، أنظر مثلاً : السيرة النبوية ١ : ١١، والمُصْعب الزُّبَيْري : نسب قريش، ص: ٥، وابن قُتَيْبة : المعارف، ص: ٦٣، وأنساب الأشراف ١ : ١٥، ١٨، وتاريخ اليَعْقوبي ١ : ٢٠٢، ٢٢٣، وتاريخ الرسل والملوك ٢ : ٢٧٠، وابن عبد البر : الإنباه على قبائل الرواة، ص: ٣١، ٣٤، وابن ماكولا : الإكمال ٧ : ١٤٦، والحازميّ : عُجالة المبتدي وفُضالة المُنْتهي في النسب ص: ١٠٥، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢ : ٣٢، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٢ : ٢٨٣، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٠٦، والقَلْقَشَنْدي : قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ص: ٤١، والقلقشندي : صُبْح الأعشى في صناعة الإنْشا ١ : ٣٦٧. والأكثر والأصح في نسب قضاعة أنّها من قبائل حِمْير بن سبأ. انظر : الإكمال ٧ : ١٤٦، وعُجالة المبتدي ص: ١٠٥، وابن خلّكان : وفيات الأعيان ٤ : ٢١٣، ود. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص: ٥٥، والعرب في الشام قبل الإسلام ص: ١٥١. ويرى بعض الباحثين أن هذا الاختلاف في نسب قضاعة، يعود إلى اختلاطها بقبائل معدّ بن عدنان، وإلى ظروف سياسية حدثت في العصر الأموي خاصة، ولا سيما في أيام معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد اللّذيْن بذلا أموالاً جسيمة لبعض رؤساء قضاعة، لحملهم على الانتفاء من اليمن والانتساب إلى معدّ بن عدنان، لأن قضاعة في ذلك العهد كانت قوة كبيرة في بلاد الشام، فأراد بنو أمية التكثّر بها. وقد وافق بعض رؤسائها على الانتفاء من اليمن، ورفضت أكثريتهم ذلك. ويعود الاختلاف في نسبها أيضاً إلى الصّراع العنيف بين قبيلة كلب اليمانية، وقبيلة قيس المضرية، أي النّزاع بين عدنان واليمن نزاعاً سياسياً عنيفاً، فحاول كلّ من الطرفين أن يضم إلى شجرة نسبه أكثر ما يمكن ضمّه من القبائل. انظر : الإنباه على قبائل الرواة ص: ٣٢، ٣٣، وبلاشير : تاريخ الأدب العربي، ص: ٢٧، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١ : ٣٩٣، ٤١٩، ود. إحسان النصّ : العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ص: ٢٨٣، ٣٤٢، ٣٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي أَوّلُ مَنْ نزل الشامَ من عرب اليمن ، إذْ هاجر القُضاعيّون من ديارهم بتهامةَ وما يليها إلى بلاد الشام ، فوجدوا بلاداً واسعة خالية ، قد خرب أكثرها وغارت مياهُها ، بسبب إخْراب الفُرْس لها ، وانْضافوا إلى ملوك الروم ، فملّكوهم على عرب الشام بعد أَنْ تنصّر أكثرُهم (١).

ولمّا اسْتولى أَرْدشيرُ بنُ بابك على العراق ، لَحِق مَنْ كان به من قُضاعة بالشام ، لأَنهم كرهوا المُقام في مملكته (٢).

ولا يُعْرفُ متى تمّت هجرةُ القُضاعيّين إلى الشام على وجه التّحْديد ، ويرى جُرْجي زَيْدان أَنّها حدثت حوالي تاريخ الميلاد أَو قبله قليلاً (٣) ، ولكنّهم لم يستطيعوا أَنْ يُؤَسّسوا مُلْكاً لهم إلاّ بعد سقوط مملكة الأَنْباط في مطلع القرن الثاني للميلاد (٤).

وكانت قبيلةُ قضاعة مواليةً للرّوم ، فوقفت من دعوة الرسول عليه السلام موقفاً عدائياً ، وكانت بطون منها تتجمّع بدومة الجَنْدل (٥) ووادي القُرى (٦) وذات السّلاسل (٧) من مشارف الشام ، للإغارة على الحجاز ، فسار إليها الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم ،

---

(١) أنساب الأشراف ١ : ١٩ ، وتاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٦ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٣١ ، والبكري : معجم ما استعجم ١ : ٢٥ ، ٥٢ ، والعرب في الشام قبل الإسلام ، ص : ١٥٢ ، ١٨٨ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ، ٢ : ٤٢ ، ٢٥٥ ، والكامل في التاريخ ١ : ٣٨٤ .

(٣) العرب قبل الإسلام ، ص : ١٩٣ . وانظر : رنيه ديسو : العرب في سوريا قبل الإسلام ، ص : ١٠ .

(٤) العرب في الشام قبل الإسلام ، ص : ١٥٦ .

(٥) دُوْمة الجَنْدل : حِصْن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء . انظر : معجم البلدان : دومة الجندل . وهي اليوم منطقة الجوف بالمملكة العربية السعودية .

(٦) وادي القُرى : وادٍ بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القُرى . انظر : معجم البلدان : وادي القُرى .

(٧) السَّلاسل : ماءٌ لجُذام في مشارف الشام . انظر : معجم البلدان : السَّلاسل . وهو اليوم بمنطقة المُلا بالمملكة العربية السعودية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في أَلْفٍ من أصحابه، سنة خَمْس من الهجرة، فلّما انتهى إلى موضعها تفرّقَ رجالُها وهربوا، فاسْتاقَ نعمهم وشاءَهم. ثمّ بعث إليها سريّة يقودها زيدُ بنُ حارثة رضي الله عنه، في السنة السادسة للهجرة، فلم يلْق كيْداً. ووجّه إليها في السنة الثامنة عمروَ بن العاص في ثلاثمائة من المهاجرين والأَنصار، فهزموا فرسان قضاعة وقتلوا منهم وغنموا (١).

ووجّه الرسولُ صلّى الله عليه وسلم إلى قوم من قضاعة بذات أَطْلاح (٢) من نواحي الشام، سريّةً يقودُها كعْبُ بنُ عُميْر الغفاريّ، رضي الله عنه، فرفض أَهلها الإسلام وأَصابوا كعْباً وأَصحابه (٣).

وقد أَسلمت بطونٌ من قضاعة قبل وفاة الرسول عليه السلام، وظلّت بطون منها على نصرانيّتها، فقاتلت المتنصّرة منها المسلمين في معركتي مُؤْتة (٤) واليرموك (٥)، وأَمّا من أَسلم من بطونها، فقد انحاز إلى صفوف جيش المسلمين (٦).

ومن بطون قضاعة التي وردت الشام قبل الإسلام البطون التالية:

١ — تَنُوخ (٧).

قال ابنُ حَزْم: " تنوخ على ثلاثة أَبْطُنٍ: بطنٌ اسمه فَهْم، . . . ، وبطْنٌ اسمه نزار، وهم لوْث ليس نزار لهم بوالد ولا أُمّ، ولكنّهم من بطون قضاعة كلّها من بني العَجْلان بن النّعْلب، . . . ، ومن بني تَيْم الله بن أَسد بن وَبَرة ومن غيرهم،

---

(١) الواقديّ: المغازي ٢: ٧٧٠، ومحمد بن سَعْد: الطبقات الكبرى ٢: ١٣١، وأنساب الأشراف ١: ٣٤١، ٣٧٧، ٣٨٠، وتاريخ اليعقوبيّ ٢: ٧٥، وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ١: ٤٠٥، والذّهبيّ: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ص: ٤٢٨.

(٢) ذاتُ أَطلاح: موضعٌ وراء وادي القُرى إلى المدينة. انظر: معجم البلدان: أَطْلاح.

(٣) المغازي ٢: ٧٥٢، وأَنساب الأَشْراف ١: ٣٨٠، وتاريخ الرسل والملوك ٣: ٢٩، والكامل في التاريخ ٢: ٢٣٠.

(٤) السيرة النبوية ٤: ١٦، والمسْعودي: التّنبيه والإشراف ص: ٢٣٠، وتاريخ مدينة دمشق ١: ٣٩٦.

(٥) تاريخ خليفة بن خيّاط، ص: ١٣٠، وتاريخ مدينة دمشق ١: ٥٣١.

(٦) الأَزديّ: فتوح الشام ص: ١١١، ٢١٨، ٢٢٧، وابن أَعْثم الكوفيّ: كتاب الفتوح ١: ٢٥٥.

(٧) التّنوخ: الإقامة. وسمّوا كذلك، لأَنهم اجتمعوا وتحالفوا على المُقام بالشام. لسان العرب: مادة: تنَخَ، ومحمد كرد علي: خطط الشام ١: ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبطْنٌ ثالث يُقال له : الأَحلاف، وهم من جميع قبائل العرب كلّها من كِنْدة وجُذام وعبد القيْس(١)».

ويُقال : إنّ قبيلة تنوخ ظهرت في الشام آتيةً من جنوب جزيرة العرب في أَوائل التاريخ المسيحيّ (٢)، وكانت تُتاخِمُ مملكة الروم، فلمّا غزا ملك الفُرْس الروم، فقتل وسبى وخرّب، استنْجدَ ملكُ الروم بتنوخ فأَنْجدوه وقاتلوا معه قتالاً شديداً، ثمّ سأَلوه أَنْ يتولّوا حربَ الفُرْس بمُفْردهم، فأَجابهم إلى ذلك، فظفروا بالفُرْس، فأَقطعهم ملكُ الروم سُورية وما جاورها من الأَصْقاع، وهي مدينة بقرب الأَحَصّ على جانب البريّة(٣).

وتنصّرت تنوخ فملّكها الروم على مَنْ ببلاد الشام من العرب وتتابعت فيهم ثلاثةُ ملوك أَوّلُهم : النُّعْمان بنُ عمرو بن مالك التنوخي، ثمّ ابنه عمروُ بنُ النُّعْمان ابن عمرو، ثمّ الحوارِيّ بنُ النُّعْمان، ولم يملك من تنوخ غيرهم (٤).

وكان حاضرُ قِنّسْرين لتنوخ منذ أَوّل ما أَناخوا بالشام، وقد نزلوه وهم في خِيَم الشَّعر، ثمّ بنوا المنازل (٥). ونزلوا أَيضاً حاضرَ حلب الذي جمع أَصنافاً من العرب، من تنوخ وغيرهم (٦).

وأَخبار دولة تنوخ مضطربةٌ متناقضةٌ، ولم يذكر العرب شيئاً من أَعمال ملوكها ولا زمن ملكهم، الذي يبدو أَنه لم يطُلْ، فقد غلبهم عليه بطن آخر من قضاعة اسمه سَليح (٧).

وكانت تنوخ عند الفتح بدُومةِ الجَنْدل من مشارف الشام (٨)، وانضمّتْ بعد ذلك إلى جيش الروم في معركة مُؤْتة (٩)، وإلى العرب المتنصّرة الذين استنْفرهُم

---

(١) جمهرة أنساب العرب ص: ٤٥٣. وانظر في نسب تنوخ : تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٣، ومروج الذهب ٢ : ٢٣١، وعُجالة المبتدي ص: ٣٣، ونهاية الأَرَب في فنون الأدب ٢ : ٢٩٥.

(٢) العرب في سوريا قبل الإسلام، ص: ١٠.

(٣) خطط الشام ١ : ٢٢–٢٣. ويقول ياقوت الحَمَوِيّ : سورية : موضع بالشام بين حُناصِرة وسَلَمْية. انظر : معجم البلدان : سورية.

(٤) تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٦، ومروج الذهب ٢ : ٢٣١، والتنبية والإشراف ص: ١٥٨، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٢٠، ٥٨٠. وانظر : خطط الشام ١ : ٢٣، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣ : ٣٩٧، والعرب في الشام قبل الإسلام ص: ١٦٠. وانظر أيضاً : المعارف ص: ٦٤٠، إذ يقال فيه : إنّ هؤلاء الملوك من سليح.

(٥) فتوح البلدان ص: ١٥٠. وانظر : معجم البلدان : الحاضر.

(٦) نفسه ص: ١٥١. وانظر : معجم البلدان : الحاضر، والبغْدادي : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ١ : ٣٧١.

(٧) العرب قبل الإسلام ص: ١٩٦.

(٨) الكامل في التاريخ ٢ : ٣٩٥، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٨٩٥.

(٩) تاريخ مدينة دمشق ١ : ٣٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الروم لقتال جيوش الفتح الإسلاميّة(١).

وقاتلت تنوخ مع الروم في معركة اليرموك، ويبدو أنّها حاولت اللّحاق بهرقل بعد هزيمته، إذْ يُقال: إنّ أوّل من قطع درْبَ بَغْراس(٢) ميْسَرَةُ بنُ مسْروق العبْسيّ، الذي وجّهه أبو عُبيْدة رضي الله عنه، في إثْر فُلول الروم، فلقي جمعاً منهم ومن تنوخ وغسّان يريدون اللّحاق بهرقل، فأوقع بهم وقتلَ منهم مقتلةً عظيمة(٣).

وأمّا مَنْ كان منهم بحاضِر قِنّسْرين وحاضر حلب، فقد صالحهم المسلمون على الجزْية، ثمّ إنّهم أسلموا بعد ذلك(٤).

٢ — سَليح.

وهم بنو سَليح بن حُلْوان بن عِمْران بن الحافي بن قُضاعة(٥).

قال أبو عُبيْد البكْريّ: سارت سَليح وقبائلُ من قضاعة "إلى أطراف الشام ومشارفها، وملكُ العرب يومئذٍ ظَرِبُ بنُ حسّان بن أُذَيْنة بن السّمَيْدَع بن هَوْبر العِمْليقيّ، فانضمّوا إليه وصاروا معه، فأنزلهم مناظرَ الشام(٦)، من البلْقاء إلى حُوّارين(٧) إلى الزّيْتون(٨)، فلم يزالوا مع ملوك العَماليق، يغْزون معهم المغازي ويُصيبون معهم المغانم، حتّى صاروا مع الزبّاء بنت عمْرو بن ظَرِب بن حسّان المذكور، فكانوا فُرْسانَها وولاة أمرها، فلمّا قتلها عمرُو بنُ عديّ بن نصْر اللّخْميّ، استولوا على المُلْك بعدها، فلم يزالوا مُلوكاً حتّى غلبتهم غسّان

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٨٩، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٤٥١.

(٢) بَغْراس: مدينة بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ، على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب، في البلاد المطلّة على نواحي طَرسوس. انظر: معجم البلدان: بغراس.

(٣) فتوح البلدان ص: ١٦٨. وانظر: خطط الشام ١ : ٨٩.

(٤) نفسه ص: ١٥٠، ١٥١. وانظر: معجم البلدان: الحاضر، وابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب ١ : ٢٦، ٢٩.

(٥) سليح: لقبه، واسمه عمرو. جمهرة أنساب العرب ص: ٤٥٠. وانظر: تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٣، والاشتقاق ٢ : ٥٣٧، ومروج الذهب ٢ : ٢٣١، والإنباه على قبائل الرواة ص: ١٣٩، وعجالة المبتدي ص: ٧٥.

(٦) قال ياقوت الحمويّ: "المناظرُ: جمع منْظرة، وهو الموضع الذي يُنْظَر منه، وقد يغلب هذا على المواضع العالية التي يُشْرفُ منها على الطريق وغيره، . . . ، وهو موضعٌ في البرية الشاميّة قرب عُرْض، وقرب هِيْت أيضاً". انظر: معجم البلدان: المناظر.

(٧) حُوّارين: من قرى حلب. وحُوّارين أيضاً: حِصْن من ناحية حمص. انظر: معجم البلدان: حُوّارين.

(٨) الزّيْتون: جبل بالشام. انظر: معجم البلدان: الزّيْتون.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على المُلْك (١)".

وقد خلفوا قبيلةَ تنوخ على مُلْكِ عرب الشام. قال المسْعوديّ: "ثمّ وردت سليح الشام فتغلّبت على تنوخ وتنصّرت فملّكتها الروم على العرب الذين بالشام (٢)". ويرى بعضُ الباحثين أنّهم قد موا الشام مع التّنوخيّين ولكنّهم لم يحلكوا إلاّ بعدهم (٣).

وكانت رئاسةُ سليح في الضّجاعِمَة بني ضَجْعَم بن سِعْد بن سليح (٤)، الذين ملكوا أطراف الشام ممّا يلي البرّ من فلسطين إلى قِنّسْرين (٥). وذكر ابنُ خلدون أنّ لهم "مُلْكَ ما بين الشام والحجاز إلى العراق، في أَيلة [العقبة] وجبال الكرك إلى مشارف الشام (٦)"، وظلّ مُلْكُهم قائماً إلى أنْ غلبَهُمُ الغساسنةُ وحلّوا محلّهم في مُلْكِ مشارف الشام ضمن إطار الدولة البيزنطيّة (٧).

---

(١) معجم ما استعجم ١ : ٢٦. وانظر: تاريخ الرسل والملوك ١ : ٦١٨، وأبو الفرج الأصْفهاني: الأغاني (دار الثقافة) ١٣ : ٧٩، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٠٤، وخطط الشام ١ : ٦٢، والعرب في الشام قبل الإسلام ص: ١٠٣، ١٥٩.

(٢) مروج الذهب ٢ : ٢٣١، وانظر: تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٦، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٢٠، ٥٨٠.

(٣) العرب في الشام قبل الإسلام ص: ١٦١، والعرب قبل الإسلام ص: ١٩٦. وانظر: الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ص: ٧٩.

(٤) ابن حبيب: المُحبّر ص: ٣٧٠، وجمهرة أنساب العرب ص: ٤٠٥. وانظر: الاشتقاق ٢ : ٥٤٥، والتنبيه والإشراف ص: ١٥٨، وحمزة الأصفهانيّ: تاريخ سنّي ملوك الأرض والأنبياء ص: ٨٣، والمختصر في أخبار البشر ١ : ٧٢، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٨٠.

(٥) الكامل في التاريخ ١ : ٥١٠.

(٦) تاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٢٠. وانظر: العرب في الشام قبل الإسلام ص: ١٥٢، ١٦٣.

(٧) المُحبّر ص: ٣٧٠-٣٧١، والعرب في الشام قبل الإسلام ص: ١٤٩، ١٦٣. وانظر: ابن عبد ربّه: العقد الفريد ٣ : ٥٦، وتاريخ سنّي ملوك الأرض والأنبياء ص: ٩٩. ومعجم ما استعجم ١ : ٢٦، والكامل في التاريخ ١ : ٥١٠، والمختصر في أخبار البشر ١ : ٧٢، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٢٠، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣ : ٣٩٧، والعرب قبل الإسلام ص: ١٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووقف بنو سَليح مع الروم في وجه المسلمين ، فقاوم فُرْسانُهم خالدَ بنَ الوليد عند ما قدم لفتح دُومةِ الجَنْدل (١).

ويذكر البلاذُريّ أنَّهم كانوا بحاضرتَيْ سُرين ، فدعاهم أبو عُبيْدة رضي اللّه عنه إلى الإسلام مع غيرهم ، فأقام أكثرُهُم على النَّصْرانيَّة ودفعوا الجِزْية(٢).

٣ — كلب .

وهم بنو كَلْب بن وَبَرة بن تَغْلِب بن حُلْوان بن عِمْران بن الحافي بن قُضاعة(٣) لحقوا بالشام بعد أن أغارت حِمْير على بقيَّة قضاعة في تهامة ، فخيَّروهم بين أنْ يُقيموا على خراجٍ يدْفعونه إليهم أو يخْرُجوا عنهم ، فخرجت بنو كلب وجَرْم إلى الشام ثمَّ إنَّ بني كِنانةَ بن خُزَيْمة من مُضَر ، أغارت عليهم بعد ذلك بدَهْر ، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، فانهزمت كلب ولحقت بالسَّماوة فهي منازلهُم(٤).

ونزلت كلب أيضاً أطراف الشام ، وكان لها رئاسةٌ في تبوك ودُومَةِ الجَنْدل تتعاقبُ عليها هي والسَّكونُ من كِنْدة ، ومن رُؤَسائها : دُجانةُ بنُ قَنافةَ بن عديّ بن زُهَيْر بن جَناب الكلبيّ (٥).

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٨٩ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٤٥١ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٤٠٢ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٨٩٥ ، ٨٩٨ . وانظر : المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣ : ٣٩٢ ، ٣٩٥ .

(٢) فتوح البلدان ص : ١٥٠ . وانظر : معجم البلدان : الحاضر ، وبُزْدة الحلب من تاريخ حلب ١ : ٢٦ .

(٣) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٥٥ . وانظر : الاشتقاق ٢ : ٥٣٧ ، وعُجالة المبتدي ص : ٦٠ ، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٢ : ٢٩٥ ، وقلائد الجُمان ص : ٤٦ ، وصُبْح الأعشى ١ : ٣٦٨ .

(٤) الأغاني ١٣ : ٨٠ . وانظر : معجم ما استعجم ١ : ٢٤ ، وبلاشير : تاريخ الأدب العربي ص : ٢٧٩ .

(٥) المحبّر ص : ٢٦٣ ، وتاريخ اليعقوبي ١ : ٢٧٠ وفيه أنَّها كانت تتعاقب على الرئاسة هي وغسّان وليس السَّكون ، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ : ٤٣٠ . وانظر : المُخْتَصر في أخبار البشر ١ : ١٠٠ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٢١ ، وصُبْح الأعشى ١ : ٣٦٨ ، والعرب في الشام قبل الإسلام ص : ١٦٥ ، والعرب قبل الإسلام ص : ١٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويُستفادُ من الأَشْعار التي رواها الهَمْدانيّ في كتابه "صِفَة جزيرة العرب" أَنَّ كلباً وطِئَت قبل الإسلام أَرضَ الجوْلان، وما حوْل الحرَّة الرَّجْلاء من أَرض تدْمُر(١).

ويذكُرُ الأَخْباريّون أَنَّ الرَّسول صلّى اللّه عليه وسلّم بعث عبدَ الرحمن بن عوْف رضي الله عنه على رأْس سريَّة إلى دُوْمة الجَنْدل في السنة السادسة للهجرة، وكان بها قومٌ من كلْب، فأَسلم الأَصْبغُ بنُ عمرو الكلْبيّ رأْسُ دُومة الجَنْدل، وكان نَصْرانيّاً، فتزوَّجَ عبدُ الرحمن بنِ عوْف ابنته (٢).

ولكن يبدو أَنَّ أَهلَ دُومة الجَنْدل من كلْب لم يُسْلموا كلُّهم، أَو أَنّهم ارتدّوا عن الإسلام عقب انتقال الرئاسة منهم إلى السَّكون من كِنْدة، لأَنَّ خالدَ بن الوليد، قد اسْتَصْعَب المرور بديار كلب عندما بعثه الرسولُ عليه السلام من تبوك إلى دُومة الجنْدل من كِنْدة (٣)، ولأَنَّ كلباً ممَّن استنْفَرهم الروم لقتال المسلمين، مما يدُلُّ على ولائها لهم (٤).

وذكر البلاذريّ أَنَّ قوماً من كلب كانوا عند الفتْح ببادية السَّماوة من ناحية العراق، وأَنَّ خالدَ بن الوليد نزل قُراقِر وسُوى من مياه كلب في تلك الناحية، حين توجُّهه من العراق إلى الشام لنجدة المسلمين (٥).

٤ — سائرُ بطون قُضاعة.

واستوطنت الشامَ قبل الإسلام بطون أُخرى من قضاعة منها: بنو القَيْن (٦)

---

(١) انظر: ص: ٣٦٨، ٣٦٩. والحرَّة الرَّجْلاء: هي التي تُرْجلُ سالكها، فلا يقدر فيها على الركوب. انظر: معجم البلدان: الحرّة الرَّجْلاء.

(٢) المغازي ٢: ٥٦١، والطبقات الكبرى ٢: ٨٩، وأنساب الأشراف ١: ٣٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ١: ٣٨٧، وابن حَجَر العسقلاني: الإصابة في تمْييز الصحابة ١: ٢٠٤. وانظر: تاريخ الرسل والملوك ٤: ٥٣٥، والكامل في التاريخ ٢: ٣٩٥.

(٣) المغازي ٣: ١٠٢٥. وانظر: تاريخ ابن خلدون ٢: ٨٩٥.

(٤) تاريخ الرسل والملوك ٣: ٣٨٩. وانظر: الكامل في التاريخ ٢: ٤٠٢

(٥) فتوح البلدان ص: ١١٨. وانظر: كتاب الفتوح ٤: ٣٧، ومعجم البلدان: قُراقِر وسُوى. وكان بسُوى أيضاً قوم من بَهْراء.

(٦) هم بنو النّعْمان بن جَسْر بن شَيْع الله بن أَسد بن وَبَرة بن تَغْلب بن حُلْوان ابن عِمْران بن الحافي بن قضاعة. وقد حضن النّعمانَ عبدٌ له يُقال له: القيْن، فغلب اسمه عليه. جمهرة أنساب العرب ص: ٤٥٣، ٤٥٤. وانظر: تاريخ اليعقوبي ١: ٢٠٣، والاشتقاق ٢: ٥٤٢، وفُجالة المبتدي ص: ١٠٥، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٢: ٢٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن جَسْر (١) ، وكان لهم جَمْع عظيم وثروة في أكناف الشام ، فناهضوا بني كلب بن وَبَرة حيناً ، إلاّ أنّهم ضَعفوا بعد ذلك ووَهَن أمرهم (٢).

وجاور بنو القَيْن بلياً وعُذْرة بمشارف الشام (٣) ، وانضمّوا إلى الروم في معركة مُؤْتة (٤) ، ثمّ أسلم فريقٌ منهم بعد ذلك ، وقاتل مع المسلمين في موقعة فِحْل (٥) ، بينما ظلّ فريق آخر منهم يُقاتل إلى جانب الروم في معركة اليرموك (٦).

ومن منازلهم عند الفتح الإسلامي : حَفير من أرض الأُردن وهم حاضِرتُها (٧).

وبنو خُشَيْن (٨) ، وهم بطنٌ عظيم بالشام (٩) ، وبنو جَرْم بن رَبّان بن حُلْوان (١٠) ، وبنو تَزيد وعِشْم ابني حُلْوان ، الذين انتقلوا إلى الشام من الجزيرة الفراتيّة (١١).

---

(١) معجم ما استعجم ١ : ٥٢ ، والكامل في التاريخ ١ : ٣٤٤ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٥٤ .

(٣) المغازي ٢ : ٧٧٠ . وانظر : تاريخ مدينة دمشق ١ : ٣٩٧ ، ٤٠٣ .

(٤) انظر : السيرة النبوية ٤ : ١٦ ، وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٧ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٣٩٧ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٣٥ ، وخطط الشام ١ : ٧٤ .

(٥) الأزديّ : فتوح الشام ص : ١١١ . ولم يُعيّن ياقوت الحَمَويّ موقع فِحْل ، بل ذكر أنها موضع بالشام . انظر : معجم البلدان : فِحْل . وهي اليوم من قرى محافظة إربد بالمملكة الأُردنية الهاشمية . انظر : الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأمويّ ص : ٣٩ .

(٦) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٥٧٠ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٥٣١ . وانظر : خطط الشام ١ : ٨٧ .

(٧) الأغاني ١٦ : ١٢ . وانظر : معجم البلدان : حفير ، ومراصد الاطّلاع ١ : ٤١٤ .

(٨) هم بنو وائل بن النَّمِر بن وَبَرة بن تغْلب بن حُلْوان بن عِمْران . وخُشَيْن لقب وائل . جمهرة أنساب العرب ص : ٤٥٤ . وانظر : عجالة المبتدي ص : ٥٥ .

(٩) الاشتقاق ٢ : ٥٤٤ . وانظر : معجم ما استعجم ١ : ٥٢ .

(١٠) تاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٠٤ ، ٥١٧ . وهم بنو جَرْم بن ربّان بن حُلْوان بن عمران ، جمهرة أنساب العرب ص : ٤٥١ . وانظر : عجالة المبتدي ص : ٣٩ ، وقلائد الجمان ص : ٥٣ .

(١١) معجم ما استعجم ١ : ٢٦ . وانظر : الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ص : ٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنها : بنو نَهْد بن زيد (١) ، وهم : عامر ، وعمرو ، وحَنْظلة ، والطّول ، ومُـرَّة ، وخُزَيْمة ، وأبان ، وكلُّهم سكنوا الشام ، ودخل قوم منهم في بني عُليْم من كلْب بن وَبَرة ، وفي بني عدي بن جَناب من كلب أيضاً ، وفي غيرهم (٢).

ومنها : بنوعُذْرة (٣) ، وكانوا بحرَّةِ النّار (٤) وذات السَّلاسل (٥) من مشارف الشام. وبنو جُهيْنة (٦) ، وكانوا بمشارف الشام في وادي القُرى وتبوك حتى أَيْلـــة (العقبة) (٧).

ومنها أيضاً : بلِيّ (٨) ، وكانت منازلها قبل الإسلام بين تَيْماء ويثْرب إلـــى أَيْلـــة (٩).

---

(١) هو نَهْد بنُ زيد بن ليْث بن سُود بن أَسْلُم بن الحافي . جمهرة أنساب العرب ص: ٤٤٦ . وانظر : عُجالة المبتدي ص: ١١٨ ، وقلائد الجُمان ص: ٥١ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٦٩ .

(٢) أنساب الأشراف ١ : ١٩ ، وجمهرة أنساب العرب ص: ٤٤٦-٤٤٧ ، وقلائد الجمان ، ص : ٥١ .

(٣) عُذْرة بنُ سَعْد هُذَيْم بن زيد بن ليْث بن سُود بن أَسْلُم بن الحافي . جمهرة أنساب العرب ص: ٤٤٧ . وانظر : تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٣ ، وعُجالة المبتدي ص: ٩٢ ، وقلائد الجُمان ص: ٤٩ ، وصبْح الأعشى ١ : ٣٦٨ .

(٤) معجم البلدان : حرّة النار . وهي حرة بين وادي القُرى وتيْماء .

(٥) المغازي ٢ : ٧٧٠ . وانظر : السيرة النبوية ٤ : ٢٧٢ ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ٧٥ . وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٢ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٤٠٤ ، وتاريخ الإسلام ص: ٤٢٩ .

(٦) جُهيْنة بن زيد بن ليْث بن سُود بن أَسْلم . جمهرة أنساب العرب ص: ٤٤٤ . وانظر : عُجالة المبتدي ص: ٤٣ ، وقلائد الجُمان ص: ٤٣ ، وصبْح الأعشى ١ : ٣٦٨ .

(٧) الكامل في التاريخ ٢ : ١٨ ، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ : ٤٣١ . وانظر : الأغاني ١٣ : ٧٩ ، ومراصد الاطلاع ٣ : ١٠٨٧ .

(٨) بلِيّ بن عمرو بن الحافي بن قضاعة . جمهرة أنساب العرب ص: ٤٤٢ . وانظر : عُجالة المبتدي ص: ٢٧ ، وقلائد الجُمان ص: ٤٥ ، وصبح الأعشى ١ : ٣٦٧ .

(٩) تاريخ ابن خلدون ٢ : ٥١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونزلت بليّ عند الفتح ذات السّلاسل من مشارف الشام[١] ، ومآب[٢] من أرض البلقاء . وكان رجل منها اسمه : مالك بنُ رافلة قائداً لجيش العرب المتنصّرة الذي انضمّ إلى الروم في معركة مُؤْتة[٣].

وأَسلمت بليّ في السنة التاسعة للهجرة، وقدم وفدها على الرسول صلى الله عليه وسلّم[٤] ، فاتّخذ الأَعْجمَ بن سُفْيان البلويّ عاملاً له على عُذْرة وسلامان وبليّ من قضاعة[٥] ، إلاّ أَنّ بعضها قد ارتدّ عن الإسلام بعد وفاة الرسول عليه السلام ، ووقف إلى جانب الروم في معركة اليرموك[٦] ، ثمّ إنّها أَسلمت بعد ذلك ونزلت مدينة حمص بعد فتْحِها مع من نزلها من المسلمين[٧].

وامتدّت منازل بَهْراء[٨] ، شماليّ منازل بليّ ، من يَنْبُع إلى أَيلة[٩] . ووقفت مع أُخْتها بليّ ضدّ المسلمين في مُؤْتة[١٠] ، وأَعانت أَهل دُومة الجنْدل على خالد

---

(١) المغازي ٢ : ٧٧٠ . وانظر : تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٢ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٤٠٤ ، وتاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأَعلام ص: ٤٢٨ .

(٢) مآب : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء . انظر : معجم البلدان : مآب . وهي اليوم محافظة الكرك بالأُردن .

(٣) المغازي ٢ : ٧٦٠ ، وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ٥٧٠ ، والاشتقاق ٢ : ٥٥١ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٣٥ . وانظر : خطط الشام ١ : ٧٤ .

(٤) الطبقات الكبرى ١ : ٣٣٠ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٨٧ .

(٥) تاريخ خليفة بن خيّاط ص: ٩٨ .

(٦) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٥٧٠ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٥٣١ . وانظر : خطط الشام ١ : ٨٧ .

(٧) الكامل في التاريخ ٢ : ٤٩٢ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٩٤٤ .

(٨) بَهْراء بن عمرو بن الحافي بن قضاعة. جمهرة أَنساب العرب ص: ٤٤١ . وانظر : عُجالة المبتدي ص: ٢٨ ، وقلائد الجُمان ص: ٤٩ ، وصبْح الأَعشى ١ : ٣٦٩ .

(٩) الزركْلي : الأَعلام ٢ : ٧٦ ، والعصبيّة القبلية وأَثرها في الشعر الأُموي ص: ١٣٩ .

(١٠) المغازي ٢ : ٧٦٠ . وانظر : السيرة النبوية ٤ : ١٦ ، وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن الوليد عند ما قدم لفتحها (١) ، وظلّت موالية للروم واستمرت تقاتل معهم (٢) ، مما دفع خالدَ بن الوليد إلى الإغارة عليها — وهو في طريقه إلى الشام — وقتْلِ زعيمها حُرْقوص بن النُّعْمان البَهْرانيّ ، وهي على ماءٍ لها بناحية السَّماوة يُقال له : سُوى (٣).

وذكر البلاذريّ أنّ بني مَشْجَعةَ بن التَّيْم بن النَّمر بن وَبَرة من قُضاعة كانوا بِقُصَم (٤) ، وأنّ خالدَ بنَ الوليد صالحهم في أثناء توجُّهه إلى اليرموك (٥).

وذكر الأَزْديّ أنّهم قاتلوا مع خالد في موقعة بُصْرى من أعمال دمشق ، وأنّ عددَهم كان نحواً من أربعمائة رجل (٦).

(ب) القبائلُ الكَهْلانيّة .

تفرّعت القبائل الكهْلانيّة من مالك وعريب ابني زيد بن كهلان بن سَبأ . وخضعت هذه القبائل قبل الإسلام للسُّلْطة البيزنْطيّة شأنها في ذلك شأنُ قبيلة قضاعة. واستوطن الشامَ منها القبائلُ التالية :

١ — الأَزْد .

يذكر الأَخْباريّون أنّ موْطن الأَزد (٧) كان باليمن ، ثمّ خرجوا مع عمرو

---

(١) الكامل في التاريخ ٢ : ٣٩٥ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٨٩٥ . وانظر : صالح العلي : "القبائل العربية في بلاد الشام في زمن الخلفاء الراشدين" ، مجلة دراسات (المجلد الرابع عشر ، مطبعة الجامعة الأُردنية نيسان : ١٩٨٧م) العدد الرابع ، ص: ٥٨ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٤١٠ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٤٥١ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٤٠٢ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٨٩٨ .

(٣) فتوح البلدان ص: ١١٨ ، ومعجم البلدان : سُوى . وانظر : تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٤١٦ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٤٦٨ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٤٠٩ .

(٤) قُصَم : موضع بالبادية قرب الشام من نواحي العراق . انظر : معجم البلدان : قُصَم .

(٥) فتوح البلدان ص: ١١٩ . وانظر : الأَزديّ : فتوح الشام ص: ٧٦ ، وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ٤٠٧ ، ومعجم البلدان : قُصَم ، والكامل في التاريخ ٢ : ٤٠٩

(٦) فتوح الشام ص: ٨١ .

(٧) هو أُدَد بن الفوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ . جمهرة أنساب العرب ص: ٣٣٠ . وانظر : الهمْدانيّ : الإكليل ١٠ : ٢٩ ، وقلائد الجُمان ص: ٩١ ، وصُبْح الأعشى ١ : ٣٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن عامر (١) ، قُبَيْل خراب سدّ مأْرب أو بعده بقليل ، وتفرّقوا في مواطن مختلفـــة (٢). ويذكرون أنّ منهم غسّان ، وأنّه ليس بأب لهم ولا أُمّ ، وإنّما هو ماءٌ نزلتْه الأزد ، فشَربتْ بعضُ بطونها منه ، فنُسِبَت إليه (٣).

وروى ابنُ حَزْم أنّ بطون الأزد التي سُمّيت غسّان هي : بنو الحـــارث ، وجَفْنة ، ومالك ، وكعْب بني عمرو مُزَيْقياء ، بالإضافة إلى ولد عمرو بن مازن بن الأزد (٤).

وقد وردت غسّانُ الشام قبل الإسلام ، فخضعت للضّجاعِمة من بني سليح ودفعت لهم الخراج ، ثمّ تغلّبت عليهم وانتزعت المُلْك منهم ، وذلك عند فساد كان بين الروم وفارس ، فخاف ملكُ الروم أنْ تُعين غسّانُ الفرسَ ، فكتب إليهم واستدْناهم ، وجعلهـــم عمّالاً للروم على الشام ، فاستمرّ ملكهم إلى عهد جَبَلة بن الأيْهم الذي اتّصل ملكُهُ بخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأسلم ، ثمّ ارتدّ بعد ذلك ، وهو آخرُ ملـــوك الغساسنة (٥).

---

(١) هو عمرو مُزَيْقِياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرئ القيْس بن ثَعْلبة بن مازن بن الأزد . جمهرة أنساب العرب ص: ٣٣١ .

(٢) السيرة النبوية ١ : ١٣ ، والمعارف ص: ٦٤٠ ، وفتوح البلدان ص: ٢٩ ، وتاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٣ ، وصفة جزيرة العرب ص: ٣٧٠ ، ومروج الذهـب ٢ : ٢٣١ ، والعمدة ٢ : ٢٢٨ ، والمختصر في أخبار البشر ١ : ٧٢ ، وتاريـخ ابن خلدون ٢ : ٥٢٤ ، والعرب قبل الإسلام ص: ٢٠٤ ، والعصبية القبليـة وأثرها في الشعر الأمويّ ص: ٤٨ .

(٣) انظر : المعارف ص: ١٠٧ ، وفتوح البلدان ص: ٢٩ ، والاشتقاق ٢ : ٤٣٥ وصفة جزيرة العرب ص: ١٢٢ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٣٠ ، وجمهرة أنسـاب العرب ص: ٤٦٢ . والإنباه على قبائل الرواة ص: ١٨ ، ١٠٧ ، وعُجالـة المبتدي ص: ٩٨ ، والمختصر في أخبار البشر ١ : ٧٢ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٢٨ .

(٤) جمهرة أنساب العرب ص: ٣٣١ ، ٣٧٤ .

(٥) المحبّر ص: ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، والمعارف ص: ٦١٤ ، ٦٤٤ ، وتاريخ اليعقوبـي ١ : ٢٠٦ ، وتاريخ الرسل والملوك ٢ : ٢٥٢ ، والعقد الفريد ٣ : ٥٦ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٣٢ ، والتنبيه والإشراف ص: ١٥٨ ، وتاريخ سنّي ملوك الأرض والأنبياء ص: ٩٨ ، ومعجم ما استعجم ١ : ٢٦ والعمدة ٢ : ٢٢٨ ، والكامـل في التاريخ ١ : ٥١٠ ، والمختصر في أخبار البشر ١ : ٧٢ ، وتاريخ ابـــن خلدون ٢ : ٥٢٠ ، ٥٨٢ ، وانظر : خطط الشام ١ : ٢٢ ، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣ : ٣٨٩ ، ٣٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت ديار ملوك غسّان باليرموك والجوْلان وغيرهما بين غُوطة دمشق وأَعمالها ، ومنهُم من نزل الأُردنّ من أَرض الشام(١).

ولم تكن حدودُ مملكة غسّان ثابتةً ، بل كانت تتغيَّر وتتبدَّل بتغيُّر قوة الملوك وتبدُّلها ، فكانت تتَّسعُ حيناً فتشمل الجوْلان وحَوْران وبعض فلسطين والأُردنّ ولبنان ، وبعض مناطق حمص ومساحات واسعة من بادية الشام ، وكانت تتقلَّصُ حيناً ، فتصير أَضيقَ من ذلك بكثير(٢) ، ويُستفادُ من شِعْر حسّان بن ثابت الأَنْصاريّ أَنَّها غالباً ما كانت تمتدُّ من حَوْران إلى خليج العقبة(٣).

وقد شعر الغساسنة منذ وقت مُبكِّر بالخطر الإسلاميّ الذي يتهدَّد ما كان لهم من مكانة بين عرب الشام ، فجمع قوم منهم ومن قضاعة جمْعاً بدُومة الجنْدل من مشارف الشام أَرادوا به مهاجمةَ الحجاز ، فخرج إليهم الرسول عليه السلام وأَصحابه فشتَّتوا جمْعَهُم(٤).

وفي السنة الثامنة للهجرة قَتَل شُرَحْبيلُ بنُ عمرو الغسّانيّ الحارثَ بنَ عُمَيْر الأَزْديّ(٥) ، الذي بعثه الرسول عليه السلام بكتاب إلى ملكِ بُصْرى ، فكان ذلك السببَ المباشر لغزوة مؤْتة(٦) .

وقدم وفدُ غسّان على الرسول عليه السلام في السنة العاشرة للهجرة

---

(١) مروج الذهب ٢ : ٢٣٤ .

(٢) نولدكه : أُمراء غسّان ص: ٥١ . وانظر : الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأُمويّ ص: ٨١ .

(٣) شرح ديوان حسّان بن ثابت الأَنصاري ص: ٢٠٥ . وانظر : المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣ : ٤٤٠ .

(٤) أَنساب الأَشراف ١ : ٣٤١ . وانظر : الكامل في التاريخ ٢ : ٣٩٥ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٨٩٥ .

(٥) انظر ترجمته في : ابن عبد البرّ : الاستيعاب في معرفة الأَصحاب ١ : ٢٩٧ .

(٦) انظر : المغازي ٢ : ٧٥٥ ، والطبقات الكبرى ٢ : ١٢٨ ، والتنبيه والإشراف ص: ٢٣٠ ، والاستيعاب ١ : ٢٩٧ ، وتاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأَعلام ص: ٤٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانوا ثلاثة نَفَرَ فأَسلموا (١) ، وانصرفوا إلى قومهم ، فلم يُجيبوهم إلى الإسلام (٢).

وتذكر الأخبار أَنَّ خالدَ بنَ الوليد لمّا أَمره أَبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه ، بالتوجُّه من العراق إلى الشام لنجدة المسلمين ، أَغار على قوم من غسّان بمرْجِ راهط من غُوطة دمشق ، يوم فِصْحهم ، فقتل منهم وسبى ، ثمَّ إِنَّ عامّتهم صالحتْهُ بعد ذلك وأَسلمت (٣).

وقاتل بعضُ الغساسنة إلى جانب المسلمين في موقعتي فِحْل واليرموك (٤) ، إلاّ أَنَّ أَكثرهم وعلى رأْسهم آخرُ ملوكهم جَبَلةُ بنُ الأَيْهم ، قد قاتلوا المسلمين مع الروم في معركة اليرموك (٥) ، وحاولوا اللّحاق بهِرَقْل بعد هزيمته في المعركة ، فأَوقع بهم ميْسرةُ بنُ مسْروق العبْسيّ بدرب بَفْراس قرب أَنطاكية (٦).

ومن منازلهم المشهورة قبل الإسلام : الجوْلان والجابية (٧) التي عرفت بجابية الملوك (٨) . ومن منازلهم عند الفتح : الجولان ومرْج الصُّفَّر (٩) وحلب (١٠).

ومن الأَزْد أَيضاً : بنو عامرِ بنِ ثعْلبةَ بنِ كعْبِ بنِ الخَزْرج ، وقد ساروا إلى الشام مع غسان (١١).

---

(١) الطبقات الكبرى ١ : ٣٣٨ .
(٢) تاريخ ابن خلدون ٢ : ٨٣١ .
(٣) الأَزدي : فتوح الشام ص: ٨٢ . وانظر : تاريخ خليفة بن خياط ص: ١١٩ ، وفتوح البلدان ص: ١١٩ ، وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ٤١٠ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٤٠٩ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٩٠٢ .
(٤) نفسه ، ص: ١١١ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ .
(٥) انظر : الواقديّ : فتوح الشام ١ : ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، وكتاب الفتوح ١ : ١٢٥ ، وابن كثير : البداية والنهاية ٨ : ٦٣ .
(٦) فتوح البلدان ص: ١٦٨ . وانظر : الكامل في التاريخ ٢ : ٤٩٦ .
(٧) الجابية : قرية من أَعمال دمشق قرب مرْج الصّفَّر في شماليّ حوران . انظر : معجم البلدان : الجابية .
(٨) أُمراء غسّان ص: ٥٢ . وانظر : الجغرافية التاريخ لبلاد الشام في العصر الأموي ص: ٨١ .
(٩) هو مرج بدمشق . انظر : معجم البلدان : مرج الصُّفَّر .
(١٠) الواقديّ : فتوح الشام ١ : ٢٥٩ . وانظر عدداً من منازل غسّان عند الفتح في : الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأمويّ ص: ٨٧ .
(١١) جمهرة أنساب العرب ص: ٣٣٢ ، ٣٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ — لخْم وجُـذام[١]

هما أَخوان يتَّصلُ نَسَبُهما بكهْلانَ بن سَبأ . فلخْم هو مالكُ بنُ عدّي بـن الحارث بن مُرَّة بن أُدَد بن زيد بن يشْجُب بن عريب بن زيد بن كَهْلان [٢] . وجُذام هو عمرو بنُ عدّي بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَد [٣].

وأمّا ما يلاحظ في كتب الأَنساب من اختلاف في نسب قبيلتي لخْم وجُذام، فمردُّه إلى ما حدث في العصر الأُمويّ من عصبيّة قبليّة، وصراع سياسيّ عنيف بيـن قبيلة قيْس المُضَريّة وقبيلة كلب اليمانية، فحاول بعضُ نسابيّ مُضَر أَنْ يصِلوا أَنسـاب بعض القبائل اليمانية بسِلْسِلة النَّسَب المُضَريّ، تكثُّراً بها، كما حاول بعضُ بنـي أُميّة أَنْ يتألّفوا هاتيْن القبيلتيْن اللَّتيْن يبدو أَنّه قد كان لهما عددٌ وقـوّةٌ بالشام، فأَغروا بعضَ رجالهما بالانتماء إلى معدّ بن عَدْنان فوافقَ بعضُهم وامتنـع بعض[٤].

وسكن بنو لخْم الشام قبل الإسلام بزمنٍ طويل، إذْ كان بعضُهم مع الزبّـاء في تدْمُر[٥] . واتّجهت فرقةٌ منهم إلى جنوبيّ فلسطين، وامتدّت بعد ذلك غربيّ بُحيْرة لوط، فسكنت غَوْر بيْسان وغَوْر مرَّة من بلاد فلسطين والأُردنّ[٦] . وسكنـت بطونٌ منهم منطقةَ البلْقاء[٧]، وما حوْل العريش بين الشام ومصر[٨]، ومواضـع

---

(١) يقال : جَذَم مالك إصْبعَ أَخيه عمرو، فلطَمه، فلُقّب مالكٌ لخْماً، ولُقّب عمرو جُذاماً، لأَنّ إصبعه جُذِمت. انظر : الإنباه على قبائل الرواة ص: ٩٩ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ص: ٤٢٢ . وانظر : عُجالة المبْتدي ص: ١٠٩، وقلائد الجُمان ص: ٦٩ .

(٣) نفسه ص: ٤٢٠، وانظر : عُجالة المبتدي ص: ٣٨، وقلائد الجُمان ص: ٥٤ .

(٤) انظر : نسب قريش ص: ٨، وأنساب الأشراف ١ : ٣٦، ٣٧، وتاريخ اليعقوبي ١ : ٢٢٩، والأغاني ٩ : ٣٠٨، وجمهرة أنساب العرب ص: ١١، والإنباه على قبائل الرواة ص: ٥٠، ٩٨، والعصبية القبلية وأثرها في الشعر الأُموي ص: ٣٤٥، ٣٤٦ .

(٥) مروج الذهب ٢ : ٨٦، والكامل في التاريخ ١ : ٣٤٦ .

(٦) مروج الذهب ٢ : ٢٤٩، وخطط الشام ١ : ٦٢ .

(٧) السيرة النبوية ١ : ٢٤٦ — ٢٤٧، والبداية والنهاية ٢ : ٢٤١ .

(٨) جمهرة أنساب العرب ص: ٤٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُتعدِّدَة من فلسطين (١).

ونزلت جُذام مشارفَ الشام (٢)، والبلقاء (٣)، وفلسطين (٤)، وأَغْوارَ الأَرض كغوْر بيْسان وغوْر مُرَّة من بلاد فلسطين والأُردنّ (٥). ونزل بنو نُفاثةَ من جُذام حوالي أَيْلة (العقبة) من أَوَّل أَعمال الحجاز إلى يَنْبُع من أَطراف يثْرب، وكانت لهم رئاسة في مَعان وما حولها من أَرض الشام، إِذْ كان فَرْوةُ بنُ عمْرو بن النّافِرة الجُذامي (٦) عاملاً للروم على مَنْ يليهم من العرب، وكان منزلُهُ مَعان وما حولها من أَرض الشام (٧).

ومن منازل جُذام قبل الإسلام: حِسْمى إِلى الغرب من تبوك (٨).

ولخْم وجُذام من قبائل كهلان التي كانت موالية للروم في المناطق الجنوبيّة من بلاد الشام، فقاتلت معهم في معركة مُؤْتة (٩)، ثُمَّ تجمَّعت بذات السَّلاسل

---

(١) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ :٤٦٣.

(٢) معجم البلدان : الأَقيْصِر.

(٣) جمهرة أَنساب العرب ص: ١٥١. والبلقاء : كورة من أَعمال دمشق قصَبتُها عمّان، وفيها قُرى ومزارع واسعة. انظر : معجم البلدان : البلْقاء. وهي اليوم محافظة البلقاء بالأُردنّ.

(٤) الأَخبار الموفقيّات ص: ٦٢٥.

(٥) مروج الذهب ٢ :٢٤٩.

(٦) انظر ترجمته في : الطبقات الكبرى ٧ :٤٣٥، والاستيعاب ٣ :١٢٥٩، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق) ١٤ :١٠٨.

(٧) السيرة النبوية ٤ :٢٣٨، والطبقات الكبرى ١ :٣٥٥، ٧ :٤٣٥، والاستيعاب ٣ :١٢٥٩، معجم البلدان : عِفْرى، ونهاية الأَرب في فنون الأَدب ١٨ :٢٨، وتاريخ ابن خلدون ٢ :٥٣٥. وانظر : الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الاموي ص: ٨٢.

(٨) معجم البلدان : حِسْمى. وانظر : مراصد الاطلاع ١ :٥٩، ٤٠٣، وأُمراء غسّان ص: ٤٠.

(٩) انظر : المغازي ٢ : ٧٦٠، والطبقات الكبرى ٢ :١٢٩، وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ٣٧، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٣٩٤، والكامل في التاريخ ٢ :٢٣٥، وخطط الشام ١ :٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو ماء لجُذام[١]، فهزمتها سريّةُ عمرو بن العاص في السنة الثامنة للهجرة[٢]، وانضمّت بعد ذلك إلى جُموع هِرَقْل التي نزلت مُقدّماتُها البلقاء في السنة التاسعة للهجرة، فخرج الرسول صلّى الله عليه وسلّم لملاقاتها في تبوك[٣].

ويبدو أنّ أوّل احتكاك لهما مع المسلمين قد وقع في السنة السادسة للهجرة[٤] عندما عَرَضَ أهلُ حِسْمى من لخْم وجُذام لدِحْيةَ بن خليفة الكلبيّ[٥]، مبْعوثِ الرسول صلّى الله عليه وسلّم إلى هِرَقْل، وهو في طريق عودته إلى المدينة، وسلبوه ما كان معه من مالٍ ومتاع، فبعث الرسول عليه السّلام سريّةً إلى حِسْمى بقيادة زيْدِ بن حارثة الكلبيّ رضي الله عنه، لتأديب أهلِها، فقَتَلَ زيد منهمُ وسبى، ثمّ قفل عائداً إلى المدينة[٦].

وفي السنة التاسعة للهجرة قدم وفدُ الداريّين[٧] من لخْم على الرسول عليه السلام مُنْصَرفهُ من تبوك، وكان فيهم تميمُ بنُ أَوْس الداريّ، فأسلموا[٨]، ولكنّ بعض اللّخْميّين ظلّوا على عدائهم للرسول عليه السلام فأصابهم بعثُ أُسامةَ بن زيد رضي الله عنه، الذي أمر الرسول عليه السلام بإنفاذه قبل وفاته[٩].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١ : ٤٠٤، ومعجم البلدان : السّلاسل، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٣٢، وتاريخ الإسلام ص: ٤٢٨، وخطط الشام ١ : ٧٣.

(٢) أنساب الأشراف ١ : ٣٨١.

(٣) المغازي ٣ : ٩٩٠. وانظر : الطبقات الكبرى ٢ : ١٦٥، وفتوح البلدان ص: ٧١ وأنساب الأشراف ١ : ٣٦٨، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٤١٣.

(٤) ويُقال : في السنة السابعة، بسبب الخلاف في السنة التي بدأ فيها الرسول عليه السلام بإرسال رُسُله إلى الملوك.

(٥) انظر ترجمته في : الطبقات الكبرى ٤ : ٢٤٩، والاستيعاب ٢ : ٤٦١، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق) ٦ : ٢٥، وابن منظور : مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٨ : ١٥٩، والبداية والنهاية ٨ : ٤٧، وابن حَجَر العسْقلانيّ : تقريب التهذيب ص: ٢٠٠.

(٦) أنساب الأشراف ١ : ٣٧٧. وانظر : المغازي ٢ : ٥٥٥، والسيرة النبويّة ٤ : ٢٦٠ والطبقات الكبرى ٢ : ٨٨، وتاريخ خليفة بن خياط ص: ٨٥، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٠٧.

(٧) هم بنو الدار بن حبيب بن نُمارة بن لخْم. انظر : السّيرة النبوية ٣ : ٣٦٨.

(٨) الطبقات الكبرى ١ : ٣٤٣.

(٩) تاريخ مدينة دمشق ١ : ٤٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر ابن هشام أنَّ رِفاعةَ بن زيد الجُذاميّ ، قدم على الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم، فأسلم وحَسُن إسلامُه ، فكتب له الرسول عليه السلام كتاباً إلى قومه ، فأجابوا وأسلموا (١).

ولمّا بلغ الرّومَ إسلامُ عاملِهم فَرْوةَ بن عمرو الجُذاميّ ، الذي كان ينزل مَعان وما حولها من أرض الشام، طلبوه حتى أخذوهُ فحبسوه عندهم، ثُمّ ضربوا عُنُقَه وصلبوه (٢).

وعندما تقدّمت الجيوشُ الإسلاميّة لفتح الشام، كان كثيرٌ من فرسان القبيلتيْن يُقاتل في صُفوف الروم (٣) ، وذكر الأزديُّ أنَّ بعضهم قد انضمّ إلى المسلمين في موقعتي فِحْل واليرموك (٤) ، غير أنّهم سَرْعان ما خذلوا المسلمين ، ففرّوا لمّا رأوا ضراوة القتال (٥).

٣ — سائرُ القبائل الكَهْلانيّة.

وكان بالشام قبل الإسلام قبائل أُخْرى من فروع كهلان بن سبأ منها :

---

(١) السّيرة النبوية ٤ : ٢٤٣ . وانظر : المغازي ٢ : ٧٠٩ ، والطبقات الكبرى ١ : ٣٥٤ .

(٢) انظر : نفسه ٤ : ٢٣٨ ، والطبقات الكبرى ١ : ٣٥٥ ، ٧ : ٤٣٥ ، ومعجم البلدان : عِفْرى ، ونهاية الأرب في فنون الأدب ١٨ : ٢٨ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٢٣٥ .

(٣) الواقدي : فتوح الشام ١ : ١٦٢ ، ١٦٦ . وانظر : فتوح البلدان ص: ١٤٠ وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ٥٧٠ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٥٢١ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٨٩٨ .

(٤) فتوح الشام ص: ١١١ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ .

(٥) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٥٧١ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٥٥٢ ، وصالح العلي : " القبائل العربية في بلاد الشام في زمن الخلفاء الراشدين " ، مجلة دراسات (المجلّد الرابع عشر، مطبعة الجامعة الأُردنية — عمان ، نيسان ١٩٨٧) العدد الرابع، ص: ٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قبيلة عاملة(١) ، التي سكنت مشارفَ الشام (٢) ، وجبل عاملة (٣) بالقرب من دمشق (٤) . وذكر البلاذريّ أنّها كانت بذات السّلاسل عندما غزاها عمروُ بنُ العاص في السنة الثامنة للهجرة، وأنّها انضمّت إلى جيش هِرقْل في غزوة تبوك (٥) . وقد قاتل بعضُ العامليّين جيش الروم في موقعتي فِحْل واليرموك (٦) ، بينما قاتل بعضهم الآخر جيشَ المسلمين (٧).

ومنها : طيّء (٨) ، وكانت بحاضِر قِنّسْرين من أعمال حلب، فلمّا ورد عليهم أبو عُبَيْدة فاتحاً ، أسلم بعضُهم ، وصالح كثير منهم على الجزية ثمّ أسلموا بعد

---

(١) عاملةُ : بنت مالك بن وَديعةَ من قضاعة، تزوّجها الحارثُ بنُ عديّ بن الحارث ابن مُرّة بن أُدَد بن زيد ، أخو لخْم وجُذام، فنُسِب إليها ولدهُ منها . وقد تُنوزع في نسب عاملة، شأنها في ذلك شأن لخم وجذام، فقيل : إنّ عاملة هو الحارثُ نفسُه وقال بعضُهم : هي عاملة بنت سبأ بن يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ، ونسبها آخرون إلى مُضَر. وهي عند الجُمْهور يمانية كهلانية. انظر : المعارف ص: ١٠٣ ، وتاريخ اليعقوبي ١ : ٢٠٢ ، والحُصريّ : زهر الآداب وثمر الألباب ١ : ٨٥ ، وجمهرة أنساب العرب ص: ١١ ، ٤١٩ ، والإنباه على قبائل الرّواة ص: ٩٦ ، وقلائد الجُمان ص: ١٠٦ ، وصُبْح الأعشى ١ : ٣٨٩ ، والأعلام ٣ : ٢٥٦ ، والعصبيّة القبلية وأثرها في الشعر الأمويّ ص: ٥١ .

(٢) معجم البلدان : الأُقيْصِر. وانظر : تاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٣٦ .

(٣) يقول القلْقشنْديّ : هو " جبلٌ ممتدّ في شرقيّ ساحل بحر الروم وجنوبيّه حتى يقرب من مدينة صور". انظر : صبْح الأعشى ٤ : ٨٩ .

(٤) المختصر في أخبار البشر ١ : ١٠٤ . وانظر : قلائد الجُمان ص: ١٠٦ .

(٥) فتوح البلدان ص: ٧١ ، وأنساب الأشراف ١ : ٣٦٨ ، ٣٨٠ — ٣٨١ . وانظر : المغازي ٣ : ٩٩٠ ، والطبقات الكبرى ٢ : ١٦٥ ، وتاريخ مدينة دمشق ١ : ٤١٣ .

(٦) الأزديّ : فتوح الشام ص: ١١١ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ .

(٧) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٥٧٠ ، وانظر : تاريخ مدينة دمشق ١ : ٥٣١ ، وخطط الشام ١ : ٨٧ .

(٨) هو جُلْهُمةُ بنُ أُدَد بن يَشْجُب بن عَريب بن زيد بن كهلان . جمهرة أنساب العرب ص: ٣٩٨ . وانظر : الإكليل ١٠ : ٢٧ ، وعُجالة المبتدي ص: ٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك بيسير إلاّ من شذّ عن جماعتهم(١).

ومنها أيضاً : السّكون من كِنْدة(٢) ، وكان لها مُلْكٌ بدُومة الجنْـــدل من مشارف الشام(٣) وذكر البلاذريّ أنّ سَرِيّة خالد بن الوليد التي انطلقـــت إليها من تبوك في السنة التاسعة للهجرة، قد استطاعت أنْ تَقْبِضَ على أُكَيْدِر بـــنِ عبد الملك السّكوني (٤) رأْسِ دُومة الجنْدل ، وأنْ تأْتي به أسيراً ، فكتب الرســـول صلّى الله عليه وسلّم كتاباً له ولأهل دُومة(٥).

وكان الأَشْعَرون (٦) يَتبَـدَّوْن قبل الإسلام من تِهامةَ إلى الشام(٧).

---

(١) فتوح البلدان ص: ١٥١ ، والتنبيه والإشراف ص: ١٧٧ ، ومعجم البلدان : الحاضر ، وانظر : جمهرة أنساب العرب ص: ٣٩٩ .

(٢) السَّكونُ بنُ أَشْرَسَ بن كِنْدة. جمهرة أنساب العرب ص: ٤٢٩ .

(٣) المحبّر ص: ٢٦٣ ، وتاريخ الرسل والملوك ٣ : ١٠٨ . وانظر : تاريخ ابـــن خلدون ٢ : ٥٢١ .

(٤) انظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق) ٣ : ٣٩ ، والإصابة ١ : ٢٤١ ، والأعلام ٢ : ٦ .

(٥) فتوح البلدان ص: ٧٢ ، وأنساب الأشراف ١ : ٣٨٢ . وانظر : المغـــازي ٣ : ١٠٢٥ ، والسّيرة النبوية ٤ : ١٦٩ ، والعقد الفريد ١ : ٢٥٥ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٨١ ، والبداية والنهاية ٥ : ١٧ ، والإصابة ١ : ٢٤١ .

(٦) هم بنو نَبْت بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب. جمهرة أنساب العرب ص: ٣٩٧ . والأَشْعر لقب لنبْت.

(٧) الأغاني ١٣ : ٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : اليمانية الفاتحون للشـــام

جاءت إلى الشام في أثناء الفتح قبائل يمانيّة جديدة، فقد ذكر الأزديّ أنّ معظم العرب الذين فتحوا بلادَ الشام كانوا من اليمانيّة، فكثروا فيها وكانـــوا سكانَها وأهلها (١).

ويبدو أنّهم كانوا يُؤْثرون التوجّه إلى بلاد الشام، لأنها موطنٌ كثير مـــن أسلافهم الذين استوطنوها قبل الإسلام (٢)، ثمّ إنّهم انضافوا إلى أسلافهـــــم بعد الفتح، فغلب العنصر اليمانيّ على سكّان تلك البلاد.

ومن هذه القبائل : قبيلة حِمْير التي قدمت على أبي بكر الصدّيق رضي اللـه عنه، عندما كتب إلى أهل اليمن كتاباً يدعوهم فيه إلى الجهاد في سبيل اللّه، وكـان الحِمْيريّون بقيادة ذي الكَلاع الحِمْيريّ (٣). ففرح أبو بكر بمقْدَمِهم ووجّههُم إلـــى الشام (٤) فأبلوا بلاءً حَسَناً في معركة اليرموك التي يذكر الأزديّ أنّهم كانوا عُظْـــمَ الناس فيها، وأنّهم كانوا يُقاتلون في ميْمنة جيش المسلمين (٥).

وشَهِدَت حَضْرَمَوْت (٦) من قبائل حِمْير بن سبأ، فتح الشام، وقاتلت في ميمنـــة جيش المسلمين في معركة اليرموك (٧).

---

(١) فتوح الشام ص: ١٦. وانظر : كارلو نالينو : تاريخ الآداب العربية ص: ١٥٠ والجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الاموي ص: ٩١.

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٤٦٣، والكامل في التاريخ ٢ : ٤٤١.

(٣) انظر ترجمته في : جمهرة أنساب العرب ص: ٤٣٤، والاستيعاب ٢ : ٤٧١، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق) ٦ : ٧١، والإصابة ٢ : ٤٧٨، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ : ٢٦٩.

(٤) الأزديّ : فتوح الشام ص: ١٠، ١٦. وانظر : د. نزار الحديثي : أهـــل اليمن في صدر الإسلام ص: ١٥٤.

(٥) نفســه ص: ٢١٨، ٢٢٣.

(٦) حَضْرَمَوْت بنُ قيْس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شَمْس بن وائل . . . بن الهَميْسَع ابن حمير. انظر : عُجالة المبتدي ص: ٤٩.

(٧) الأزديّ : فتوح الشام ص: ٢١٨، ٢٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشاركت الأَزْد في تحرير الشام من الرّوم. إذْ جاءت إلى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، في عدد كثير وجمع عظيم، فقاتلت الروم في معركة اليرموك، ووصف الأَزْديّ بلاءها في تلك المعركة ،فذكر أنّ الأَزد كانوا ثُلُثَ المسلمين فيها ، وأنّهم قاتلوا قتالاً شديداً لم تُقاتِلْه قبيلة أُخرى (١).

وجاءت قبيلة همْدان (٢) بقيادة حَمْزة بن مالك الهَمْدانيّ في جمع عظيم يُقدَّر بألفيْ رجل وزيادة ، فقاتلت مع المسلمين في اليرموك (٣).

وقدمت طيّء على أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، في عدد كثير، وذكر الأَزديّ أنّ حابسَ بن سَعْد الطائيّ (٤) قد انضمّ إلى المسلمين يوم وقعة فِحْل في نحوٍ من مائة رجل من طيّء (٥).

ومن القبائل اليمانية الأُخرى التي شَهِدَت فتحَ الشام : قبيلةُ مَذْحِج (٦) التي قدمت على أبي بكر رضي الله عنه ، وفيها قَيْسُ بنَ هُبَيْرة المُراديّ (٧) . ومعه جمع عظيم من قومه ، فوجّههما إلى بلاد الشام للمشاركة في تحريرها من الروم (٨).

---

(١) فتوح الشام ص: ١٦، ٢١٨، ٢٢٤. وانظر : أهل اليمن في صدر الإسلام ص : ١٥٨.

(٢) هم بنو هَمْدان بن مالك بن زيد بن أَوْسلَة بن رَبيْعة بن الخِيار بن مالك بن زيد كهلان. جمهرة أنساب العرب ص : ٣٩٢، وانظر: الإكليل ١٠ : ٣٠، وعُجالة المبتدي ص: ١٢٣، وقلائد الجُمان ص : ٩٩.

(٣) الأَزديّ : فتوح الشام ص : ٣٩، ٢١٨. وانظر: أهل اليمن في صدر الإسلام ص : ١٥٨.

(٤) انظر ترجمته في : الطبقات الكبرى ٧ : ٤٣١، والاشتقاق ٢ : ٣٩٣، وجمهرة أنساب العرب ص : ٤٠٣، والاستيعاب ١ : ٢٧٩، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنية) ٤ : ٢٩، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٤٢٢، والأعلام ٢ : ١٥١.

(٥) فتوح الشام ص: ١٦، ١١٣.

(٦) هم بنو مالك بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد . جمهرة أنساب العرب ص : ٤٠٥. وانظر: الإكليل ١٠ : ٢٧، وعُجالة المبتدي ص: ١١١، وقلائد الجُمان ص: ٨٩. ومَذْحِج لقب لهم.

(٧) بنو مُراد ، واسمه يُحابِر، بطن من مَذْحِج . جمهرة أنساب العرب ص: ٤٠٦.

(٨) الأَزديّ: فتوح الشام ص: ١٦، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٣. وانظر : أهل اليمن في صدر الإسلام ص : ١٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنها : بنو أَنْمار بن إراش بن عمرو بن الغَوْث بن نَبْت بن زيد بن كهلان، وهم خَثْعم وبَجيلة (١). فأمّا خَثْعَم فقد شَهِدَت اليرموكَ مع المسلمين، إذْ كانت من قبائل اليمن التي اسْتَنْفَرها الصدّيقُ للجهاد (٢). وأمّا بنو بَجيلة فإنّه لم يكن منهم بالشام إلاّ العدد اليسير (٣).

ومنها : قبيلةُ خَوْلان الكَهْلانيّة (٤) التي يذكُر ابنُ حَزْم (٥) أنّها وقعت بمصر والشام فَخَملت أنسابُها. ويذكرُ الأزديّ أنّها شَهِدَت فتحَ الشام وقاتلت

---

(١) خَثْعم: إسمه أَقْيل، ويُقال : أَفْتَل، وإنما لُقّب كذلك بجَمَلٍ كان له اسْمُه خَثْعم، وأُمّه هِنْد بنْت مالك بن الغافِق بن الشّاهد بن علّ. وأمّا بَجيلة فهم : بنو خُزَيْمة ووادِعة وعَبْقَر والغَوْث وصُهَيْبة وأَشْهل وشَهْل وطَرِيف وسُنَيّة والحارث وجَدَعة، وأُمُّهم بَجيلةُ بنت صَعْب بن سَعْد العَشيرة بن مَذْحِج. وقد نُسِب أولادُها من أَنْمار بن إراش إليها. ويُقال : إنّ بَجيلة امرأة حَبَشيّة، حَضَنت بني أَنمار باستثناء خَثْعم، فنُسِبوا إليها. جمهرة أنساب العرب ص: ٣٣٠، ٣٨٧، والأغاني ٢٢ : ٥—٦. وانظر : الاشتقاق ٢ : ٥١٥، والإكليل ١٠ : ٢٩، والإنباه على قبائل الرواة ص: ٩٢، ٩٣، وعُجالة المبتدي ص: ٢٣، ٥٣، وقلائد الجُمان ص: ١٠٣، ١٠٤، وصُبْح الأعشى ١ : ٣٨٢. ولعلّ اشتداد العصبيّة القبلية في العصر الأموي قد دفع بعضَ النّسّابين إلى محاولة وصْل نسب بني أَنمار بن إراش بالنسب العدْناني، فوقع في نسبهم خلاف شديد. انظر: السّيرة النبوية ١ : ٧٦، ونسب قريش ص : ٧، والمعارف ص: ٦٤ وأنساب الأشراف ١ : ٢٣، وتاريخ اليعْقوبي ١ : ٢٠٢، ٢٢٣، والتنبيه والإشراف ص: ١٥٩، وجمهرة أنساب العرب ص: ١٠، والعصبيّة القبلية وأثرها في الشعر الأمويّ ص: ١٧، ٤٩، ٣٤٧.

(٢) الأزديّ : فتوح الشام ص: ٢٥، ٢١٨، ٢٢٧.

(٣) نَصْر بن مُزاحِم: وقعة صفّين ص: ٢٢٧. وانظر : تاريخ الرسل والملوك ٥ : ١٤.

(٤) هم بنو خَوْلان بن عَمْرو بن مالك بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كهلان. جمهرة أنساب العرب ص: ٤١٨. وانظر : الإنباه على قبائل الرواة ص: ١١٧، وعُجالة المبتدي ص: ٥٦، وقلائد الجُمان ص: ١٠١.

(٥) جمهرة أنساب العرب ص: ٤١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الروم في اليرموك (١).

ومنها أيضاً : زُبيْد (٢) (من حِمْير) وخُزاعة (٣)، والنَّخَع (٤) (من مَذْحِج)، وكَهْلان (٥)، ونَبْهان (٦)، والأَنْصار (٧).

وهكذا نرى أنَّ القبائل اليمانية التي جاءت إلى الشام في أثناء الفتح الإسلاميّ، وقاتلت مع المسلمين في معركة اليرموك هي قبائل: حِمْيَر (ومنها: زُبيْد وحَضْرَمَوْت) والأَزْد، وهَمْدان، وخَثْعَم، وبَجيْلة، ومُراد والنَّخَع (من مذْحِج) وطيِّء، وخُزاعة وكَهْلان ونَبْهان، والأَنْصار، إلى غيرها من أهل اليمن الذين لم تُعْرَفْ قبائلُهم (٨)، أو الذين نَسَبوا إلى مدن أهل اليمن وبُلْدانِهم مثل: سَبَأ (٩)، وساحل عُمان (١٠)، ومأْرِب (١١)، وصَدْوان (١٢).

ومن قبائل اليمن الشاميّة التي حَضَرت فتحَ الشام وقاتلت مع المسلمين في اليرموك قبائل: قضاعة، ولَخْم، وجُذام، وعامِلَة، وغسّان، وكِنْدة (١٣).

---

(١) فتوح الشام ص: ٢١٨، ٢٢٣. وانظر: أهل اليمن في صدر الإسلام ص: ١٥٧.
(٢) الواقديّ: فتوح الشام ١: ٦٨.
(٣) نفسه ١: ٢٧٥.
(٤) نفسه ١: ٦٨.
(٥) نفسه ١: ١١١.
(٦) نفسه ١: ١١١، ٢٦٣.
(٧) نفسه ١: ١٠، ١٥، والأَزديّ: فتوح الشام ص: ١٩.
(٨) نفسه ١: ٥، ٤٠، ٦٧، ٢٤٥، والأَزديّ: فتوح الشام ص: ١٠.
(٩) نفسه ١: ١٨٠، ٢٦١.
(١٠) نفسه ١: ٤٠.
(١١) نفسه: ١: ٢٦١.
(١٢) نفسه ١: ١٨٠.
(١٣) نفسه ص: ٢١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً : القبائل اليمانية الشاميّة في العصر الأُمويّ

بدأَت صِلةُ القبائل اليمانيَّة الشاميَّة بالأُمويّين مُنْذُ ولاية مُعاوية بن أَبي سُفْيان على الشام، وتطوَّرت بعد أَنْ أَصْهَرَ إليهم، إِذْ كانت أُمُّ ابنه يَزيد من كلب. وتوطَّدت هذه الصِّلةُ خلال النِّزاع بيْنه وبيْنَ عليّ بن أَبي طالب كرَّم الله وجْهَـهُ، على الخلافة، فاسْتعان مُعاويةُ بالقبائل اليمانيّة واسْتشـار عصبيَّتها، وجعل النِّزاعَ بينه وبين عليّ نزاعاً إِقْليميّاً بين أَهل الشام وأَهل العراق من أَجل السِّيـادة والحُكْم. ولمّا صَفَت له الخلافة تفرَّغت صِلتُهُ بتلك القبائل وتشعَّبت، إِذْ جمعـت بينهُما المصْلحةُ الواحدة والصِّهْر، فاسْتَعْمل رجالَها في أَكثر الدَّواوين، وأَلَّف منهم كتائبَ جيشه التي كانت جاهزةً للذَّوْد عن خلافته، وإِخْماد ثورات مَنْ يُعاديه، ليظلَّ لها نُفوذُها وسيْطرتُها وفوائدُها التي تَجْنيها من بقاءِ دمشق مركزاً للخلافـة الإِسلاميَّة (١).

" وعندما اضْطَرب أَمرُ بني أُميَّة بعد موْتِ يزيدَ بن مُعاوية، وبدا أَنَّ حُكْمهم أَشرفَ على الانْهيار، دعمت القبائلُ اليمانيَّة في فلسطين والأُردنّ ودمشق مروانَ ابن الحَكَم، وبايعتْهُ بالخلافة في مُؤْتمر الجابية سنة أَربعٍ وستّين، وأَيَّدتْهُ علـى القبائل القيْسيَّة ونَصرتْهُ عليها في معركة مرْجِ راهِط (٢)".

وتتضمَّنُ المصادر معلوماتٍ عن القبائل اليمانيَّة في صدْرِ الإِسلام " ورد أَكثرُها في أَخبار تَعْبئةِ مُعاوية بن أَبي سُفْيان لأَهل الشام، اسْتِعْداداً لمُلاقاةِ أَهـل العراق بصِفِّين (٣)، وفي أَخبار المعارك التي دارت بها بَيْن الفَريقيْن (٤)".

وليس في المصادر المُخْتلفةِ بعد وقْعةِ صفِّين إِلى نهاية العصر الأُمويّ نصٌّ فيه إِحْصاءٌ كامل لقبائل اليمن الشّامية في العصر الأُمويّ، إِلاّ أَنَّه يُمْكن اسْتِخْراج أَسماءِ تلك القبائل وبعض منازلها، من بَعْض نصُوصٍ مُتفرِّقة في المصادر، تَشْتمِل على معلوماتٍ مُفْردةٍ عنها (٥).

---

(١) د. حسين عطوان: الوليد بن يزيد: عرض ونقد. ص: ٤١١–٤١٢.
(٢) نفسه ص: ٤١٢. وانظر: د. حسين عطوان: الأُمويّون والخلافة ص: ١٠٥.
(٣) صِفِّين: موضع بقُرب الرَّقَّة، على شاطئ الفرات من الجانب الغربيّ، بيـن الرّقة وبالس. انظر: معجم البلدان: صفّين.
(٤) الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأُموي ص: ٩٨.
(٥) نفسه ص: ١٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" وتحدّث الهَمْدانيّ عن القبائل اليمانيّة ومنازلها بالشام[١]، ويعودُ حديثُه عنها إلى مطْلع القَرْن الرابع، ولذلك من التّجاوز اتّخاذُه مصْدراً لمعرفة القبائل اليمانيّة ومنازلها بالشام في العصر الأُمويّ . على أنّه يُمكن الاعتمادُ على ماورد فيه من معلوماتٍ تُوافقُ المعلومات التي حَفِظها المؤرّخون والجُغْرافيّون عن القبائل اليمانيّة ومنازلها بالشام قبل الإسلام وعند الفتح، وفي صدر الإسلام إلى آخر العصر الأُمويّ، وهو يُفيدُ في هذا الباب فوائدَ كثيرة، لأنّه يُحدّدُ القبائل اليمانيّة التي هاجرت إلى بلاد الشام، ويصِفُ منازلَها بها وصفاً دقيقاً . وأمّا ما ورد فيه من معلوماتٍ تُخالِفُ الصورةَ العامةَ للقبائل اليمانيّة ومنازلها بالشام في العصر الأُمويّ، مما يُجْمِعُ عليه المؤرّخون والجُغْرافيّون، فلا يصحُّ التّسليمُ به، لأنه يتّصِل في الغالب بالعصر العباسيّ الأوّل والعصر العباسيّ الثاني[٢]".

وفيما يلي عرضٌ لقبائل اليمن الشامية في العصر الأُمويّ :

أ ـ القبائل الحِمْيريّة .

تألّفت هذه الكتلةُ من القبائل اليمانيّة من مجْموعتي : حِمْير وقُضاعة .

١ ـ حِمْيَر .

نزلت حِمْير مدينةَ حمص، بعد أنْ أتمّ المسلمون فتحَ الشام[٣] . وتذْكُر أخبار معركة صفّين أنّها كانت في ميْمنة جيش أهل الشام[٤]، وأنّها قد عُبِّيَتْ مع ذي الكَلاع الحِمْيريّ ـ وفيها عبدُالله بن عمر بن الخطّاب ـ لقتال قبيلة ربيعة العراقيّة، فقاتلتْها قتالاً شديداً انْجلى عن مقْتلِ قائدها ذي الكلاع فتضعْضعت

---

(١) صفة جزيرة العرب ص: ١٢٩ـ١٣١ .
(٢) الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأُموي ص: ١٠٤ .
(٣) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٤ : ٢٨ . وانظر : الأبْشيهي : المُسْتطْرف في كلّ فنّ مُسْتَظرف ص: ٣٠٦، وخطط الشام ١ : ٢٦ .
(٤) وقعة صفين ص: ٢٠٦ . وانظر: تاريخ خليفة بن خيّاط ص: ١٩٥، وكتاب الفتوح ٣ : ٣١، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٠٧، وشرح نهْج البلاغة ٤ : ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أركانها ، إلاّ أنّها ثبتت بعد ذلك تُحارب مع عبد الله بن عُمَر (١).

وقُتِلَ من ساداتِها في صفّين أيضاً : حَوْشَبُ ذو ظُلَيْم الحِمْيَريّ (٢) ، وكان على رَجّالة أهلِ حمْص (٣).

ومن قبائل حِمْيَر بن سبأ الشاميّة في صدر الإسلام قبيلتا : حَضْرَمَوْت ويَحْصُب (٤) فأمّا الحَضارِمَةُ : فإنّهم قاتلوا إلى جانب مُعاوية بن أبي سُفْيان في صِفّين (٥) ، وأما يَحْصُب : فيذكر ابنُ أعْثَم الكوفيّ أنّها انضمّت في صِفّين إلى قبائل كِنْدة ولَخْم وجُذام ، لقتال قبيلة هَمْدان العراقيّة (٦) .

وكانت حِمْيَر في العصر الأُمويّ بحمص (٧) ودمشق (٨) ، وانضمّ رجالُها إلى جيش يزيد بن مُعاوية الذي أوقع بأهل المدينة في الحَرّة (٩) . وقاتلَ الشَّعْبانيّون (١٠)

---

(١) وقعة صفين ص: ٢٢٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٧ ، ٣٤١ ، وتاريخ خليفة بن خيّاط ص: ١٩٤ ، والدِّينَوَريّ : الأخبار الطِّوال ص: ١٧٩ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٣٤ ، ٣٦ ، وكتاب الفتوح ٣ : ٢٠١ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٠٧ ، وشرح نهج البلاغة ٥ : ١٨٤ ، ٢٣٣ .

(٢) انظر ترجمته في : جمهرة أنساب العرب ص: ٤٣٢ ، والاستيعاب ١ : ٤١٠ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصَوَّرة الجامعة الأُردنية عن مخطوطة المكتبة الظاهريّة بدمشق) ٥ : ١٨٩ ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ : ٢٨٥ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ : ١٧ ، ويُقال : إنّه من ألْهان إخوة قبيلة هَمْدان الكهلانية . انظر : جمهرة أنساب العرب ص: ٣٩٢ .

(٣) وقعة صفين ص: ٢٠٦ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، وانظر : تاريخ خليفة بن خيّاط ص: ١٩٤ ، ١٩٥ والأخبار الطوال ص: ١٧٢ ، ١٨٥ ، وكتاب الفتوح ٣ : ٢٠٠ ، وجمهرة أنساب العرب ص: ٤٣٢ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ : ١٧ .

(٤) يَحْصُب بنُ مالك بن زيد بن سَهْل بن عمرو بن قيْس بن مُعاوية ... بن الهَمَيْسَع بن حِمْيَر . جمهرة أنساب العرب ص: ٤٣٥ .

(٥) وقعة صفين ص: ٢٧٠ ، وتاريخ خليفة بن خيّاط ص: ١٩٦ . وانظر : شرح نهج البلاغة ٤ : ٢٨ .

(٦) كتاب الفتوح ٣ : ٤٣ . وانظر : وقعة صفين ص: ٤٣٩ ، ٤٤٠ .

(٧) صفة جزيرة العرب ص: ٢٧٥ .

(٨) تاريخ خليفة بن خيّاط ص: ٣٥٨ .

(٩) أنساب الأشراف ٤ : القسم الأول ص: ٣٢٧ .

(١٠) جمهرة أنساب العرب ص: ٤٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من حِمْير مع مروان بن الحكم في مَرْج راهِط[١].

ومن ساداتها : الضَّحّاكُ بنُ المُنْذِر الحِمْيَريّ الذي فاخَرَ مُعاويةَ بن أبي سُفْيان فأَغْضَبَهُ، إلاّ أَنَّ مُعاوية تَمالك غَضَبه لمّا رأى كَثْرةَ قوْم الضَّحّاكِ وتَحزُّبَهُم له ، فعَقَد له ولايةً وأَمر له بالخِلَع والحُمْلان[٢] . ومنْهُم عُفَيْرُ بنُ زرْعة سيِّد حِمْير بالشام في زَمن عبْد الملكِ بنِ مروان[٣]. والنَّضْرُ بنُ يَريم بن مَعْدي كَرِب، عاملُ عمر بن عبد العزيز على فلسطين[٤].

ومن رجالها : عَدِيُّ بنُ عيّاش مولى حِمْير، صاحبُ حَرَس عبد الملك بن مروان[٥]، وعُقْبةُ بنُ عبْد الأَعلى الكلاعيّ صاحبُ شُرَط هِشام بن عبد الملك، وعبدُ الله بنُ عامر الكلاعيّ صاحبُ شُرَط الوليد بن يزيد[٦] . ومن الحضْرَميّين : جُبَيْرُ بنُ نُفَيْر بن مالك الحَضْرميّ ، أَحدُ علماءِ أَهل الشام، وكانت له صحبةٌ ورواية[٧].

٢ — قُضاعة.

نزلت قضاعة في صدر الإسلام دمشق وحمص والأُردنّ[٨] ، وكان رجالُها أَعيانَ عسْكر مُعاوية بن أَبي سفيان وثِقاتَه[٩] ، فقد اسْتظهرَ بالكَلْبيّين من قضاعة ، واسْتشارهم لقتال جيش أَهل العراق في صِفّين ، فاسْتَجابوا له وقاتلوا معه ؛ لأَنهم أَصهاره ؛ ولأَن زوْجَ عُثْمان بن عفّان رضي الله عنه ، كانت منهم أَيضاً ، فهبّوا معه للطَّلب بدَم عُثْمان[١٠] ، وبعد موقعة صفّين ظلّت قضاعة تقف إلى جانب بني أُميَّة

---

(١) أَبو تمّام: نقائض جرير والأَخطل ص: ١٦٠

(٢) الإكليل ٢ : ١٩٦ .

(٣) الاشتقاق ٢ : ٥٣١ . وانظر: جمهرة أَنساب العرب ص: ٤٣٦ .

(٤) تاريخ خليفة بن خيّاط ص: ٢٢٣ . وانظر: الإكليل ٢ : ١٥٣ ، وجمهرة أَنساب العرب ص: ٤٣٥ .

(٥) نفسه ص: ٢٩٩ .

(٦) نفسه ص: ٣٥٨ ، ٣٦٧ .

(٧) البداية والنهاية ٩ : ٣٣ .

(٨) الأَخبار الطّوال ص: ١٧٢ . وانظر: وقعة صفين ص: ٢٠٧ ، وشرح نهج البلاغة ٤ : ٢٨ .

(٩) كتاب الفتوح ٣ : ١٠٨ .

(١٠) وقعة صفين ص: ٢٢٧ ، وأَحمد الحوفي : أَدب السياسة في العصر الأُموي ص : ٤٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتَنْصُرُهم وتُقاتلُ خُصومَهُم بدافعٍ من خوْفِها على مصالحِها ، وكانت تتألَّفُ من البُطون التالية :

أ - تَنُوخ .

ذكر نصْرُ بنُ مُزاحِم أنَّ كتيبةً من تنوخ ، كانت تُقاتلُ مع جيش مُعاوية في صفّين ، وأنَّ من رجالها الحارثَ بنَ المُنذِر التَّنوخيّ (١).

وحدَّد الهَمْدانيُّ منازلَها فقال : "إنْ تياسرْتَ من حمص عن البحر الكبير ، وهو بحرُ الروم ، وقعْتَ في أرض بَهْراء ، ثمَّ من أيْسرِهم ممّا يَصْلى البحر تنوخ ، وهي ديارُ الفُضَيْض سادةُ تنوخ ومكْودهم (٢) ، منها اللاذقيَّة على شاطئ البحر (٣)".

وتدلُّ بعضُ الأشْعار التي قيلت في معركة مرْج راهِط على أنَّ التَّنوخيِّين قد قاتلوا مع غيرهم من بطون قضاعة ، إلى جانب مروان بن الحكم ، فذكرَهم في رَجزه قائلاً :

لمّا رأيْتُ الأمْرَ أمراً نَهْبا ... يسَّرْتُ غسّانَ لهم وكلْبا (٤)

ومن تنوخ مُشْمخِرّاً صَعْبا ... لا يأخُذونَ المُلْكَ إلاّ غصْبا

ويقول زُفَرُ بنُ الحارث الكلابيّ (٥) الذي فرَّ من المعركة بعد هزيمة القيْسيَّة: (٦)

ألا ليْتَ شِعْري هل تُصيبنَّ غارتي ... تَنُوخاً وحيَّيْ طيِّئٍ من شِفائيا

---

(١) وقعة صفين ص: ٣٥٥ . وانظر : مروج الذهب ٣ : ١٢٥ ، ١٣٢ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٤٤ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٣١٣ .

(٢) المكْود : المُقيم المُلازم ، أو لسان القوم .

(٣) صفة جزيرة العرب ص: ٢٧٤ - ٢٧٥ . وانظر: خطط الشام ١ : ٢٦ .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٨ . وانظر : التَّنْبيه والإشراف ص: ٢٦٧ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤٩ على اختلاف في الرِّواية .

(٥) ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيَّة عن مخطوطة المكتبة الظاهريّة ، بدمشق) ٦ : ٢١١ ، والأعلام ٣ : ٤٥ .

(٦) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٤٢ . وانظر : الكامل في التاريخ ٤ : ١٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويُستفادُ من وُرودها في الشِّعر أنَّ لها قُوَّةً كبيرة، لها أثرُها في سياسة بني أُميَّة، غير أنَّه لم يَرِدْ لرجالها ذِكْرٌ بعد ذلك في حوادث بلاد الشام، ولعلَّ ذلك يَرْجعُ إلى استعمال الأمويِّين لهم في حَمْلات الصَّوائف والشَّواتي على الحدود الشَّماليَّة للدولة (١).

ويذْكُر المسْعوديّ أنَّها كانت مع قبيلة طيِّء بحاضِر قِنَّسْرين في أواخر الدولة الأُمويَّة، فوَثَبتا على مرْوان بن محمَّد آخر خلفاء بني أُميَّة، لمَّا مرَّ بقِنَّسْرين مُنْهزماً بعدَ معركة الزَّاب من أرض الموْصل، ونَهَبتا عسْكره؛ لأنَّه كان تَعصَّب عليهما وجَفاهُما أيَّام دولته، وقَتل منْهُما جماعة (٢).

ب ـ كلْب.

يقول الهَمْدانيّ (٣): "وأمَّا كلب فمساكنُها السَّماوة، ولا يُخالط بطونَها في السَّماوة أحد، ومن كلب بأرض الفُوْطة عامرُ بن الحُصَيْن بن عُليْم، وابنُ رباب المعْقليّ". ويقول: "وقُراقِر بين كلب وذُبْيان، وهو مَنْهلٌ، وعُراعِر، وكان يوم قُراقِر وعُراعِر بين كلب وعَبْس".

ويتحدَّثُ عن قُرى ديار كلب فيقول: "وما وقع في ديار كلب من القُرى تَدْمُر وسَلَمْيَة والعاصِيَّة وحمص، وهي حِمْيرية، وخلفها ممَّا يلي العراق حماة وشَيْزَر وكفَرْطاب لكِنانة من كلب، ثمَّ ترْجعُ بكِنانة كلبمن ديارها هذه إلى ناحية السَّماوة والفرات من المدن تلّ منَّس، وحَرْص وزَغْرايا ومَنْبِج، ومنْبِج مُشْتركة بينَهُم وبيْنَ بني كلاب إلى حدِّ وادي بُطْنان، ثمَّ تأْتي الفُرات من بلد الروم شاقّاً في طرف الشام على التواء إلى العراق، فغربيُّهُ ديار كلب، وشرقيُّهُ ديار مُضَر (٤)".

---

(١) صالح العلي "القبائل العربية في بلاد الشام في زمن الخلفاء الراشدين" مجلة دراسات (المجلّد الرابع عشر، مطبعة الجامعة الأُردنية، عمان، نيسان ١٩٨٧) العدد الرابع، ص: ٤٨.

(٢) مروج الذهب ٤: ٩٢، وزبدة الحلب من تاريخ حلب ١: ٥٥٣. وانظر: نقائض جرير والأخطل، ص: ٦، وكتاب الفتوح ٨: ١٨٥، والأزديّ: تاريخ الموصل ص: ١٣٦، وخطط الشام ١: ١٣٠.

(٣) صفة جزيرة العرب ص: ٢٧٢.

(٤) نفسه ص: ٢٧٥. وانظر أنساب الأشراف ٥: ١٤٧، ٣٠٨، وتاريخ الرسل والملوك ٥: ٥٣٩، ٧: ٢٤٣، ٣١٢، ٣١٥، والأغاني ١٩: ١٤٣، والكامل في التاريخ ٤: ١٥١، ٥: ٣٢٨، والبداية والنهاية ١٠: ١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونزلت كلب أيضاً دمشق (١) وبريّتها (٢) والأُردنّ وحَوْران (٣). وقد سمت منزلتُها في العصر الأُمويّ حتى أصبح اسْمُها يُرادفُ كلمةَ اليمن (٤)، وكان لرجالها الأَمرُ والنَّهيُ وصدرُ المجْلس والمشورة قبل الحلِّ والعَقْد (٥). وقرّبها الأُمويّون واعتمدوا عليها في تثْبيت مُلْكهم، فبعد موْت مُعاوية بن يزيد بن معاوية الذي نزل عن الخلافة، وأَراد ها أَنْ تكون شُورى بين المسلمين صلّى حسّانُ بنُ مالك بن بَحْدل الكلبيّ (٦) بالناس، ودعا إلى نفسه بالخلافة أَيّاماً، ثُمَّ سلّمها إلى بني أُميّة. فأَصبح الناس فريقيْن: حسّانُ بنُ مالك بالأُردنّ يَهْوى هوى بني أُميّة ويدعو إليهم، والضّحّاكُ بنُ قيس الفِهْريّ (٧) بدمشق يهوى هوى عبد الله بن الزُّبيْر ويدعو إليه (٨).

وكانت كلب تدعو إلى خالد بن يزيد بن معاوية، وتتعصّب لأَبيه يزيد؛ لأَنّ أُمّهُ منهم، ثمّ اتّفق الأُمويّون وأَهل اليمن بزعامة كلب على مُبايعة مروان بن الحكم بالخلافة

---

(١) أَنساب الأَشراف ٥ : ١٣٣. وانظر: تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٣، ٧ : ٢٤١، والعقد الفريد ٥ : ١٣٥، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤٦، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ : ١٠.

(٢) مروج الذهب ٢ : ٣٠٠.

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٧، والعقد الفريد ٥ : ١٣٥، ١٣٦. وانظر عدداً من منازلها في العصر الأُمويّ في: الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأُموي ص: ١٠٣.

(٤) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١ : ٤٩٥.

(٥) مروج الذهب ٣ : ٢٨٥.

(٦) انظر ترجمته في: تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنية) ٤ : ١٩٩، وسير أَعلام النُّبلاء ٣ : ٥٣٧، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ١٤٨، والأَعلام ٢ : ١٧٦.

(٧) انظر ترجمته في: تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنية) ٨ : ٢٠٦، وتقريب التهذيب ص: ٢٧٩.

(٨) نقائض جرير والأَخطل ص: ٧، وأَنساب الأَشراف ١ : ١٣٥، ٤ : القسم الأَول ص: ٣٥٨، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأنّه كبيرُ بني أُميّة ومقدّمهم؛ ولأنّ خالدَ بن يزيد كان حديثَ السّنّ، فثارت قيس الشام بزعامة الضّحّاك بن قيس، فأوقعت بها كلبوأخواتُها من القبائل اليمانيّة هزيمةً ساحقةً في معركة مرْج راهِط (١)، قُتِل فيها الضّحّاكُ بن قيْس، وتمّت البيْعة لمروان بن الحكم في الشام وتبعتْهُ مِصْر (٢).

هذا ولم تكن كلب تَتَوانى عن نُصْرة الأمويّين قبل مرج راهط وبعدها، إذْ ظلّت تُؤيّدُهم وتُقاتلُ خُصومَهم، ما داموا يعْرفون لها قَدْرها ويَرْعون لها مصالحها (٣).

واستَمرت العصبيّة القبليّةبين كلب وقيْس بعد هذه الوقعة، فقاد القيْسيّةَ زُفَرُ بنُ الحارث الكلابيّ — الذي لحق بعد الهزيمة بقِرْقيْسياءمن أرض الجزيرة — وانضمّ إليه عُميْرُ بنُ الحُباب السُّلميّ (٤)، فأخذا يُغيران على كلب(٥)، وتُغير كلب عليهما في أيام منها : يومُ الإكْليل، ويومُ السّماوة، ويومُ الفُوَيْر، ويومُ الهَيْل، ويوم كابة ويوم دُهْمان (٦).

ولمّا رأت كلب المَدَر مالقيتْهُ كلب البوادي من زُفَر بن الحارث وعُميْر بن الحُباب أمّروا عليهم حُمَيْدَ بنَ حُرَيْث بن بَحْدل الكلبيّ (٧)، فجمع كلْباً وأغار بها على قيْس

---

(١) هو موضع في الغوطة من دمشق. وراهط اسم رجل من قضاعة. انظر : معجم البلدان : راهط.

(٢) نقائض جرير والأخطل ص: ١٣، ١٦، وأنساب الأشراف٥ : ١٣٦، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٧، والعقد الفريد ٥ : ١٣٥، ومروج الذهب ٣ : ٢٨٢، ٢٨٦، والأغاني ١٩ : ١٣٩. وانظر : د. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي ص: ١٥١، والأمويّون والخلافة ص: ١٠٩، ١١١. وانظر أيضاً : رجز مروان بن الحكم الذي يذكر فيه قتال كلب إلى جانبه في مرْج راهط في : نقائض جرير والأخطل ص: ١٧، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٨، ومروج الذهب٣ : ٢٨٦، والتنبيه والإشراف ص: ٢٦٧.

(٣) أنساب الأشراف٤ : القسم الأول ص: ٣٢٣، ٤٤٢، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٦١٠، ٦ : ٨٦، والكامل في التاريخ ٤ : ٣٣٨.

(٤) انظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنية) ١٣ : ٣٣٨.

(٥) نقائض جرير والأخطل ص: ٢٦، وأنساب الأشراف٥ : ٣٠٨.

(٦) الأغاني ٢٣ : ١٨٤، ١٨٧، ١٨٩. وانظر : د. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي ص: ١٥١، والعصبيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأموي ص: ٢٩٩.

(٧) انظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنيّة) ٥ : ١٧٢، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر٧ : ٢٧٣، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ٤٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير مرّة، فقتلَ منها وسبى، فخرج عُمَيْرُ بنُ الحُباب هارباً إلى زُفَر بن الحارث بقِرْقيسياء (١).

وشكت فَزارةُ — من قيس — إلى عبد الملك بن مروان صنيعَ حُمَيْد بن حُرَيْث بها، فَودى قتلاها من أعطيات قضاعة وحِمْير الذين بالشام، فقَبِلَ القومُ الدّيات، ولكنّهم اشْتروا بها سلاحاً وخيْلاً وأغاروا بقيادة سعيد بن عُيَيْنةَ وحَلْحلَةَ بن قيْس الفزاريّيْن، على بطون من كلب، وهم على ماءٍ لهم يُقال له: بنات قَيْن، فقتلوا منهم قتلى كثيرة، فعرض عبدُ الملك بن مروان الدّيةَ على كلب عن قتلاها في ذلك اليوم، فلم تَقْبلْها، فدفع إليها سعيدَ بنَ عُيَيْنة وحلْحلةَ بن قيْس فقتلتْهُما (٢).

وكان لغارات عُمَيْر بن الحُباب السُّلميّ على كلب أثر كبير، فقد قَتَل منهم قتلى كثيرة، واستاقَ غنائمَ عظيمة، فتحوّلت كلب عن منازلها هاربةً منه، فصار بعضُها إلى الفُوَيْر بين العراق والشام (٣)، وصار بعضُها إلى غَوْر الأُردنّ وتحوّل بعضُها إلى ساحل الأُردنّ فنزل جنوب عكّا (٤).

ج — سائر بطون قضاعة.

ومن بطون قضاعة الأُخرى التي كانت بالشام في العصر الأُمويّ: بَهْراء وبليّ. وقد قاتلت بَهْراء تحت راية تنوخ في معركة صفّين (٥)، وذكر الهَمْدانيّ منازلَها فقال: "إنْ تياسرْتَ من حمص عن البحر الكبير، وهو بحر الروم، وقعْتَ في أرض بَهْراء (٦)". ومن رجالها في العصر الأُمويّ: مُعْلِنُ بنُ صفّار البَهْرانيّ والي أَرْمينيَة وأَذْرَبيجان لهشام بن عبد الملك (٧)، وجعْفر بنُ حَنْظلة البَهْرانيّ الذي خلفَ أسد بن عبد الله القسْريّ على خُراسان (٨).

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ٣٠٨، ٣٠٩، والأغاني ١٩: ١٤٢—١٤٥، ١٤٧.
(٢) أنساب الأشراف ٥: ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، والأغاني ١٩: ١٤٧—١٥٠.
(٣) الأغاني ٢٣: ١٩٠.
(٤) نفسه ٢٣: ١٩٣، والجغرافيّة التاريخية لبلاد الشام في العصر الأُموي ص: ١٠٤.
(٥) مروج الذهب ٣: ١٢٥، ١٣٢.
(٦) صفة جزيرة العرب ص: ٢٧٤.
(٧) جمهرة أنساب العرب ص: ٤٤١.
(٨) اليعْقوبيّ: البلدان ص: ٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر ديار بلي فقال : "من مُنْقطَع دار جُهَيْنة [عند وادٍ بيْنَ نجْد والبحر] دار بلي إلى حدّ دار جُذام بالنَّبْك على شاطئ البحر، ثمّ عيْنُونا من خلْفها، ثمّ لها مَيامِنُ البرّ إلى حدّ تبوك، ثمّ إلى جبال الشَّراة، ثمّ إلى مَعان، ثمّ راجعاً إلى أَيْلة إلى أَنْ تقول المَفارُ : ها أَنا ذِهِ(١)".

وليس لبلي أَو لرجالها ذِكْر في حوادث بلاد الشام في العصر الأُموي، ولعلّ ذلك يرجعُ إلى بُعْدِهم عن مركز الحُكْم في دمشق، إِذْ كانوا في جنوبي بلاد الشام، وإلى هِجْرة بعضهم إلى الأَنْدلس(٢).

ومن بطون قضاعة أَيضاً : سَليح، والقَيْن، وجُهَيْنة، وعُذْرة، وخُشَيْن، وجَرْم، فقد ذكر الهَمْداني(٣) أَنَّ الضَّجاعم من سَليح كانوا بالبلقاء وسَلمْيَة وحُوّارين والزيّتون، ويظهر أَنَّ بني سَليح لم يكُنْ لهم دورٌ يُذْكر في حوادث بلاد الشام، فلم تتحدَّثْ عنهم المصادرُ المختلفة.

وأَمّا بنو القَيْن فإِنّهم كانوا ينْزِلون الأُردنّ في صدر الإِسلام، ومن رجالهم : حُبَيْشُ بنُ دلْجة القَيْني(٤) الذي قاد قضاعة الأُردنّ في موقعة صفّين، وعبدُ الرحمن بن قيْس القيني الذي كان على رَجّالتها (٥). وذكر الهَمْداني أَنَّ ديارهم : الحيّانيّات(٦) وما يليها، وأَنّها كانت تُخالطُ لخْماً في ديارها بالأُردنّ وفلسطين ودمشق (٧). ويذكر الطبري أَنّها كانت بقُرْب الأَزْرق (٨) الواقع بين أَرْضها وأَرض فَزارة(٩).

---

(١) صفة جزيرة العرب ص: ٢٧٣.
(٢) جمهرة أَنساب العرب ص: ٤٤٣.
(٣) صفة جزيرة العرب ص: ٣١٩.
(٤) انظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنية) ٤ : ٩٨ والأَعلام ٢ : ١٦٧.
(٥) وقعة صفين ص: ٢٠٦، ٢٠٧. وانظر : تاريخ خليفة بن خيّاط ص: ١٩٦ وشرح نهج البلاغة ٤ : ٢٨.
(٦) الحيّانية : كورة بالسّواد من أَرض دمشق، وهي كورةُ جَبل جَرَش قرب الغَوْر. انظر : معجم البلدان : الحيّانية.
(٧) صفة جزيرة العرب ص: ٢٧٣، ٢٧٤.
(٨) هو اليوم من محافظة الزرقاء بالأُردنّ.
(٩) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢١١. وانظر : الأَغاني ٧ : ١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشاركت القَيْن في جيش يزيد بن مُعاوية الذي أرسله لقتال أهل المدينة وحصار مكّة، وبرزَ من رجالها حُبَيْش بنُ دلْجة القَيْنيّ، وكان يراه مُسْلمُ بنُ عُقْبة المُرّي قائدُ جيْش أهل الشام أحقَّ الناس بعده بقيادة الجيش، وقُتِل بالرَّبذَة من قُرى المدينة في أيّام عبد الله بن الزُّبيْر (١).

وانضمّت إلى بني أُميّة في مَرْج راهِط، وقاتلت معهم، يقول مروانُ بنُ الحكم (٢) :

لمّا رأيْتُ الأمر أمراً نهْبـــا ... يَسّرْتُ غسّان لهم وكلْبـــا

والقَيْن تَمْشي في الحديد نُكْبا ... ومن تنوخ مُشْمَخـرّاً صَعْبـا

وكان بعض جُهيْنة بفلسطين والأُردنّ ودمشق (٣)، وهي من بطون قضاعة التي أيّدت يزيدَ بنَ الوليد في خَلْع ابن عمّه الوليد بن يزيد بن عبد الملك في أواخر العصر الأُمويّ (٤).

ومن رجالها : طلْحةُ بنُ سعيد الجُهَنيّ عاملُ الحجّاج على البَصْرة في أيّام الوليد بن عبد الملك (٥).

وأمّا عُذْرة فقد قاتلت في معركة صفّين تحت راية حِمْير، وكان صاحبُ لواء ذي الكَلاع الحِمْيريّ رجُلاً من عُذْرة (٦). ومن أشْهر رجالها في العصر الأُمويّ : زِمْلُ بنُ عمرو العُذْريّ (٧)، وكان على شُرْطة معاويةَ بنِ أبي سُفْيان (٨)، وهو ممّن أرسلهم يزيدُ ابن معاوية إلى عبد الله بن الزُّبيْر، ليعظوه ويُحذّروه من الخروج على يزيد، وليأخُذوا

---

(١) أنساب الأشراف ٤ : القسم الأول ص: ٣٣٨، ٥ : ١٥٠، ١٥٣، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٤٣. وانظر : تاريخ خليفة بن خيّاط ص: ٢٦١، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٤٨٢، ٤٩٦.

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٨. وانظر : نقائض جرير والأخطل ص: ١٧، ومروج الذهب ٣ : ٢٨٦، والتّنْبيه والإشراف ص: ٢٦٧، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤٩ على اختلاف في الرّواية.

(٣) صفة جزيرة العرب ص: ٢٧٣. وانظر : خطط الشام ١ : ٢٦.

(٤) الكامل في التاريخ ٥ : ٢٨٥.

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ص: ٣١٠.

(٦) وقعة صفين ص: ٤٣٧. وانظر : مروج الذهب ٣ : ١٣٠، وجمهرة أنساب العرب ص: ٤٤٩.

(٧) ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ٦ : ٢٢١، وجمهرة أنساب العرب ص: ٤٤٩.

(٨) البداية والنهاية ٨ : ١٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بَيْعته (١) . غير أَنَّ زِمْل بن عمرو قد بايع بعد ذلك لابن الزُّبَيْر وانحاز إلى الضَّحّاك ابن قيْس في مَرْج راهط (٢) . ومنهم : عبدُ بنُ الحَسْحاس العُذْرِيّ عاملُ عُمَر بن عبد العزيز على دمشق (٣) . ويذكر ابنُ الأَثير أَنَّ رجالَ عُذْرة أَيَّدوا يزيد بن الوليد في خَلْع الوليد بن يزيد ، وكان عليهم رِبْعيّ بنُ هاشم الحارثيّ (٤).

وكانت خُشَيْن بداريّا (٥) من قرى غُوطة دمشق (٦) ، وقاتلت يوم المَرْج مع مروان بن الحكم (٧) . ومن رجالها : سُلَيْمان بنُ سَعْد مولى خُشَيْن ، صاحبُ ديوانَيْ الخراج والجُنْد في خلافة عبد الملك بن مروان وابْنيْه الوليد وسُلَيْمان (٨) .

وسكنت جَرْم داريّا (٩) ، وكان بعضُها يتبدى بنواحي الشام مع كلب وعُذْرة (١٠).

ب — القبائل الكهلانيـــة.

تألّفت هذه الكُتْلة اليمانيّة في العصر الأُمويّ من القبائل التالية :

١ — الأَزد .

قاتلت الأَزد مع مُعاوية بن أَبي سفيان في صفّين ، ويُرْوى أَنَّ عليّ بن أَبـــي طالب كرّم الله وَجْهه ، دار في يوم من أَيّام المعركة على رايات أَهل الشام ، وسأَل عنها ، فسُمّيت له ، حتى إذا عَرفَها قال لأَزْدِ الكوفة : اكْفوني أَزدَ الشام ، وأَمر كلّ قبيلة من أَهل العراق أَنْ تكْفيه أُخْتَها من أَهل الشام (١١).

---

(١) كتاب الفتوح ٥ : ٢٧٩ .
(٢) نقائض جرير والأَخطل ص : ١٥ .
(٣) تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ٣٢٣ .
(٤) الكامل في التاريخ ٥ : ٢٨٥ .
(٥) البداية والنهاية ٩ : ١١ .
(٦) انظر : معجم البلدان : داريّا .
(٧) نقائض جرير والأَخطل ص : ٢٢ .
(٨) تاريخ خليفة بن خياط ص : ٢٩٩ ، ٣١٢ ، ٣١٩ .
(٩) تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنية) ٣ : ٢٥١ .
(١٠) الأَغاني ١٢ : ٤٢ ، و ٢٢ : ١٢٩ .
(١١) وقعة صفين ص : ٢٢٩ ، ٢٦٢ . وانظر : الأَخبار الطوال ص : ١٧٤ ، ١٨١ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ١٤ ، وكتاب الفتوح ٣ : ١٤١ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٢٩٦ ، وشرح نهج البلاغة ٥ : ١٨٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذكر نصْر بنُ مُزاحِم أنّ الأَزد قاتلوا قبيلة هَمْدان ، بالإضافة إلى قومهم من أَزد العراق (١) . واستوطن بعضُهم حِمْصَ وفلسطين في صدر الإسلام (٢).

وأيّد الأَزْديُّون ، شأن غيرهم من أَهل اليمن ، بني أُميّة وانحازوا إليهم ، فوليَ جُنادةُ بنُ أَبي أُميّة الأَزْديّ (٣) غزوَ البحر لمعاوية بن أَبي سفيان . وكان عبد الملك بن جَزْء الأَزْديّ من أَهل فلسطين عاملاً لخالد القَسْريّ على الكوفة (٤).

ويذكر ابنُ كثير أنّهم فسَدوا على الوليد بن يزيد ، فبايعوا ابنَ عمّه يزيدَ بنَ الوليد في أَواخر العصر الأُمويّ (٥).

واشترطت قبيلة عكّ الأَزْديّة (٦) على مُعاوية بن أَبي سفيان ، قبل أَنْ تُقاتل معه في صِفّين ، أَنْ يجْعل لها فريضةَ أَلفي رجل في أَلْفيْن ، ومن هلك فابنُ عمّه مكانه ، فَفرضَ لها (٧) . وكانت عكّ بالأُردنّ (٨) في العصر الأُمويّ ، وخالطت أَيضاً قبيلتي هَمْدان ومذْحِج بالفَلَجة (٩) ، وقاتل رجالُها أَهلَ المدينة في وقْعة الحرّة (١٠).

---

(١) وقعة صفين ص: ٢٢٧ . وانظر : شرح نهج البلاغة ٥ : ١٨٤ .

(٢) نفسه ص: ٢٠٧ .

(٣) انظر ترجمته في : جمهرة أَنساب العرب ص: ٣٨٦ ، والاستيعاب ١ : ٢٤٩ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيّة) ٤ : ١٥ ، وسِيَر أَعلام النُّبلاء ٤ : ٦٢ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٤١١ ، والأَعلام ٢ : ١٤٠ .

(٤) تاريخ خليفة بن خيّاط ص: ٣٥٨ ، والبداية والنّهاية ٩ : ٢٦ .

(٥) البداية والنهاية ١٠ : ١٠ .

(٦) هم بنو عكّ بن عَدْنان بن عبْد الله بن الأَزد . جمهرة أَنساب العرب ص: ٣٧٥ . وقد حدث لهذه القبيلة مثلما حدث لقضاعة وللخْم وجُذام من تنازع في النَّسب ، فنُسِبت إلى العدْنانيّة . انظر : السيرة النبويّة ١ : ٨ ، ١٠ ، ونَسَب قريش ص: ٥ ، وأَنساب الأَشراف ١ : ١٣ ، وجمهرة أَنساب العرب ص: ٩ ، ١٠ ، ٣٢٨ .

(٧) وقعة صفين ص: ٤٣٣ . وانظر : كتاب الفتوح ٣ : ٢٢١ ، وشرح نهج البلاغة ٨ : ٧٦ .

(٨) كتاب الفتوح ٧ : ١٣٠ .

(٩) صفة جزيرة العرب ص: ٢٧٤ . وقال ياقوت الحَمَويّ : فَلَجة بالتَّحْريك " قال نَصْر : أَحْسبُه موضعاً بالشام " . انظر : معجم البلدان : فلَجة .

(١٠) أَنساب الأَشراف ٤ : القسم الأَول ص: ٣٢٣ . وانظر : مروج الذهب ٣ : ٢٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن قبائل الأَزد ذات الصِّلة العريقة بالشام قبيلةُ غسّان التي استوْطـــنَ بعضُها الأُردنّ في صدر الإسلام، وكان عليها يوم صِفّين يزيدُ بنُ الحارث الفسّانيّ(١).

وكانت ديارُها بيْنَ دمشق وحِمْص وما يليها إلى قريب من جبل عامِلَة(٢)، وكانت غسّان أيضاً بدمشق (٣) وبالبَثَنيّة من نواحي دمشق (٤).

وفي مرْج راهط قاتلت غسّانُ مع مروان بن الحَكَم فذكَرها في رَجَزه وقال (٥) :

لمّا رأَيْتُ الأَمْرَ أَمراً نَهْبـــا ... يَسَّرْتُ غسّان لهم وكلْبـــا

ولم يشْهدْ يزيدُ بنُ أبي النَّمِر الفسّاني الجابيَة، وكان مُكْتئِباً بدمشـق فلّما نزل مروانُ [بن الحكم] مرْجَ راهط، ثار يزيدُ بنُ أبي نمر بأَهل دمشق فـــي عبيدها، فغَلَبَ عليها، وأَخْرج عاملَ الضَّحّاكِ [بن قيْس الفِهْريّ] منها، وغلب علـــى الخزائن وبيْتِ المال وبايع لمروان، وأَمدّه بالأَموال والرِّجال والسِّلاح (٦).

وفي أَواخر العصر الأُمويّ انضمّت غسّانُ إلى يزيدَ بن الوليد، وسارت معـــه لقتال الوليد بن يزيد (٧). ومن رجالها : يَحْيى بنُ قيْس الفسّانيّ صاحبُ شُـــرَط مروان بن الحكم (٨).

٢ — لخْم وجُذام.

قادنا تلُ بنُ قيْس الجُذاميّ (٩) لخْمَ فلسطين وجُذامَها في معركة صِفّين (١٠)، وقد قاتلت لخْم قبيلةَ بجيْلة التي كانـــــت تُقابلُهـــــــا فـــــي

---

(١) وقعة صفين ص: ٢٠٧. وانظر: تاريخ خليفة بن خياط ص: ١٩٦، والأَخبار الطوال ص: ١٧٢.

(٢) صفة جزيرة العرب ص: ٢٧٤.

(٣) أَنساب الأَشراف ٥ : ١٣٣. وانظر: الكامل في التاريخ ٤ :١٤٧.

(٤) الأَغاني ١٥ :١٣١.

(٥) تاريخ الرسل والملوك ٥ :٥٣٨. وانظر: نقائض جرير والأَخطل ص:١٧، وكتاب الفتوح ٥ :٣١٢، ومروج الذهب٣ :٢٨٦، والتّنبيه والإشراف ص:٢٦٧، والكامل في التاريخ ٤ :١٤٩.

(٦) نفسه ٥ : ٥٣٧. وانظر: أَنساب الأَشراف٥ :١٣٦.

(٧) البداية والنّهاية ١٠ :١٠.

(٨) تاريخ خليفة بن خيّاط ص:٢٦٣. وانظر: المُحبّر ص: ٣٧٣، وأَنساب الأَشراف ٥ :١٣١.

(٩) انظر ترجمته في: تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنية) ١٧ :٢٤٤، وتقريب التهذيب ص:٥٥٧.

(١٠) وقعة صفّين ص:٢٠٧. وانظر: تاريخ خليفة بن خيّاط ص:١٩٦، والأَخبار الطوال ص:١٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جيْش العـــراق (١).

وكان معاويةُ بنُ أَبي سفْيان يضُمُّ القَبيلتيْن إِلى يَحْصُب وكِنْدة ؛ لقتال قبيلـة هَمْدان العراقية تارةً (٢) ، ويَضمُّهما إِلى علكٍ والأَشْعَريْن ؛ لقتال قبيلة مذْحِج تـــارةً أُخْرى (٣).

وسكَنَت لخْم في العصر الأُمويّ دَيْرَ المُرّان والأَرْزةَ وسَطْرا والمِزّةَ من قُـــرى دمشق (٤) ، وحَدَس ورَفَح (٥) ومناطقَ أُخرى من فلسطين (٦).

وتحدَّث الهَمْدانيّ عن منازلها فقال : " أَمّا مساكنُ لخْم فهي مُتفرِّقة وأَكْثرها بين الرَّمْلة ومصر في الجِفار ، ومنها في الجَوْلان ، ومنها في حَوْران والبَثَنيّة ومدينة نَوى (٧) " . وقال : " والمفار منزلٌ للخْم ، ثمّ وقعْتَ في ديار لخْم من حدِّ المفار ثمّ الدّاروم ثـــمّ الجِفار ، . . . ، ثمّ للخم ومَنْ يُخالطُها من كِنانةَ ما حوْل الرَّمْلة إِلى نابُلس ، ولهـــم أَيضاً ما جاز تبوك إِلى زُغَر وهو بلد النَّخْل ، ومنها التَّمْر الزُّغَري ، ثمّ البُحَيْرة الميِّتة التي يرمي فيها وادي اليرموك والأُردنّ ، وللخْم أَيضاً الجَوْلان وما يليها من البلاد ، نَـوى والبَثَنيّة وشقْص من أَرْض حَوْران ، ويُخالطُهم في هذه المواضع جُهَيْنةُ وذُبْيان ومـــــن القَيْن (٨) " .

وأَمّا جُذام فكانت بفلسطين (٩) والأُردنّ (١٠) ، وذكر الهَمْدانيّ أَنّ منازلها " بيْن مدْيَن إِلى تبوك فإِلى أَذْرُح ، ومنها فَخِذ ممّا يلي طَبَريّة من أَرض الأُردنّ إِلى

---

(١) وقعة صفين ص: ٢٢٩ . وانظر : الكامل في التاريخ ٣ : ٢٩٦ .
(٢) كتاب الفتوح ٣ : ٤٣ ، ومروج الذهب ٣ : ١٢٥ .
(٣) وقعة صفين ص: ٣٠١ . وانظر : كتاب الفتوح ٣ : ٣٦ ، وشرح نهج البلاغة ٥ : ٢٣٨ .
(٤) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٤٢ ، ٣١٣ .
(٥) معجم البلدان : حَدَس ورَفَح .
(٦) تاريخ اليعْقوبي ٢ : ٢٩٧ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣١ ، ٧ : ٢٩٧ .
(٧) صفة جزيرة العرب ص: ٢٧١ .
(٨) نفسه ص: ٢٧٣ . وانظر : خِطط الشام ١ : ٢٥ ، ٢٦ ، والجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الاموي ص: ١٠٦ .
(٩) أنساب الأشراف ٥ : ١٢٨ ، وتاريخ اليَعْقوبي ٢ : ٢٩٧ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣١ ، ٧ : ٣١٢ ، ٣١٤ .
(١٠) جمهرة أنساب العرب ص: ٤٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللَّجُّون واليامون إلى ناحية عكّا، وأنّ حِسْمى من حُدودها، وهي بينها وبين فَزارة، ومن بني الشَّمَل من بني جَرى من جُشَم بن جُذام قومٌ بعَبسان: قريـة بدِاروم غزّة(١).

وشارك رجالُ القبيلتيْن في قتال أَهْل المدينة وحصار مكّة في عهد يزيد بن مُعاوية(٢)، وقُبيلَ معركة مَرْج راهط استخلفَ حسّانُ بنُ مالك رَوْحَ بن زِنْباع الجُذاميّ (٣) على فلسطين، ولحق بالأردنّ، فوثَبَ ناتلُ بنُ قيْس الجُذاميّ (٤) في مَنْ تبعَه من لخْم وجُذام على رَوْح بن زِنْباع، وأَخْرجه من فلسطين، وأَخذ يدعو لعبد اللّه بن الزُّبيْر (٥). وانضمّت لخْم وجُذام إلى جيش مَسْلَمة بن عبد الملك الذي خرج لغزو القسْطَنْطينيّـة وكان عليهما وعلى طيّء عبدُ الله بن عديّ بن حاتم الطائيّ (٦).

ويذكر ابنُ كثير أنّ لخماً بايعت يزيدَ بنَ الوليد وقاتلت معه في ثوْرته على ابن عمّـه (٧).

ومن رجال لخْم: عبدُ السّلام اللَّخْميّ أَحدُ قَتَلة الوليد بن يزيد (٨)، وبُكَيْرُ ابن شَمّاخ اللَّخْميّ صاحبُ شُرَط يزيد بن الوليد (٩).

---

(١) صفة جزيرة العرب ص: ٢٧٢.
(٢) أنساب الأشراف ٤: القسم الأول ص: ٣٢٣.
(٣) انظر ترجمته في: الاستيعاب ٢: ٥٠٣، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنية) ٦: ١٥٠، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٨: ٣٣٩، والذّهبيّ: العِبَر في خبر من غَبَر ١: ٩٨، والبداية والنهاية ٩: ٥٣، وابن العماد الحَنْبليّ، شذرات الذّهب في أخبار مَنْ ذَهَب ١: ٩٥، والأعلام ٣: ٣٤. وانظر أيضاً: كتاب الفتوح ٧: ٨٤، ٩٨، والثّعالبيّ: ثمـار القلوب في المضاف والمنسوب ص: ٥٤٦، وزهْر الآداب وثمر الألباب ٢: ٦١٠.
(٤) انظر: خبر مقتله بأَجْنادين في: أنساب الأشراف ٥: ١٥٩، ومروج الذهب ٣: ٢٩٩.
(٥) نقائض جرير والأَخطل ص: ٦. وانظر: أنساب الأشراف ٥: ١٢٨، ١٣٢، والعقد الفريد ٥: ١٣٥.
(٦) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣: ٨٥.
(٧) البداية والنهاية ١٠: ١٠.
(٨) تاريخ خليفة بن خياط ص: ٣٦٤. وانظر: كتاب الفتوح ٨: ١٤٠.
(٩) نفسه ص: ٣٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن جُذام : ثابتُ بنُ نُعَيْم الجُذاميّ (١) ، سيّدُ جُذام في زمنه ، وقد خرج بناحية الأُردنّ على مروان بن محمّد آخر خلفاء بني أُميّة ، فأجابته إلى الثَّوْرة بعضُ أَجْناد الشام كفلسطين وغيرها ، ولكنّه ما لبث أَنْ هُزِم ، ثمّ قُبِضَ عليه و صُلِب هو وأَولادُه على أَبواب دمشق (٢).

٣ — كِنْدة.

نزلت كِنْدةُ بعد الفتْح مدينَتيْ حِمْص ودمشق ، وكان على كِنْدة حمْص في صفّين : يزيدُ بنُ هُبَيْرة السَّكونيّ ، وعلى كِنْدة دمشق : عبْدُ الله بن حُوَيّ السَّكْسَكيّ (٣) فقاتلتْ كِنْدة العراق (٤).

وفي العصر الأُمويّ كانت السَّكاسِكُ والسَّكون من كِنْدة بدمشق وبيْت لَهْيا من قُرى غُوطة دمشق ، وبحمص والأُردنّ والبلقاء ، وبقرْية السَّافريّة قرب الرَّملة(٥) . وقاد كِنْدةَ الشام في وقْعة الحرّة الحُصَيْن بنُ نُمَيْر السَّكونيّ (٦) ، ثمّ تولّى قيادة جيْش أَهل الشام بعد الوقعة ، فحاصر مكّة ورمى الكَعْبة بالمجانيق (٧) . وقُتِلَ سنة ستّ وستّين

---

(١) انظر ترجمته في : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٣٧٥ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص : ٣٧٤ ، وتاريخ اليعْقوبيّ ٢ : ٣٣٩ ، وتاريخ الرسل والملوك ٧ : ٣١٤ ، وانظر : مروج الذهب ٤ : ٨٠ ، والتّنبيه والإشراف ص : ٢٨٢ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ص : ١٩٦ . وانظر : الأَخبار الطّوال ص : ١٧٢ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٤٩٢ . وشرح نهج البلاغة ٤ : ٢٨ ، وأَهل اليمن في صدر الإسلام ص : ١٥٧ .

(٤) وقعة صفّين ص : ٢٢٧ . وانظر : كتاب الفتوح ٣ : ١٤١ ، وشرح نهج البلاغة ٥ : ١٨٤ .

(٥) أَنساب الأَشراف ٥ : ١٣٨ ، وتاريخ اليعْقوبيّ ٢ : ٣٣٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٤٩٠ ، ٥٣٧ ، ٥٤٤ ، وجمهرة أَنساب العرب ص : ٤٣٢ ، ومعجم البلدان : السَّافريّة ، والبداية والنهاية ٨ : ٣١٤ .

(٦) انظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنية) ٥ : ٧٩ ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ : ١٩٠ ، والأَعلام ٢ : ٢٦٢ .

(٧) تاريخ خليفة بن خيّاط ص : ٢٥٤ ، وانظر : أَنساب الأَشراف ٤ : القسم الأَول ص : ٣٢٢ ، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٤٩٠ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٦٩ ، وجمهرة أَنساب العرب ص : ٤٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هجريّة (١).

وقبل أنْ تُبايع كِنْدة لمروان بن الحكم اشْتَرَط عليه الحُصَيْنُ بنُ نُمَيْر أَنْ يُنْزِل البلقاء مَنْ كان بالشام من كِنْدة، وأَنْ يَجْعلها لهم مأْكلةً، فأعطاه مروانُ ذلك، فقاتلت معه كِنْدة في مَرْج راهط (٢).

وشارك رجالُ كِنْدة في غزْوة مَسْلمةَ بن عبد الملك للقسْطنْطينيّة في عهد عبد الملك بن مروان (٣)، وثاروا مع يزيد بن الوليد على الوليد بن يزيد (٤)، وقاتلوا العبّاسيّين في موقعة الزّاب إلاّ أنّهم خَذَلوا مروانَ بن محمّد، فحلّت بجيْشه الهزيمة (٥).

ومن رجال السّكاسك في العصر الأُمويّ: يزيدُ بنُ أبي كبْشةَ السَّكْسَكيّ صاحبُ شُرْطة عبد الملك بن مروان، ووالي البَصْرة للوليد بن عبد الملك بعد موت الحجّاج بن يوسف (٦).

ومن السَّكون: مالكُ بنُ هُبَيْرة السَّكونيّ، وكان هو وحسّانُ بنُ مالك الكلبيّ على خيْل مروان بن الحكم يوم مرْج راهط (٧)، وكان هواهُ بالجابية مع خالد بن يزيد بن مُعاوية (٨). ومنهم: يَحْيى بنُ زيد بن شُرَيْح قاضي الأَنْدلُس لهشام بن عبد الملك (٩).

---

(١) تاريخ خليفة بن خيّاط ص: ٢٦٣. وانظر: أنساب الأشراف ٥: ٢٥٠.
(٢) تاريخ الرسل والملوك ٥: ٥٣٧، ٥٤٤.
(٣) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣: ٨٥.
(٤) الأغاني ٧: ٧٨، والكامل في التاريخ ٥: ٢٨٥. وانظر: البداية والنّهاية ١٠: ١٠.
(٥) تاريخ الرسل والملوك ٧: ٤٣٤، وكتاب الفتوح ٨: ١٨٣. وانظر: الكامل في التاريخ ٥: ٤١٩.
(٦) تاريخ خليفة بن خيّاط ص: ٢٩٩، وجمهرة أنساب العرب ص: ٤٣٢.
(٧) أنساب الأشراف ٥: ١٣٨.
(٨) نقائض جرير والأخطل ص: ١٦. وانظر: أنساب الأشراف ٥: ١٣٤.
(٩) جمهرة أنساب العرب ص: ٤٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ — سائرُ القبائل الكهلانيّة.

ومن القبائل الكهلانيّة الأُخرى : قبيلةُ هَمْدان التي نزلت غُوطة دمشق (١) والأُردنّ في صدر الإسلام، وكان عليها يوم صِفّين حَمْزةُ بنُ مالك الهَمْداني(٢)، وكان بعضُها في العصر الأُمويّ بالأُردنّ (٣) وبالفَلَجة مع عكّ وبني الحارث بن كعْب من مَذْحِج (٤). وخرج رجالُها مع مسْلَمة بن عبد الملك لغزو القسْطنْطينيّة(٥).

ومن رجالها : سعيدُ بنُ حَمْزةَ بنِ مالك الهَمْدانيّ، صاحب شُرْطة معاويةَ بن أَبي سُفيان وابنه يزيد، ووالي الأُردنّ لعبد الملك بن مروان (٦).

ومن القبائل الكهْلانيّة أَيضاً : قبيلة طيّء، وقد نزلت مدينة حِمْص بعْدَ فتْحِها(٧)، وقاتلت إلى جانب معاوية بن أَبي سفيان في صِفّين (٨).

وكانت طيّء تُخالطُ ذُبْيان في ديارها، يقول الهَمْدانيّ : "وأَمّا ذُبْيان فهي من حدّ البَياض بياض قَرْقَرة، وهو غائطٌ بين تَيْماء وحَوْران، لا يُخالطهم إلاّ طيّءٌ وحاضرُهم السَّواد ومَرْو والحيّانيّات(٩)". وكانت أَيضاً بحاضِر قِنّسْرين (١٠)، وحمْص(١١)، وقاتلت

---

(١) مروج الذهب ٣ : ٢٨٤.
(٢) وقعة صفين ص: ٢٠٧. وانظر : تاريخ خليفة بن خيّاط ص: ١٩٦، والأَخبار الطوّال ص: ١٧٢، ومروج الذهب ٣ : ٢٨٤، وشرح نهج البلاغة ٤ : ٢٨.
(٣) الإكليل ١٠ : ٧٠.
(٤) صفة جزيرة العرب ص: ٢٧٤.
(٥) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٨٥.
(٦) الإكليل ١٠ : ٧٠—٧١.
(٧) الأَزْدي : فتوح الشام ص: ١٤٨.
(٨) وقعة صفّين ص: ٦٥، ٢٠٢، ٢٠٧، ٥٢٢. وانظر : تاريخ خليفة بن خيّاط ص: ١٩٤، وأَنساب الأَشراف ٢ : ٣٠٦، والأَخبار الطوّال ص: ١٧١، وكتاب الفتوح ٣ : ٢٢٨.
(٩) صفة جزيرة العرب ص: ٢٧٢.
(١٠) نقائض جرير والأَخطل ص: ٦، وزُبْدة الحَلَب ١ : ٥٣.
(١١) كتاب الفتوح ٧ : ١٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع مروان بن الحكم في مرْج راهط[١]، وخرج مُقاتلتُها مع مسْلَمة بن عبد الملك لغزو القسْطنْطينيَّة، وكانوا بقيادة عبْدِالله بن عَدِيّ بن حاتم الطائيّ[٢].

ووَثَبت طيّء وتنوخ في آخر العصر الأُمويّ على جيش مروانَ بن محمَّد، لمّا مرَّ بقِنَّسْرين مُنْهزماً بعد معركة الزّاب، وانْتَهبنا عسْكَره[٣].

ومن تلك القبائل: بنو أَنْمار بن إِراش بن عمرو بن الغَوْث، فقد قاتلت خَثْعم مع معاوية في صِفّين، وكان عليها حَمَلُ بنُ عبد الله الخَثْعميّ[٤]، ونزلت فلسطين، وشاركت في حصار مكّة مع جيش أَهل الشام[٥]. ومن رجالها: مالكُ بنُ عبد الله الخَثْعميّ أَحدُ قُوّاد الصَّوائف[٦]. وكانت بَجيلةُ بالشام في العصر الأُموي[٧]، ويبدو أَنّه لم يكن لها دورٌ يُذْكر في حوادث بلاد الشام لقلّة عددها.

ومنها: قبيلةُ مذْحِج، وكانت في صدر الإِسلام بالأُرْدنّ، وذُكِرَت بطونُها مُجْتمعةً بقيادة المُخارِق بنِ الحارث الزُّبَيْديّ[٨] في مَيْمنة جيش أَهل الشام في صِفّين[٩]. ويذكرُ الهَمْدانيّ أَنّها كانت في العصر الأُمويّ بالفَلَجة من أَرض دمشق[١٠].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٣٨. وانظر: العقد الفريد ٥ : ١٣٦، والتّنْبيه والإِشراف ص: ٢٦٧، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤٩، ١٥٢.

(٢) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٨٥.

(٣) كتاب الفتوح ٨ : ١٨٥. وانظر: تاريخ الموْصل ص: ١٣٦، وزُبْدة الحلب ١ : ٥٣.

(٤) وقعة صفين ص: ٢٠٧، ٢٢٩.

(٥) أَنساب الأَشراف ٤ : القسم الأَول ص: ٣٣٩، والأَخبار الطوال ص: ٣١٤.

(٦) جمهرة أَنساب العرب ص: ٣٩١.

(٧) الكامل في التاريخ ٥ : ٤٠٥.

(٨) وقعة صفين ص: ٢٠٧. ونقائض جرير والأَخطل ص: ١٧. وانظر: تاريخ خليفة بن خيّاط ص: ١٩٦. وبنو زُبَيْد: بطن من مذحِج. انظر: جمهرة أَنساب العرب ص: ٤١١.

(٩) مروج الذهب ٣ : ١٤١.

(١٠) صفة جزيرة العرب ص: ٢٧٢، ٢٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن بُطونها التي قاتلت مع مروان بن الحكم يوم مَرْج راهِط[١] : عَنْس[٢] ورَهاء[٣] ، وكانت عَنْس بداريّا من قُرى دمشق[٤] ، ومن رجالها : كعْبُ بن حامد العَنْسيّ : صاحبُ شُرط عبد الملك بن مروان وأبنائه الوليد وسُليْمان ويزيد وهِشام[٥].

وكانت النَّخَعُ من مَذْحِج[٦] بدَيْر المُرّانِ والأَرْزةِ وسَطْرا من قُرى دمشق ، وانضمّت بقيادة حُمَيْد بن حبيب النَّخَعيّ إلى يزيد بن الوليد ، لمّا ثار على ابن عمّه الوليد بن يزيد[٧].

ومنها : قبيلةُ عاملة ، وهي " في جَبَلها مُشْرفة على طَبَريّة إلى نحْوِ البحر "[٨] " وإنْ تياسرْتَ عن الحيّانيات وما يليها... وقعْتَ في ديار عاملة وهي مجاورة للأُردنّ ، وجبلُ عاملة مُشْرفٌ على عكّا من قِبَل البحر يليها ويُطلّ على الأُردنّ والغَلَجة "[٩] .

ومن رجالها : ثَعْلبةُ بن سلامة العامليّ : والي الأَنْدلُس لهشام بن عبد الملك[١٠] .

ومن قبائل كهلان بن سبأ أيضاً : الأَشْعَرون بنو نَبْت بن أُدَد ، وقد قاتلوا مع معاوية في صِفّين[١١] ، فأَقطعهم البَثَنيّة[١٢] وحَوْران ، وكانوا اشْترطوا عليه ذلك قبل أَنْ يُقاتلوا معه[١٣] . وانضمّوا إلى جيْش أَهل الشام الذي أَرْسله يزيدُ بنُ

---

(١) نقائض جرير والأَخطل ص: ١٦ ، ١٧ .
(٢) عَنْس: هو زيدُ بنُ مَذْحِج . جمهرة أَنساب العرب ص: ٤٠٥ .
(٣) انظر : جمهرة أَنساب العرب ص: ٤١٢ .
(٤) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٤١ . وانظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١ : ٧١ .
(٥) المُحبّر ص: ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
(٦) النَّخَعُ بنُ عامر بن عمْرو بن عُلَة بن جَلْد بن مالك ، ومالك هو مَذْحِج . انظر : جمهرة أَنساب العرب ص: ٤١٤ .
(٧) الكامل في التاريخ ٥ : ٢٨٥ .
(٨) صفة جزيرة العرب ص: ٢٧٢ .
(٩) نفسه ص: ٢٧٤ .
(١٠) ابن عِذاري : البيان المُغْرب في أَخبار الأَنْدلس والمغرب ٢ : ٣٢ . وانظر : المقّري : نفْحُ الطّيب من غُصْن الأَنْدلُس الرطيب ٣ : ٢٢ ، والأَعلام ٢ : ٩٩ .
(١١) وقعة صفّين ص: ٣٠١ . وانظر : كتاب الفتوح ٣ : ٣٦ ، وشرح نهج البلاغة ٥ : ٢٣٨ .
(١٢) هي ناحيةٌ من نواحي دمشق ، وقيل : هي قريةٌ بين دمشق وأَذْرِعات انظر : معجم البلدان : البَثَنيّة .
(١٣) وقعة صفّين ص: ٤٣٥ ، وكتاب الفتوح ٣ : ٢٢١ . وانظر : شرح نهج البلاغة ٨ : ٧٦ ، وأَهل اليمن في صدر الإسلام ص: ١٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُعاوية لقتال أَهل المدينة، وحصار مكّة (١).

ومنها : قبيلةُ خَوْلان ، وكانت بداريّا من قُرى غُوطة دمشق (٢) ، ومن رجالها : أَبو إِدْريس الخَوْلانيّ قاضي دمشق في زمن عبد الملك بن مروان (٣) .

وعرَضَ اليعْقوبيّ في القرن الثالث الهجْريّ لسكّان أَربعة من أَجْناد الشام وهي (٤) : جُنْد حِمْص، وجُنْد دمشق ، وجُنْد الأُردنّ ، وجُنْد فلسطين . ويُسْتفاد من حديثه عن سُكّان تلك الأَجْناد أَنّ مُعظم القبائل اليمانيّة ظلّتْ تُقيمُ بديارها التي كانت تُقيمُ بها في عصر بني أُميّة (٥).

ويتّضحُ ممّا سلف أَنّ قبائل اليمن التي كانت بالشام في العصر الأُمويّ هي قبائل : حِمْير (ومنها : شَعْبان وحَضْرموْت) وقُضاعة (ومن بطونها : تنوخ ، وكلب، وبَهْراء ، وبلىّ ، وسَليح ، والقَيْن ، وجُهَيْنَة ، وعُذْرة ، وخُشَيْن ، وجَرْم) من قبائل حِمْير بن سبأ .

والأَزد (ومنها : غسّان ، وعك) ولخْم ، وجُذام ، وكِنْدة (ومنها : السَّكاسِكُ والسَّكون) وهَمْدان ، وطيّ ، وخَثْعم ، وبَجيلة ، ومذْحِج (ومنها : زُبَيْد وعَنْس، ورَهاء ، والنَّخَع) وعامِلة ، والأَشْعَرون ، وخَوْلان من قبائل كَهْلان بن سبأ . وقد غلبت هذه القبائل في العصر الأُمويّ على بلاد الشام فسكنت أَجْنادَها الخَمْسة .

ويتّضِحُ أَيضاً أَنّ الهَمْدانيّ قد رَسَم بعضَ منازلها بدقّة ، ولا سيّما منازل قبيلتي لخْم وجُذام ، إِذْ تحدّث عن المدن وحدود الأَماكن التي نزلتْها القبائل ، ولم يكْتف بالإِشارة إِلى الأَجْناد التي اسْتقرّت بها كما فعل مَنْ سبقه من المؤَرخين والجغْرافيين . ويظهر من وصْفِهِ لها أَنّ كثْرتَها ظلّت تُقيمُ بمنازلها التي سكنتْها في العصر الأُمويّ ، وأَنّ بعضاً منها مثل قبيلة عاملة ، قد تركت منازلها القديمة بمشارف الشام ، وتحوّلت إِلى جَبَل عاملة بالأُردنّ (٦).

---

(١) أَنساب الأَشراف ٤ : القسم الأَول ص: ٣٢٣ . وانظر : مروج الذهب ٣ : ٢٦٨ .
(٢) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١ : ٧١ .
(٣) تاريخ خليفة بن خيّاط ص: ٢٩٦ . وانظر : البداية والنهاية ٩ : ٣٤ .
(٤) انظر : البلدان ص: ٨٠–٨٥ .
(٥) الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأُمويّ ص: ١١٢ .
(٦) نفسه ص: ١٠٧ ، ١٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الثانـــــي

لغة القبائل اليمانيَّة الشاميَّة وأثرها في قول الشِّعْر.

أولاً : لغة القبائل اليمانيَّة الشاميَّة.

ثانياً : أثرها في قول الشِّعْـــر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً : لغة القبائل اليمانيّة الشاميّة

يُقْسمُ العربُ إلى ثلاثة أقْسام هي : العرب البائدة، وهي القبائل التي باد ذِكْر اسمها فلم تَعُد قبائل معروفة ، مثل : عاد وثمود وطَسم وجَديس وغيرها . والعرب العاربة : وهم القحْطانيُّون سكّانُ اليمن . والعرب المُسْتعْرِبَة أو المُتعرِّبة : وهم العدنانيُّون (١).

ويذكُر القحْطانيّون أنّهم هم العربُ العاربة، وأنّ مَنْ سواهم المُتعرِّبة وأنّ إسماعيل عليه السلام نطق بلسانهم وأخذ من لغتهم حين أتى مكّة ونزل بجُرْهُم، ولم تكن العربيّة لغة أبيه (٢).

ويرى العلماء أنّ لغةَ العرب نوعان : عربيّة شماليّة، هي العربيّة الفصيحة التي نزل بها القرآن الكريم، وكانت تتكلّم بها القبائل العدنانيّة، وعربيّة جنوبيّة هي لغة أهل اليمن من القحْطانيين . وثمّة خلاف جوْهريّ بين هاتين اللّغتيْن في الألفاظ وفي قواعد النّحْو والتّصْريف، وقد استطاع البحثُ الحديث إثبات هذا الخلاف، اعتماداً على ما عُثِر عليه من نُقوش ونُصوص حِمْيرية قديمة . ولكلّ منْهُما لهجات محليّة لم تكن تَخْتلفُ فيما بينها اختلافاً كبيراً (٣).

ويُجْمع العلماء بكلام العرب وأيّامهم ومَحالّهم، والرواةُ لأشعارهم على أنّ قُريشاً أفصحُ العرب أَلْسنةً وأصفاهم لغةً، وذلك أنّ اللّه ـ جلّ ثناؤُه ـ اخْتارهم من جميع العرب واصْطفى منهم نبيَّ الرَّحمة محمّداً صلّى اللّه عليه وسلّم فجعلهم قُطّانَ حَرمِه وجيرانَ بيته الحرام، فكانت وفودُ العرب من حُجّاجِها وغيرهم يَفِدون إلى مكّة للحجّ ،

---

(١) لسان العرب : مادّة عَرَب، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١ : ٢٩٥ ، ٣٥٤، والعرب في الشام قبل الإسلام ص: ١٠٣ . وانظر : د. طه حُسيْن : في الأدب الجاهليّ ص: ٨٠ . والعاربة : هم العرب الخُلّص. وأمّا المُسْتعْربة أو المُتعرِّبة : فهم دُخلاء ليسوا بخُلّص. ويقول الأزْهريّ : المُسْتعْربة عندي قومٌ من العجم، دخلوا في العرب، فتكلّموا بلسانهم وليسوا بصُرَحاء فيهم. لسان العرب : مادّة عرب.

(٢) أنساب الأشراف ١ : ٦، وابن فارس : الصّاحبي في فقْه اللّغة ص: ٥٥-٥٦ وانظر : لسان العرب : مادّة عَرَب، والسّيوطي : المُزْهر في علوم اللّغة وأنواعها ١ : ٣٢ .

(٣) المُزْهر ١ : ٢٨، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٨ : ٥٣٩، ٦٧٣، وفي الأدب الجاهليّ ص: ٨١ . وانظر : تاريخ ابن خلدون ١ : ١٠٧٥، وأ. ولفنسون : تاريخ اللّغات السّاميّة ص: ١٦٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتحاكمون إلى قُريش في أُمورهم، وكانت قُريش تحكم بيْنهم وتُعلّمُهم مناسِكَهم. ولم تزل العربُ تَعْرف لقريش فَضْلَها عليهم، وتُسمّيها أَهل اللّه، لأَنّهم الصَّريحُ من ولد إسماعيل عليه السلام ولأَنَّهُ لم تَشُبْهم شائبة، ولم تَنْقلْهم عن مناسِبِهم ناقلة، فضيلةً من اللّه تعالى لهم وتَشْريفاً، إذْ جعلهم رهطَ نبيِّه الأَدْنيْن وعِتْرَته الصَّالحين وكانت قُريش مع فصاحتها وحُسْنِ لُغاتها ورقّة أَلْسنتها، إذا أَتتْهم وفودُ العرب، تخيَّروا من كلامهم وأَشْعارهم أَحْسنَ لغاتهم وأَصْفى كلامهم، فاجتمع ما تخيَّروا من تلك اللّغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طُبِعوا عليها، فصاروا بذلك أَفْصحَ العرب(١).

ولهجةُ قريش هذه هي اللّغة العربيّة الفصيحة التي تطوّرت في القرن الخامس للميلاد، واكْتملت وحلّت محلّ اللّهجات القبليّة في القرن السادس للميلاد، فعمّت القبائل العربيّة شمالاً وغرباً وشرقاً، واقْتحمت الأَبواب على الحِمْيريّة لغة أَهل اليمن، وبخاصّة في أَطْرافها الشّماليّة حيث منازلُ الأَزد وخَثْعم وهَمْدان وبني الحارث بن كعْب في نَجْران. وقد عاصر اكْتمال نُضْج هذه اللّهجة حركة تَعْريب واسعة في الجنوب تناولت القبائل الشّمالية التي أَصلُها من الجنوب، وأَمّا في داخل اليمن وظفار، فكانت اللّغةُ الجنوبيّة هي اللّغة السائدة(٢) ومن هنا يُفْهم قول أَبي عمرو بن العلاء: ما لسان حِمْير وأَقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيّتُهم بعربيّتِنا (٣). فهو يقْصِد اليمنيّين الداخليّين.

وقد مهّدت لانتشار لهْجةِ قُريش وسيادتِها في الجزيرة العربيّة أَسبابٌ دينيّة واقْتصاديّة وسياسيّة، فقد كانت قُريش مَهْوى أَفئدة العرب في جاهليّتهم، وكانت تتمتّعُ من بينهم بنُفوذٍ واسع، بسبب مركزها الدّينيّ والاقتصاديّ الماديّ، فهي حارسةُ الكعبة بيت عبادتهم، وصاحبةُ قوافل تجاريّة ضخمة كانت تجوب أَنحاء الجزيرة العربيّة، وكان العرب يجْتمعون إليها في سوقها عُكاظ(٤). وأَعطى ضعْفُ الدّولة الحِمْيريّة

---

(١) الصاحبي في فقه اللّغة ص: ٥٢.
(٢) د. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهليّ، ص: ١٢٠، ١٣٤، ود. ناصر الدّين الأسد: مصادر الشّعر الجاهلي وقيمتها التاريخيّة ص: ٣٣.
(٣) محمد بن سلاّم الجُمحيّ: طبقات فحول الشعراء ١: ١١.
(٤) د. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربيّ، العصر الجاهليّ ص: ١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في اليمن وسقوطُها سنة خمْسٍ وعشرين وخمْسمائة للميلاد على يد الأَحْباش اللُّغةَ الشّمالية عوناً للتغلْغُل في القبائل اليمانيّة، ولا سيّما أنّ الكتابةَ الحِمْيريّة المعْروفةَ بالمُسْنَد، قد اقْتصَرت على أَصْحاب الحُكْم والإدارة، لأنّ الدولة كانت تمْنعُ العامّةَ من تعلُّم هذه الكتابة، فكان لا يتعاطاها إلاّ مَنْ يُؤْذَنُ له في تَعلُّمها، فدخلت دولةُ الإسلام واليمن باليمن مَنْ يقرأُ بها أو يكتب، إلاّ منطقة اليمن الجنوبيّة وهي الشّحْر فإنّها ظلّت محافظةً على بقايا الحِمْيريّة حتّى في العهود الإسلاميّة(١).

ومن الأسباب الأُخرى التي أدّت إلى تَغلْغُل لغة أَهل الشّمال في اليمن وسيطرتها: خُضوعُ اليمن للفُرْس بعد الأَحباش، والفِتَنُ الداخليّة التي عانت منها اليمن، وهجرةُ بعض القبائل اليمانيّة إلى الشّمال، فصارت بلادُ اليمن تتأثّر بشمال الجزيرة العربيّة بعد أَنْ كانت تُؤَثّر فيه، إذْ كانت مصدرَ الحضارة ومُلْتقى تُجّار العرب. وقد أدّت تلك الأسبابُ كلّها إلى انْدِماج لهجات الجنوب في لهجات الشّمال، وبخاصّة بعد ظهور الإسلام الذي قضى على بقايا اللّهجات الجنوبيّة القديمة دون مُقاومة(٢).

ثمّ إنّ لهْجة قريش — التي صارت اللّغةَ الفصيحة فيما بعد — أَصْبحت لغةً أدبيّةً عامة ينْظم فيها شعراءُ العرب جميعاً شِعْرَهم، بدليل أنّ ما بين أَيْدينا من شعر جاهليّ يدلّ على أنّ القبائلَ العربيّة في شمال الجزيرة العربيّة اصْطلحت على لغة أدبيّة فصيحة، كان الشعراءُ على اخْتلاف قبائلهم ينْظمون فيها شعرهم، فالشاعر حين ينظم شِعْرَه، كان يرتفعُ عن لهجة قبيلته إلى هذه اللّغة الأدبيّة العامّة، ولذلك لم تتّضح الخصائصُ التي تميّزت بها لهجةُ كلّ قبيلة في شعر شُعرائها إلاّ قليلاً جدّاً. وربّما تدلّ سوقُ عكاظ التي كانت تُعْقد في مكة بعض الدّلالة على ذلك، فقد كانت سوقاً أدبيّة يُنْشِد فيها الشعراءُ قصائدَهم ويرتجلُ فيها الخُطباءُ خُطَبَهم، فضلاً عن كوْنها سوقاً تجاريّة، ولم يُرْوَ ذلك عن سوقٍ سواها (٣). ويدعمُ ذلك أنّ العربَ كانت تعْرِضُ على قُريش شعرها، فما قبلتْهُ منه كان مقبولاً، وما ردّتْه منه كان مردوداً (٤).

---

(١) حمْزة الأَصْفهانيّ: التّنْبيه على حُدوث التصْحيف ص: ٦٢—٦٣، وتاريخ اللّغات الساميّة ص: ١٦٨، وداود غطاشة: حركة الشّعر في اليمانيّين في الجاهليّة الأخيرة، رسالة دكتوراة، الجامعة الأُردنية، ص: ٣٧٤.

(٢) تاريخ اللغات السامية ص: ١٦٨، ٢٠٥، ٢١٥.

(٣) د. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهليّ ص: ١٣١، ١٣٤. وانظر: أحمد أمين: ضُحى الإسلام ٢: ٢٥٤.

(٤) الأغاني ٢١: ٢٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأصبح استعمالُ اللّغة العربيّة الفصيحة في زمن الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم أمراً شائعاً حتى بين قبائل اليمن الضاربة في تِهامة أو شواطئ البحر الأحمر، وفي الدّاخل في البُقْعة الواقعة بين نَجْران والجَوْف اليمنيّ (١).

ولم يُحدِّثنا رواةُ الأخبار والسّيرة النبويّة أنّ الوفودَ اليمانيّة التي وفدت على الرسول عليه السلام، كانت تَجِد صُعوبةً في التّفاهُم معه، أو أنّها لم تكن تعْرفُ اللّغةَ العربيّة الفصيحة، فاسْتخدمت اللّغةَ الجنوبيّة في خطابه، كما أنّ الدُّعاةَ الذين وجّههُم الرسول عليه السلام، ليعظوا أهلَ اليمن ويُعلّموهم الإسلام مثل مُعاذ ابن جَبَل وغيره، كانوا يتكلّمون العربيّةَ الفصيحة في دَعْوة قبائل اليمن مثل: خَثْعم ومُراد وبلْحارث الضّاربة في تُخوم اليمن، ولو أنّ أهل اليمن لم يكونوا يعرفون الفصيحةَ، لكان إرسالُ هؤلاء الدُّعاة عبثاً. ومعنى ذلك أنّ اللّغة العربيّة الفصيحة انتشرت بشكل واسع في قبائل العرب قُبيل الإسلام (٢).

ويتردّدُ أنّ بيئة بلاد الشام قبل الإسلام لم تكن بيئةً عربيّةً خالصة بل كانت موصولة أو كالموصولة ببيئات أجْنبيّة غريبة، وأنّ أكثر عرب الشام كانوا من اليمانيّة، وأنّ الذين تحوّلوا منهم إلى بلاد الشام، واسْتوطنوها قبل الإسلام غلبت عليهم نزعةُ الاستقرار فاستقرُّوا في حواضر قريبة من المدن الشاميّة الكبرى مثل دمشق وحمص وحلب وقِنّسْرين، واشتغلوا بالزراعة ورعْي الماشية، فتأثّرت لغتُهم بلهجة الطّوائف السُّرْيانيّة، بسبب مُجاورتهم لها واختلاطهم بها، فكان عرب الشام من لخْم وجُذام وقُضاعة وغسّان نصارى يتثقّفون باليونانيّة والسُّرْيانية فصار لسانُهم لساناً عربيّاً مشوباً بلكْنةٍ ورطانة آراميّة، ولهذا عرفوا عند المسلمين بمُسْتعْربة الشام، مع أنّهم من العرب العاربة وهم القحطانيّون وكان هؤلاء المُسْتعْربة يسكنون أطرافَ الإمْبراطوريّة البيزنطيّة وسيْف العراق من حدود نهر الفُرات إلى بادية الشام (٣).

---

(١) بلاشير: تاريخ الأدب العربيّ ص: ٣١.

(٢) نفسه ص: ٣١، ود. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربيّ العصر الجاهليّ ص: ١٣٤. وانظر: تاريخ اللّغات الساميّة ص: ٢٠٥.

(٣) الجواليقيّ: المُعرّب ص: ٢١٦، ود. طه حسين: من تاريخ الأدب العربيّ ١: ٤٧٢، ٤٧٣، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١: ٥٠٧، ٨: ٧٧٠، ٩: ٢٤٢، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٥. وانظر: أحمد أمين: فجر الإسلام ص: ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتردّد أيضاً أنّ اللّغةَ العربيّة الفصيحة لم تستطعْ أنْ تسودَ في غسّان لأنّهم كانوا أرقى ممّن حولهم من العرب، فأنِفوا أنْ يخْضعوا للسان غيرهم، فكانت لهم لغةٌ خاصّة بهم، تختلفُ عن اللّغة الفصيحة بعضَ الاختلاف، ولكنّهم مع ذلك كانوا يفهمون اللّغةَ المُضَريّة الفصيحة إذا حُدّثوا بها (١).

وفيما سَلفَ اختلافٌ كبير يتطلّب التمحيصَ والتنْقيح، فما يُقالُ من أنّ بيئةَ الشام قبل الإسلام لم تكن بيئةً عربيّةً خالصة، وأنّ أكثر العرب الذين هاجروا إليها واستوطنوها كانوا من القبائل اليمانيّة، هو أمرٌ ثابت.

وما يُفْترضُ من أنّهم استقرّوا بحواضر في أطْراف المُدن الشاميّة الكبيرة واحترفوا الزّراعةَ والرعْيَ ففيه نظر، لأنّ أقلّهم هم الذين سكنوا هذه الحواضر مثل: حاضر تنوخ وحاضِر طيّء، وكان أكثرُهم ينْتشرون في مشارف الشام والبلقاء وحَوْران والجابية، وامتدّت ديارُهم إلى بادية الشام في الشّمال والشّرْق (٢)، وكان هؤلاء بدواً يرتحلون بخيامهم وإبلهم وأنْعامهم من مكان إلى مكان في تلك الأنْحاء (٣).

وما يُظنّ من أنّهم تأثّروا الثقافةَ السّريانيّة واليونانيّة، وتنصّروا وتعلّموا اللّغةَ السّريانيّة، فذابت ثقافتُهم ولغتُهم العربيّة، ففيه تعْميم كثير، إذْ إنّ بعضَهم هم الذين اعتنقوا النّصْرانيّة وتعلّموا السّريانيّة وقرأوا بها في صلواتهم (٤)، وكان فيمن تنصّروا منهم من ظلّ يقرأُ بالعربيّة في صلواته ويستخدمُها في طُقوسه الدينيّة، ومن هؤلاء نصارى العرب في بُصْرى والمناطق المُجاورة لها (٥).

---

(١) فجر الإسلام ص: ٢٢، ٢٣، ٨٥.
(٢) مروج الذهب ٢: ٢٣٤، ومعجم ما استعجم ١: ٢٦، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٤٤٠. وانظر: الرّواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأمويّ ص: ٧٢.
(٣) د. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربيّ، العصر الجاهليّ ص: ٤٠.
(٤) الأزدي: فتوح الشام ص: ١٦٩. وانظر: المُزْهر ١: ٢١١.
(٥) بلاشير: تاريخ الأدب العربيّ ص: ٨٦–٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان بعضُ عرب الشام قبل الإسلام وثنيّين يعبدون الأصنام كصنم الأُقيْصِر، الذي كان بمشارف الشام، وكان صَنماً لقضاعة وعاملة ولخْم وجُذام وغيرهم من عرب الشام، وكانوا يحُجُّون إليه ويحْلِقون رؤوسهم عنده (١). وكان سائرُ عرب الشام الذين تنصّروا والذين ظلّوا على وثنيّتهم يعرفون اللّغةَ العربيّة ويتكلّمون بها (٢).

وما يُذْكر من أنّ بعضَ المؤرّخين والأخباريّين أطلقوا على عرب الشام في أثناء الفتح اسم العرب المُسْتعربة أو المُتنصّرة، لا يعني أنّهم ضعّفوا عروبتَهم أو نَفوهُم منها، بل يعني أنّهم قد ميّزوهم بهذا الاسم من العرب المسلمين، لأنّ بعضَ مُتنصّرتهم حاربوا المسلمين مع الروم في بداية فتوح الشام، ثمّ انفصلوا عنهم واعتنقوا الإسلام وقاتلوا مع المسلمين (٣). وهم يُسمّوْن في بعض الرّوايات عرب الضّاحية (٤) أيْ: عرب البادية الذين كانوا ينزلون أطْرافَ بلاد الشام (٥).

وأمّا ما يُزْعَمُ من أنّ الغساسنة كانت لهم لغةٌ خاصّة بهم، وأنّ اللّغة الفصيحة لم تستطعْ أنْ تسود في غسّان، فيحْتاجُ إلى أدلّةٍ تاريخية وأدبيّة، تكشفُ عن هذه اللّغة وتبيّنُها، وما دامت هذه الأدلّة غير مُتوفّرة، فإنّ فكرةَ وجود هذه اللّغة الغسّانيّة تبقى مُجرّد فرض إلى حين العُثور على نصوص تدلُّ عليها. وأمّا سيادة اللّغة الفصيحة في غسّان فأمر يكاد يكون ثابتاً، بدليل أنّهم كانوا يسْتمعون إلى الشعراء الناطقين بها، ويتذوّقون شعرهم، وينْقُدونه ويُجيزون الشعراءَ عليه، مما يدلُّ على مَعْرفتهم اللّغةَ العربيةَ الفصيحة وفهْمهم لها فهْماً تامّاً (٦).

والغالب أنّ علماءَ اللُّغة والنّحْو من رجال القرنيْن الأول والثّاني للهجرة أهْملوا لغةَ القبائل اليمانيّة الشاميّة وشعْرَها قبل الإسلام وبعده؛ لأنهم لم يكونوا يأْخذون شواهِدَهم عمّن تحضّر من العرب أو جاورَ العجم من الفُرْس والروم

---

(١) ابن الكلبيّ: كتاب الأصنام ص: ٤٨، ومعجم البلدان: الأُقيْصِر.
(٢) انظر: الأزديّ: فتوح الشام ص: ١٧٦، ٢١١.
(٣) نفسه ص: ١٦٩، ١١١، ١٣٠، والرّواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأمويّ ص: ٧٧.
(٤) تاريخ الرسل والملوك ٣: ٣٨٨.
(٥) لسان العرب: مادّة ضحا، والرّواية الأدبيّة في بلاد الشام في العصر الأمويّ ص: ٧٨.
(٦) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٨: ٦٤٧، وخطط الشام ٤: ١٤. وانظر: فجْر الإسلام ص: ٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقِبْط، ولا يحْتجُّون بلُغته في الغريب والإعْراب والتَّصْريف؛ بسبب ما يعْرض للغات الحاضرة وأَهل المدَر من اختلال وفساد وخَطَل، فلم يأْخذوا اللُّغةَ من جُذام ولا من لخْم، لأَنهم جاوروا أَهل مصر والقِبْط، ولم يأْخذوا من قُضاعة وإياد وغسّان، لمجاورتهم أَهلَ الشام[1]. بل أَخذوا اللُّغةَ من قبائل قيْس وتَميم وأَسد، ثمَّ من هُذَيْل وبعض كِنانة وبعض الطّائيّين، ولم يُؤْخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم[2].

وقبيلةُ طيِّء اليمانيَّة التي أَخذ العلماءُ عنها بعضَ اللُّغة، لم تكن ذاتَ صلة باللُّغة العربيَّة الجنوبيَّة، بل كانت تتَّخذُ الفصيحة لغةً لها، وإن عُدَّ نَسَبُها في الجنوب[3].

ويبدو أَنَّ علماءَ أَهل الشام قد شاركوا في جَمْع اللُّغة، ووضْع قواعد النَّحْو العربيّ مثلما شاركوا في علوم القراءات، والحديث والتاريخ والفِقْه، وبخاصَّة أَنَّ بادية الشام قريبةٌ منهم وفيها من الأَعراب الفُصحاء والعرب الخُلَّص الذين يمكن أَنْ تُدوَّن لغتُهم[4]، إلاّ أَن شُهرةَ العلماء العراقيِّين والتنافس الذي كان قائماً بينهم وبين علماء أَهل الشام غطّى على مُشاركة الشاميِّين في ذلك، فكانوا لا يُقيمون لعلماء الشام وزناً، ولا يُوثِّقون روايتهم إلاّ إذا كانت من ناحيتهم[5].

وهكذا يتبيَّن لنا أَنَّ القبائل اليمانيَّة الشاميَّة لم تكن يمانيَّةً ولا جنوبيَّة من الوِجْهة اللُّغويَّة، لأَنها تعرَّبت منذ العصر الجاهليّ واتَّخذت اللُّغةَ العربيَّة المُضَريَّة أَو الشّماليَّة العدْنانيّة لغةً لها، وأَنَّ علماءَ اللُّغة العراقيِّين وفُقهاءَهما قد منحوا هذه القبائل ثقةً ضئيلة، فلم يهتمُّوا بلغتها ولم يحْتجُّوا بشعرها، غيرَ مُلْتفتين إلى أَنَّ لغتها زادت بالإسلام رُسوخاً وانتشاراً، بحيث لم تلبثْ ستِّين أَو سبعين سنةً للفتح حتَّى عمَّ انتشارُها، ونُقِلت الدَّواوينُ في زمن عبد الملك بن

---

(١) ابن جنّي: الخصائص ٢: ٥، والمُزْهر ١: ٢١٢، والرِّواية الأَدبيَّة في بلاد الشام في العصر الأُمويّ ص: ٧٧. وانظر: الرافعيّ: تاريخ آداب العرب ١: ٢٥٥، ٣٤٢.

(٢) المزهر ١: ٢١١.

(٣) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٨: ٥٩٠.

(٤) ضُحى الإسلام ٢: ٣١٦–٣١٧.

(٥) الرّافعيّ: تاريخ آداب العرب ١: ٣٥٣. وانظر: الرِّواية الأَدبيَّة في بلاد الشام في العصر الأُمويّ ص: ٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مروان من اليونانيّة إلى العربيّة ، وبذّت اللّغةُ العربيّة الفصيحة اللّغةَ السّريانيّة وتغلّبت عليها ؛ بسبب غناها وسلاستها وضبْط قواعدها واحتياج الناس إليها (١) . وغيرُ مُلتفتين أيضاً إلى تميُّز بلاد الشام بالفصاحة ، حتى إنّ كُتّاب الدولة الأُمويّة استعملوا من الألفاظ العربيّة الفَحْلة والمتينة الجزْلة ، مالم تستعملْ مثله الدّولةُ العباسيّة ، لأنّهم قصدوا ما شاكل زمانهم الذي استفاضت فيه علومُ العرب ولغاتُها ، حتّى غدت في جملة الفضائل التي يُثابَرُ على اقتنائها (٢) . وإلى أنّ بعضَ القبائل اليمانيّة وُصِفت بالفصاحة مثل قبائل : جَرْم (٣) (من طيّ) وكلب (٤) وعُذْرة (٥) وبَجيْلة وأَزْد السّراة (٦).

وليس فيما وصل إلينا من شعر القبائل اليمانيّة الشاميّة في العصر الأُمويّ ما يدلُّ على ركاكة أو ضعْف في التّعْبير ، وإنّما فيه ما يدلُّ على تمكّن قائليه من اللّغة الفصيحة ، وقدْرتهم على مُحاكاة النّماذج الشّعريّة الجاهليّة لغةً وتعْبيراً (٧).

على أنّ علماءَ اللّغة العراقيّين لم يلْتفِتوا إلى ذلك كلّه ، وإنّما تحاموا لغةَ القبائل اليمانيّة الشاميّة ولغةَ غيرها من القبائل العربيّة التي كانت عُرْضةً للاختلاط بالأعاجم ، لأنّهم اعتبروها خارجَ محيط اللّغة الفصيحة الذي تواضعوا على تحْديده (٨).

---

(١) خطط الشام ١ : ٤١ ، ٤٧ . وانظر : فجر الإسلام ص : ١٣٠ ، ١٨٨ ، وضُحى الإسلام ٢ : ٢٤٨ .
(٢) نفسه ١ : ٤٢ . وانظر : ٤ : ١٢٣ .
(٣) المبرد : الكامل في اللّغة والأدب ٢ : ٧٦٥ .
(٤) المُخْتصر في أخبار البشر ١ : ١٩٢ .
(٥) أبو عُبيْد البكريّ : فصْل المقال في شرح كتاب الأمثال ص : ٢٥٣ .
(٦) العُمْدة ١ : ٨٨–٨٩ .
(٧) انظر : الفصل الثالث من هذه الدراسة .
(٨) بلاشير : تاريخ الأدب العربيّ ص : ٢٧٩ ، ٥٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : أَشرها في قول الشعـــــر

شاركت القبائل اليمانيّة في حركة الشّعر منذُ العصر الجاهليّ ، وأَسْهـم شعراؤُها في رَفْدِ ديوان الشعر العربيّ بشعرهم، فقد ظهر من بينها شُعـراءُ عِظام على رأسهم امرؤُ القيْس بن حُجْر الكِنْديّ . ووفد الشعراءُ من جزيرة العرب على ملوك الحِيْرة اللّخْميّين ، لإنشادهم شعرَهم في مَدْحهم، وكانت الوفودُ تَقْدم إليهم وتخطب أَمامهم، كما كان لهم ديوانُ شعر فيه أَشعارُ الفُحول من الشعراء ، وما مُدِح به النّعْمان بنُ المُنْذر وأَهل بيته (١).

وكان ملوكُ الغساسنة في بلاد الشام مقْصِدَ الشعراء ، إليهم يذهبون وعلى أَبوابهم يقفون للإنشاد ، فيستمعون إليهم ويُبارون بينهم، فصاروا بذلك هم وملـوك الحِيْرة في العراق قُدوةً لخلفاء الأُمويّين والعبّاسيّين في تبنّيهم للشّعر والشّعراء ، وفي ترْويج الشّعر وإعطائه قوةً وَصوْلةً إذ اتّصل بهم أَكثر شعراء العصر الجاهليّ ، وكانوا يتذوّقون الشعر ويميّزون جيّده من رديئه ، ويُظْهِرون عيوبَه أَمام الشعراء (٢).

ولكن يبدو أَنّ صلة ملوك الغساسنة بالشعراء كانت دونَ صلة ملوك الحِيْرة بهم، ولعلّ ذلك يرْجع إلى أَنّ حُكْمَ الغساسنة لم يتجاوز حدودَ بادية الشام، فلم يكن لهم اتّصالٌ بقبائل البادية البعيدة عن مناطق نُفوذهم، ولا بقبائل الحجـاز والبحْرين واليمامة ، ولذلك لم يصل إليهم إلاّ أَصحاب الحاجة من الشعراء الذيـن كانوا يطوفون البلاد ، وإلاّ الشعراء الذين غَضِب ملوكُ الحِيْرة عليهم، أَو لم ينالـوا منهم ما طلبوا فينْصرفون عنهم إلى ملوك غسّان نِكايةً بهم، وإلاّ الشعراء الذين أَغار قومهم على الغساسنة فوقع نَفرٌ منهم في أَسْرهم، فمدحوا الغساسنة ليفكّوهـــم (٣).

وبدافع من العصبيّة القبليّة فقد تنازعت القبائل العدنانيّة واليمانيّة الشّعرَ في الجاهلية ، فادّعت العدْنانيّة أَنّ شعراء الجاهلية كانوا في قبيلة ربيْعة ، وأَوّلهم مُهلْهِلُ بنُ ربيعة التّغْلبيّ ، والمُرقّشان (المُرقّشُ الأَكبر والمُرقّشُ الأَصغـــــر)

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١ : ٢٥ .

(٢) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٨ : ٦٤٧–٦٤٨ . وانظر : فجـر الإسلام ص : ٢٠ .

(٣) نفسه ٩ : ٤٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغيرهم، ثمّ صار الشّعر في قبيلة قيْس، فمنها : النّابغةُ الذّبيانيّ وزُهَيْر بن أبي سُلْمى وغيرهما، ثمّ آل إلى قبيلة تميم فلم يزل فيها (١).

وقومٌ يرَوْنَ تقدِمةَ الشعر لليمن : في الجاهليّة بامرئ القيْس الكِنديّ، وفي الإسلام بحسّان بن ثابت الأنْصاريّ، وفي المُوَلّدين بأبي نُواس وأصحابه مُسْلم بن الوليد وأبي الشّيْص ودِعْبِل بن عليّ الخُزاعيّ، وكلّهم من اليمن. وفي الطبقة التي تليْهم بالطائيّيْن أبي تمّام والبُحْتُريّ، ويختمون الشعر بأبي الطيّب المُتنبّي فيقولون : بُدِئ الشعر بكِنْدة ـ يعْنون امرأ القيْس ـ وخُتِم بكِنْدة ـ يعْنون أبا الطيّب ـ وقال آخرون : إنّ الشعر رجع إلى ربيعة فخُتِم بها كما بُدِئ بها. وأشعرُ أهل المَدَر بإجماع من الناس واتّفاق حسّانُ بن ثابت الأنْصاريّ (٢).

وجعلت كلّ قبيلة أوليّةَ الشعر لشاعرها، فادّعتْها اليمانيّة لامرئ القيْس الكنديّ، وادّعتْها بنو أسَد لشاعرها عَبيد بن الأبْرص، وادّعتْها تَغْلِب لمُهَلْهِل ابن ربيعة التّغْلِبيّ (٣).

وحظي الشعراءُ في القبيلة اليمانيّة بمكانة مرْموقةٍ، لأنّهم هم الذين ينْصُرونها وينْشُرون مفاخِرها، ويُدافعون عن حقّها، إذا ما تعرّض لها شعراءُ القبائل الأُخرى، حتى إنّ قبيلة هَمْدان كانت لا تُزوّج رجلاً من غير أبْنائها، إلاّ أنْ يكون شاعراً أو عالماً بعيون الماء (٤).

وكان يمانيةُ الشام من الغساسنة والتّنوخيّين وغيرهم يُفاخرون بالشعر، وإذا نشأ فيهم شاعر رفعوا من شأنه واعتمدوا على قريحته في الشّدائد. وكان جَبَلةُ بنُ الأيْهم الغسّانيّ شاعراً مُجيداً يعْجَب بالشعر ويُجيز عليه، وهو أحد ممدوحي حسّان بن ثابت الأنصاريّ، ومن أهل بيته فُصحاء لا يُستهان بهم (٥).

وظهرت في قبائل اليمن أُسَرٌ أنْجبت عدداً لا بأْس به من الشعراء الجاهليّين والإسلاميّين منها : أُسْرة الشاعر زُهيْر بن جَناب الكلْبيّ التي ظهر فيها شعراء

---

(١) المُزْهر ٢ : ٤٧٦–٤٧٧.
(٢) العُمْدة ١ : ٨٩. وانظر : ١ : ٩٤. وانظر أيضاً : الأصْمعي : فُحولة الشعراء ص ٣٥، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٩ : ٤٢٤.
(٣) المزهر ٢ : ٤٧٧.
(٤) المفضّل بن سَلمة : الفاخر ص : ١٤٦.
(٥) خطط الشام ٤ : ١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كثيرون منهم : مُصادُ بنُ أَسْعد بن جُنادة بن صِبْهان بن امرئ القيس بن زُهَيْر بن جَناب، وحُرَيْثُ بنُ عامر بن الحارث بن امرئ القيس بن زُهَيْر، والحَزْنَبَلُ بنُ سلامة بن أبي جابر بن زُهير، وعَرْفَجةُ بنُ جُنادة بن أُبَيّ بن النُّعمان بن زهير، والمُسَيَّبُ بنُ رِفْل بن حارثة بن جناب بن قيس بن امرئ القيس بن أبي جابر بن زُهَيْر. وذكر أبو الفرج الأَصْفهانيّ أنَّ من ولد زُهَيْر بن جَناب شعراءَ كثيرين، وأنَّ الذين سمَّيناهم هم الشعراءُ الفُحول من ولده (١).

ومنها : أُسْرةُ النُّعْمان بن بشير بن سَعْد الخَزْرجيّ الأَنصاريّ، وهي أُسْرة مُعْرِقة في الشعر سلفاً وخلفاً، فجدُّ النُّعْمان بن بشير شاعر، وأبو النُّعْمان، وعمُّه شاعران، وهو شاعر، وأولادُه وأولادُ أولادِه شعراء (٢).

ومن هذه الأُسر أيضاً : أُسْرةُ عَبْد يَغوث الحارثيّ (٣) وأُسْرة زيد الخَيْل الطائيّ (٤)، وأُسْرة كَعْب بن مالك الخَزْرجيّ (٥)، وأُسْرة حسّان بن ثابت الأَنصاري (٦). ويدلُّ وجود هذه الأُسَر اليمانيَّة المعْروفة بالشعر في الجاهليَّة والإسلام على عراقة الشعر في القبائل اليمانيَّة كعراقته في القبائل العَدْنانيَّة من مُضَريَّة وربَعيَّة.

وذكر الآمديّ في كتابه "المُؤْتلف والمُخْتلف" أسماءَ عددٍ كبير من شعراء اليمانيَّة بلغ نحواً من مائة وخمسين شاعراً، وأشار إلى شعر كثير للقبائل اليمانيَّة جُمِع في كتب أو مجموعات شعريَّة، فقد ذكر أشعار كلب وأشعار الأَزد (٧)، وأشعار بني القَيْن بن جَسْر (٨)، وأشعار طيّء (٩)، وأشعار حِمْير (١٠)، وأشعار تنوخ (١١)،

---

(١) الأغاني ١٨ : ٣١١—٣١٣.
(٢) نفسه ١٦ : ١٤. وانظر : د. يَحْيى الجبوريّ : شعر النُّعْمان بن بشير الأنصاريّ ص : ١٦.
(٣) نفسه ١٦ : ٢٥٤.
(٤) نفسه ١٧ : ١٧٢—١٧٣.
(٥) نفسه ١٦ : ١٦٤.
(٦) معجم الشُّعراء ص : ٢٦٩. وانظر : الرِّواية الأَدبيَّة في بلاد الشام في العصر الأمويّ ص : ٨٠—٨٣.
(٧) ص : ٢٤.
(٨) ص : ٢٦.
(٩) ص : ٤٨.
(١٠) ص : ٩.
(١١) ص : ٢٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكتاب خُزاعة (١) ، وكتاب بَجيْلة (٢) ، وكتاب عُذْرة (٣) ، وكتاب جُهَيْنة (٤) ، وكتاب نَهْد (٥) ، وكتاب السَّكون (٦) ، وكتاب بَلِيّ (٧) ، وكتاب خَثْعَم (٨) ، وكتاب جَرْم (٩) ، وكتاب الأَوْس والخزْرَج (١٠) ، وكتاب بني جُعْفيّ من مَذْحِج (١١) . ولم ينسب الآمديّ شيئاً منها إلى جامع أو صانع من الرُّواة .

وكُتُب القبائل هذه : مجموعاتٌ شعريّة تضمّ قصائدَ كاملة ومقطّعات وأبيات لشعراء كلّ قبيلة أو لبعضهم ، وقد تضمّ أكثر شعر هؤلاء الشعراء ، بل ربّما ضمّت ديواناً كاملاً لشاعر منهم . وفيها أيضاً أخبارٌ وقصص ونسب وأحاديث تتّصل بالشعراء أو بأفراد من قبائلهم ، وما يُوضّحُ مناسبات القصائد ، ويفسّر بعضَ أبياتها (١٢).

وسمّى ابنُ النّديم في "الفِهْرِسْت" (١٣) عدداً من دواوين القبائل اليمانيّة التي عَمِلها أبو سعيد السُّكّريّ وهي : أشعار طيّء ، وأشعار بَجيْلة ، وأشعار بني القَيْن ، وأشعار الأزْد .

وأشعار البغداديّ في "خزانة الأدب" (١٤) إلى ديواني الأزد وكلْب وذكر أنّه اطّلع عليهما . إلاّ أنّ يد الدهر لم تُبْقِ من دواوين القبائل اليمانيّة شيئاً فكلّها ضاعت (١٥).

---

(١) ص : ٦٥ .
(٢) ص : ٧٧ .
(٣) ص : ٨٦ .
(٤) ص : ١٢٣ .
(٥) ص : ١٩١ .
(٦) ص : ٢٥٣ .
(٧) ص : ٢٧٧ .
(٨) ص : ١٩٢ .
(٩) ص : ٣٠٢ .
(١٠) ص : ٥٩ .
(١١) ص : ٢٠٩ .
(١٢) مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخيّة ص : ٥٥٤ .
(١٣) ص : ١٨٠ . وانظر : مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخيّة ص: ٥٤٨ .
(١٤) ٢ : ٢٤٠ .
(١٥) مصادر الشعر الجاهليّ وقيمتها التاريخيّة ص : ٥٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجمع داود غطاشة شعر ستّ وأربعين قبيلة يمانيّة جاهليّة بلغ عددُ شُعرائها الذين وصل إلينا شعرهم أربعمائة وتسعة وثلاثين شاعراً ، وذكر أنّ قبيلة طيّء تأتي في مُقدّمة هذه القبائل من حيثُ عددُ الأبيات الشّعرية (١).

ويدلّ ذلك على احْتِفال القبائل اليمانيّة بالشعر والشعراء. ومُشاركتها فيه مشاركةً كبيرة ، ولذلك فَخَر أبو تمّام الشاعر باليمن وعدّهم يُنْبوع الشعر فقال : أبى الله إلاّ أنْ يكون الشعر يمنيّاً (٢).

ومع ذلك فإنّ المصادر التاريخيّة والأدبيّة المُتوفّرة لا تحتفظ لقبائل اليمن الشاميّة قبل الإسلام بشعر كثير ، وربّما كان السببُ في ذلك أنّ شِعْرَها لم يَصِل إلى رُواة الشعر في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، أو أنّهم أعرضوا عن روايته ؛ لأنّه لم يكن لعرب الشام في الجاهليّة سُلطانٌ واسعٌ على قبائل الجزيرة العربية ، بل كان لهم سلطانٌ محدودٌ على قبائل نَجْد ، ولأنه لم تَنْعقد بينهم وبينها مودّةٌ دائمة ، إذْ كان الغساسنة عُمّالاً للروم ، يحرسون حُدودَهم الجنوبيّة ، ويشْتبكون مع القبائل النّجْديّة في حُروب دامية (٣).

ويرى بعضُ الباحثين (٤) أنّ أخبار فتوح الشام لم تَذْكر شيئاً من شعر القبائل اليمانيّة الشامية التي حاربت المسلمين مع الروم ، أو التي كانت تُحارب الرومَ مع المسلمين ، وأنّ الشعر الذي قيل في هذه الفتوح قليلٌ جدّاً ولا يُعطي صورةً كاملة عن حوادث الفتْح ، وعن بلاء المُحاربين ومشاعرهم وأحاسيسهم. والحقّ أنّ في بعض المصادر والمظانّ المختلفة المُتاحة شعراً كثيراً مما قيل في فتوح

---

(١) حركة الشعر في اليمانيّين في الجاهلية الأخيرة ، رسالة دكتوراة ، ص : ٢٣٥.

(٢) الآمديّ : الموازنة بين شعر أبي تمّام والبُحْتريّ ١ : ١١.

(٣) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٩ : ٤٢٨ ، ود. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربيّ العصر الجاهليّ ص : ٤٢ ، والرّواية الأدبيّة في بلاد الشام في العصر الأمويّ ص : ٧٧.

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٩ : ٤٢٨ ، والنّعْمان القاضي : شعر الفتوح الإسلاميّة في صدر الإسلام ص : ١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشام، وهو لا يقلّ عن الشعر الذي قيل في فتوح العراق (١).

ونَجدُ لقبائل اليمن الشاميّة في صدر الإسلام قصائدَ وأرجازاً نظمها الشعراء والرّجاز اليمانيّون في معركة صِفّين، وهي تكشفُ عن بلاء قبائلهم في تلك المعركة، وعن تأييدها لمُعاوية بن أبي سفيان ووقوفِها إلى جانبه (٢).

ولاحظَ بعضُ العُلماء (٣) أنّ حجْمَ الشعر في بيئة بلاد الشام في العصر الأُمويّ يقلّ كثيراً عن حَجْم الشعر في غيرها من البيئات العربيّة المُجاورة لها، وأرْجعوا سببَ ضعْف الشّعر في هذه البيئة إلى أنّ سُكّانها كانوا من القبائل اليمانيّة، وهي عندهم لا تُضارعُ القبائلَ العدنانيّةَ في الفصاحة والشاعريّة منذُ العصر الجاهليّ. وكان المُستشرقُ الإيطاليّ كارلو نالينو أوّلَ من أشاع هذا التفْسير في قوله: "إنّ جميعَ ما نَعْرفُه من شعر الجاهليّة، إنّما هو لأهل نَجْد والحجاز والبَحْرين أو لمَنْ سكن في هذه الأنْحاء، وأنّ أصله من قبائل اليمن. أما أهل الحَضَر من سُكّان اليمن ومهْرة وحَضْرَموت وعُمان فلا يُعْرف لهم أبيات صحيحة الرّواية لا بالعربية ولا بالحِمْيريّة" (٤)

وقد تبنّى هذا الرأيَ بعضُ الباحثين العرب، فطوّروه ووسّعوه، ومنهم الدكتور طه حُسَيْن في كتابه "من تاريخ الأدب العربيّ، العصر الجاهليّ والعصر الإسلامي"، والدكتور شوْقي ضَيْف في كتابيه "تاريخ الأدب العربيّ، العصر الاسلاميّ" و"التطوّر والتجْديد في الشعر الأُمويّ". وفَحْوى هذا الرأي كما بَسطه الدكتور طه حُسَيْن هو: أنّ الشّعْر في العصر الأُمويّ كان مُتوارياً في بلاد الشام، إذْ لا يكاد يُوجَد فيها شاعرٌ أو شاعِران، والشّعر الذي وُجِد أو سُمِع في الشام في العصر الأُمويّ، إنما هو شعرٌ يُحْملُ إليها من بيئات أُخرى (٥).

---

(١) انظر مثلاً: الواقديّ: فتوح الشام ١: ٤٤، ١٢٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٥، ٢٨٥، ٢: ١٣، والأزْديّ: فتوح الشام ص: ٥١، ٩٥، ١٠٥، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٢، ١٩٣، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٨، ومحمّد بن حبيب: المُنمّق في أخبار قريش ص: ٢٢، ٥١٩، ٥٢٢، وتهْذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١: ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٥، ٣: ٤٣٧، ٥: ١١٢، ٣٠٩، ٧: ٣٥، ومُعْجم البُلدان، أجْنادين، ومرْج الصُّفّر.

(٢) انظر: وقْعة صِفّين ص: ٢٠٦، ٣٥٧، ٣٧٥، ٤٠٠، ٤٥٣.

(٣) انظر: بلاشير: تاريخ الأدب العربيّ ص: ٥٤٨.

(٤) تاريخ الآداب العربيّة من الجاهلية حتى عصر بني أُميّة ص: ٦٩.

(٥) من تاريخ الأدب العربيّ، العصر الجاهليّ والعصر الإسلاميّ ١: ٤٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعزو الدكتور طه حُسَيْن ذلك لسببَيْن هما : الإقليمُ والنَّسَب. فأمّا الإقليم فيقولُ فيه : إذا نظرْنا إلى البلاد الإسلاميّة في العصر الإسلاميّ، فإنّنا نجد أنّ الشعر كان موجوداً ومزْدهراً في بعض الأقاليم، ولكنّه لا يكادُ يُوجَدُ في أقاليم أُخرى. وهو مزْدهرٌ في الحجاز وفي العراق بادِيَته وحاضِرته، وأمّا في بلاد الشام، فلا تكادُ نَعْرفُ شاعراً يُعدُّ في طبقات الشُّعراء المعْروفين؛ لأنها كانت موصولةً ببيئات أجْنبيّة غريبة، ومقطوعة أو كالمقطوعة عن عرب شمال الجزيرة العربيّة إلاّ ما كان من عَدِيّ بن الرِّقاع العامِليّ شاعر الوليد بن عبد الملك، فهو شاميّ المولد والنشْأة، ولكنّه من قُضاعة، وهي لا تَعْرفُ لنفْسِها نسَباً، فهي عدْنانيّة مرّةً وقحْطانية مرّة أُخرى (١).

ويقول أيضاً : إنّ بيئة بلاد العرب الشّماليّة هي البيئة التي لازمت نشْأة الشعر ونموّه وتطوّره، وإنّ القبائل اليمانيّة إذا ظَهر فيها شعر، فإنّما يظهرُ في فُروعها التي سكنت الشمال. وكلّما كان الاختلاطُ بينها وبين العدْنانيّة كلّما كان الشعر قويّاً فيها. ويُدللُ على ذلك بقوله : "إنّ بيئةَ المدينة نشط فيها الشعر؛ لأنّ سُكّانها اليمنيّين اختلطوا بالعدْنانيّين اختلاطاً شديداً، في حين أنّ بيئةَ الشام التي استوْطَنها اليمانيّون كذلك لم يظْهر فيها شعراء بارزون، لأنّهم لم يختلطوا بالعدْنانيّة بل اتّصلوا ببيئات أجْنبية غريبة، فتوارى فيها الشعر. ويُؤيّد هذا أنّ قبيلة الأزْد مثلاً اسْتقرّ بعضُها في موطن عربيّ خالص فنشأ فيها الشعر، واستقرّ بعضُها في موطن بعيد فلم يَنْشأ عندها شعر (٢).

وأمّا النَّسَب فيقول فيه (٣) إنّ خُلاصةَ ما أذْهبُ إليه في عامل النَّسَب هي أنّ العربَ ينْقسِمون في الأصْل إلى شَعْبيْن عظيمين هُما : العدْنانيّة والقحْطانيّة، وأنّ الشعر العربيّ كان عدْنانياً مُضَريّاً ولم يكن قحْطانيّاً يمنياً، وأنّه لم يزْدهر في العصر الإسلاميّ إلاّ حيث اسْتطاعت القبائلُ المُضَريّة أنْ تسودَ، أو حيث اسْتطاعت القبائلُ والمجْموعات الأُخرى أنْ تتّصل بالقبائل المُضَريّة وأنْ تتأثّر بها. وقد يقول قائل : إنّ امرأ القيْس وحسانَ بنَ ثابت قحْطانيّا النَّسب، فنقول : إنّ

---

(١) من تاريخ الأدب العربيّ، العصر الجاهليّ والعصر الإسلاميّ ١ : ٤٦٩، ٤٧٣.

(٢) نفسه ١ : ٤٧٢، ٤٧٣.

(٣) نفسه ١ : ٤٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هؤلاء الذين يُروى لهم الشِّعر قحْطانيّون في النَّسب عدْنانيّون في الموطن، لأنّهم استقرّوا في البلاد العدْنانيّة المُضَريّة التي قيل فيها الشعر، أو أنّهم تأثّروا بالنشأة التي أثّرت أيضاً على العدْنانيّين. فامرؤ القيْس نشأ في البلاد المُضَريّة وعاش فيها، وحسّان بن ثابت من الأنْصار الذين هاجروا من الجنوب إلى الشمال، فتأثّروا بالعدْنانيّة ونطقوا بلُغتها، فأصْبحوا عدْنانيّي النشأة والحياة.

ولكي يُدلّل على صحّة رأْيه هذا قال: إنّ الكَثْرة المُطْلقة من عرب البصْرة في باديتها وحاضِرتها كانت من عرب الشمال، فنشأ فيهم الشعر، وكَثُر فيهم الشُّعراء مثل: الفرزْدَق وجَرير وذي الرمّة. بينما كانت الكَثْرة المُطْلقة من عرب الكُوفة من اليمانيّة، فلم يفْشُ فيهم الشعر في العصر الإسلاميّ[1].

وقال أيضاً: إنّ الشُّعراء النابهين في العراق بعد الفتح الإسلاميّ هم من عرب الشّمال من المُضَريّة، ولا نكادُ نَجِدُ شاعراً ينْتسبُ إلى القحْطانيّة، ومع وُجود عددٍ من القبائل اليمانيّة في العراق واتّصالها بالعدْنانيّة إلاّ أنّها لم تتعلّم منها الشعر إلاّ في عصرٍ متأخّرٍ جدّاً[2].

ووافق الدكتور شوْقي ضيْف رأْيَ الدكتور طه حُسَيْن فقال: إنّ الشام لم تعْرِف الشعر في العصر الأُمويّ إلاّ طارئاً "إمّا على لسان هؤلاء الشعراء الوافدين الذين كانوا يمدحونَ الخُلفاء في دمشق، وإمّا تحت تأْثير ظُروف طارئة كهذه الحروب التي شبّت نارها بين القيْسيّة واليمنيّة منْذ فِتْنة ابن الزُّبيْر، أو على لسان هذه الأُسْرة القُرشيّة المُضَريّة من بني أُميّة. وهذا كلّه واضحُ الدّلالة على أنّ بيئة الشام كانت مُتخلّفةً في هذا العصر من حيث الشعر عن بيئة العراق وبيئة الحجاز، ومع ذلك فهناك بيئات إسلاميّة كانت أكثر تخلّفاً"[3].

وكان أكثر العرب الذين سكنوا الشام قديماً من القحْطانيّة، فأثّر ذلك على هذه البيئة من حيث شاعريّتُها، فإنّ من يسْتعرضُ نصوصَ العصر الأُمويّ لا يكاد

---

(١) من تاريخ الأدب العربيّ، العصر الجاهليّ والعصر الإسلاميّ ١: ٤٧٣.

(٢) نفسه ١: ٤٧٢.

(٣) التطوّر والتجْديد في الشعر الأُمويّ ص: ٤٧–٤٩. وانظر: تاريخ الأدب العربيّ العصر الإسلاميّ ص: ١٦٥، ١٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يَجِدُ لبلاد الشام نشاطاً شعريّاً يُذْكر . وأَغلبُ الظّن أَنّ ذلك يَرْجع إلى أَنّ سكانَ تلك البلاد كانوا من اليمنيّين الذين اصْطَنَعوا العَرَبيّة الشماليّة اصطناعاً فلم تُوَهّلْهم لقول الشعر، ولذلك لا نَجِدُ لهم شعراءَ معْدودين في العصر الأُمويّ سوى عَدِيّ بن الرّقاع العامليّ . وثمّة فرقٌ بَعيد بين نشاط الشعر في الشّام وبين نشاطه في العراق، ففي العراق نستطيع أَنْ نعُدّد أَسماء شعراء ممتازين بالعَشَرات، وأَمّا في بلاد الشام فلا يكاد يَظْهرُ على المسْرح شاعر مُمتاز سوى عَدِيّ بن الرّقاع، وهو مع ذلك لا يُعَدُّ شيْئاً إذا ما قيسَ بفُحول شعراء العراق من مثل : الفرزْدَق والأَخْطل وجَرير وذي الرُّمة (١).

وَيَسْتعْرضُ الدكتور شوْقي ضَيْف البيئات الأُخرى التي سكَنَها اليمانيّة فيقول : إنّ بيئة اليمن لا يُوجد فيها شعر أَوْ نثْر في العصر الأُمويّ، لسبب بسيط هو أَنّ أَهلَها لم يُسْهِموا في الشعر الأُمويّ، كما لم يُسْهِموا في الشعر الجاهليّ من قَبْل، ومن هُنا تخلّفت بيئةُ اليمن شعريّاً في العصر الأُمويّ، إلاّ مَنْ هاجر من اليمنيّين إلى الشمال واستخدَم اللّغة الشّماليّة في التّعْبير وانْفَصل عن بيئته الأُولى (٢) . ويقول : إنّ بيئةَ مصر كان نشاطُها الشعريّ محْدوداً، لأَنّ أَكْثرَ مَنْ هاجر إليها كان من اليمانيّة، والشعر الذي عرفتْهُ مصر في العصر الأُمويّ هو شعرٌ وافد (٣) . وكذلك كان الحال في بيئتي المغْرب والأَنْدلس (٤) . ونشط الشعر في خُراسان نشاطاً عظيماً "إذْ كانت الكَثْرة من العَرب هناك مُضَريّة، وحَيْثُما وجدْتَ المُضَريّين وجَدْتَ الشعر" (٥).

والحقُّ أَنّ للقبائل اليمانيّة الشاميّة في العصر الأُمويّ شعراً يتناول معظم الأَغراض الشّعريّة التي يَنْظم فيها الشعراء شعرَهم (٦)، وإنْ كان لا يُقاسُ حجْماً بما

---

(١) التطوّر والتجْديد في الشعر الأُمويّ ص : ٤٧ . وانظر: تاريخ الأَدب العربيّ، العصر الإسلاميّ ص: ١٦٥.

(٢) نفسه، ص : ٥٠. وانظر : تاريخ الأَدب العربيّ، العصر الإسلاميّ ص: ١٦٨.

(٣) نفسه، ص: ٥١.

(٤) نفسه ص: ٥٢، ٥٣. وانظر : تاريخ الأَدب العربيّ، العصر الإسلاميّ ص: ١٦٧.

(٥) تاريخ الأَدب العربيّ، العصر الإسلاميّ ص : ١٦٤.

(٦) انظر : الفصل الثالث من هذه الدراسة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصل إلينا من شعر القبائل المُضريّة . ويبدو أنّ الأسباب التي استند إليها الباحثون في تعليلهم لأسباب قلّة شِعْر تلك القبائل بحاجة إلى مُراجعة ، لأنّ مسألة النَّسب ليست سبباً حاسماً في قِلّة الشعر أو كثرته ، فالشعر لا يتبع النَّسب ولا يختصّ باللّون . يقول ابن قُتيبة : " ولم يقْصُر الله العلمَ والشعرَ والبلاغةَ على زَمن دون زَمن ، ولا خصّ به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مُشتركاً مقسوماً بين عباده في كلّ دهر "(١) فالشعر موهبة إنسانيّة عامّة ، لا تختصّ بقوم دون قوم ، ولا بأُمة دون أُخرى ، وهي على هذه السجيّة بين العرب ، لم تختصّ بقبيلة رَبيْعة فنقول : إنّ الشعر بدأ بها ، ولا بمُضَر ولا باليمن ، وإنّما الشعر تَعْبيرٌ عن العواطف التي تُخالج النَّفْس ، وهو نِتاجُ قرائح الموْهوبين وأصحاب الحِسّ الشاعريّ من الأُمم والقبائل كلّها . ويُمكنُ لكلّ إنْسان لديه حِسّ مُرْهَف واستعداد طبيعيّ وذوْق موسيقيّ أنْ يكون شاعراً ، من أيّ حيّ كان . ولهذا نَجِدُ أنّ الشعراءَ ينْتمون إلى قبائل مُتعدّدة . وإذا تقدّمت قبيلة على أُخرى في عدد الشعراء ، فليس مَردّ ذلك إلى أنّ تلك القبيلة ذاتُ حِسّ مُرْهف واسْتِعْداد فِطْريّ لقول الشعر ، وأنّ بقيّة القبائل غبيّة بليدةُ الحسّ والعاطفة . فقد تكون ثمّة أسباب أُخرى نَجْهلُها ، كأنْ تكون منازلُها مُنْعزلة بعيدة لم يتّصلْ بها الرُّواة ، أو أنّها قبائل صغيرة انحصَر شِعْرُها في حُدودِها فَخمل ذِكْرُهُ ، ولم ينْتشِرْ بين القبائل خَبَرُه . وإذا نَظرْنا إلى الشعر الجاهليّ الذي وصل إلينا نَجِدُه شعرَ قبائل كبيرة لها نفوذٌ مثل قبائل : بَكْر وكِنْدة وتَميم وتَغْلِب(٢).

وربّما لم تكن الأنْساب حاصلَ نَسَب بالمعنى المفْهوم من لفظة نَسَب ، أي الانْحِدار من والدَيْن ، وإنما هي حاصل تكتّلات سياسيّة وتجمّعات قَبليّة (٣).

ثمّ إنّه لو صحّ أنّ كَثْرةَ الشعر وقلّته ترْتبطُ بالدم والأصل ، وأنّ نَسَب اليمانيّة هو السبب فيما يُزْعَم من ضآلة الشعر فيهم ، لوجبَ أنْ ينْطبقَ هذا القول على اليمانيّة في جميع العُصور الأدبيّة ، ولكنّ تاريخَ الشعر العربيّ يَنْقُضُ هذا القول ويُفْسِدُه ، إذْ يُبيّن أنّ الشعرَ مُتّصل في اليمانيّة عريقٌ فيهم ، وأنّه ظهر من

---

(١) الشعر والشعراء ص : ١٩ .
(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٩ : ٤٢٥–٤٢٦ .
(٣) نفسه ٩ : ٤٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينهم شعراءُ كثيرون ، ويؤكّد أنّ شعراءَ اليمانيّة يُمثّلون رُبْعَ شعراءِ العربيّة من العصر الجاهليّ إلى العُصور العباسيّة المُتأخّرة ، وأسماء هؤلاء الشعراء وأشعارهم مبثوثة في كُتب تراجم الشعراء ، وفي كتب الأدب والنّقد ، وكُتب المختارات والحماسات إلى غير ذلك من دواوين الشّعراء اليمانيّين في هذه العصور الأدبيّة (١).

ولو صحّ ذلك أيضاً لما ظهر شعراءُ يمانيّون في البيئات العربيّة الأُخرى مثل بيئة الكوفة التي أنجبت عدداً من الشّعراء اليمانيّين في العصر الأُمويّ منهم: عبْدُالله بن خليفة الطّائيّ (٢) ، وعُبيْدُالله بن الحُرّ الجُعْفيّ (٣) ، وعبْدُالله بن عوف بن أحْمر الأزْديّ (٤) ، وأعْشى هَمْدان (٥) . وبيئةُ خُراسان التي ظهر فيها : الشاعرُ المدّاح كَعْبُ بنُ مَعْدان الأشْقريّ الأزْديّ (٦) ، والشاعرُ الهجّاء ثابتُ قُطْنة الأزْديّ (٧) . إلى غير هؤلاء من شعراء اليمانية الذين ظهروا في البيئات العربيّة الأُخرى . وعلى ذلك فإنّ عاملَ النّسَب سببٌ لا نستطيعُ الرّكونَ إليه في تعْليل قِلّة شعر القبائل اليمانيّة في العَصْرين الجاهليّ والإسلاميّ .

وأمّا بالنّسبة إلى البيئة أو الإقْليم ، فقد أسْلَفْنا أنّ بيئةَ الشام لم تكن قبل الإسلام بيئةً عربيةً خالصةً ، إلاّ أنّ القبائل اليمانية فيها استطاعت أنْ تُحافظَ على لُغتِها العربيّة التي تغلّبت على السّريانيّة بعد الإسلام وانتشرت بين تلك القبائل انتشاراً واسعاً (٨) . هذا ولم تكن بلاد الشام بعد الإسلام خالصةً لليمانيّة ، فقد شَهِد فتْحَها معهم وشاركهم في نُزولها كثيرٌ من القُرشيّة والقيْسيّة (٩).

---

(١) الرّواية الأدبيّة في بلاد الشام في العصر الأُمويّ ص : ٨٤–٨٥ .
(٢) د . يوسف خُليف : حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة ص : ٣٦٣ .
(٣) نفسه ص : ٣٧٥–٣٧٦ .
(٤) نفسه ص : ٣٨٠ .
(٥) نفسه : ص ٤٠٠ ، ٤٠٦ .
(٦) د . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربيّ ، العصر الإسلاميّ ص : ١٦٤ ، ٢٢٦ ، ود . حسين عطوان : الشعر العربي بخُراسان في العصر الأمويّ ص : ٢٦١ .
(٧) الشعر العربي بخُراسان في العصر الأمويّ ص : ٢٣٧ .
(٨) العرب في الشام قبل الإسلام ص : ٢٨ ، ٨٤ .
(٩) الواقديّ : فتوح الشام ١ : ١٥ ، والأزديّ : فتوح الشام ص : ١٦ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٢١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما يُقال من أنَّ الشعر نشأ في المُضَريَّة، وأنَّ بيئة بلاد العرب الشماليَّة هي التي لازمت نشأةَ الشعر ونُموَّه وتطوُّره، وأنَّ لُغته كانت شماليَّة عدْنانيَّة ففيه بعضُ التلْبيس، لأنَّ نشأة الشعر خفيَّة غامضة، وبدايته مجْهولة ضائعة، ادَّعتْها الربَعيَّة والمُضَريَّة، مثلما ادَّعتْها اليمانيَّة (١).

ويتَّسِمُ شعرُ القبائل اليمانيَّة الشاميَّة في العصر الأُمويّ بالقوَّة والفصاحة، بدليل أنَّه راقَ أصحابَ الحماسات والمُخْتارات الشعريَّة فنقلوه. كما أنَّ شهادةَ الدكتور طه حُسيْن بتميُّز شاعريَّة عديّ بن الرِّقاع دليل آخر على مقْدِرة بعض شعراء تلك القبائل على النَّظْم في مُختلف الأغراض الشعريَّة (٢). وأمَّا ما ذهب إليه مِنْ أنَّ عديّ بن الرِّقاع من قُضاعة، وأنَّها قبيلةٌ لا تعْرِف لنفسها نَسَباً، فهو ذَهابٌ مع أضْعف الآراء في أقْوال النَّسابين (٣)، والغايةُ منه تأْكيد صحَّة النتيجة التي خلص إليها. وقد استطاعت بيئةُ الشام في العصر العبَّاسيّ أنْ تُنْجِبَ شاعِريْن طائيَّيْن كبيرَيْن هُما: أبو تمّام والبُحْتُريّ.

ويعزو الدكتور إحْسانُ النَّص سبَبَ تفوُّقِ القبائل المُضَريَّة في الشعر على قبائل اليمن عامَّة، إلى مدى تحضُّر القبائل واسْتِقْرارها فيقول: إنَّ "حظَّ القبائل ذات الماضي المُعْرِق في البداوة كتميم وقيْس وأسد وربيْعة من الشعر والشعراء أوْفى من حظّ سائر القبائل ولا سيَّما تلك التي كانت حياتُها في الجاهليَّة أدْنى إلى التحضُّر والاستِقْرار كقبائل اليمن عامَّة" (٤).

ويبدو أنَّ رأْيه هذا صدىً لرأْي ابن سلاّم الجُمَحيّ الذي أرْجعَ ظاهرةَ تفاوُت حجْم الشعر في القبائل العربيَّة إلى تبدِّي بعض هذه القبائل وتحضُّر بعْضِها، فذكر أنَّ الشعر يَضْعُف ويقلُّ في القبائل المُتحضِّرة لجُنوح أهلها إلى السِّلْم، ويقْوى ويزْدهِر في القبائل المُتبدِّية لجُنوح أهلها إلى الحَرْب (٥).

---

(١) العُمْدة ١: ٨٩، والمُزْهر ٢: ٤٧٦، ٤٧٧، وانظر: فُحولة الشعراء ص: ٣٥، ود. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهليّ ص: ١٨٣ والرِّواية الأدبيَّة في بلاد الشام في العصر الأُمويّ ص: ٧٩.

(٢) انظر: الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٣) بيان ذلك في كلامنا على قبيلة قضاعة قبل الإسلام في الفصل الأول من هذه الدراسة.

(٤) العصبيَّة القبلية وأثرها في الشعر الأُمويّ ص: ٤٧ ٥٥.

(٥) طبقات فحول الشعراء ١: ٤٦، ٢٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحقُّ أنَّ قلّة الشعر أو انعدامه لا ترجعُ إلى التحضُّر والاستقرار، لأنَّ الحضارةَ لا تُميتُ الشعر، فحضارةُ الفُرْس والروم، وحضارة المسلمين في دولتَي بني أُميَّة وبني العبّاس، لم تُضيِّقْ من خيال الشعراء ولم تَعْقِل ألْسِنَتَهُم، وكذلك فإنَّ حضارةَ أوروبا اليوم بَعَثت الشعر ولم تَقِفْ في وجهه. وكلُّ ما يُمكن أنْ يُقال في ذلك: إنَّ الحضارةَ تُميت أنواعاً من الشعر لا تعيشُ إلاّ في البادية، وتحيي أنواعاً منه لا تعيشُ إلاّ في الحَضَر(١).

والشعر لا وطنَ له، فهو يَنْشأُ في المدينة كما ينْشأُ في البادية، وإنَّما مدارُ ذلك على مِقْدار ما يلْقى الشعراء من تَشْجيع، وعلى مَدى عناية الرُّواة بحِفْظ الشعر وتدوينه. ولعلَّ انتقالَ الشعر من بيئة الحجاز إلى الحواضر الكُبرى التي انتقل إليها المسلمون أكبرُ دليل على ذلك(٢).

وهذا ابنُ سلاّم الجُمَحيّ يَعُدُّ في طَبَقاته أربعين شاعراً من فُحول الشعراء، جعلهم في عشْر طبقات، وأضاف إليهم أربعةَ شُعراء من أصْحاب المراثي، كما أضاف تسعةَ شعراء في مكّة، وخمسةً في المدينة، وخمسةً في الطّائف، وثلاثةً في البَحْرَيْن، وعدَّ لليهود ثمانيةَ شعراء. ونَجِدُ بين هؤلاء الشعراء البدويّ والحَضَريّ كما نَجِدُ بين البدو المُضَريّ والرَّبَعيّ واليَمَنيّ.

وقد تنبَّه الجاحِظُ إلى فساد رأْي ابن سلاّم فذكر أنَّ ظاهرةَ تفاوُتِ الشعر في القبائل لا تَرْجعُ إلى الحضارة والبداوة، بل تَرْجع إلى اخْتِلاف الغرائز والحُظوظ، أيْ إلى قوَّة القرائح والطّبائع وضَعْفِها في نُفوس أفرادها(٣).

وهكذا فإنَّ ظاهرة قلّة الشعر في القبائل اليمانيَّة عامّة، والقبائل اليمانيَّة الشاميَّة في العصر الأُمويّ خاصّة، لا تَرْجعُ إلى عوامل النَّسَب والبيئة والاستقرار. ولعلَّها تَرْجع إلى ضَياع شعر تلك القبائل في الجاهليَّة والإسلام، إذْ لا يُعْقَل أنْ

---

(١) فَجْر الإسلام ص: ٢٢. وانظر: بلاشير: تاريخ الأدب العربي ص: ٢٠١.
(٢) محمّد عبدالمنعم خَفاجي: الحياة الأدبيّة، عصر بني أُميَّة، ص: ٨٣.
(٣) الحيوان ٤: ٣٨٠-٣٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكونَ اللّه قد حَرَمها من قول الشعر فلم يَنْبُت في أَرضها شاعر، ولم يَقُمْ بينهـا من جارى بقيّةِ القبائل في نَظْمه، وهم عربٌ مثل غيرهم، لهم حسٌّ وشُعور فلا يُعْقَل عَدمُ ظهور شعراء بينهم[١]. فمن مصادر شعر القبائل اليمانيّة الشاميّة الضائعة: كُتبُ فتوح الشّام خاصة ومنها: "كتاب فتوح الشام"[٢] لأَبي مِخْنَف الأَزْديّ" (— ١٥٧هـ)، و"كتاب فتوح الشام"[٣] للمَدائنيّ (— ٢٢٥هـ). ويدخُل في هذا النّوع من مصادره المفْقودة كتبُ الفتوح العامّة المُحْتَوية فتوحَ الشام وغيرهـا ومنها: "كتاب الفتوح الكبير"[٤] لسَيْف بن عمر التّميميّ (— ١٨٠هـ).

ومن مصادره الضائعة أَيضاً: كتبُ الأَحْداث التي وَقَعت بالشام، وكتبُ الصّوائف والشّواتي، وحروب أَهل الشام مع الروم، وكتب تاريخ بني أُميّة وأَهـل الشام، ومنها: "كتابُ وفاة مُعاوية وولاية ابنه يزيد ووقْعة الحرّة وحصار ابـن الزُّبير"، و"كتابُ مَرْج راهط وبَيْعة مروان وَمَقْتل الضّحّاك بن قيس"[٥] لأَبـي مِخْنَف الأَزْديّ، و"كتابُ مَرْج راهط"[٦] لأَبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنّـى (—٢١٣هـ)، و"كتابُ مَرْج راهط"[٧] للمدائنيّ، و"كتابُ الصّوائف"[٨] للهَيْثم ابن عديّ الطائيّ (— ٢٠٦هـ)، و"كتابُ سيرة معاوية وبني أُميّة"[٩] لعوانةَ بـن الحكم الكلبيّ (—١٤٧هـ)، و"كتابُ مديح أَهل الشام" و"كتابُ تاريخ العَجَم وبني أُميّة" و"كتابُ مَداعي أَهل الشام"[١٠] للهَيْثم بن عديّ الطائيّ.

---

(١) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٩: ٢٤٢—٢٤٣.
(٢) الفِهْرست ص: ١٠٥. وانظر: الرّواية التاريخيّة في بلاد الشام في العصر الأُمويّ ص: ٨٩—٩١.
(٣) نفسه ص: ١١٥.
(٤) نفسه ص: ١٠٦.
(٥) نفسه ص: ١٠٥.
(٦) نفسه ص: ٥٩.
(٧) نفسه ص: ١١٥. وانظر: عدداً من كتب الوقائع التي خاضها أَهل الشام في الحجاز والعراق، ص: ١٠٥، ١١٢.
(٨) نفسه ص: ١١٢.
(٩) نفسه ص: ١٠٣.
(١٠) نفسه ص: ١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي "المُؤْتلف والمُخْتلف" للآمديّ إشارات تدلُّ على ضَياع شعر هذه القبائل منها : أنَّه ذكَر ثمانيةَ عشرَ ديواناً لقبائل اليمن[١] لم يصل إلينا منها شيء ، ولو وصلت إلينا تلك الدواوين ، لحصلْنا على شعر يمانيّ كثير . وأنَّه اكتفى بتسْمية نحْوٍ من خمسةٍ وعشْرين شاعراً كلْبيّاً ، ولم يَرْوِ من أشعارهم إلا أبياتاً قليلة ، ومنهم : الأغْلبُ الكلْبيّ الذي يبدو أنَّ شعرَه قد دَرَسَ فلم يُدرَك[٢] . هذا فضْلاً عن وُجود عددٍ آخر من شعراء كلب في العصر الأمويّ لم يَصِل إلينا من شعرهم إلاّ أقلّه[٣] ، مما يدلُّ على ضَياعه . وقد تنبَّه الأصْمعيّ إلى ذلك فقال : لم أَرَ أقلَّ من شعر كلْب وشَيْبان[٤] .

ولمّا هَرَبَ الأُقَيْبِل القَيْنيّ[٥] ، وهو أحدُ شُعراء الشام في العصر الأمويّ ، من جيش الحَجّاج بن يُوسف الثَقَفيّ ، حين خَرَج إلى عبْدالله بن الزُّبَيْر ، قال قصيدةً وصَفَها الآمديّ بأنَّها طويلة ، غير أنَّه لم يَرْوِ منها إلاّ ثلاثة أبيات[٦] ، ولم نَعْثُر في المصادر التي بين أيْدينا إلاّ على ثلاثة أبيات أُخرى منها[٧] ، مما يدلُّ على ضَياع مُعْظمها . ويذكر الآمديّ أيضاً أنَّ للأُقَيْبل القَيْنيّ أشعاراً ومقطّعات جيادًا في أشعار بني القَيْن بن جَسْر[٨] ولكنَّها ضاعت مع ضَياع أشعارهم .

وينصُّ ابنُ النَّديم[٩] على أنَّ شعر صالح بن جَناح اللَّخْميّ[١٠] في خَمْسين وَرَقة . إلاّ أنَّ ما وصل إلينا من شعره يقلُّ عمّا يُمكن أنْ تحْتويه تلك الأوراق .

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذه الدَّواوين .
(٢) ص : ٢٤ .
(٣) انظر بعض هذا الشعر في الفصل الثالث من هذه الدراسة .
(٤) فُحولة الشعراء ص : ٢٦ . وانظر : المَرْزُبانيّ : المُوشّح في مآخذ العلماء على الشعراء ص : ٧٣ .
(٥) سترد ترجمته في الفصل الثالث من هذه الدّراسة .
(٦) المُؤْتلف والمُخْتلف ص : ٢٥ .
(٧) أنساب الأشراف ٥ : ٣٥٨ .
(٨) المُؤْتلف والمُخْتلف ص : ٢٦ .
(٩) الفِهرست ص : ١٨٤ .
(١٠) سترد ترجمته في الفصل الثالث من هذه الدراسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا شُقْران مولى بني سَلامان من قُضاعة[١]، شاعر شاميّ من شعراء بني أُميّة، قال عنه ابنُ عساكر: إنّه "كان مدّاحًا للوليد بن يزيد"[٢]، ولم يبسْق من شعره الذي مَدَح به الوليد شيء[٣].

ويُضاف إلى ذلك أنّ رُواة الأشعار من علماء العراق أَهْملوا شعرَ هذه القبائل ولم يَنْقلوه، لتفاقُم الخُصومة السياسيّة واشْتِداد العَصَبيّة الإقليميّة والعلميّة بينهم وبين أهل الشام، وأنّ علماء اللُّغة العراقيّين في القَرنيْن الأول والثاني عَزَفوا عن الاستشْهاد به، لخُروجه عن نِطاق القبائل التي كانوا يحتجُّون بلُغتِها، ويأْخذون شواهِدَهم من شِعْرها[٤]. وكذلك فإنّ انتقالَ السِّيادة من الشام إلى العراق بعد سقوط الدولة الأُمويّة، وانْحِطاط قبائل اليَمن الشامية في الوقت الذي بدأ فيه علماءُ العراق بجمْع الأعمال الشعريّة، وما جُوبِهَت به مُخلَّفات العصر الأُمويّ من صُدود، قد أدّى إلى ضَياع مُعظم شعر هذه القبائل[٥].

وقد أدّت هذه الأسباب مُجْتمعةً إلى ظُهور القبائل اليمانيّة في جُمْلة القبائل المُقلّة في الشعر، وإلى ظُهور البيئات التي سكنها اليمانيّة في جُمْلة البيئات التي لم تَشْهد حركةً شعريةً نشطة. وعلى كلّ حال فإنّ ما وصل إلينا من شعر القبائل اليمانية عامّة، والقبائل اليمانية الشاميّة في العصر الأُمويّ خاصّة، قليل ولا يُقارَنُ بشعر القبائل العدْنانيّة حَجْمًا.

---

(١) سَتَرِد ترجمته في الفصل الثالث من هذه الدّراسة.
(٢) تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ٨: ٤٧٠. وانظر: تَهْذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦: ٣٢٧.
(٣) الوليد بن يزيد: عَرْض ونقد ص: ٣٨٤.
(٤) بلاشير: تاريخ الأدب العربيّ ص: ٢٧٩، ٤٨٥، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٩: ٢٤٣، ٤٣٥، والرّواية الأدبيّة في بلاد الشام في العصر الأُمويّ ص: ٥٩، ٨٧.
(٥) بلاشير: تاريخ الأدب العربيّ ص: ٢٧٩، ٥٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ارتبطَ كثيرٌ من شعر القبائل اليمانيّة الشاميّة بالأَحْداث السياسيّة التي وَقعت بعد الإسلام، وبالوقائع الحربيّة التي خاضَتْها هذه القبائل في صدر الإسلام والعصر الأُمويّ، فقد تَصايحَ شُعراؤُها بشِعْرٍ غزيرٍ نَظَموه في وَقْعةِ صِفّين التي جَرت بين أَهل العراق وأَهل الشام(١)، وتَفنّنوا بقليل من الشعر في مُناجَزتهم لمُصْعَب بن الزُّبيْر بالكوفة(٢)، وفي حِصارهم الأَوّل والثّاني لأَخيه عبْدِاللّه بمكّة(٣)، وفي مُقارَعتِهم ليزيد بن المُهلّب بالبَصْرة(٤).

أَمّا أَغزرُ شعر هذه القبائل وأَشْهَرُهُ، فهو ما تَدفّق على أَلْسنةِ شُعرائها في وَقْعة مَرْجِ راهط، وفيما تلاها من أَيّامٍ بَيْن قبيلَتيْ قيْس وكلب، وفي مَصْرع الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

وبجانب شِعْر الحَرْب والسّياسة، فإنّ للقبائل اليمانيّة الشاميّة في العصر الأُمويّ شِعْراً صاغَهُ شُعراؤُها في الموضوعات التّقليديّة من مَدْحٍ، وغَزَل، وفَخْر، وهجاء، ورثاء، ووَصْف، وعِتاب، وحَنين، وحِكَم وآداب ومواعِظ، وموضوعات مُتفرّقة أُخرى.

أَوّلاً : المديح

المَديح فَنّ قديم من فُنون الشّعْر العربيّ، عَرَفه الشُّعراء مُنْذُ العصر الجاهليّ، وكانوا يُكْثرون من النّظْم فيه، ويَرْتحِلون به إلى أَشْراف العرب ومُلوكِهم كالمَنازِرَة والفَساسِنَة يَمْدَحونَهم وينالون جَوائزَهُم وعطاياهم(٥).

---

(١) انظر مثلاً : وَقْعة صِفّين ص: ١٧٨، ١٨٢، ٢٠٢، ٢٩٦، ٣٠٧، ٣١٦، ٣٥٧، ٣٧٤، ٣٧٥، ٤٢٤، ٤٤١، ٤٥٧، والأَخْبار الطّوال ص: ١٧١، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٤٣، وكتاب الفتوح ٣ : ٣٠، ٨٠، ١١٢، ١٥٩، ٢٧٤، وشرح نَهْج البلاغة ٨ : ٣٥، ٥٠، ٦٧.

(٢) انظر : ديوان عدّي بن الرّقاع العامليّ ص: ٢٣٢، والأَخْبار المُوفّقيات ص: ٥٦٠.

(٣) انظر : أَنْساب الأَشراف ٤ : القسم الأَوّل ص: ٣٩٥، ٥ : ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٣، والأَخْبار الطّوال ص: ٣١٤، والكامل في التاريخ ٤ : ٣٥١.

(٤) انظر التّنْبيه والإشراف ص: ٢٧٨، والرّواية التاريخيّة في بلاد الشام في العصر الأُمويّ ص: ٩٢-٩٣.

(٥) د. شوقي ضيف : تاريخ الأَدب العربي، العصر الجاهليّ، ص: ٢١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولشُعراء القبائل اليمانيّة الشاميّة في العصر الأُمويّ مقْطوعاتٌ وقصائدُ نَظَموها في مدْحِ عددٍ من خُلفاء بني أُميّة وأُمرائهم، وفي مدْح بعضِ عُمّال الأُمويّين من رجالات القبائل اليمانيّة، وفي مدْحِ قبيلة قُضاعة والتّمجُّدِ بالانْتِساب إليها .

١ — المديح السّياسي .

أ — مدْح الخُلفاء .

يَبْدو أنّ شُعراءَ القبائل اليمانيّة الشاميّة — باسْتِثْناء عَدِيّ بن الرّقاع العامِليّ (١) — لم يتّخِذوا من مدْحِ الخُلفاء الأُمويّين وتَعْظيمهم وسيلةً للتكسُّب وجَمْع المال، ولم يَصْدُروا في مديحهم لهم عن اعْتِقادهم بفَضْلهم وصلاحهم، أو عن اقْتِناعِهم بحقّهم في تولّي الخلافة، وإنّما مَدحوهُم لأنّ مصْلَحة قبائلهم في بَقاء الشام مركزاً للخلافة الإسلاميّة، كانت تَقْتَضي منهم مُبايَعَتهم والوقوفَ إلى جانبهم وتأْييدهم في عَقْد البَيْعة لأبنائهم من بَعْدِهم، ومُناهَضَة مُنافسيهم . ويُؤكّدُ ذلك أنّهم لم يُرتّدوا في شعرهم اعتقادَ الأُمويّين بمَذْهَب الجَبْر في الخلافة، وأنّهم لم يَمْدَحوا خُلفاءَ بني أُميّة المُتأخّرين، بل انْضمّوا إلى مُعارضيهم وقاتلوهم عندما لَمَسوا منهم تَعصُّباً على قبائلهم وتَقْريباً لزُعماء خُصومها، كما حَدَثَ للوليد بن يزيد ولمروانَ بن محمّد في أواخر العصر الأُمويّ . ولعلّ هذا ما يُفسّرُ قلّة مدْحِهم للخُلفاء وارْتباط بَعْضِ ما وصل إلينا منه بالأحْداث والمُناسبات التي كانت تَتطلّبُ من الشعراء إعلانَ ولاء قبائلهم لخُلفاء بني أُميّة وتَجْديد بَيْعتِها لهم، ومن ذلك أنّ مُعاوية بن أبي سفيان لمّا أرادَ البَيْعةَ بالخلافة لابْنِه يزيد من بعده (٢)، أوْعزَ إلى رجلٍ حِمْيريّ من ذي الكَلاع، فقام فقال : هذا أميرُ المُؤْمنين، فإنْ ماتَ فهذا — وأشار إلى يزيد — فَمَنْ أبى فهذا — وأشار إلى السّيْف — ثمّ قال (٣):

---

(١) سَتَرِدُ تَرْجمتُهُ بعد قليل .

(٢) انظر بَيْعة يزيد بن مُعاوية في : ابن قُتَيْبة : الإمامة والسّياسة ١ : ١٧٥، ومروج الذّهب ٣ : ٢١٨ .

(٣) أبو علي القالي : الأمالي ١ : ١٥٩ . وانظر : البيان والتّبْيين ١ : ٣٠٠ وفيه أنّ القائل رجل من عُذْرة يُقال له يزيد بن المُقَنّع. وقد ذكر الجاحظ القصّة ولم يرو البيْتَيْن . والعُمْدة ١ : ٣١٠، واتّجاهات الشعر في العصر الأُمويّ ص : ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُعاوِيةُ الخَليفةُ لا تُمـــــارى فإنْ تَهْلكْ فَسائسُنا يَزيـــــدُ
فَمَنْ غلبَ الشَّقاءُ عليهِ جَهْـــلاً تَحكَّم في مَفارِقِهِ الحَديـــــدُ

فَعبَّر في بَيْتَيْهِ هذيْن عن حِرْص اليمانيَّة الصَّريح على اسْتِمْرار حُكْم الأُمويِّين واسْتِعْدادهم لمُقاتَلةِ مُعارضيهم، وَدلَّ فيهما على اعْتِماد مُعاوية على القبائل اليمانيَّة الشاميَّـــة وَتقْريبه لرجالها.

ولمَّا بُويعَ مروانُ بن الحَكَم بالخلافة في مُؤْتَمر الجابيَة الذي سَبَق وقْعةَ مـــرْجِ راهِط، مَدَحه أَبو ثُمامَةَ الكَلْبيّ وفضَّله على مُنافِسهِ عبْد اللّه بن الزُّبيْر مُعْتمداً في تَفْضيلـه له على المُقابَلةِ بين مايعْتَقِدُه فيه من صِفات الهُدى والاسْتِقامة وبين ما يَعْتقِدُه فـــي مُنافِسِهِ من صِفاتِ الكَذِب والضَّلالة، وعبَّر عن تأْييده وَبيْعته له فقال (١):

وأُشْهِدُكم أَنِّي لمروانَ سامِـــعٌ مُطيعٌ وللضَّحّاكِ عاصٍ مُجانِـــبُ (٢)
إمامانِ: أَمّا مِنْهُما فَعلى الهُدى وآخرُ يدْعو للضَّلالة كـــــاذِبُ

وجَعلَ جوّاس بنُ القَعْطَل الكَلْبيّ (٣) الخلافةَ حقّاً خالِصاً لبني أُميَّة لا يُشاركُهـــم أَحدٌ فيه ودَعاهُم إلى المُحافظة عليها باتِّباع الحَزْم والشِّدَّة، ووَصفَ خُصومَهم بالنِّفـــاق والإلْحاد فقال (٤):

---

(١) نقائض جرير والأَخطل ص: ١٧٠. وانظر الأَبْيات في: كتاب الفُتوح ٥: ٣١٣ دونَ عزو وبرواية مُخْتلفة.

(٢) البيْتُ منْسوبٌ إلى ثُمامةَ بن قيْس الكلبيّ بقافية مُخْتلفة في: أَنساب الأَشراف ٥: ١٣٩. والضَّحّاك: هو الضَّحّاك بن قيْس الفِهْريّ، وكان يدعو لعبْدِالله بن الزُّبيْر في الشام.

(٣) هو جَوّاس بنُ القَعْطَل، واسْمُ القَعْطَل: ثابت (ويُقال: اسْمُه بَياض) بن سُوَيْد بن الحارث بن حِصْن بن ضَمْضَم بن عدي بن جَناب الكلبيّ. أَحدُ شُعراء الشـام الفُرْسان، وله شعر في وقائع مرْج راهط، وكانت وفاتُهُ حوالي سنة (٧٠هـ). انظر: نقائض جرير والأَخطل ص: ١٩، وأَنساب الأَشْراف ٥: ١٤٢، والمُؤْتلف والمُخْتلف ص: ٩٩، والإكمال ٢: ٤٢٩، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيَّـة) ٤: ٢٥، وتهْذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣: ٤١٧، والأَعلام ٢: ١٤٣.

(٤) أَنساب الأَشراف ٥: ٣٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ الخلافةَ يا أُميّةُ لم تكُـــنْ أبَداً تَدُرُّ لِغَيْرِكم تَدْياهـــــا
فَخُذوا خِلافَتكُمُ بأمْرٍ حـــازِمٍ لا يَحْلِبُنَّ المُلْحِدونَ صَراهـــــا (١)
سِيْروا إلى البَلَدِ الحَرامِ وشَمِّروا لا تُصْلِحوا وسِواكُمُ مَوْلاهـــــا
لا تَتْرُكُنَّ مُنافِقينَ بِبَلْـــدَةٍ إلاّ أَمْلْتُمُ بالسُّيوفِ طُلاهـــــا (٢)

ولكنّه سَرْعانَ ما كان يَنْقلِبُ عليهم ويُعرِّضُ بحَقّهم في الخلافة إذا ما لَمَس منهم جَفـــاءً لليمانيّة وصُدوداً عنهم (٣).

ومَدحَ عَدِيُّ بنُ الرِّقاع العامليّ (٤) عبْدَ الملك بن مروان ونوّه بقيادته وشَجاعته وبوَضاءَة وجْههِ و شَرفِ مَحْتِده، دون أنْ يَذْكُرَ شيْئاً من صفاته الإسلاميّة. وأشادَ بمُوالاة القبائل اليمانيّة الشاميّة وبنَصْرها له على أعْدائه، في قصيدته التي وَصفَ فيهـــا خُروجَ عبد الملك لقتال مُصْعَبِ بن الزُّبيْر في الوقْعة التي كانت بَينَهُما بدَيْر الجاثليق

---

(١) الصَّرى: اللبَنُ يُتْرَكُ في ضَرْع النّاقة فلا يُحْتَلب، فيصيرُ مِلْحاً ذا رياح. لســـان العرب: مادّة صَرى.

(٢) طُلاها: أعْناقُهـــا.

(٣) انظر: نقائض جرير والأخطل ص: ٢٠.

(٤) هو عَدِيُّ بنُ زيد بن مالك بن عَدِيّ بن الرِّقاع العامليّ، نَسَبَهُ النّاسُ إلـــى الرِّقاع وهو جدّ جدّه لشُهْرَته. وكان عديّ شاعراً مُقدّماً عند بني أُميّة مدّاحـــاً لهم، خاصّاً بالوليد بن عبد الملك. وهو من حاضِرَة الشعراء لا من باديَتِهـــم، إذْ كان يَنْزلُ دمشق. وجَعَله ابنُ سلاّم في الطبقة السابعة من شعـــراء الإسلام، وله بنْتٌ شاعرة اسمها سَلْمى. تُوفّي بعد خلافة عُمَر بن عبد العَزيـــز حوالي سنة (١٠١هـ) وله ديوانُ شعر مطْبوع. انظر: طبقات فُحول الشعراء ٢: ٦٨١، والشعر والشعراء ص: ٤١٠، والأغاني ٩: ٣٠٠، والمُؤتلف والمُخْتلف ص: ١٦٦، ومُعْجم الشعراء ص: ٨٦، وسِمْط اللآلئ ص: ٣٠٩، وتاريخ مدينـــة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنيّة) ١١: ٢٥١ وتاريخ الآداب العربيّـــــة ص: ٢٩٩، وبلاشير: تاريخ الأدب العربي ص: ٥٦١، ود. شوْقي ضيْـــف: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلاميّ، ص: ٣٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سنة اثْنَتَيْنِ وسَبْعين للهجرة (١) ، والتي قُتِل فيها مُصْعَب وهُزِمَ جيْشُه ، فقال (٢) :

يُقوِّمُنا واضحٌ وجْهُـــــهُ ... كريمُ المَضارِب والمَنْصِـــــبِ (٣)
أَغرُّ يُضيءُ لنا نُـــــورُه ... إذا ما انْجلتْ غَمْرةُ الكَوْكِـــبِ
تَظلُّ القنابلُ يكْسونَـــــهُ ... رواقاً من النَّقْعِ لم يُطْنَـــــبِ
أُعينَ بنا ونُصِرْنا بِـــــهِ ... ومَنْ يَنْصُرِ اللّه لا يُغْلَـــــبِ
فِداؤُكَ أُمِّي وأَبْناؤُهـــا ... وإنْ شِئْتَ زِدْتُ عليهم أَبـــي
فَمَنْ يَكُ منّا يَبِتْ آمِنـــاً ... ومَنْ يَكُ من غيْرِنا يَهْـــرُبِ

وحينما بايَعَ الناسُ عبْدَ الملك بن مروان بالخلافة بعد هذه الوقْعة سجَّل شاعرٌ من بَلْقَيْن هذا الحَدَثَ التاريخيّ في بيْتَيْن مدَح فيهما عبدَ الملك ووَصَفَه بأَنّه ملِكٌ هُمام بُويعَ بيْعةً صحيحةً لا مطْعَن فيها فقال (٤) :

بِدَيْرِ الجاثليقِ على دُجَيْلٍ ... عَقَدْنا بَيْعةَ الملكِ الهُمامِ
عَقَدْنا بيْعةً لا إثْمَ فيهـــا ... سَيَحْوي فَخْرها أَهْلُ الشآمِ

فالشاعر قد حدَّد مكانَ عَقْدِ البَيْعةِ في البيت الأوّل ، وجاءَ بكلمة " سيَحْوي " في البيت الثّاني ، ليدُلَّ على المكاسب السّياسيَّة الكثيرة التي تحقّقت لأهل الشام بعَقْدِها ، ولكنّه لم يُعْنَ بنَقْلِ صُورة مُفَصَّلة لهذه البَيْعة ، وإنّما اكْتفى بالتّعْبير عنها تَعْبيراً بسيطاً مُوجَزاً .

وعندما أَراد الوليدُ بنُ عبد الملك أَنْ يُبايعَ بالخلافة لابْنِهِ عبد العزيز بعد أَخيه سُليْمان بن عبد الملك ، أَبى سُليْمانُ ذلك وشنَّع عليه ، فأَمر الوليدُ شاعراً من عُذْرة أَنْ يَرْتَجِز بذلك وسُليْمان يَسْمع ، لعلّه يسْكُت فيُشْهَد عليه بالمُوافقة ، فقال العُذْريّ (٥) :

---

(١) أَنساب الأَشراف ٥ : ٣٤٢ .
(٢) ديوان عَدِيّ بن الرِّقاع العامليّ ص: ٢٤٩ . والأَبيات ساقطة من القصيدة رقم (١٧) في الديوان ص: ٢٣٢ .
(٣) المَنْصب : الأَصْل .
(٤) أَنساب الأَشراف ٥ : ٣٥٥ .
(٥) نفسه (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيَّة عن مخطوطة استانبول) المُجلَّد الثاني ص: ١٠٧ ، والعقد الفريد ٥ : ١٦٠ ، وفيه أَنَّ الرَّجَز للأُقَيْل القَيْنيّ . والحقّ أَنَّ الأُقَيْل لم يُدْرك خلافةَ الوليد . انظر : ترجمة الأُقَيْل القَيْنيّ في صدْر حديثنا عن موضوع الوصف . وانظر أَيضاً : تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيَّة) ١٠ : ٢٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يالَيْتَها قد خَرجَتْ من فَمِّـــهِ إنَّ وليَّ عَهْدِهِ ابنُ أُمِّـــهِ
ثُمَّ ابْنُهُ وليُّ عَهْدِ عَمِّـــهِ قد رضيَ الناسُ به فسَمِّـــهِ

فالتفتَ إليه سُليْمان وقال :يا ابنَ الخَبيثة مَنْ رضيَ بهذا ؟ !.ونَسْتدلُّ مـــن هذه الحادثة على اعْتِماد الخُلفاء على الشعر،واسْتِعانَتِهم بالشعراء لتأْكيد البَيْعَـــةِ لأَبنائهم ونَشْر خَبَرِها بين الناس.

واسْتأْثرَ الوليدُ بنُ عبد الملك بمدائح عَدِيّ بن الرِّقاع الرّائعة،إذْ كان مدّاحاً لبني أُميَّة،داخِلاً في جُمْلَتِهم،خاصّاً بالوليد بن عبد الملك (١) ،مُحِبّاً له،حتّى إنَّـــه تمنّى في إحْدى قصائده أَنْ يموتَ قبْلَه،لأَنَّه لا يُريدُ أَنْ يُفْجَعَ به من جِهَة،ولا يُريدُ أَنْ يكونَ تابِعاً لخليفة غيره من جِهَة ثانية يقول (٢) :

عُذْنا بذي العَرْشِ أَنْ نَحْيا ونَفْقِدَهُ أَوْ أَنْ نكونَ لراعٍ بَعْدَهُ تَبَعَـــا

وقد خصَّه عَدِيّ بعَشْر قصائد (٣) بناها بِناءً تقليديّاً ،فافْتتَحَ أَكْثرَها بالأَطْلال والنَّسيب،وخَلَعَ عليه فيها عدداً من صفات المديح التَّقليديّة التي ردَّدها الشعـــراء الجاهليّون قبله،كحُسْنِ القيادة والتَّدْبير، والمجْد والكَرم والوفاء والخُلُق وعَراقَـــة النَّسَب(٤) . ولكنَّه أَضافَ إليها جُمْلةً من الفضائل الإسلاميّة،فذكر أَنَّ الوليدَ مُجاهِدٌ يَقِظ،دائمُ الاسْتِعْداد لمُقارعة أَعداء المُسْلمين ومُجابَهتِهم،كثيرُ النصر عليهم والإحاطة بهم،يقول في قصيدته الدالِيَّة(٥) :

وعَمَرْتَ أَرْضَ المُسْلمين فأَقْبلَـــتْ وَنفيْتَ عنها مَنْ يُريدُ فَسادَهـــا
وأَصبْتَ في أَبْنـ العدوِّ مُصيبَـــةً بَلغَتْ أَقاصي غَوْرِها ونِجادَهـــا
نَصْراً ـ ما تناولَ مِثْلَـــهُ أَحَدٌ من الخُلفاءِ كانَ أَرادَهـــا

---

(١) الأغاني ٩ : ٣٠٠.
(٢) الديوان ص: ٢٢٠.
(٣) انظر : نفسه ص: ٧٣، ٨٢، ٩٦، ١٢١، ١٥٠، ١٦٨، ٢٠٤، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٣٢.
(٤) انظر : نفسه ص: ٩١-٩٣، ٢٢٠-٢٢١، وتَحْسين الصّلاح : عدي بن الرّقاع العاملي : حياته وشعره، رسالة ماجستير مخطوطة، الجامعة الأردنيّة، ص: ٥٣.
(٥) الديوان ص: ٩١-٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا نَشَرْتَ له الثَّناءَ وجَدْتَـــهُ ... جَمَعَ المكارمَ طِرْفَها وتِلادَهـــا
غَلَبَ المَساميحَ الوليدُ سَماحـــةً ... وكفى قُرَيْشاً ماينوبُ وسادَهـــا
تأْتيه أَسْلابُ الأَعِزَّةِ عَنْـــــوةً ... قَسْراً ويَجْمَعُ للحُروب عَتادَهـــا
وإذا رأَى نارَ العدوِّ تَضَرَّمَـت ... سامى جَماعةَ أَهْلِها فاكْتادَهـــا (١)
بعَرَمْرَمٍ يَئِدُ الرَّوابي ذي وَغـــى ... كالحرَّةِ احْتَعَلَ الضُّحى أَطوادَها (٢)
أَطْفأْتَ نيرانَ العدوِّ وأُوْقِدَت ... نارٌ قدحْتَ براحَتيكَ زنادَهـــا
فَبَدَتْ بَصيرتُها لمن تَبِعَ الهُـدى ... وأَصابَ حرُّ شَرارِها حُسّادَهـــا

ويُلاحَظ أَنَّ عَدِيّاً يُلِحُّ على إِظْهار جوانب القوَّة وتأْكيدها في ممْدوحه، وأَنَّـــه لم ينْسَ أَتْباعَ الخليفة الذين رأَوْهُ على هُدىً فاتَّبعوه فكانوا منه، لأَنَّهم نظروا إِلـــى الأُمور ببَصيرةٍ وهُدى، أَمّا حُسّاد الوليد، فقد احْتَرقوا بنار الحرْب التي شبَّها الخليفةُ فأَلْهَبت قُلوبَهم.

وتحدَّث عَدِيّ بن الرِّقاع عن سِيرة الوليد بن عبد الملك في الناس ورعايته لهم، فَوَصَفه بالحَزْم والعدْل في حُكْمه بين المسلمين، وبالحِلْم والحِكْمة في تدْبير أُمورهـــم ورعاية مصالحهم، فقال مُعْتمداً في إِبْراز صُورة الوليد على أُسلوب التَّقْسيم الذي يزيـد من حِدَّة إِيقاع الشعر ويدُلُّ على بَراعةِ الشاعر في حَشْد أَكْبر عددٍ من صفات المديـح في البيْت الواحد (٣):

للحَمْدِ فيه مَذاهِبٌ ماتَنْتَهـــي ... ومكارِمٌ يَعْلونَ كلَّ مكـــارِمِ
ومَهابةُ الملكِ العزيز ونائـــلٌ ... يُنْضي الجَواد وأَنتَ نِكْلُ الظّالمِ (٤)
وإِذا نظرْتَ بحُرِّ وجْهِكَ كُلَّـــه ... نَحْوَ امرئٍ فيظلُّ مِثْلَ الفائـــمِ
وإِذا قَضى فَصَلَ القَضاءَ فلم تَمِلْ ... قُرْبى عليه ولا مَلامةُ لائـــــمِ
تُرْبي على الفَيْضِ الكثير فَواضِـلاً ... نَفَحاتُ أَيّامٍ له ومَقـــــاوِمِ
فَرْعٌ كأَنَّ الناسَ حينَ يَرَوْنَـــهُ ... يَتَباشَرون بِقُبْلِ غَيْثٍ دائـــمِ (٥)

---

(١) اكْتادَها: من الكَيْد.
(٢) يئِدُ الرَّوابي: يَغْمِزُها بالوَطْءِ الشَّديد. والحرَّة: الأَرض السَّوْداء.
(٣) الدّيوان ص: ١٢٦–١٢٧.
(٤) النِّكْل: القَيْد.
(٥) فَرْع: أَيْ هو شريف في قومه. وفَرْع كلّ شيء: أَعلاه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجامِعُ الحِلْمَ الأَصيلَ وسُؤْدَدًا غَمْرًا يُعاشُ به وحِكْمَةَ حازمِ
وإذا وَدَدْتَ فإنَّ وُدَّكَ نافِعٌ وَمَن انْتَطَحْتَ فلَيْس منك بِسالمِ

وردَّ عديّ في بعض مدائحه للوليد بن عبد الملك مَذْهَبَ الجَبْر في الخلافة، وهو المذهبُ الذي اعتمَدَ عليه الأُمويّون في تَثْبيت مُلْكِهم وصَرْفِ خُصومهم عن مُعارضَتِهم، فأشاعوا أَنَّ اللّه هو الذي اخْتارَهُم للخلافة وآتاهم المُلْك، وأَنَّهم يَحْكُمون بإرادَتِه ويتصرَّفون بمَشيئَته، وليس لأَحدٍ أَنْ يَعْترضَ على إرادةِ اللّه في ذلك (١). فقال (٢):

ولقد أَرادَ اللّهُ إِذْ ولاّكَهـا من أُمَّةٍ إِصلاحَها ورَشادَهـا

فاللّه هو الذي اخْتار الوليدَ خليفةً، ليُوَحِّدَ الأُمَّةَ ويلُمَّ شَعَثَها ويُصْلِحَ ما اعوجَّ من أُمورها. وقال (٣):

رأَى الوليدَ لها أَهْلاً فمَلَّكَه واخْتارَ منّا الذي يَرْضى وأَرْضانا
فالحمْدُ للّه إِذْ ولّى خِلافَتَنا وأَمْرَنا خَيْرنا ديناً وأَقْوانا

وقال أَيضاً يَمْدَحُه ويذكُرُ أَنَّ اللّه اخْتاره للخلافة بعد أَبيه (٤):

وقَضى لك اللّهُ الخلافةَ بَعْدَهُ وقضاءُ ربِّكَ نافِذٌ مفْعولُ

وكان عُمَرُ بنُ عبد العزيز آخرَ الخُلفاء الأُمويّين الذين مدحهم عَدِيّ بنُ الرِّقاع العامليّ، وله في مدْحه قَصيدتان، أَثْنى في القصيدة الأُولى منْهُما على سِيْرته الحَميدة، وأَشادَ بصفاته فقال (٥):

جَمعْتَ اللَّواتي يَحْمدُ اللّهَ عبْدُهُ عليْهِنَّ فَلْيَهْنأْ لك الخيْرُ واسْلَمِ
فأَوَّلُهُنَّ البِرُّ والبِرُّ غالِبٌ وما بِكَ من عَيْبِ السَّرائر يُعْلَمِ
وثانيةٌ كانت من اللّه نِعْمةً على المسلمين إِنَّه خيْرُ مُنْعِمِ
وثالثةٌ أَنْ ليسَ فيكَ هَوادَةٌ لِمَنْ رامَ ظُلْماً أَو سَعى سَعْيَ مُجْرِمِ
ورابعةٌ أَنْ لا تزالَ مع التُّقى تحُثُّ بميْمونٍ من الأَمْرِ مُبْرَمِ
وخامسةٌ في الحُكْمِ أَنَّكَ تُنْصِفُ الضَّعيفَ. وما مَنْ علَّم اللّه كالعَمي

---

(١) الأُمويّون والخلافة ص: ١٩.
(٢) الدّيوان ص: ٩١.
(٣) نفسه ص: ١٧١.
(٤) نفسه ص: ٢٠٨.
(٥) نفسه ص: ١٣٠–١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسادسةً أنَّ الذي هو ربُّنا اصْطفاكَ، فَمَنْ يتَبعْكَ لم يَتَنـــــدَّمِ
وسابعةً أنَّ المكارمَ كلَّهـــا سَبقْتَ إليها كلَّ ساعٍ ولُمْجَـمِ
وثامنةً في منْصِبِ الناسِ أنَّـه سما بكَ منهم مُعْظَمٌ فوقَ مُعْظَم
وتاسعةً أنَّ البَرِيَّةَ كلَّهـــا يَعُدُّون سيْبًا من إمامٍ مُتَمِّـــم
وعاشرةً أنَّ الحُلومَ تَوابِـــعٌ لحِلْمكَ في فَضْلٍ من القول مُحْكَم
جَوادٌ فما يَنْفَكُّ يرْمُدُ بابَـهُ أولو حاجةٍ مُسْتَبْشِرونَ بمُنْعِـم

فقد حَرَصَ عديّ على تحْقيق المُلائمة بين صفات المديح والممْدوح، فتتبَّع الصِّفات العربيَّة والإسلاميَّة لممْدوحه، كالبرِّ والحَزْم والتُّقى والعدْل وسَداد الرأْي وعَراقة النَّسَب والحِلْم والجُود، وأَجْملَها في البيْت الأوَّل، ثُمَّ فصَّلها فيما تَلاهُ من أبْيات، فجاءَ أُسلوبُه فيها أقربَ إلى نَظْم صفات الخليفة الكامل عند المسلمين منه إلى التَّصْوير الشعريّ.

ونوَّه عديّ في قصيدته الثّانية[1] بعَراقة نَسَب عمرَ بن عبد العزيز، ونُبْلِ محْتِده، وتحدَّث عن كَرمه الفيّاض، وأَشادَ بتُقاه وغَزْوِه الأعداءَ وجِهادِه في سبيل اللّه تعالى.

ب — مدْح الأُمَـــراء.

وإذا كان شعراءُ القبائل اليمانيَّة الشاميَّة قد مدَحوا خُلفاءَ بني أُميَّة وأيَّدوهُم حِرْصًا على مَصْلحة قبائلهم، فإنَّهم لم يمْدَحوا الأُمراءَ الأُمويِّين لهذا الغَرَض، وإنَّمـــا مدَحوهُم بدافعٍ من مَصالح ذاتيَّة، منها ما يتعلَّقُ برِدِّ الجَميل، ومنها ما يتَّصِلُ بالرَّغْبة في الحُصول على المال. ومن هؤلاء الأُمراء: عبْدُ الله بنُ يزيد بن مُعاوية المُلقَّب بالأَسْوار[2]، ومُحمَّدُ بنُ مروان بن الحَكَم، ومَسْلَمةُ بنُ عبد الملك، وعمرُ بنُ الوليد بن عبد الملك.

فأمّا الأَسْوار فقد ذَكَرهُ عديّ بن الرِّقاع في قصيدتَيْن طويلتَيْن، ابْتدأَ أُولاهُما بالأَطْلال، وافْتتَح الثّانية بالغَزل، ولكنَّه لم يُفْرِدْ لمدح الأَسْوار فيهما إلاّ أبياتـــاً معْدُودات، كرَّر فيها صُوَرَ القُدماء وصفاتِهم المدْحيَّة التقليديَّة، فنوَّه في قَصيدتـــه الأُولى برِفْعَة نَسَب الأَسْوار وكرم قومه ونَجْدَتِهم[3]. وشبَّهَهُ في القصيدة الثّانية بالبَحْر

---

(١) انظر: الدّيوان ص: ١٩٧.
(٢) لُقِّب بالأَسْوار لجَوْدة رمْيه.
(٣) انظر: الدّيوان ص: ١٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والغَيْث وذكر نُزولَه عليه كَسيراً ، وذلك أنّ عَدِيّاً نزل عن مطيّته ليلاً ومشى بعد أنْ أعياه الرُكوب، فوقعت رِجْلُه في جُحْر يرْبوع فانْكَسرت، فأَنْزلَهُ رَجُلٌ الأَسْوار، فأَحْسَن إليه وداواه وحَباهُ بفَرَسٍ وعشْرٍ من النُّوق وكساه، فقال يَمْدَحُهُ ويعْتَرِف بماله عليه من يد (١):

يا ابنَ الخَليفة إنّي قد تأَوَّبَني ... همٌّ أَعانَ عليَّ السُّقْمَ والسَّهَرا
فلا أَنامُ إذا ما اللّيل ألْبَسَني ... ولو تغطَّيْتُ حتّى أَعْرِفَ السَّحَرا
داويْتَ ضَيْفكَ حتّى قامَ مُعْتَدِلاً ... وَرُشْتَهُ فرآهُ النّاسُ قد جُبِرا (٢)
بالبَزِّ والفَرَسِ الحسْناء موْهِبَةً وباللّقاحِ الصَّفايا تَحْلِبُ الدَّرَرا (٣)
فإنّ بَحْرك لا تَجْزي البُحورُ بِهِ ... وإنّما أَنْتَ غيْثٌ طالما مَطَرا

وأَمّا مُحمّد بنُ مروان بن الحَكَم، فإنّه أَجار بَيْهَسَ بنَ صُهَيْب الجَرْميّ (٤) من تُهْمةٍ كانت عليه، فوَصَفَه بَيْهَسٌ بالرِّفْعةِ وطيب الأَصْل فقال (٥):

هو الفَرْعُ الذي بُنِيَتْ عليه ... بُيوتُ الأَطْيَبَيْنَ ذوي الحِجابِ

وصرّح أَعْرابيّ من كلب بأنّه يزورُ مَسْلَمَةَ بنَ عبد الملك، فيُصيبُ من عِلْمه ويَحْظى بنائله، وعبّر عن سُمُوّ منْزلَته ومَضاءِ عَزْمِه، فشبّههُ بالحُسام المَصْقول الذي يَزْدادُ لمَعانُه كلّما أَظْلَمت الخُطوب ووقَعت الشّدائد، ولا غَرْوَ في ذلك فهو ابنُ الخليفة وأَحَدُ أُمراء بني أُميّة المشْهورين، يقول (٦):

---

(١) انظر: الدّيوان ص: ١٨٦. والأَبيات التي أنْشدْناها ص: ١٩١.
(٢) جُبِرَ: سُرَّ.
(٣) الصّفايا: الغِزار.
(٤) هو أبو المِقْدام، بَيْهس بنُ صُهَيْب بن عامر بن عبد الله الجَرْميّ من قُضاعة. شاعر فارس حكيم من شعراء الدّولة الأُمويّة. سكن داريّا، وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وعُذْرة. وقاتل الأَزارقة مع المُهلّب بن أبي صُفْرة وكانت له مواقف مشهورة وبلاء حَسَن. وتوفّي حوالي سنة (١٠٠ هـ) انظر: الكامل في اللّغة والأَدب ٣: ١٣١٤، والأَغاني ١٢: ٤٢، ٢٢: ١٢٩، والمُؤْتلف والمُخْتلف ص: ٨٦، وجَمْهرة أَنساب العرب ص: ٤٥١، وتاريخ مدينة دمشق ١٠: ٣٩٧، والبَغْداديّ: خزانة الأَدب ٧: ٢٩٦، والأَعلام ٢: ٨١.
(٥) الأَغاني ٢٢: ١٣٤–١٣٥.
(٦) الأَشْباه والنّظائر ١: ١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نزورُ امرءاً من آلِ مروانَ لم يَـــزلْ لنا منهُ عِلْمٌ لا يُحدُّ ونائـــــلُ
تَراهُ إذا ما أَظْلمَ الخَطْبُ مُشْرِقـاً كمِثْل حُسامٍ أَخْلصتْهُ الصَّياقِـــلُ

ويُسْتَفادُ من هذين البيْتيْن أنَّ مسْلَمة كان يَعْقِد للعلماء والشُّعراء والأَعْراب مجالِسَ خاصَّة، فيُحاوِرُهم ويَسْتَمِعُ إلى شعْرهم ويُجيزُهم.

وحبَّر عدِيّ بنُ الرِّقاع ستَّ قصائد (١) في مدْح عُمَر بن الوليد بن عبد الملـــك، زاوجَ فيها بين صِفاته العربيَّة والإسْلاميَّة، فتَغنَّى بحُسْن صُورته وبجُوْده وفَضْله وحَسَبِـه ومَنْزلة آبائه وأَجْداده في قُريش وابْتِعاده عن الفَواحش، وباقْتِدائه بصفات أَبيـــه الحَميدة، وأَشادَ فيها بعدْله وسَداد رأْيه ورَجاحةِ عقْله، وراوحَ في أُسْلوبه وأَلْفاظـــه بين المَتانةِ والجَزالة وبين السُّهولة والرِّقَّة. ومن مديحه له هذه الأَبيات التي صاغَها في وَزْن البسيط بتَفْصيلاته الطويلة ونَغماته الرَّتيبة الرَّزينة، وانْتَخَبَ لها بعضَ الأَلْفاظ الجَزْلة الرَّصينة التي تدلُّ كلُّ واحدةٍ منها على صفةٍ من صِفات هذا الأَمير، يقول (٢):

إذا هَبطْتُ بلاداً لا أَراكَ بهـــا تَجهَّمتْني وحالتْ دُونَها ظُلَـــمُ
أَغرُّ أَرْوعُ بُهْلولٌ أَخو ثِقَـــــةٍ حُلاحِلٌ من تَراهُ اللِّينُ والكَـــرَم (٣)
في شِدَّةِ العَقْد والحِلْم الرَّزينِ وفي القولِ الثَّبيت إذا ما اسْتُنَّت الكَلِم (٤)
لا يَتْعبُ الحُكْمَ حتَّى تَسْتَبينَ لـــه مواقعُ الحقِّ، إنَّ القاضيَ الفَهِـــم
نَما إلى السُّورةِ العُلْيا اليَفاعِ فما زلَّتْ به نَعْلُه يوماً ولا القَـــدَم (٥)
حتَّى احْتَبى بمكانٍ تَسْتَقيدُ لـــه عَما عِمُ العَرب المذْكورةُ العُظُـــم (٦)

فهو أَغرُّ أَرْوعُ رَزين من شيمه اللِّينُ والكَرم والعدْل والقول الثَّبْت والانْتِمـــاء الأَصيل والمكانة الرَّفيعة.

---

(١) انظر: الدّيوان ص: ٦٠، ١٠٨، ١١٥، ١٦١، ٢١٠، ٢٢٦.
(٢) نفسه ص: ١١٩.
(٣) الأَغرُّ: الأَبْيض الواسع الجَبْهة. والأَرْوع: الذي يروعك جماله إذا رأَيْته. والبُهْلول: البسّام والحُلاحل: الرَّزين.
(٤) اسْتُنَّت الكَلِم: اسْتُمِعَت.
(٥) اليَفاع: المُرْتفعـــة.
(٦) العَمائِم: الجَماعات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مديحه له قولُه يُشبِّهُهُ بالبَدْر (١) :

وإذا نَظَرْتُ إلى أَميري زادَني ... ضنًّا به نَظَري إلى الأُمَراءِ
تَسْمو العُيونُ إليه حينَ يَرينَهُ ... كالبَدْرِ فَرَّجَ طخْيَةَ الظَّلْماءِ
عُمَرُ الذي جَمَعَ المكارمَ كُلَّها ... وابنُ الخليفةِ أَفْضلِ الخُلَفاءِ

وهي أَبياتٌ نَلْمسُ فيها بوُضوح أَثرَ الحضارة المُتمثِّل في تأَنُّقِ الشّاعر في صياغة شعره، وتأَنِّيهِ في انْتِقاءِ معانيه الرَّشيقة وأَلْفاظه الرَّقيقة، ولَباقَتِهِ وحُسْنِ تأَتِّيه في مدْح ذوي السُّلْطة ومُخاطَبتِهم (٢).

ولم يتحرَّجْ عديّ في إِحْدى قصائده التي مَدَحه فيها من طَلب الجائزة، والتّلميح بأَنَّه سيتحوَّل عنه إذا لم يُجزْه فقال (٣) :

أَتيْتُكَ ثمَّ عُدْتُ فَعُدْ بخيرٍ ... وخيرُ الخَيْرِ ما يُجْرى عِلالا (٤)
فصدِّقْ مِدْحَتي وأَجِزْ كريماً ... إذا ما عفَّ عن بَلدٍ أَطالا

ويدُلُّ ذلك على أَنَّه لم يكن يَمْدحُه إلاّ من أَجْل الحصول على المال.

وواضحٌ مما قدَّمْنا أَنَّ شُعراءَ اليمانيَّة كانوا يكْتفونَ في مديحهم للأُمراءِ الأُمويِّين بالثَّناءِ عليهم وتَعْداد صِفاتهم وشَمائلهم الكريمة، فلم يتحدَّثوا عن مناصبهم أَو شَخْصيّاتهم السياسيَّة، بل أَهْملوها إهمالاً بيِّناً.

ج — مدْح عُمّال الأُمويِّين.

ومدَحَ بعضُ شعراءِ اليمانيَّة أَيضًا عدداً من رجالات اليمانيَّة الذين تولَّوا أَعمالاً للأُمويِّين، ولكنَّهم لم يُفيضوا في مدْحهم وتَعْداد مَناقِبهم وبَيان مراتبهم ولم يتعدَّوهم إلى مدْح غيرهم من رجالات عصرهم. فقد أَثنى عَديّ بنُ الرِّقاع العامليّ على صفة الجُود في يزيد بن المُهلَّب بن أَبي صُفْرة. فقال يمْدحُه وهو مَسْجون (٥) :

ولم أَرَ مَحْبوساً من الناسِ واحداً ... حَبا زائراً في السِّجْن غيرَ يزيدِ
سَعيدُ بنُ عمرو إذْ أَتاه أَجازَهُ ... بخمْسينَ أَلْفاً عُجِّلتْ لسَعيدِ

---

(١) الديوان ص: ١٦٢.
(٢) خليل مُردم بك: الشُّعراء الشاميّون ص: ٣٣.
(٣) الدّيوان ص: ١١٤.
(٤) العَلل: الشُّرب الثّاني.
(٥) الدّيوان ص: ٢٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان سعيدُ بنُ عمرو الحَرَشيّ مُواخياً ليزيد بن المُهلَّب، فلمّا حَبَسه عُمَرُ بنُ عبد العزيز (١) أتاه سعيد فقال: يا أميرَ المُؤمنين، لي على يزيد خَمْسون أَلْف دِرْهم وقد حُلْتَ بيني وبينه، فإنْ رأَيْتَ أنْ تأْذَن لي فأَقْتضِيَه؟ فأَذِنَ له عمر، فدخل عليه فسُرَّ به يزيد وقال له: كيف وصلْتَ إليَّ؟ فأَخْبره، فقال له يزيد: واللّهِ، لا تَخْرج إلاّ وهي معك، فامْتنع سعيد، فحلفَ يزيد ليقْبِضَنَّها (٢)، فسجّل الشاعر هذه القصّة وحفظَ ليزيد بادِرَته التي لم تُؤْثَرْ عن أَحد غيره في الجُود. وربّما أَراد عديّ من مدْحِه ليزيد بن المُهلَّب أَنْ يُذكّر الخليفةَ بفضْلِ يزيد وجُوده، وبخِدْمةِ آلِ المُهلَّب لبني أُميّة وتفانيهم في مُقارعةِ أَعْدائهم، لعلّه يعْفو عنه.

وقد مدحَ عديّ أَيضاً رَوْحَ بنَ زِنْباع الجُذاميّ (٣)، ومُرّي بن ربيعة بن مَسْعود الكلبيّ (٤).

ومدحَ الأَشْعثُ القَيْنيّ خالدَ بنَ عبد اللّه القَسْريّ لمّا حَبَسه صاحب شُرَط الوليد ابن يزيد، فقال (٥):

أَلا إنّ خيْرَ النّاسِ نَفْساً ووالِداً ... أَسيرُ قُرَيْشٍ عِنْدَها في السَّلاسِلِ
لَعَمْري لقد أَعْمرتُم السِّجْنَ خالداً ... وأَوْطأْتُموهُ وَطْأَةَ المُتثاقِلِ
فإنْ تَحْبِسوا القَسْريَّ لا تَحْبسوا اسْمَه ... ولا تَحْبِسوا مَعْروفَهُ في القَبائلِ

فهو يُعبّر عن رفْضِه حَبْسَ خالد وتَعْذيبَهُ، ويُؤكّدُ ذلك بتكْرار كلمة "تَحْبِسوا" ثلاثَ مرّات في البيْت الأَخير، ليدُلّ على أَنّ حَبْسَهُ لن يُجْدِيَ، لأَنّ اسْمَهُ وخِصالَهُ الكريمةَ وأَفْعالَه الحَسَنة، قد انْتشرت في القبائل ولا سبيل إلى حَبْسِها. ويَنْقلُ إلينا جانباً من إحْساس القبائل اليمانيّة الشاميّة بتقلُّصِ نُفوذِها واضْمِحلال مكانَتِها في أَواخر العصْر الأُمويّ، بسبب تعصُّب بعض الخلفاء عليها، وتَنْكيلهم بأَشْهر زُعمائها.

---

(١) انظر سبب حبس يزيد بن المُهلَّب في: الكامل في التاريخ ٥: ٤٨.
(٢) عيون الأَخبار ١: ٣٤٣–٣٤٤.
(٣) انظر: الدّيوان ص: ٢٥٨.
(٤) انظر: نفسه ص: ٢٣٤. وقد سَقَط القِسْم الخاصّ بالمديح من هذه القصيدة.
(٥) الأَخْبار الطّوال ص: ٣٤٧. ونُسِبَ البيْتان الأَوّل والثّاني إلى أَبي الشَّغْب العَبْسيّ في: المَرْزوقي: شرْح ديوان الحَماسة ٢: ٩٢٧–٩٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ — المديح القَبَلـيّ .

ويظهرُ أنَّ شُعراء القبائل اليمانيَّة الشاميَّة لم يَنْظِموا شعرًا كثيراً في مدح قبائلهم ؛ لأنَّ ما وصل إلينا من شعرهم في هذا اللَّون من المديح لا يعْدو مقطوعةً واحدة في مدْح قبيلة قضاعة ، نظمها شُقْرانُ مولى بني سَلامان (١) ومزَجَ فيها بين المدْح والهجاء ، فامْتدَح قضاعة وذمَّ قَيْس عيْلان فقال (٢) :

ولو كُنْتُ مَوْلى قَيْسِ عَيْلانَ لم تَجِدْ ... عليَّ لإنْسانٍ من النّاس بِرْهَمـا
ولكنَّني مَوْلى قُضاعةَ كلِّهـا ... فلسْتُ أُبالي أنْ أَدِينَ وتَفْرَمـا
أُولئكَ قومي بارَكَ اللّه فيهـمُ ... على كلِّ حالٍ ما أَعَفَّ وأَكْرَمـا
ثِقالُ الجِفانِ والحُلوم رِحاهُـمُ ... رحا الماءِ يكْتالونَ كَيْلاً غَذَمْذَمـا (٣)
جُفاةُ المَحَزِّ لا يُصيبونَ مَفْصِـلاً ... ولا يأْكُلونَ اللَّحْمَ إلاّ تخذُّمـا (٤)

فهو يهجو قيْس عيْلان ويتمدَّحُ بانْتِسابه لقضاعة ، ويتبسَّطُ في اقْتراض الأَمْـوال من الناس لثقته في أنَّ مواليه يتحمَّلون عنه الأَثْقال ويعدُّونَ الغَرامةَ في سبيله غُنْماً ، فيصفُهم بالعفَّة والجُود والحِلْم ، ويُبالغُ في تصوير تَرفهم وثَرائهم مُسْتَعينًا ببعـض الصُّور والتَّشْبيهات المادِّيَّة ، فيشبِّهُ رحاهم برَحى الماء ، ويُكنّي بثِقَل جفانهم عن عِظَمها وامْتلائها بالطَّعام ، ويقْترب بصورة مواليه من صورة المُلوك فيذكر أنَّهم سادةٌ مخْدومون ،

---

(١) هو شُقْران مولى بني سَلامان بن سَعْد هُذَيْم أخي عُذْرة من قُضاعة . شاعر شاميّ من شعراء بني أُميَّة ، وَفَد على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكان مدّاحاً له داخلاً في جُمْلته . ووقعت مُهاجاة بينه وبين ابن مَيّادة المُرّي . انظر : الأَغاني ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيّة) ٨ : ٤٧ ، وتَهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٢٧ .

(٢) المرْزوقي : شرح ديوان الحماسة ٤ : ١٦٠٢ — ١٦٠٣ . وانظر : التبْريزيّ : شرْح ديوان الحماسة ٤ : ١٥٢ — ١٥٣ . وانظر أيضاً : البيت الأوّل والثّاني في عيون الأَخْبار ١ : ٢٥٦ ، والعقد الفريد ٢ : ١٨٤ ، ومحاضرات الأُدباء ٢ : ٤٧٦ . والأَبيات في : البيان والتبيين ١ : ١٠٧ دون عَزْو ، ولِثَرْوان أو ابن ثَرْوان مولى لبني عُذْرة في : البيان والتبيين ٣ : ٣٠٩ ، ولعَبْد بني قضاعة في : الحماسة البصرية ١ : ٥٢٢ ، ولمروان عبد بني قضاعة في : الحماسة البصرية (عالم الكتب بيروت) ١ : ١٦٤ ، ولعلّ ثَرْوان ومروان تحريفٌ لشُقْران .

(٣) البيت في : لسان العرب : مادة غذم . والغذْم : الأكل بسرعة .

(٤) البيت في : المرْزوقيّ : شرح ديوان الحماسة ٢ : ٥١٦ دون عزو . والتخذُّم : من الخَذْم وهو سُرعة القطْع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جُفاةُ المحزِّ لا يُحْسِنون تَقْطيعَ اللَّحْم إذا ما غاب خَدَمُهم ولا يأكلونه إلاّ مقطَّعاً . ونَسْتدلُّ من أبيات شُقْران على صِدْق ولائه لقضاعة وإخلاصه في مدْحِها والمُنافَحة عنها .

ويظهر من الأمثلة التي أنْشدناها أنَّ شعرَ القبائل اليمانيَّة الشاميَّة في المديح قليل ، لأنَّ شُعراءَها باستثناء عديّ بن الرِّقاع ـ لم يكونوا يتَّخِذون المديح وسيلةً للتكسُّب وطلب المال ، وإنَّما اتَّخذوهُ وسيلةً للمُحافظة على مصالح قبائلهم بمدْحِ الخُلفاء الأُمويِّين وإظهار الولاء والتأييد لهم في المُناسبات والأَحْداث التي كانت تَقْتَضي فنهم ذلك .

أمّا مدْحُهم للأُمراء فإنَّهم نظموه لأَسْباب ذاتيَّة ، واقْتَصروا فيه على التَّنْويه بمَناقبهم وخِصالهم ، ولم يُشيروا فيه إلى أَعْمالهم أو مكانتهم السّياسيَّة .

ويظهر كذلك أنَّهم لم يمْدَحوا من رجالات عَصْرهم إلاّ الشَّخْصيّات اليمانيَّة البارزة التي عَطِفت لبني أُميَّة ، وأنَّ مديحَهم لبعض هذه الشَّخْصيّات جاءَ ردَّة فِعْل لما أَصابَها من حَبْس وتَعْذيب في أَواخر العصر الأُمويّ ، وأنَّ من هؤلاء الشُّعراء مَنْ تمدَّح بولائه لقبيلة قضاعة وتمجَّد بانْتسابه إليها .

ويظهر أيْضاً أنَّ عديّ بنَ الرِّقاع العامليّ استَفْرغَ قدْراً كبيراً من شِعْره في مدْح الأُمويِّين ، وأنَّه انْفرَد من بين شعراء القبائل اليمانيَّة الشاميَّة بمدْح الوليد بن عبد الملك وعُمرَ بن عبد العزيز ، وبمدْح أَميرَيْن أُمويَّين هما : عبدُ اللّه بنُ يزيد بن مُعاوية وعَمرُ بنُ الوليد بن عبد الملك ، وبمدْح عددٍ من رجالات اليمانيَّة كيزيد بن المُهلَّب وَروْح بن زِنْباع ومُرّي بن ربيعة الكلبيّ ، وأنَّه ردَّد في بعض مدائحه للأُمويِّين اعْتِقادَهم بأنَّ اللّه اخْتارَهم للخلافة واصْطَفاهم لقيادة الأُمَّة . وراوحَ في مديحه لهم بين التَّنْويه بمَناقبهم العربيَّة وبين التَّغنّي بفَضائلهم الإسلاميَّة ، ولا سيَّما في مديحه لعمر بن عبد العزيز .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : الغـــــــزل

ذكر الشعراءُ الجاهليّون المرأةَ في أشعارهم، ووَصفوها وحنّوا إلى ديارهـــا وتمنّوا لقاءَها ، وأشاروا إلى ما يَعْرِض لعلاقاتهم بها من وَصْلٍ وصدّ ، ويأسٍ ورجـــاء ، وإطْماع وامْتِناع. واستمرّ كثيرٌ من شعراء العصر الأُمويّ يَجْرون على نَهْجهم، ويترسّمون خُطاهُم، ويهْتَدون بما اختطّوا لهم في هذا الفنّ من رُسوم ومَعالم واضحة(١).

ولم تَحْتفظ مصادرُ الشعر الأُمويّ ومظانّه للقبائل اليمانيّة الشاميّة إلاّ بقليل من شعر الغَزل نَظَمه عددٌ من شعرائها هم : النُّعْمانُ بنُ بشير الأنْصاريّ ، وعديّ بنُ الرّقاع العامليّ ، وبَيْهس بنُ صُهَيْب الجَرْميّ وشَبيب بنُ يزيد بن النُّعْمان بن بَشيـــر ، وشُقْران مولى بني سَلامان . أمّا ما عدا هؤلاء الشّعراء فإنّنا لم نَعْثُر لهم إلاّ علـى بِضْعة أبيات غَزليّة نظموها في مطالع قصائدهم(٢) ، ممّا يَجْعلنا نُحِسّ بضياع قَدْر غير قليل من هذا الشعر.

وقد اقْترَن ذِكْرُ المرأة عند النُّعْمان بن بَشير الأنْصاريّ (٣) بالحَنين إلى المَرابع والدّيار، وبالتّشوّقِ إلى الأهْل والوطن (٤) . ويكادُ غَزلُه الذي قاله بعد انْتِقالـــه

---

(١) الحياة الأدبيّة، عصر بني أُميّة ، ص: ١٠٣ .

(٢) انظر : تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، والمُؤْتلف والمُخْتلف ص: ٢٥ — ٢٦ .

(٣) هو النُّعْمانُ بنُ بشير بن سَعْد الخَزْرجيّ الأنْصاريّ ، كان أول مَوْلود بالمدينـة للأنصار بعد الهجرة النبويّة، ورُويَت له أحاديث كثيرة بإسْناده . وبعد موت عُثمان ابن عفّان رضي الله عنه ، انتقل إلى الشام وانْحازَ إلى مُعاوية بن أبي سُفيـان وأخلصَ له ، وقاتل معه في صِفّين ، فولاّه مُعاوية الكوفة واليمن وحمص. ولمّا انْتقـل المُلك بعد موت يزيد بن مُعاوية إلى بني مروان سنة (٦٤هـ) قطع النُّعْمان ولاءه للأُمويّين وانضمّ إلى الزُّبيْريّين ، فبايع لعبد الله بن الزُّبيْر بحمص، ولكنّ أهلَها خالفوه وأخْرجوه منها وقَتلوه بعد هزيمة أتْباع الزُّبيْريّين في معركـة مَرْج راهط حوالي سنة (٦٥هـ) . انظر : الأغاني ١٦ : ٣ ، وجمهرة أنساب العرب ص: ٣٦٤ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنيّة) ١٧ : ٢٩٤ ، والاستيعاب ٤ : ١٤٩٦ ، وسِيَر أعلام النّبلاء ٣ : ٤١١ ، والبداية والنّهايـــة ٨ : ٢٤٤ ، والإصابة ٦ : ٤٤٠ ، والأعلام ٨ : ٣٦ ، وبلاشير : تاريخ الأدب العربيّ ص: ٣٥٠ .

(٤) انظر : شعر النُّعْمان بن بشير الأنصاريّ ص: ٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من المدينة إلى الشام يَقتصِرُ على مقْطوعتَيْن (١) ، وعلى قصيدة لعلّه قالها في أثناء واحدة من ولاياته البعيدة التي لم يَصْحَب فيها أَهْله (٢) ، إذْ نراهُ يتشوَّقُ فيها إلى زوْجه أُمّ عبْد الله ، ويَتمنّى لِقاءَها ، ويسْتَسْقي لديارها ، ويَسْترْجِعُ ذِكْريات حُبّه القديم لَها ، فيُعدِّدُ بعْضاً من صفاتها المعْنويّة كتجنّيها على عاشِقها وظُلْمها له وبُخْلِها بوِصاله ، ويصفُ حُمولَها المُزْدانةَ بالخزّ الفارسيّ المُرقّم ، ولم يَنْسَ أنْ يذُمّ سَعْيَ الوُشاة نُذُرِ الشُّؤْم والفراق ، يقول (٣) :

سقى أُمَّ عبْدِ اللّه مُعْرَوْرِفُ الذُّرى ... أَجَشُّ هَزيمٌ يَحْفِشُ الوَدْقَ مُقْدِما (٤)
على نَأْيِها مِنّي وإنْ كُنْتُ عاتِباً ... عليها وكانت في التَّجنُّبِ أَظْلَما
تَجودُ لها نَفْسي بِحُلْوِ حديثِها ... وتَبْذلُ بعد البُخْل نَزْراً مُتَرْجَما (٥)
يطولُ عليَّ اليومُ دونَ لِقائها ... وتَهْجُرُني حَوْلاً جديداً مُجرَّما (٦)
تُحاوِلُ ودِّي إذْ تولّت بودِّها ... أَبى اللّه قَبْلَ اليوم أنْ أَتهضَّما

ثم يقول :

أَرى أُمَّ عبْدِ اللّه أَخْلَقَ وُدُّها ... فما تَرْعَوي للوصْلِ إلاّ توهُّما
فلا تَجْعلي وَصْلي إلى قَول كاشِحٍ ... إذا هو أَسْدى نِيْرَةَ الصِّرْمِ أَلْحَما (٧)
فسلْها بما ردَّت إلى ذي قَرابةٍ ... أَلَمَّ عليها واقفاً ثمَّ سلَّما
فصدَّت وما ردَّتْ عليَّ تَحيَّةً ... وضَنَّت على ذي حاجة أنْ تكلَّما
غَداةَ اسْتقلَّت عن قُدَيْد حُمولُها ... وعالَيْن خَزَّ الفارسيَّ المُرقَّما (٨)

---

(١) انظر : شعر النُّعْمان بن بَشير الأَنْصاريّ ص : ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٢) تاريخ اليعْقوبيّ ٢ : ٢٣٤ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٣٦٤ .
(٣) شعر النُّعْمان بن بَشير الأنصاري ص : ١١٧ — ١٢٧ .
(٤) العُرُف : الرَّمل المُرْتفع ، واعْرورفَ البحر : ارتفعت أمْواجه . والأَجشّ : الغَليظ . وهَزيم الرَّعد : صوته . ويَحْفِش : يَسيلُ من كلّ جانب إلى مُسْتنْقع واحد . والودْق : المطر .
(٥) أَي : كلامُها قليل مُخْتَصر .
(٦) الحَوْل المُجرَّم : الكامل التّام .
(٧) الكاشح : المُعادي . والنِّير : عَلَمُ الثَّوب ولُحْمته أَيضاً . والمُلْحَم : جِنْسٌ من الثِّياب .
(٨) قُدَيْد : موضع قُرب مكّة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقفُ عديُّ بنُ الرِّقاع العامليّ — من بين هؤلاء الشّعراء — عَلَماً شامخاً على هذا الفنّ الشّعريّ، إذ افْتتَحَ عدداً من قصائده بالغَزل (١)، وأَفْردَ للمرأة مكاناً بارزاً في مُقدّمات قَصائده الأُخْرى (٢)، فتحدّث عن هجْرها له وصدّها عنه، ووقفَ في ديارها الدّارِسَة مُسْترجعاً ذِكْرياته فيها، وباكياً عليها بُكاءً حارّاً، وشبّه نَفْسَه عند ذِكْرها بشارب الخَمْر، وتَغنّى بجمالها الحِسّي والمَعْنويّ، ووصَفَ طيْفَها وحُمولَها، وصوّر جانباً من علاقته الصّريحة بها. ويبدو أنّه لم يكن مُقْتصراً في حبّه على امرأة واحدة، فقد تعدّدَت أَسماءُ النّساء في شعره فذكرَ رُوَيْمةَ (٣)، وسُعاد (٤)، وسَلْمى (٥) وحُسَيْنة (٦)، وصَفْراء (٧)، وأُخْتَ بني لُؤيّ (٨)، وأُمَّ هاشِم (٩)، ومَكْتُومَةَ (١٠)، والشّفاء (١١) وسَلُّومة (١٢)، وأُمَّ القاسِم (١٣)، وابنَتي قيْس (١٤)، أَو ربّما كانت هذه الأَسماء مُجرّد رُموز تقليديّة اسْتَخْدمها في غَزله. ولم يكد يَترك في غزله بهنّ عُضْواً من أَعضاء المرأة إلاّ وصفَه وقَرنه بما يُلائمهُ من صفات، فوصَفَ اسْوِدادَ شَعْرها (١٥)، ووُضوحَ جَبينِها (١٦)، واحْورارَ عَيْنَيْها وفُتورَها (١٧)، ونُعومةَ خدّيْها (١٨)، وبياضَ وجْهِها ونُصوعَ لوْنه (١٩)، ولَمعانَ ثَغْرها (٢٠)، وصَفاءَ ثنايا (٢١)، وعُذوبةَ ريقها (٢٢)، وطولَ جيدها، ولُيونة

---

(١) انظر: الدّيوان ص: ٦٠، ١١٥، ١٦٨، ١٨٦، ١٩٢، ٢١٠.
(٢) انظر: نفسه ص: ٧٣، ٨٢، ٩٦، ٢٠٤، ٢٢٦.
(٣) انظر: نفسه ص: ٥٠.
(٤) انظر: نفسه ص: ٨٦، ١١٥.
(٥) انظر: نفسه ص: ١٧٨.
(٦) انظر: نفسه ص: ١٦٨، ٢١٠.
(٧) انظر: نفسه ص: ٩٦.
(٨) انظر: نفسه ص: ٩٦.
(٩) انظر: نفسه ص: ٢٣٩.
(١٠) انظر: نفسه ص: ٢٣٨.
(١١) انظر: نفسه ص: ١٥٠.
(١٢) انظر: نفسه ص: ١٨٦.
(١٣) انظر: نفسه ص: ١٢٢.
(١٤) انظر: نفسه ص: ١٩٢.
(١٥) انظر: نفسه ص: ٢٣٩.
(١٦) انظر: نفسه ص: ٨٣.
(١٧) انظر: نفسه ص: ١٢٢، ١٥٠.
(١٨) انظر: نفسه ص: ٧٣.
(١٩) انظر: نفسه ص: ٥٠، ١٥٠.
(٢٠) انظر: نفسه ص: ١٥٠، ٢٠٥، ٢١٦.
(٢١) انظر: نفسه ص: ١٣٨، ١٩٧.
(٢٢) انظر: نفسه ص: ٩٧، ١٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مَتْنِها ، ولُدونةَ مفاصِلها (١) ، ودِقّةَ خَصْرها (٢) وعِظَمَ أَرْدافِها (٣) ، ووَصَفَ بَنانَهـــا (٤) وحُسْنَ مَشْيَتِها (٥) ، ووصَفَ شيْئاً من ملابسها وسُموطِها (٦) ، وشبَّهها بالدُّمْية (٧) ، وبالمَهاة التي تبلَّجَ اللَّيل عنها (٨) ، وبيْضَة النَّعام (٩) ، وبالظبْية البِكْر التي تَرْعى شارِنَها (١٠) ، فكرَّر بذلك كثيراً من صُور الشّعراء الجاهليّين وتشْبيهاتهم ، وجدَّد في بعض صوره وتَشْبيهاته فشَهِد له كبار الشعراء والنّقّاد بابْتكارها والبراعة فيها (١١).

ومن غَزله : هذه اللَّوْحةُ التي رَسَم فيها صُورةً مِثاليّة للنّساء ، فذكر أنَّهنَّ مُبرّءاتٌ من العيوب ، قد خَلقهُنَّ اللّهُ في أَجْملِ صُورة وأَبْهى منْظر ، وأَعارهنَّ خَفْقَ العَيْش وبرِعَته رِقّةً وحلاوةَ حديث ، فقال يصِفُ فتْنَته وشِدّةَ تعلّقِه بهنّ (١٢) :

وفي الخُدورِ دُمى حورٌ مُصـــوَّرةٌ ... خُلِقْنَ أَجْملَ ممّا قالَ مَنْ يَصِـــفُ
لا قَيْنَ عيْشاً من الدُّنْيا سَعِدْنَ بـــه ... وما المَعيشةُ إلاّ مُتْعةٌ سَلَـــفُ
إذا ذَكرْتَ حديثاً قُلْنَ أَحْسنَـــهُ ... وهنَّ عن كلّ سُوءٍ يُتّقى صُـــدُفُ
قد كُنَّ للقلب همّاً فهو مُخْتبَـــلٌ ... صَبٌّ بهنَّ ولو عذَّبْنَه كَلِـــفُ

ونَقلَ عدِيّ بعض صفاتِ مَحْبوبته الحِسيَّة والمعْنويّة ، فقال في قصيدته الدّاليّة (١٣) :

ولرُبَّ واضِحةِ الجَبين خَريـــدةٍ ... بيْضاءَ قد ضَرَبَتْ بها أَوْتادَهـــا (١٤)
تَصْطادُ بَهْجتُها المُعلَّلَ بالصِّبا ... عَرَضاً فتُقْصِدُه ولن يَصْطادَهـــا (١٥)
كالظبْية البِكْر الفَريدة تَرْتَعـــي ... من أَرْضها قَفَراتها وعِهادَهـــا (١٦)

فصوَّرها امرأةً بيضاءَ فريدةً في جمالها ، حييَّةً متمنّعةً ، تَسْحر لُبَّ عاشقها وتُذيبُ قلْبَـــه ، ولكنَّها تَسْتعْصي عليه ولا تُمكّنه من اسْتمالتها أو اجْتذاب قلْبها ، وشبَّهها بالظبية الأُمّ .

---

(١) انظر : الدّيوان ص : ٩٦ .
(٢) انظر : نفسه ص : ٩٧ ، ١٥٠ .
(٣) انظر : نفسه ص : ٩٧ .
(٤) انظر : نفسه ص : ٢٢٦ .
(٥) انظر : نفسه ص : ٦٠ .
(٦) انظر : نفسه ص : ٦٨ ، ١٣٨ .
(٧) انظر : نفسه ص : ٥٠ ، ٢٣٦ .
(٨) انظر : نفسه ص : ٥١ ، ٩٨ .
(٩) انظر : نفسه ص : ٢٣٦ .
(١٠) انظر : نفسه ص : ٨٤ ، ١٦٨ .
(١١) انظر : الأغاني ٩ : ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، والقاضي علي بن عبد العزيز الجُرْجانيّ : الوساطة بين المتنبّي وخصومه ص : ٣٢ ، والشّريف عليّ بن حسين العلويّ : أمالي المُرْتضى ١ : ٥١١ .
(١٢) الديوان ص : ٢٣٦ .
(١٣) نفســـه ص : ٨٣-٨٤ .
(١٤) الخريدة : الفتاة الحييّة .
(١٥) تقصده : تقتله .
(١٦) العِهاد : أوّل ما يقعُ من المطر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحدَّث في القصيدة نَفْسِها عن مطْل سُعاد وهَجْرِها له، وابْتِعادها وصُدودِها عنه فقال :

باتَتْ سُعادُ وأَخْلَفَتْ ميعادَهـــا وتباعَدَت منّا لتمْنعَ زادَهـــا

ونَظَر عدي في تَصْوير علاقته بأُخْت بني لُؤَيّ إلى قول أَعْشى بني قيْس بن ثَعْلبة في مُطوَّلته (١) :

عَلّقْتُها عَرَضًا وعَلّقتْ رَجُـــلاً غَيْري وعَلّقَ أُخْرى غيرَها الرَّجُـلُ

فقال مُعْتمدًا في نقْل صُورتها على عناصر اللّون والحَركة والرّائحة، ومُسْتَعينًا ببعْـــض الألوان البيانيّة والبديعيّة كالتشْبيه والجِناس والطّباق (٢) :

صادتْكَ أُخْتُ بني لُؤَيّ إذْ رَمَـتْ وأَصابَ سَهْمُكَ إذْ رَميتَ سِواهـــا

وأَعارها الحَدَثانُ منكَ مـــودَّةً وأُعيرَ غيرُكَ ودَّها وهَواهـــــا

تلكَ الظَّلامةُ قد علمتُ فلمْتَهـــا إذْ كنْتَ مكْتبلاً تلمُّ نَواهـــــا (٣)

بيضاءُ تسْتلِبُ الرّجالَ عُقولَهـــم عَظُمتْ روادِفُها ودقَّ حشاهـــا

وكأَنَّ طعْمَ الزَّنْجبيل ولـــذَّة صَهْباءَ ساكَ بها المُسُحّر فاهـــا (٤)

فهي امرأَةٌ بيضاء ذاتُ أَرْدافٍ عظيمة وخَصْر دقيق، تفوحُ من فَمِها رائحةٌ طيّبة كأَنّهـــا طعْمُ الزَّنْجبيل أَو طَعْمُ خَمْرة صَهْباء. رمتْ عديًّا بسِهامِها فصَرعتْهُ وملكتْ عليه فُؤادَه، ولكنَّها لم تُبادلْهُ حُبًّا بحبّ، بل صدَّتْهُ وآثرت رجُلاً غيره.

ومن صُور عدّي وتشْبيهاته المُسْتمدَّة من الطبيعة قولُه يصفُ ثَغْرَ محْبوبَتِهِ (٥) :

برّاقةُ الثَّغْر تَشْفي النَّفْسَ لذَّتُهـــا إذا مُقبّلُها في ثَغْرِها كَمَعَـــا (٦)

كالأُقْحُوان بِضاحي الرَّوْضِ صبَّحَـهُ غَيْثٌ أَرَنَّ بِتَنْضاحٍ وما نَقَعَـــا

فشبَّه لمعانَ ثَغْرها بالبرْق وبنوّار الأُقْحُوان المُخضَّل بالنَّدى.

---

(١) ديوان الأَعْشى الكبير ص: ١٠٧.
(٢) الدّيوان ص: ٩٦-٩٧.
(٣) المكْتبِل : المحْبوس.
(٤) المُسُحّر : الذي يقومُ على خِدْمَتها.
(٥) الدّيوان ص: ٢١٦-٢١٧. وانظر: ص: ١٩٨.
(٦) كَمَع : كَـــرَع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنها قولُه يُشبِّهُ بياضَ ثناياها بحبّات البَرَد (١) :

كأنّ ثناياها بناتُ سحابـــــةٍ ... حَداهُنَّ شُؤبوبٌ من الغَيْث باكِـرُ

وهي صُوَرٌ تَقْليديّةٌ مُكرَّرة، لا تكادُ تُوحي عنده بشيءٍ من التَّفنُّن والإبْداع.

وكان عديّ بنُ الرّقاع شاعراً يطْلُبُ الصُّوَرَ الطَّريفةَ والأَخْيلةَ المُبتكَرة والأَحاسيسَ الدَّقيقة(٢)، فتناثرَت في شعره أبْيات من الغَزل تَدُلُّ على رِقّة حِسّه، وتكشفُ عـــن جانبٍ من حياته الحَضَريّة المُتْرفَة، وتَشي بتأثُّره بمذْهَب شُعراء الغزل الصَّريح في عصره، وتُعبِّرُ عن شيءٍ من التَّطوُّر الاجتماعيّ والحضاريّ الذي أَصابَ المُجْتمع العربيّ في العصر الأُمويّ، منها قولُه (٣) :

فإنْ تكُنْ ميْعةٌ من باطلٍ ذَهَبـــتْ ... وأَعقبَ اللّهُ بعد الصَّبْوةِ الوَرَعـــا

فقد أَبيتُ أُناغي الخَوْدَ دانيـــةً ... على الوَسائدِ مسْروراً بها وَلِعـــا

وقولُـه (٤) :

فلقد تبيتُ يدُ الفَتاةِ وســـادةً ... ليَ جاعِلاً يُسْرى يَدَيَّ وسادَهـــا

وقولُـه (٥) :

وقد أَراني بها في عيشةٍ عَجَـبٍ ... والدَّهْرُ بيْنا له حالٌ إذ انْفتَـلا

أَلهو بواضحةِ الخَدَّيْنِ طيِّبَـةٍ ... بعد المَنام إذا ما سرُّها ابتَذلا

كشارب الخمْر لا تَشْفي لذاذَتُـه ... ولو يُطالعُ حتّى يُكْثرَ العَـــلَلا

فهو يلهو بالمرأة ويُناغيها ويَبيتُ معها مُتوسِّداً يدَها، فلا يكادُ يشْتفي منها كشارب الخَمْر الذي لا تَشْفي لَذاذتُه حتّى يشربَ مرّةً بعد أُخرى. ولكنّ عديّاً على الرُّغْـــم من ذلك لم يكن مُتهتّكاً في غزله، وإنّما ظلّ يحتفظُ فيه بكثير من الحِشْمة والوَقار.

وتمثّلُ قصّةُ عِشْق بَيْهس بن صُهَيْب الجَرميّ لابنة عمّه صَفْراء بنت عبْدِ اللّه بن عامر نُموذَجاً حيّاً للغَزل البَدويّ العَفيف عند شُعراء القبائل اليمانيّة الشاميّة إذْ تَقتربُ

---

(١) الدّيوان ص: ١٩٧.
(٢) د. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلاميّ، ص: ٣٤٦.
(٣) الدّيوان ص: ٢١٦.
(٤) نفسه ص: ٨٧.
(٥) نفسه ص: ٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من قصص الشعراء العُذْريّين اقتراباً كبيراً، حتّى إنّها لتكاد تُماثلها في توالي أحْداثها وتعقُّدها ونهايتها، فقد أَحبَّ بَيْهس ابْنةَ عمّه، وكان يتحدّث إليها، ويجلس في بيتها، ويكتم وَجْده بها، ولا يُظهِرُه لأحد، ولا يَخْطبها لأبيها؛ لأنّه كان صُعلوكاً لا مال له، فكان ينتظر أنْ يُثْري. وكان من أَحْسن الشّباب وجهاً وشارةً وحديثًا وشِعراً، فكان نساءُ الحيّ يتعرّضْن له ويجلسنَ إليه، ويتحدّثْنَ معه، فمرّت به صغراء، فرأَتْهُ جالساً مع فتاة منهنّ، فهجرتْهُ زماناً لا تُجيبه إذا دَعاها، ولا تَخْرجُ إليه إذا زارها، وعَرَض له سفر، فخرجَ إليه ثمّ عاد، وقد زوّجها أبوها رجلاً [ثريّاً] (١) من بني أسد، فأَخْرجَها وانْتقلَ عن دارهم بها» (٢). فقال بَيْهس بن صُهَيْب (٣):

سقى دِمْنةً صَفْراءُ كانت تَحلُّها ... بنَوْءِ الثُّريّا طلُّها وذِهابُها (٤)
وصابَ عليها كلُّ أَسْحَمَ هاطِلٍ ... ولا زالَ مُخْضرّاً مَريعًا جنابُها
أَحبُّ ثرى أَرْضٍ إليَّ وإنْ نأَتْ ... محلُّكِ منها تُرْبُها وتُرابُها
على أنّها غَضْبى عليَّ وحبّذا ... رِضاها إذا ما أُرْضِيَتْ وعِتابُها
وقد هاجَ لي حَيْناً فراقُكِ غُدْوةً ... وسَعْيُكِ في فيْفاءَ تَعْوي ذِئابُها
نظرْتُ وقد زالَ الحُمولُ ووازَنوا ... بِرَكْوةَ والوادي وخفّت رِكابُها
فقلتُ لأَصْحابي: أَبالقُرْبِ منهمُ ... جَرى الطَّيْرُ، أَمْ نادى ببَيْنٍ غُرابُها؟

فهو يَسْتَسقي لديارها ويدعو لها بالخِصْب والاخْضرار؛ لأنّ فيها ذِكْرياته مع مَحْبوبته، ويرسمُ صورةَ ارْتحالها مع زوْجها في أَبياتٍ تشيعُ فيها عاطفةُ الحُزْن، وتَعْكِسُ صِيَغُ الدُّعاء والاسْتفهام فيها جوّاً من إحساس الشّاعر بفَقْدِ مَحْبوبته وفَشَلِ حُبّه، وتُصوّرُ دَهْشَتَهُ وحَركةَ نَفْسِه المُضْطربة.

وتهيجُ رُؤْيةُ الظّواعِن شَوْقَ شَبيب بن يزيد بن النُّعْمان بن بشير الأَنْصاريّ وطَرَبَهُ، فيتذكّر مَحْبوبَته النازلةَ بالرَّجْلتيْنِ بين أُعابِلٍ وصِنْع فيقول (٥):

طَرِبْتُ وهاجَتْني الحُمولُ الظّواعِنُ ... وفي الظّعْنِ تَشْويقٌ لِمَنْ هو قاطِنُ
وما شَجَنٌ في الظّاعنينَ عَشيّةً ... ولكنْ هوًى لي في المُقيمينَ شاجِنُ
بمُخْترَقِ الأَرْواحِ بين أَعابِلٍ ... فصِنْعٍ لهُم بالرَّجْلتيْنِ مَساكِنُ

---

(١) انظر: الأغاني ٢٢: ١٣١.
(٢) نفسه ٢٢: ١٣٠.
(٣) نفسه ٢٢: ١٣٠–١٣١.
(٤) الذِّهاب: جمْعُ ذِهْبة، وهو المطر الضّعيف.
(٥) معجم البلدان: أُعابِل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتلعبُ سَلْمى بقلب شُقْران مولى بني سلامان ، فيُقيمُ مُفارقةً بين صورته الخارجيَّة التي يبدو فيها سويّاً سليمًا وبين ما يَشْتمل عليه جسمُهُ من دَنَفٍ ووَهَن لا يلحظُهُ إلاّ مَنْ برّح به الهوى واستهدَّ به الشّوق ، فيقولُ واصفاً فَرْطَ صبابته ونُحولَ جِسْمه (١) :

قد أَوْهَنتْ جُثْمانَه وتلَعّبَت بتامورِه سَلْمى فأَصبحَ مُدْنَفا
يراهُ صحيحًا كلُّ خِلْوٍ من الهوى ويَحْسبُهُ الصَّبُّ المُحِبُّ على شَفا

وبذلك يتبيّن لنا أَنَّ شُعراءَ القبائل اليمانيَّة الشاميَّة في العصر الأُمويّ لم ينظموا شعرًا كثيرًا في الغزل ، أو أَنَّ شعرَهم فيه قد ضاع . وأَنَّ أكثرَ ما وصل إلينا منه كان تقليديّاً يُحاكي النَّماذجَ الغزليَّة الجاهليَّة في أُسلوبه وصُوره نَظمهُ عديّ بنُ الرّقاع العامليّ في مقدّمات قصائده ، في حين أفرَدَ له النُّعْمان بنُ بَشير مقْطوعتَيْن وقصيدة . ويتبيّن لنا أيضًا أَنَّ عديّاً تأثّرَ بمذْهَب شُعراء الغزل الصَّريح ، فنظَم أبياتاً قليلة صوّر فيها لهْوَه بالمرأة وعلاقته الخفيَّة بها ، ولكنّه لم يَبْلغ فيها حدَّ التهتُّك والمُجون ، وأَنَّ قصّةَ عِشْقِ بَيْهس بن صُهَيْب ومقطوعته التي نَظمها في ابنة عمّه قد تأثّرتا بكثيرٍ من سِمات الغزل العُذْريّ الاجتماعيّة والنفسيّة والفنّية .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيّة) ٨ : ٤٧٥ . وانظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً : الفخـــــــــــر

الفخر هو التمدُّحُ بالخِصال وعدُّ القديم والشُّعور بالعزَّة والتفوُّق ، وهـو يَصْدُرُ عن نفوسٍ مُتعالية مُتعاظِمة ، ويتَّخذُ مَعانيه من المُفْتخِر نفسه أو من قومـه . وكان الفخْرُ الجاهليّ يقوم على الفَضائل الاجتماعيَّة التي أقرَّتْها الحياةُ العربيَّة القديمة كالشَّجاعة والكرم والنَّجْدة وكثْرة العَدد والسِّيادة وشرف الأنْســاب . وأضاف إليه الشُّعراءُ بعد الإسلام معانيَ الفَخْر بالدِّين والسُّلْطان والجهـاد في سبيلهما (١).

وقد حَملَ شُعراءُ القبائل اليمانيَّة الشاميَّة لواءَ العصبيَّة القبليَّة ، فافتخروا بمُوازرة قبائلهم لبني أُميَّة وتَثْبيتها حُكْمَهُم ومُقارعتها خصُومَهم ، وأشادوا بانْتِصارها في معركة مَرْج راهِط ، وفيما تلاها من وقائعَ بين قبيلتي كلْب وقَيْس ، ونوَّهوا بانْتِقامها من الوليد بن يزيد ، لأنَّه تنكَّر لها وقَتل زعيمَها خالد القَسْريّ . وتمجَّدَ بعـضُ شُعراء طيّ في أواخر العصر الأُمويّ بامْتِناع قبيلتهم عن دَفْع الصَّدقة لمروان بن محمَّد . وردَّ شعراءُ اليمانيَّة على مُفاخرة النِّزاريَّة لهم بالنبوَّة والخلافة ، فافْتخروا بمآثر اليمن وأمجادها وبمُلوكها القُدماء ، وعبَّروا في فَخْرهم عن تمسُّكهم بنَسبهم واعْتِزازهم بالانْتِماء إلى قَحْطان . ومنهم مَنْ تمدَّح بكرمه وشَجاعته وشَرف نَسَبـه ورئاسته وفَلَكتـه الفنيَّة .

١ — الفَخْر القبلـيّ .

يُمكنُ القول : إنَّ أكْثر ما بين أيْدينا من شعر القبائل اليمانيَّة الشاميَّة هـو في هذا اللَّون من الفَخْر الذي كان صدىً قويّاً للأحداث السياسيَّة والفِتَن القبليَّة التي شَهدتْها بلادُ الشام في العصر الأُمويّ ، كما كان صدىً للعصبيَّة القبليَّـة التي ثارت بين اليمانيَّة والقيسيَّة ، فراحَ الشُّعراءُ يشبُّونَ نِيْرانَها بألسِنَتِهم ، ويَفْتخِرون بما تحقَّقَ قبائلُهم من نَصْر ، وبما تُوقِعُ بخُصومِها من خَسائر ، فقد اضْطَربت أُمـورُ بلاد الشام بعد موت مُعاوية بن يزيد بن مُعاوية ، لأنَّه لم يَعْقِد العَهْـدَ لأحدٍ من قومه ، واسْتَفْحل الصِّراعُ بين اليمانيَّة والقيسيَّة ، وتحوَّل بسبب المطامـحِ

---

(١) أحمد الشّايب : تاريخ النَّقائض في الشِّعر العربي ص : ٤٠ ، ٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القبليّة إلى مُنازعات ومُصادمات قويّة، إذْ كانت اليمانيّة بزعامة قبيلة كلب تَخْشى من انْتِقال الحُكْم إلى الزُّبيْريّين، فتفقد بلادُ الشام مركزها السياسيّ الذي تحقّق لها منْذُ اسْتِقرار الحُكْم الأُمويّ فيها، فانْحازَ رجالُها إلى بني أُميّة على اختلافٍ بينهم فيمن يُزكّون منهم، فقد دعا الكلبيّون بزعامة حسّانَ بن مالك بن بَحْدَل إلى خالد بن يزيد بن معاوية وتعصّبوا لأبيه يزيد، لأنّه ابنُ أُخْتهم، ودعا غيرُهم إلى مروان بن الحَكَم. ثُمّ إنّهم اخْتاروا مروانَ بن الحكم وأَطْبقوا عليه وبايعوا له، فقال حسّانُ بن مالك: "رأْيي لرأْيكم تَبَع، إنّما كرِهْتُ أَنْ تُعدَل الخلافةُ إلى ابن الزُّبيْر، وتَخْرجَ من أَهل هذا البيْت"(١). أمّا قَيْس فإنّها انْحازت إلى عبدالله ابن الزُّبيْر وبايعت له(٢).

والتقى الطّرفان بعد ذلك في مرْج راهط فدارت الدّائرةُ على القَيْسيّة أَتباع ابن الزُّبيْر، واستقرّ الحُكْمُ لمروانَ بن الحَكَم، فدأَب شعراءُ كلب على تَذْكير الأُمويّين بفَضْل اليمانيّة عليهم، إذْ هم الذين انتزعوا الخلافةَ ووهَبوها لهم ولولاهم لما اسْتقرّ لبني مروان مُلْكٌ ولا سُلْطان(٣). قال جَوّاسُ بنُ القَعْطل الكلبيّ من أَبيات(٤):

ضَرْبُنا لكم عن مِنْبَر المُلْكِ أَهْلَه ... بَجَيْرونَ إذْ لا تستطيعونَ مِنْبَرا(٥)

وأَيّام صِدْق كلُّها قد علمتُمُ ... نَصرْنا ويوم المرْجِ نصْراً مُؤزّرا

فهو يُفاخر المروانيّين ويمُنّ عليهم بنَصْر اليمانيّة — بقيادة كلب — لهم على القيسيّة وتثْبيتها مُلْكهم.

---

(١) أَنساب الأَشراف ٥: ١٢٨، ١٢٩، ١٣٣، والأُمويّون والخلافة ص: ١١٣، ١١٤.

(٢) أَنساب الأَشراف ٥: ١٣٣.

(٣) العصبيّة القبليّة وأَثرها في الشعر الأُمويّ ص: ٥٦١.

(٤) نقائض جرير والأَخطل ص: ٢٥٠ وانظر: المرْزوقيّ: شرح ديوان الحماسة ٣: ١٤٩٢، وتُنْسَب الأَبيات إلى عمْرو بن مِخْلاة الكلبيّ في: مُعجَم الشّعراء ص: ٦٨، والتبْريزيّ: شرح ديوان الحماسة ٤: ٦٦، ومُعْجم البلدان: الرّاعة. ونُسِب البيتُ الأَول إلى بعض الكلْبيّين في: أَنساب الأَشْراف ٥: ١٣٥.

(٥) جَيْرون: هو أَحد أَبواب الجامع بدمشق، وهو بابُه الشّرقيّ. انظر: معجم البلدان: جَيْرون. وانظر: يومَ جَيْرون في: أَنساب الأَشراف ٥: ١٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال عَمْرُو بنُ مِخْلاة الكَلْبيّ (١) : (٢)

رَدَدْنا لمروانَ الخلافةَ بعْدَمـــا جَرى للزُّبيريّين كلُّ بَربـــــرِ
فإلاّ يكُنْ منّا الخليفةُ نفسُـــــهُ فما نالَها إلاّ ونحنُ شُهـــــودُ (٣)

فهم حَسْبُهم — وإنْ لم يَظْفَروا بالخلافة — فَخْراً أنَّ مروانَ بن الحكم لمْ يصِلْ إلى الحُكْم إلاّ بتأْييدِهم ومُؤازرَتِهم.

وقال عَمْرُو بنُ مِخْلاة أيضاً يتشفّى بتَرْك قَتْلى قيْس في أرض المعركة فريسةً للذِّئاب، ويزْهو بشجاعة فُرسانِ اليمانيّة الذين شتّتوا فُرسانَ قيْس واسْتباحـــوا حِماهُم(٤) :

شَفى النَّفْسَ قتْلى لم تُوسَّدْ خُدودُها تُلِمُّ بها طُلْسُ الذِّئاب وسودُها (٥)
بأيْدي كُماةٍ في الحُروب مَساعِيـــرٍ على ضامراتٍ ما تَجِفُّ لُبودُهـــا
أبَحْنا حِمى الحيَّيْنِ قيْس براهـطٍ وولّتْ شِذاذاً واسْتُبيحَ شَريدُها

وأعلن عَمْرُو بنُ حُجْر الكلبيّ أنّ اليمانيّة اشْتفَت من قيس في مَرْج راهـــط فَضَربتْها بسيوفٍ قاطِعَة، ولم تَجْرؤ قَيْس على الوُقوف في وَجْهِها، بل انْهزَمـــت مُخلّفةً قتْلاها طَعاماً لضِباع الأرض فقال (٦) :

---

(١) هو عَمْرُو بن مِخْلاة الكَلْبيّ، من بني تَيْم اللّات بن رُفَيْدة. وكان يُقال له : عَمْرو بن مِخْلاة الحِمار، ويُقال : ابن مِخْلى، شاعر فارس شهد مَرْجَ راهط وله فيها أشْعار، وكان مدّاحاً لبني أُميّة. انظر : نقائض جرير والأخطل ص : ١٩. وأنْساب الأشراف ٥ : ٣١٠، وتاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٤٣، والتّنبيه والإشراف ص : ٢٦٧، ومُعْجم الشعراء ص : ٦٨، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنيّة) ١٣ : ٣٠٢.

(٢) التّنبيه والإشراف ص : ٢٦٧ والبيت الأول في : أنساب الأشراف ٥ : ١٤٨.

(٣) البيت فيه إقواء ظاهر.

(٤) التّنبيه والإشراف ص : ٢٦٧. وانظر : العصبيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأموي ص : ٥٤٧.

(٥) الذِّئاب الطُّلْس : التي في لونها غَبرة ضاربة إلى السّواد.

(٦) معجم الشّعراء ص : ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَلا مَنْ مُبلِغٌ قيْساً رَسُولاً بأَنّا قد شَفَيْنا واشْتَفَيْنا
غَداةَ المَرْجِ نَضْربكُم بِبِيْضٍ صَوارِمَ في المهَزَّةِ يلْتَوينا
فلم تَحْموا هُنالِكُمُ ذِماراً ولا عَطَفت كتائبكُم علَيْنا
فأَشْبَعْنا ضباعَ الأَرضِ منكُم وأَقْررنا بِقَتْلكمُ العُيونا

وفَخَر الوازِعُ بنُ ذُؤالَةَ الكَلْبيّ (١) ببلاء رجال قُضاعة يوم المَرْج، ووصَفَهم بأَنّهم سادةٌ أَشِدّاء ذوو خِصال كريمة وشِيَم حَميدة، وبأَنّهم فُرسانُ حَرْبٍ أَشاوس لا يَحيدون عن الموت، ولا يَجْبُنون في ساح القتال، فقال وقد عَتِب على بعض الأُمراء (٢):

أَتنسى الذي أَسْدَيْتُهُ يومَ راهطٍ وقد ضاقَ عنك المَرْجُ والمَرْجُ واسعُ
وأَقْبلَ حادي الموْتِ يَحْدو مُشمِّراً بِفُرْسانِ حَرْبٍ لم تَزَعْها الرَّوائعُ
عليها قُرومٌ من قُضاعة سادةٌ لهم شِيَمٌ محْمودةٌ ودَسائعُ
إِذا لَقِحَت حرْبٌ مَرَتْها سُيوفُهم وأَيْدٍ طِوالٌ لم تَخنْها الأَشاجِعُ
يَرونَ وُرودَ الموت حقّاً عليهمُ إِذا حادَ عن وِرْدِ المنايا المُخادِعُ
فكم من كَريمٍ قد تَركْنا مُلَحَّباً وآخر قد سُدَّت عليه المَطالِعُ

وتدلُّ هذه المقطوعات على ضَراوة موقعة المَرْجِ وقَساوتها، وعلى كَثْرة ما سقط فيها من قتلى، وتُعبِّر عن حدّة تَنازُع القبائل الشامّية على السُّلْطان وما يَجْنيه من مغانم ماديّة، وتكْشِفُ عمّا كان يَعْتمِلُ في نُفوس أَفرادها من حَسدٍ وغلّ ورغبة في تَقْتيل أَعْدائهم وتَشْريدهم لتشْفي أَحقادُهم وتَسْكن نُفوسُهم وتَخْلُص المَنْفعةُ لهم. ويُلاحَظُ أَنّ الشعراء يُلحّون على رَسْم صورةٍ لنهاية المعركة، تبدو فيها جُثَثُ أَعدائهم مُنْتشرةً في أَرض المعركة متروكةً دون دفْن طعاماً للذِّئاب والضِّباع، ليدلّوا على شجاعة فُرْسان قومهم وكثرة إِصابتهم في أَعدائهم.

ولم تَهْدأ الفِتَنُ القبليّة بعد هذه الوقعة، فقد أَدّى يومُ المَرْج إِلى اشْتِعال نار الحِقْد في النفوس، فوقعت معاركُ عنيفةٌ بين قبيلتي كلب وقيس وشارك شعراءُ

---

(١) الوازِعُ بنُ ذُؤالة الكلبيّ: شاعر فارس، شهد مَرْج راهط مع مروان بن الحكم، فقَتلَ همّامَ بن قَبيْصةَ النُّميريّ، وأُصيبَت عيْنُه في تلك المعركة، انظر: أنساب الأشراف ٥: ١٣٧، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيّة) ١٧: ٥٣٦٠.

(٢) أنساب الأشراف ٥: ١٤٦ وانظر: تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيّة) ١٧: ٥٣٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القبائل اليمانيّة في المعركة اللّسانيّة التي رافقتْها ، ولكنّ أخبار هذه المعارك مُضْطربة ، ولا يتّضِحُ فيها التّتابُعُ الزّمنيّ (١) ومنها : يومُ الإكليل ، ويومُ السّماوة ، ويومُ الغُوَيْر ، ويومُ الهَيْل ، ويوم كابة ، ويوم دُهْمان (٢) .

وكان الصّراعُ بين قَيْس وكلب قد انتقلت آثارُه إلى قُصور خلفاء بني أُميّة وأُمرائهم ، لأنّ منهم مَنْ كانت أُمّه كلبيّة ، ومنهم مَنْ كانت أُمّه قيسيّة ، فكان الخلاف يَشْجُر بينهم . ويذكر التّبْريزيّ (٣) أنّ أبناء القيْسيّات من بني أُميّة كانوا يفخرون على أبناء الكلبيّات بما تفعلُ بهم قيسٌ في البدو والحَضَر ، وذلك في أثناء فتنة عبد الله بن الزّبير . فانْتدَب خالدُ بنُ يزيد بن معاوية حُمَيْدَ بن حُرَيْث الكلبيّ ليمْحوَ ذلك العار ، وافْتعل له على لسان عبد الملك بن مروان عَهْداً بأَخْذ الصّدَقة من قيس ، حتى يتمكّن من الإيقاع بها . فاستغلّ حُمَيْدٌ هذا السُّلْطان وأَوغلَ في النّكاية بقيس ، ولا سيّما ببني فَزارة ، وسجّل سِنانُ بنُ جابر الجُهَنيّ (٤) هذا الانْتقام الكلبيّ في قصيدة تشفّى فيها بقتلى قيس وأَشْياعِها تشفّياً لا يصْدُر عن صدر مُؤْمن ، حتى ليكاد يظنّ مَنْ يقرأُ أبياتها أنّها لشاعر جاهليّ يعيشُ في مُجْتمع قبليّ لا لشاعر يَحْيا في مُجْتمع تسوده روحُ الإسلام وتعاليمه السّمْحة يقول (٥) :

لقد طارَ في الآفاقِ أنّ ابنَ بَحْدَلٍ ... حُمَيْداً شفى كَلْماً فقرّتْ عُيونُها
وعرّف قيْساً بالهَوانِ ولم تكُنْ ... لِتَنْزِعَ إلاّ عند أمرٍ يُهينُها
فقلتُ له : قيْسُ بنُ عَيْلانَ إنّها ... سريعٌ — إذا ما عضّت الحرْبُ — لينُها
سما بالعِتاق الجُرْدِ من مرْجِ راهطٍ ... وتَدْمُرينْوي بَذْلَها لا يصونُها
فكان لها عرْضُ السّماوة ليلةً ... سواءٌ عليها سهْلُها وحُزونُها
فمَنْ يحْتمِلِ في شأْن كلبٍ ضَغينةً ... علينا إذا ما حانَ في الحرب حيْنُها

---

(١) العصبيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأُمويّ ص : ٢٩٩ .
(٢) الأغاني ٢٣ : ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٩ .
(٣) شرح ديوان الحماسة ٢ : ٩٦ .
(٤) هو سِنانُ بنُ جابر ، أحدُ بني جُمَيْح بن عامر بن جُهَيْنة .
(٥) الأغاني ١٩ : ١٤٥ . وانظر : أبياتاً من هذه القصيدة منسوبة إلى بعض بني جُهَيْنة في : المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ٢ : ٥٢٢ ، والتّبريزي : شرح ديوان الحماسة ٢ : ٩٥ مع اختلاف في الرّواية . ونُسِب البيت الأول إلى ابن مِخْلاة الكلبيّ في : الأغاني ٢٣ : ١٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإنّا وكْلباً كاليَدَيْن متى تَضَـــع شمالُك في شيءٍ تُعِنْها يَمينُها (١)
لقد تُرِكَت قَتْلى حُمَيْدِ بن بَحْدَلٍ كثيراً ضَواحيها قليلاً دَفينُهـا (٢)
وقيْسيّةٍ قد طلّقتْها رماحُنـــا تلفّتُ كالصَّيداء أوْدى جَنينُهـا (٣)

فالشاعر يقرّر أنّ خبرَ انتصار حُمَيْد الكلبيّ على قيس وإقْراره عيونَ الكلبيّين منهم وشفاءَ قلوبهم ممّا كان تَداخَلها من عداوتهم واهْتاجَ فيها من نار حِقْدهم على قيس، قد طار في الآفاق وعلمت به القبائلُ جميعُها . ويُعْلِنُ أنّ حُمَيْداً أحلّ قيساً بمَحلّ الذُّلّ والهَوان، حتى كفّت عن مُجاذبة كلب والتعرّض لها بالسُّوء . ثمّ يُؤكّدُ أنّ ما يَجْمع بين جُهَيْنةَ وكلب من حِلْف هو في نهاية القوّة والاسْتِحكام بحيثُ لا يَعْرِضُ فيه وَهَنٌ أو فُتور، لأنّهما كاليدَيْن اللّتَيْن إذا دُفِعَت إحداهُما إلى شِدّة أعانتْها الأُخرى (٤).

ولسِنان بن جابر الجُهَنيّ في هذا الشأن مقطوعةٌ هي أشدُّ تأثّراً بالحَمِيّة الأعرابيّة من قصيدته السّابقة، وأكثرُ منها تعبيراً عن الرّوح القبليّة التي كانت تتملّكُ نفْسَه، إذْ ليس فيها سِوى الفخر بالحَسَب وسَعة الثّراء، والظّفَر بالأعداء والنّكاية فيهم، والتّشفّي بهزيمتهم، والاعْتزاز بسادة القبيلة كما هو الشأنُ في الفخر الجاهليّ (٥) . يقول (٦) :

يا أُخْتَ قيْسٍ سلي عنّا علانيةً كي تُخْبَري من بَيان العِلْم تبْيانا
أنّا ذوو حَسَبٍ مالٍ ومَكْرمـةٍ يومَ الفَخار وخيرُ النّاس فُرْسانـا
منّا ابنُ مُرّةَ عمْرٌو قد سَمِعْتِ به غَيْثُ الأرامل لا يُؤْذَيْنَ ما كانـا (٧)
والبَحْدليُّ الذي أرْدَتْ فوارِسُه قيْساً غداةَ اللّوى من رَمل عَدْنانا (٨)

---

(١) البيت في : مُحاضرات الأُدباء ١ : ٢٧١ دون عزو وبرواية مختلفة .
(٢) الضّواحي : الظّواهر .
(٣) الصّيداء : التي لا تستطيع الالْتفاتَ من داءٍ يُصيبُها .
(٤) المرْزوقيّ : شرح ديوان الحماسة ٢ : ٥٢٢، ٥٢٣ .
(٥) اتّجاهات الشّعر في العصر الأُمويّ ص : ٢٥٤—٢٥٥ .
(٦) الأغاني ١٩ : ١٤٥—١٤٦ .
(٧) هو عمْرُو بن مُرّة الجُهنيّ . كانت له صحبة . انظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ : ٣٩٥ .
(٨) البَحْدليّ : هو حُمَيْد بنُ حُرَيْث بن بَحْدَل الكلْبيّ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فغادرت حَلْبَسًا منها بمُعْتَـــرَكٍ ... والجَعْدَ مُنْعفِرًا لم يُكْسَ أَكْفانـــا (١)
كائنْ تركْنا غداةَ الفاهِ من جَـــزَرٍ ... للطَّيْرِ منهم ومن ثَكْلى وثَكْلانـــا (٢)
ومن غوانٍ تُبكّي لا حَميمَ لهـــا ... بالفاهِ تبكي بني عمٍّ وإخْوانـــا

وواضِحٌ أَنَّ سِنانَ بنَ جابر أَضافَ إلى صورة نهاية المعركة التي عَرَفْناها عنـــد شُعراء كلب عُنْصُرَيْنِ جديدَيْن، فجَعل الطُّيورَ تحومُ على جُثَثٍ قتلى قيس، وصوَّر حُـــزْنَ نساءِ قيسٍ الثَّكالى وذُهولهنَّ لما أَصابَ بُعولَتهُنَّ وأَهْلَهُنَّ من قَتْلٍ وتَشْريد.

ويبدو أَنَّ نارَ الحِقْد في النُّفوس كانت عامَّة، اشترك فيها الرِّجالُ والنِّســـاء على حدٍّ سَواء، فقد عبَّرت عُمَيْرَةُ بنتُ حسّان الكلْبيَّة(٣) عن مدى تَغَلْغُل روْح التَّشفّي وحُبِّ الانتقام في نُفوس نِساءِ كلب فضْلاً عن رجالها، فقالت تَصفُ مَسيرَ فُرْسان كلب لقتال بني سُلَيْم ــ بطن من قيس ــ في يوم دُهْمان، وتُشيدُ بفِعْل حُمَيْد بن حُرَيْث فيهم، وتفخرُ بشجاعة كلب وكَثْرة عدد فُرْسانِها، مُتشفِّيةً في قصيدتها بنساء قيس، ومُعَيِّرةً عُمَيْرَ بـــنَ الحُباب السُّلَميّ فِرارَهُ من المعركة(٤):

سَمت كلبٌ إلى قَيْسٍ بجَمْـــعٍ ... يَهُدُّ مناكِبَ الأَكمِ الصِّعـــابِ
بذي لَجَبٍ يدُقُّ الأَرضَ حـــتّى ... تضايقَ مَنْ دَعا بَهَلا وهـــاب(٥)
نَفَيْنَ إلى الجَزيرة فَلَّ قيْـــسٍ ... إلى بَقٍّ بها وإلى ذُبـــاب
وأَلْفَيْنا هَجينَ بني سُلَيْـــمٍ ... يُفَدّي المُهْرَ من حُبِّ الإيـــاب(٦)

---

(١) حَلْبس: اسم شَخْص. والجَعْدُ: هو الجَعْدُ بنُ عِمْرانَ بنِ عُيَيْنَة. وقد قُتِلَ يومئذ. انظر: الأغاني ١٩: ١٤٧.
(٢) الفاه: واضح أَنَّه اسم موضع، ولم يذْكُرْه ياقوت في مُعْجمه. وجَزَرُ السِّباع والطَّيْر: اللّحم الذي تأكله.
(٣) هي عُمَيْرَةُ بنتُ حسّان بن الطِّرِمّة الكلبيّ. والطِّرِمّة أُمُّه، حَضنتْهُ فغلَبَت عليه. شاعرة شامية عاصرت عبدَ الملك بن مروان. انظر: أبو تمّام: كتاب الوحْشيّات ص: ٧. وفيه أَنَّ اسمَها عُفَيْرة، والأغاني ١٩: ١٥٢، وأعلام النّساء ٣: ٣٦٧.
(٤) الأغاني ١٩: ١٥٢. وهي في أعلام النّساء ٣: ٣٦٧. وانظر أبياتاً منها في: كتاب الوَحْشيّات ص: ٧ــ٨.
(٥) اللَّجَب: كثرة أَصْوات الأَبطال وصهيل الخَيل. وَهَلا وهاب: من أَصوات زَجْـر الخيل والإبل.
(٦) هَجينُ بني سُلَيْم: هُو عُمَيْرُ بنُ الحُباب السُّلَميّ الذي فرَّ من المعركة لمّا لقيه حُمَيْدٌ بكلب. انظر: الأغاني ١٩: ١٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلولا عَدْوةُ المُهْر المُفَدَّى ... لأُبْتَ وأَنت مُنْخَرِقُ الإهاب(١)
ونجّاهُ حَثيثُ الرّكْضِ منّا ... أُصَيْلاناً ولونُ الوَجْهِ كابي (٢)
وآضَ كأنّه يُطْلى بِوَرْسٍ ... ودَقّ هُوَيّ كاسرةٍ عُقاب
حمدْتُ اللّه إذْ لقّى سُلَيْماً ... على دُهْمانَ صَقْرَ بني جَناب(٣)
تركْنَ الرُّوقَ من فَتيات قَيْسٍ ... أَيامى قد يَئسْنَ من الخِضاب(٤)
فَهنّ إذا ذَكرْنَ حُمَيْدَ كَلْبٍ ... نَعقْنَ برنّة بعد انْتحاب
متى تَذْكُر فتى كلْبٍ حُمَيْداً ... تَرَ القَيْسيَّ يشْرقُ بالشَّراب

ويُلاحظُ الحِسُّ الأُنْثَويّ بجَلاء في البيت التّاسع، إذْ كان ممّا يُثلجُ صَدْرَ الشّاعرة أَنْ تُتْرَكَ القَيْسيّات أيامى بعد تيْسير الخِضاب، كما يُلاحظ غيابُ الحِسّ الدّينيّ الحقيقيّ وحُلولُ روح التّعصُّب القَبليّ والاعْتزاز بالقِيَم الجاهليّة محلّه، فأصبح التعصُّبُ للقبيلة في هذا العصر أقْوى من أيّ إحْساس آخر، لأنّ العَصبيّة عادت إلى الظّهور فيه بقوّة. وتتّضحُ قصيدة عُمَيْرة هذه أنّ يومَ دُهْمان كان لكلب بقيادة حُمَيْد بن حُرَيْث على سُلَيْم بقيادة زعيمها عُمَيْر بن الحُباب، وأنّ عُمَيْراً انْهزم في هذا اليوم، فتبعتْهُ فُلولُ سُلَيْم إلى الجَزيرة، ولذلك فإنّ لها قيمةً تاريخيّة بالإضافة إلى قيمتها الأدبيّة.

وبدأ اليمانيّة في نهاية القرن الأول الهجْريّ يضجّون بالشّكْوى من بني أُميّة، بعد قضاء عبد الملك بن مروان على عبد الرحمن بن الأشْعث الكِنْديّ ومن التفّ حوله من اليمانيّة وغيرهم. واشتدّ حَنقُهم على الأُمويّين في بداية القرن الثّاني، عندما نكّب يزيد بن عبد الملك المَهالبة وكاد يقضي عليهم. وتَنامى حقدُهم في آخر أيّام هشام بن عبد الملك، حينما عزل خالدَ بنَ عبد اللّه القَسْريّ عن العراق وأمرَ بسجْنه وجَلْده. وكان قتلُ يوسف بن عمر الثّقفيّ لخالد القَسْريّ في عَهْد الوليد بن يزيد خاتمةَ النّكبات التي حاقت باليمانيّة، وبعثتْهُم على التّدْبير لخَلْع الوليد بن يزيد وقَتْله، ثأراً لدماء رُؤَسائهم المُراقة، وكرامتِهم المَهْدورة، وسُلْطانهم الضّائع، وقضاءً على نُفوذ المُضريّة من قيْس الذين أيّدوا الأُمويّين ومكّنوهم من اليمانيّة. وقد لجأ يمانيّةُ الشّام

---

(١) هذا البيْت والذي يليه في : ديوان المَعاني ٢ : ٢٤٩.
(٢) الكابي : الشاحب الذّاوي.
(٣) دُهْمان : اسم المكان الذي وقعت فيه المعركة. وصَقْرُ بني جَناب : هو حُمَيْد بن حُرَيْث.
(٤) الرّوق : الجميلات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أجل ذلك إلى وسيلتين : إحداهما إعلاميّة دعائيّة تحريضيّة، قصدوا منها استفزاز عشائرهم وإذكاء نار الحميّة في نفوسهم بإثارة العصبيّة القبليّة بينهم وبين قيس، فوضعوا على لسان الوليد بن يزيد قصيدة في ذمّ اليمانيّة وتقريعهم والتشفّي بهزيمتهم وتقلّص نفوذهم، وفي تمجيد قيس والافتخار بجبروتها وعظمتها وسحقها لليمانيّة (١)، وهي تتوالى على هذا النحو (٢) :

ألمْ تَهْتَجْ فتذكر الوصالا	وحبلاً كانَ متّصلاً فزالا
بلى فالدمْعُ منكَ له سِجامٌ	كماءِ المُزْنِ ينْسَجِلُ انْسِجالا
فَدَعْ عنكَ اذّكاركَ آلَ سُعْدى	فنحْنُ الأكْثرونَ حَصى ومالا
ونحنُ المالكونَ النّاسَ قَسْراً	نَسومُهم المذلّةَ والنّكالا
وطِئْنا الأشْعَرينَ بعِزّ قيْسٍ	فيالكِ وَطْأةً لن تُسْتَقالا
وهذا خالدٌ فينا أسيراً	ألا منعوه إنْ كانوا رجالا
عظيمُهم وسيّدُهم قديماً	جَعلْنا المُخْزياتِ له ظِلالا
فلو كانت قبائلَ ذاتَ عِزٍّ	لما ذَهبتْ صنائعُهُ ضَلالا
ولا تركوهُ مسْلوباً أسيراً	يُسامِرُ من سَلاسِلنا الثّقالا
وكِنْدةُ والسّكونُ فما اسْتقالوا	ولا بَرِحَتْ خُيولُهُم الرّحالا
بها سُمْنا البريّةَ كلّ خَسْفٍ	وهدّمْنا السُّهولةَ والجِبالا
ولكنّ الوقائعَ ضَعْضَعتْهُم	وجدّتْهُم وردّتْهم شِلالا (٣)
فما زالوا لنا أبداً عبيداً	نَسومُهم المذلّةَ والسّفالا (٤)
فأصبحتُ الفَداةَ عليّ تاجٌ	لمُلْكِ النّاسِ ما يَبْغي انْتِقالا

---

(١) الوليد بن يزيد : عرض ونقد ص: ٤٣٣–٤٣٤.

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٤–٢٣٥. والقصيدة كاملة في : الكامل في التاريخ ٥ : ٢٨٢–٢٨٣، ونهاية الأرب في فنون الأدب (٢ : ٤٧٤–٤٧٥. ومعظم أبياتها في : الأخبار الطوال ص: ٣٤٨. ومنها أبيات في : أنساب الأشراف (مصوّرة الجامعة الأردنيّة عن مخطوطة استانبول) المجلّد الثاني ص: ٣٠١، ٣٢٧، والتنبيه والإشراف ص: ٢٨٠.

(٣) الشّلال : القوم المتفرّقون.

(٤) السّفال : مصدر سَفل يَسْفل، إذا انحطّ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويختلفُ الأَخْباريّون والمُؤرّخون في صاحب هذه القصيدة، فيقطعُ رُواةُ اليمانيّة بأَنّها للوليد بن يزيد. وتحرَّر الطّبريّ من روايتهم فقال: "قال الوليدُ بنُ يزيد — فيما يَزْعُمُ الهَيْثَمُ بنُ عديّ — شعراً يُوبّخ به أَهْلَ اليمن في تركهم نصْرة خالد بن عبد الله(١)". وعزاها أَبو حَنيفة الدّينَوريّ(٢) والمسْعوديّ(٣) إلى الوليد بن يزيد. وحَمل البلاذُريّ عن المَدائنيّ روايتَيْن عزا القصيدةَ في الرّواية الأُولى إلى رجل من قيْس ونَحلها الوليد(٤). وعزاها في الرّواية الثّانية إلى رجلٍ من كلب، فقال: "قال بعض الكلبيّين شعْراً على لسان الوليد"(٥).

ونقلَ الطّبريّ رواية المَدائنيّ الثّانية عن أَحد تلاميذه فقال: "وأَمّا أَحمد بن زُهَيْر، فإنّه حدّث عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن سعيد العامريّ عامر كلب، أَنّ هذا الشّعر قاله بعضُ شُعراء اليمن على لسان الوليد، يُحرّض عليه اليمانيّة(٦)".

وجَزَم ابنُ خلْدون بأَنّ القصيدة ليست للوليد، بل لأَهل اليمن إذْ يقول: "ثُمّ فَسَدت اليمانيّة عليه، واستعظموا بيْعةَ خالدَ بن عبد الله القسْريّ ليوسف بن عمر الثّقفيّ، ووضعوا على لسانه قصيدةً مُعيّرة لليمانيّة بشأْن خالد القَسْريّ(٧).

ويُضاف إلى أَنّ الأَخباريّين المُوثّقين كالمَدائنيّ ومَنْ أَخذوا عنه كالبلاذُريّ والطّبريّ وابن خلدون، يُجمعون على أَنّ القصيدة مُلفّقة مُفتعلة لفّقها أَحدُ شُعراء اليمانيّة ونَحلها للوليد، أَنّ أُسلوب القصيدة يقْطع بأَنّها ليْست للوليد، لأَنّه أُسْلوب جَزل مصْقول سَهل، ليس فيه غَرابة ولا خُشونة وهو أُسْلوب يُخالف أُسلوبَ شِعر الوليد الفَخْريّ، الذي يتّسِم بقلّة التّهذيب والتّنْقيح، وببعض القلق والعِوَج، وتَنْتشر فيه بعضُ شَوارد اللّغة والكلام الوحشيّ والمهْجور(٨).

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٤. وانظر: الكامل في التّاريخ ٥ : ٢٨٢.
(٢) الأَخبار الطّوال ص: ٣٤٨.
(٣) التّنْبيه والإشراف ص: ٢٨٠.
(٤) أَنساب الأَشراف (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) المجلّد الثّاني ص: ٣٠١.
(٥) نفسه ص: ٣٢٧.
(٦) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٤. وانظر: الكامل في التاريخ ٥ : ٢٨٢.
(٧) تاريخ ابن خلدون ٣ : ٢٢٧.
(٨) الوليد بن يزيد: عرض ونقد ص: ٤٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربّما كانت القصيدةُ من صُنْع عِمْرانَ بن هِلْباء الكَلْبيّ الحِمْصيّ (١) الذي نَقَضها وتمدّحَ بعزّ أهْل اليمن، وبنُصْرتهم بني أُميّة وتَثْبيتهم مُلْكَهم، وبمُكافحتهم قبائلَ اليمن العراقيّة وزُعماءَها الثائرينَ بالأُمويّين كعبْدِ الرّحمن بن الأشْعث، ويزيدَ بن المُهلّب، وتوعّد فيها قبائلَ قيس بالفَناء والثّأْر منها لخالد القَسْريّ، فإنّ أُسْلوبَ نَقيضَتِه يُشْبه في الصّفاء والسّلاسة والنّصاعة أُسلوبَ القصيدة المَنْسوبة إلى الوليد بن يزيد (٢). يقول عِمْرانُ في مَطْلع قصيدته (٣):

قِفي صَدْرَ المطيّة يا جُلالا ... وجُذّي حَبْلَ مَنْ قَطَع الوِصالا

ثمّ يقول:

جَعلْنا للقبائل من نِزارٍ ... غَداةَ المَرْجِ أَيّاماً طِوالا
بنا ملكَ المُلْكُ من قُريْشٍ ... وأَوْدى جدُّ مَنْ أَوْدى فَزالا
متى تَلْقَ السّكونَ وتلْقَ كَلْباً ... بقَيْسٍ تَخْشَ من مُلْكٍ زَوالا
كذاكَ المرْءُ ما لم يُلْفَ عَبْداً ... يكونُ عليه مَنْطِقُهُ وَبالا
أَعدُّوا آلَ حِمْيَرَ إذْ دُعيتُم ... سُيوفَ الهِنْد والأَسلَ النِّهالا
وكلّ مُقلّصٍ نَهْد القُصَيْرى ... وذا فودَيْن والقُبّ الجِبالا (٤)
يَذرْنَ بكلّ مُعْتَرَكٍ قَتيلاً ... عليه الطّيْرُ قد مَزِلَ السُّؤالا (٥)
لئن غَيّرْتُمونا ما فَعلْنا ... لقد قُلْتُم وجدّكُمُ مَقالا
لإخْوانُ الأشاعثِ قَتّلوهم ... فما وَطِئوا ولا لاقوا نكالا
وأَبناءُ المُهلّب نحنُ قُلْنا ... وقائعَهم وما قُلْتُم مَقالا
وقد كانت جُذام على أَخيهم ... وَلَخْم يقْتلونَهم شِلالا

---

(١) هو شاعر فارس أيّد يزيدَ بنَ الوليد بن عبد الملك في ثورته، وشهر قَتْلَ ابن عمّه الوليد بن يزيد. انظر: تاريخ الرسل والملوك ٧: ٢٣٥، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ١٢: ٣٤٤، والوليد بن يزيد: عرض ونقد ص: ٤٤٠.

(٢) الوليد بن يزيد: عرض ونقد ص: ٤٣٦.

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٧: ٢٣٥–٢٣٦. وانظر: تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ١٢: ٣٤٤–٣٤٥.

(٤) نَهْد القُصَيْرى: القُصرى والقُصيرى: ضلع قصيرة في مُؤخّر الأضلاع ممّا يلي الخاصِرة. وقيل: مِمّا يلي الصّدْر.

(٥) مَزِل: أي طابت نفسه عن اللّحم فتركه، لكثرة ما أكل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هَرَبْنا أَنْ نُساعِدَكم عليهـــم ... وقد أَخطا مُساعِدُكم وفـــالا
فإنْ عُدْتُم فإنّ لنا سُيوفـــاً ... صَوارِمَ نستجدُّها الصّقـــالا
سَنبكي خالداً بمُهنّـــداتٍ ... ولا تَذْهب صنائعه ضـــلالا

إلى أَنْ يقول مُخاطِباً الوليدَ بنَ يزيد :

سَتلْقى إنْ بَقيتَ مُسوَّمـــاتٍ ... عَوابِسَ لا يُزايلْنَ الحِـــلالا (١)

ولمّا قُتِل الوليدُ بنُ يزيد افْتخَر شُعراءُ القبائل اليمانيّة الشاميّة بمقْتله ؛ لأنّهـم كانوا ممّن انْضمّ إلى ابن عمّه يزيد بن الوليد . وتُشيرُ الأَشْعارُ التي نَظَمها يزيدُ بـنُ خالد القَسْريّ (٢) ومُحمّدُ بنُ خالد القَسْريّ وبعضُ موالي خالد وغيرُهم ، إلى أنّ اليمانيّة كانوا أَكبرَ أَعْوان يزيد بن الوليد ، وأنّهم أَيّدوه انْتِقاماً لخالد القَسْريّ . ومِنْ هذه الأَشْعار : قولُ محمّد بن خالد القَسريّ الذي أَنْشأَهُ بعد هلاك الوليد بن يزيد بزَمن ، وهَتَف به في أَثناء تقدّم الجيوش العبّاسيّة نحْو الكوفة ـ وكان محمّد ثار ورفَع راياتِ العبّاسيّـين السّوداء (٣) ـ وعبّر فيه عن ابْتِهاجه بمصرع الوليد ، ورَماهُ بالكبر والفِسْق ومُجانبة الصّواب ، واسْتهانَ بسُخْريته باليمانيّة واتّهامه لهم بالعَجْز في القصيدة اللاّميّة التي نُسِبت إليـه ، وفخر بقوّة القبائل اليمانيّة وجَبَروتها (٤) ، فقد قَتلَت الوليد ، وطوّحت بدولة بني أُميّة (٥) :

قَتلْنا الفاسِقَ المُخْتالَ لمّـــا ... أَضاعَ الحقّ واتّبعَ الضّـــلالا
يقولُ لخالدٍ ألاّ حَمَتْـــــهُ ... بنو قَحْطان إنْ كانوا رِجـــالا
فكيفَ رأَى غَداةَ غدَتْ عليـــــه ... كراديسٌ يُشبّهُها الجبـــالا (٦)
ألا أَبلغْ بني مروانَ عنّـــــي ... بأَنّ المُلْكَ قد أَوْدى فَـــزالا

وقولُ أَبي مِحْجَن مولى خالد القَسْريّ واصفاً فرحَهُ بمصْرع الوليد ، ومُتشفّياً بالمُضَريّة الذين تَخلّوا عنه وأَسْلَموه للموت ، ومُتغنّياً بإباء اليمانيّة ، وما يصبُّون من الصّواعق علـى

---

(١) الحِلال : جَمْع حِلّة ، وهي الجماعة من البُيوت .
(٢) انظر : أنساب الأَشراف (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) المجلّد الثّاني ص : ٣٣٥ .
(٣) الأَخبار الطّوال ص : ٣٦٧ ، والكامل في التّاريخ ٥ : ٤٠٤ .
(٤) الوليد بن يزيد : عرض ونقد ص : ٤٧٦ـ٤٧٧ .
(٥) الأَخبار الطّوال ص : ٣٦٧ .
(٦) الكَراديس : الفِرق من الخَيْـل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خُصومهم فتَحْرقُهم حَرْقاً (١) :

سائِلْ وليداً وسائلْ أَهْلَ عَسْكـرِهِ ... غَداةَ صبَّحهُ شُؤْبوبُنا البَـرِدُ
هل جاءَ من مُضَرَ نفْسٌ فتمْنَعَـه ... والخيلُ تحْتَ عَجاجِ الموتِ تطَّرد
مَنْ يهْجُنا جاهلاً بالسَّيف نَنْقُضُه ... بالبيْضِ إنّا بها نَهْجو ونَفْتَـرِد (٢)

ومنها قولُ خَلف بن خليفة البَجَليّ (٣) يفتخر بما أَحْرزتْهُ القبائل اليمانيّـة الشاميّة من نَصْرٍ عزيز بقتْل الوليد بن يزيد ، ويَمْتدُّ بعظَمتِها وقوّتها ، وبأنّها تتصدّى لخُصومها ، فتَحْتزُّ رُؤوسَهُم ، ولا تنامُ على ثاراتِها ، ويُعْلنُ أَنَّ القيْسيّة إذا كانـوا أَضْعفوا القبائلَ اليمانيّة ، وطغوا عليها إلى حين ، فإنّها لم تلبثْ أَنْ حطَّمتْهُم وانْتصفت منهم لخالد القَسْريّ (٤) ، فقتلت به الوليد بن يزيد (٥) :

لقد سكَّنت كَلْبٌ وأَسيافُ مَذْحِجٍ ... صَدَى كان يَزْقو ليلةً غيرَ راقِـدِ (٦)
تركْنَ أَميرَ المُؤْمنين بخالِـدٍ ... مُكبّاً على خَيْشومِهِ غيرَ ساجِـدِ
فإنْ تقطعوا منّا مَناطَ قِـلادَةٍ ... قطعْنا به منكم مَناطَ قلائِـدِ

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٦١ ، وتاريخ الموصل ص: ٥٥ ، والوليد بن يزيد : عرض ونقد ص: ٤٧٨ .
(٢) افتأَدَ : أوقد النار .
(٣) التّنبيه والإشراف ص: ٢٨١ . واكْتفَت بعضُ المصادر بنسْبة الأَبيات إلى خلف بن خليفة ، وواضح أنّه غيرُ الشاعر هلف بن خليفة البكريّ ، لأنّ المقطوعة تكشف عن رأْي اليمانيّة في اغتيال الوليد بن يزيد . وكان خلفُ بن خليفة البكريّ حليفاً لليمانيّة بخُراسان ، ولكنّه كانَ بعيداً عن الأَحداث بدمشق ، مَشْغولاً بالتعْبير عن موقف قومه وحُلفائهم وتنافسهم مع المضريّة بخُراسان في ولاية نصْر بن سيّار . انظر : الوليد بن يزيد : عرض ونقد ، حاشية رقم (٥) ص: ٤٧٧ .
(٤) الوليد بن يزيد : عرض ونقد ص: ٤٧٧ .
(٥) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٦٠–٢٦١ . وانظر : العقد الفريد ٥ : ١٩٤ ، وتاريخ الموصل ص: ٥٤ ، والتّنبيه والإشراف ص: ٢٨١ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصـوّرة الجامعة الأُردنيّة) ١٧ : ٤٧٠ . ونَسَب المبّردُ أبياتاً من هذه المقطوعة إلى أبي الأَسَد مولى خالد القَسْريّ في : الكامل في اللّغة والأَدب ٣ : ١٤٠٩ .
(٦) زقا : صـاحَ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإنْ تَشْغلونا عن نِدانا فإنّنـــا شَغلْنا الوليدَ عن غِناءِ الــولائدِ (١)
وإنْ سافرَ القَسْريُّ سَفْرةَ هالــكٍ فإنَّ أبا العبّاس ليس بشاهِــــدِ (٢)

وقول الأَصْبَـغ بن ذُؤالَة الكلبيّ (٣) مُعْرباً عن سَعادته بقَتْل الوليد وأَسْرِ وَلَديْه الحَكَم وعُثْمان، وأَخْذِ اليمانيّة بثأْر خالد القَسْريّ، ومُسْتَعلِياً على قبائل قيْس، وعشائر قُريش التي كانت تُناصِره (٤) :

من مُبْلغٌ قيْساً وخِنْدِفَ كلَّهـا وسادَاتِهم من عبْدِ شمْسٍ وهاشِـم
قَتلْنا أَميرَ المُؤْمنينَ بخالــدٍ وبِعْنا ولبِّيْ عَهْدِه بالدَّراهِـــم

وافْتخَر بعضُ شعراء طيّء بيوم المُنْتَهَـب بين قبيلتهم وبين مروان بن محمّد آخر الخُلفاء الأُمويّين، بسبب امْتِناعها عن أَداء الصَّدَقة (٥).

ولم يقْتصر شُعراءُ القبائل اليمانيّة الشاميّة على الفَخْر بقوّة قبائلهم وسَطْوتهـا، بل افْتخَروا أَيضاً بانْتِسابها إلى اليمن، وبرُسوخ جُذورها في قَحْطان، فقد ردَّ القحْطانيّون على مُفاخَرة النِّزاريّة لهم بالنُّبوّة والخِلافة، بمُفاخَرتهم بماضيهم العريق ومَمالِكهم القديمة التي أَخْضَعت القبائل النِّزاريّة في الجاهلية، وبمَن اشْتُهر من مُلوكهـــم وفُرسانهم وأَشْرافهم القُدامى (٦). فهذا النُّعْمان بنُ بشير الأَنْصاريّ يُفاخِر المَدْنانيّة بشَجاعة القَحْطانيّين، ويلْجأُ إلى إِقْحام أَسْماء أَنْبياء اللّه هود وصالح وذي الكِفْـــل

---

(١) البيت في : العُمْدة ١ : ٣٢٤.
(٢) أبو العبّاس : كُنْية الوليد بن يزيد.
(٣) الأَصبغ بن ذُؤالة : هو أبو ذؤالة، أَصْبغ بنُ ذُؤالة الكلبيّ، كان مع الذين أَجْمَعوا على الفتك بالوليد بن يزيد، ثمّ انضمّ إلى ثابت بن نُعَيْم الجُذاميّ وأَهل حمص لمُقاتلة مروان بن محمّد، فلمّا هزَمهم مروان، أَخذَه وصلبه هو وأَصحابه بحِمْص. انظر : المُحبّر ص: ٤٨٤، والأغاني ٧ : ٧٨، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ٣ : ٣٢، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٨١، ٣٢٨.
(٤) الأغاني ٧ : ٧٩، وتاريخ المَوْصِل ص: ٥٥، والتّنبيه والإشراف ص: ٢٨١، والوليد ابن يزيد : عرض ونقد ص: ٤٧٨-٤٧٩.
(٥) انظر : أَنساب الأَشْراف (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) المجلّد الثّاني ص: ٣٥٥، ٣٥٧.
(٦) الإكليل ٢ : ٢٠١، والعصبيّة القبليّة وأَثرها في الشّعر الأُمويّ ص: ٥٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليهم السّلام في سِلْسِلَة النَّسَب القَحْطانيّ ، ليجْعَلَهم بإزاءِ إسماعيل ومُحمَّد عليْهِما السَّلام ، وإلى تَفْخيم صُورة ملوك اليمن القُدماء ، وذِكْر أَجْواد هم المَشْهورين في الجاهليَّة من أَمثال حاتم الطائيّ ، كما يَفْتخر ببنائهم سدَّ يأْجوج في قصيدة يقول فيها (١) :

إذا انْبَعثت منّا الحُروبُ تأَجَّجَت ... بِسُمْر القنا وانْهلَّ فيها التَّناشُمُ (٢)
فمنّا سَراةُ النّاس هُودٌ وصالحٌ ... وذو الكِفْل منّا والمُلوكُ الأَعاظِم
ومنّا ملوك النّاس فَهْدٌ وتُبَّعٌ ... وعَبْدُ كُلالٍ والقُرومُ القَماقِم (٣)
وحسّان ذو الشَّعْبَيْن منّا ويَرْعَش ... وذو يَزَن تلك البُحُورُ الخَضارِم (٤)
وذو الشَّوْذَب السَّمْحُ الذي كان قدعَلا ... تُصانُ له حورُ النِّساءِ النَّواعِم (٥)
فَمَنْ ذا يُعادِلْنا من النّاس مَعْشَرٌ ... كرامٌ ، فذو القَرنيْن منّا وحاتِم (٦)
ونَحْنُ بَنَيْنا سدَّ يأْجوج فاسْتَوى ... بأَيْمانِنا ، هل يَهْدِم السَّدَّ هادِم ؟ !

وكان النُّعْمانُ بنُ بَشير شَديدَ الاعْتِزاز بقومه ، كثيرَ الزَّهْوِ بهم ، وهُو يَحْتَذي النَّمط الجاهليّ في فَخْره ، فيعدِّدُ أَسْماءَ آبائه وأَجْداده ، ويُشيدُ بمفاخِرهم ومآثرهم ويَذْكر صفاتهم التي تَمثَّلت عنده في الجُود والنَّدى والشَّجاعة ، فهُم بنو الحَرْب وليُوث الوغى ، وهم قومٌ بَهاليل من أَولاد قيلَة — أُمِّ الأَوْس والخَزْرج — حُلماءُ مَسامِيح ، خُرْس عن الخَنا ، لا يَجْحدون ولا يبْطرون ، ويتحلَّون بالصَّبْر والوَقار (٧) ، ولذلك فإنَّه يلوذُ بهم ويَحْتَمي إذا حزبه شرٌّ أو أَصابه ضرٌّ ، لأَنَّهم بَعْد اللّه عَوْنُهُ وناصرُه يقول (٨) :

أُولئك بَعْد اللّه عَوني وناصِري ... إذا خفْتُ في الأَقوام من رَهَق كَرْبا

وفَخَر النُّعمان بنُ بَشير بقومه في الإسلام ، فذكر إذْلالَهم الكفّار في معركة بَدْر وفي غيرها من المعارك الأُخرى ، وأَظْهر اعْتِزازهم بلقب الأَنْصار الذي أَطْلقه الرَّسول

---

(١) الإكليل ٢ : ٢٠٥ . وقد أَخلّ جامع شعر النُّعْمان بن بَشير بهذه الأَبيات .
(٢) التّناشم : وقوع الشرّ . وكانوا إذا أَرادوا القتال تعطّروا بعطر منْشم .
(٣) فهْد وتُبّع وعبد كلال : من ملوك اليمن القدماء . انظر : الإكليل ٢ : ٣٢٦ ، ٣٧٨ .
(٤) حسّان ذو الشَّعبَيْن ويَرْعش وذو يزن : من ملوك اليمن . والخضارم : الكثير .
(٥) ذو الشَّوذب : من ملوك اليمن . انظر : الإكليل ٢ : ٢٧٣ .
(٦) ذو القَرنين : من أَذواء هَمْدان . انظر : الإكليل ٢ : ٤٠٥ .
(٧) انظر : شعر النّعمان بن بشير الأَنصاري ص : ٥٦ ، ٨٠ — ٨٢ .
(٨) نفسه ص : ٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه السّلام على الأَوْس والخَزْرَج ، فجمع بذلك في فَخْره القبليّ بين طابع الجاهليّة وروح الإسلام (١) ، يقول مُخاطِباً مُعاوية بن أَبي سُفْيان (٢) :

أَلَمْ نَبْتدِرْكُم يومَ بدْرٍ سُيوفُنا ... وَلَيْلك عمّا نابَ قومكِ نائمُ (٣)
ضَرَبْناكم حتّى تَفرَّق جمْعُكم ... وطارت أَكُفّ منكم وجَماجِمُ

ويقول أَيضاً (٤) :

نَصَرْنا رسولَ اللّه إِذْ حَلّ بيْننا ... بأَسْيافِنا من كلّ مَنْ هو ظالمُ
ونَحْنُ ضَرَبْنا النّاسَ في كلّ مَوْطنٍ ... كما ضُرِبَت دونَ الحِياض الحَوائم

وقال الأَفلجُ بنُ يعْبُوب النَّمريّ (٥) يرفض الانْتِساب إِلى نِزار ، ويُؤكّد انْتِساب قضاعة إِلى حِمْير (٦) :

يا أَيُّها الدّاعي ادْعُنا وبشَرٍ ... وكن قُضاعيّاً ولا تَنزَرِ
قضاعةُ بنُ مالك بن حِمْيرٍ ... النَّسَبُ المَعْروفُ غيرُ المُنْكر

وعندما أَرادَ روْحُ بنُ زِنْباع الجُذامي أَنْ يصل نَسب لَخْم وجُذام وعاملة بنَسب مَعدّ بن عدنان ، رفض ناتل بن قيْس الجُذاميّ ذلك (٧) ، فقال عديّ بن الرّقاع العامليّ يعتزُّ بالنَّسب القَحْطانيّ (٨) :

قَحْطان والدُنا الذي نُدْعى لهُ ... وأَبو خُزَيْمة خِنْدفُ بنُ نِزارِ
أَنبيعُ والدَنا الذي نُدْعى لهُ ... بأَبي مَعاشِرَ غائبٍ مُتَواري
تلكَ التِّجارةُ لا نُجيبُ لمِثلها ... ذَهَبٌ يُباع بآنكٍ وابارِ (٩)

---

(١) انظر : شعر النّعمان بن بشير الأَنْصاريّ ص: ٥٧ ، ١٤٧ .
(٢) نفسه ص: ١٥٥ .
(٣) تَبْتدركم : تُسرع إِليكم .
(٤) الإِكليل ٢ : ٢٠٥ .
(٥) الأَفلجُ بنُ يعْبوب : هو سلامةُ بنُ اليَعْبوب أَخو بني حُجَيْر بن طيّء بن وائل بن ربيعة بن أَمْرَناة بن مَشْجَعة بن التَّيْم بن النَّمر بن وَبَرة أَخي كلب بن وَبَرة . شاعِر أُمويّ . انظر : أَنساب الأَشراف ١ : ١٨ ، والمُؤتلف والمُختلف ص: ٦٧ .
(٦) أَنساب الأَشراف ١ : ١٨ ، وانظر : السّيرة النّبوية ١ : ١١ ، ونسب قريش ص: ٥ ، والإِنْباه على قبائل الرّواة ص: ٣٣ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٠٦ .
(٧) طبقات فحول الشّعراء ٢ : ٧٠٠ — ٧٠٣ .
(٨) الدّيوان ص: ٢٥٦ .
(٩) الآنك : الرّصاص .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال حَكيمُ بنُ عيّاش الكلبيّ (١) في البراءَة من نَسب عَدْنان (٢) :

بَرِئْنا إلى الله من أَنْ يكـــون أبونا نِزارٌ فنرضى نِـــزارا
ولكنّنا نحنُ نَجْل المُلـــــوك يَمانون أَصْلاً يمانون دارا

فهو يأنفُ من الانْتِساب إلى نزار، ويَعتزُّ بأَنّه يمانيّ الأَصْل والدّار.

٢ — الفَخْـر الشَّخْصـيّ.

وافْتخَر بعضُ شعراء القبائل اليمانيّة الشاميّة بشَخْصيّاتهم، وأَضافوا إليها ماشاءوا من صفات الصَّبْر والحِلْم والكرم والشَّجاعة والشّرف والعزّة ونُبْل المَحْتِد والرئاسة وقُـوّة المَلكة الشّعريّة، فهذا النُّعْمان بن بَشير الأَنْصاريّ يفخرُ بنفسه فيقول : إنّه مثل قومـه، شُجاع بطل، ثيابُه لأُمّةٍ تُبَعيّة، يخوض الغَمرات ويطْعن بالأَسنّة ويبرّ الصّديق والجـــار، وهو شَريف يَعافُ مُصاهَرةَ اللّئام (٣)، كريمٌ يُطْعِم الجار، ويُعطي من لا يسْأَله، وينْصُـــر المولى ويُعين المظلوم (٤) :

وإنّي لأُعْطي المالَ مَنْ ليس سائـــلاً وأُدْرِكُ للمولى المُعاند بالظُّلْـم (٥)
وإنّي متى ما يلْقَني صارماً لـــــه فما بيْنَنا عند الشّدائدِ من صَـــرْم

---

(١) هو حكيمُ بنُ عيّاش الكلبيّ، المعروف بالأَعْور الكلبيّ، شاعر شاميّ مُجيد، سكَن المِزّة من قرى دمشق، ثمّ انتقل إلى الكوفة، وكان مُنْقطِعاً إلى بني أُميّة، مُولعاً بهجـاء مُضَر، فوقعت مُهاجاة بينه وبين شُعرائها، ولجّ الهجاء بينه وبين الكُمَيْت بن زيـد الأَسَدي، بسبب هجاء الأَعْور لعليّ بن أَبي طالب وبني هاشم، فَقلبه الكُميت وأفْحَمه، وقيل في سَبب موته : إنّه خرج من الكوفة مُدْلِجاً، فافْترسه الأَسد، فأكله حوالـــي سنة (١٢٢هـ). انظر : الأغاني ١٦ : ٣٣٤، ٣٥٦، وتاريخ مدينة دمشـــق (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ٥ : ١٣٤، ومعجم الأُدباء ١٠ : ٢٤٧، وخزانـــة الأَدب ١ : ١٧٩، وغرر الخصائص الواضحة ص: ٤٠٥، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ٤٢٥.

(٢) الإكليل ١ : ٦٣.

(٣) انظر : شعر النّعْمان بن بَشير الأَنْصاريّ ص: ٥٧، ١٥٣، والإكليل ٢ : ٢٠٤.

(٤) شعر النّعْمان بن بَشير الأَنْصاريّ ص: ١٥٩.

(٥) المَوْلى : ابن العمّ. ومن معانيه أيضاً : الجار والحَليف والنّاصر. والمُعاند : المُعارض.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبلغت العزّة بالضّحّاك بن المُنذر الحِمْيريّ أنْ يُفاخر مُعاوية بن أبي سفيان، فغضِب مُعاوية، ولكنّه لمّا رأى تحزُّبَ قوم الضّحّاك، نظر إليه وقال: لقد بلوتُك واختبرتُك، فإذا قولُك سَديد، وسيْفك حَديد، وقومُك عَديد، وقد اخترتُك لنفسي، وأشْرَكْتُكَ في أمْري، وولّيتك، فعقَد له على أرْمينيَة، وأمر له بالخِلع والحُملان، فقبِل الضّحّاكُ الولايةَ وقال (١):

إذا ولّيْتَني بلداً فإنّـــي ... جقيقٌ بالولاية يا ابنَ حَـــرْب
لأنّي من ذوي يَمَنٍ وبيْتـــي ... مَنيعٌ في ذُؤابة آل كَعْـــب
كريمُ الخِيم من نَفَرٍ كِـــرامٍ ... يُجيدونَ القِراعَ بكلّ عَضْـــب

فهو يفتخرُ بصراحة نَسَبِه، وبنِصْرة قومه له، وبكرم نفسه وقومه، وبشجاعتهم، ويرى أنّه بهذه الصّفات حقيق بالولاية.

ولمّا نزلَ زُفَرُ بنُ الحارث الكلابيّ قِرْقيسياءَ من أرض الجزيرة، لحق به عُمَيْرُ بنُ الحُباب السُّلَميّ، فأخذا يُغيران على كلب بقيْس، وتُغيرُ كلب عليهما، فسار حُمَيْدُ بنُ حُرَيْث الكلبيّ إلى مَنْ بالمَهْل من قيس، فقتلهم جميعاً، ثمّ اتّبع عُمَيرَ بنَ الحُباب فهزمه، فقال حُمَيْد يفخر بشجاعته، وبنصره على فَزارة — من قيس — وبقيادته قبيلتَه وتذرّيه سَنامَها (٢):

أنا سيْفُ العشيرة فاعْرفونـــي ... حُمَيْدٌ قد تذرّيْتُ السّنامـــا
ومُعتَمّ أمامَ الحيّ أسْمـــى ... كسِرْحان التّنوفة حين سامـــا
وقابلةٍ على شَجْوٍ طويـــلٍ ... وقد بلّت بأدْمُعها اللّثامـــا
كأنّ بني فَزارةَ لم يكونـــوا ... ولم يَرْعوا بأرضهم الثُّمامـــا (٣)

وتغنّى بَيْهَس بن صهيب الجَرميّ بكرمه، فذكر أنّ كلْبَه اعتاد رُؤْية الضّيفان فلا ينْبحهم، وأنّ ناره تظلّ مُشْتعِلة، لتكون لهم قَبَساً هادياً، وهو إنّما يفعلُ ذلك خَشْية اللّه والعار يقول (٤):

---

(١) الإكليل ٢ : ٢٠٠ — ٢٠١. وانظر: مُلاحاة مُعاوية بن أبي سفيان لشريك بن الأعور الحارثي، وفَخْر شريك بنفسه في: الإكليل ٢ : ٢١٩.
(٢) نقائض جرير والأخطل ص: ٢٦ — ٢٧.
(٣) الثُّمام: نبْت صحراويّ.
(٤) تاريخ مدينة دمشق ١٠ : ٣٩٧. وانظر: تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنيّة) ٣ : ٢٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما يَنْبَحُ الكلبُ ضَيْفي قد أَسأْتُ إذاً ولا أَقولُ لأَهْلي أَطْفِئوا النّارا
من خَشْية أَنْ يراها جائعٌ صَـــرِدٌ إنّي أَخافُ عقابَ اللّه والعـارا (١)

وبرز لدى شُقْران مولى بني سَلامان موضوع جديد من موضوعات الفَخْر الشَّخْصيّ في هذا العصر هو التمدُّح بالمَوْهبة الفنيّة، فقد وقعت مُهاجاة بينه وبين ابن ميّادة المُرّي الذُّبْياني (٢) في بلاط الوليد بن يزيد، فقال شُقْران يفخر بمَلَكته الشِّعْرية وغَلَبتِه لمَنْ يُهاجيه من الشُّعراء (٣) :

إني إذا الشُّعراءُ لاقى بعضُهم بَعْضاً ببلْقَعة يريدُ نِضالَهـا
وَقفوا لِمُرْتَجِزِ الهَدير إذا دَنَت منه البِكارةُ قطّعت أَبْوالَهـا (٤)
فتركْتُهم زُمَراً ترمَّزُ باللِّحـى منها عَنافِقُ قد حَلقْتُ سِبالَها (٥)

فقال ابنُ ميّادة للوليد : يا أَمير المُؤْمنين، اكْفُف عني هذا الذي ليس له أَصْل فاحْتَفِره، ولا فَرْع فأَهْتِصره. فقال له الوليد : اجْتَنِبْه يا شُقْران، فقد أَبلغَ إليك في الشَّتيمة، فقَصَر شُقْران صاغراً.

وبعد، فيُلاحَظ أنّ غَرَضَ الفَخْر عند شُعراء القبائل اليمانيّة الشاميّة كان أَكْثرُهُ فَخْراً قبليّاً، بسبب اسْتِعار العصبيّات القبليّة في العصر الأُمويّ، ووقوع حروب بين اليمانيّة والقيْسيّة، فافْتخر شُعراء اليمانية ببطولة قبائلهم وسَطْوتها وعزّها، وإيقاعها الهزائم بخُصومها، وتأْييدها بني أُميّة، وخَلَطوا ذلك بالتشفّي بقتلى خُصومهم، وأَكثرَ الشّعراء من الحديث عن معركة مَرْج راهط، فذكروها بكثير من الزَّهْو والافْتِخار، حتى إنّ بعضَهم افْتخر على الأُمويّين أَنْفُسِهم، لنُصْرة اليمانيّة لهم في تلك المعركة. كما افتخر بعضهم — وبخاصّة شعراء قبيلة كلب — بالأَيّام التي وقعت بينهم وبين قيس عَيْلان

---

(١) الصَّرِد : المَقْرور.
(٢) انظر : ترجمته في : الأَغاني ٢ : ٢٢٧.
(٣) الأَغاني ٢ : ٢٦٦، ٢٧١، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيّة) ٨ : ٤٧. وانظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٢٨.
(٤) المُرْتجز : ما تَسْمع له صوتاً مُتتابِعاً. والبكارة : جَمْع بكْرة، وهي الفتيّة من الإبل.
(٥) ترمَّز : تتحرّك. والعَنافِق : جمْع عَنْفقة، وهي الشّعرات التي بين الذّقن وطرف الشّفة السُّفْلى. والسِّبال : الدّائرة التي تكون في وسط الشّفة العُليا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مرْج راهط. ورأَيْنا أَنّ بعض شَواعر كلب شاركت في الفَخر بقبيلتها وتَسْجيل انْتصارها على قَيْس في يوم دُهْمان.

وافتَخَر شعراءُ اليمانيّة أَيضًا بقَتْل الوليد بن يزيد، لأَنّه تعصّبَ عليهم وقتل زعيمَهم خالد القَسْريّ. وعبّروا عن اعْتزازهم بنَسَبهم وتَمسُّكهم به. وأَشاد بعض شُعراء طيّء بمَنْع قبيلتهم الصّدقة في أَواخر العصر الأُمويّ.

وتأَثّرت قصيدةُ عِمْرانَ بن حِطّان اللاّميّة بالسّياسة، فافْتخَر بقضاء يمانيّة الشام على زَعيمَيْن يمانيّين عراقيّين هُما: عبدُ الرحمن بن الأَشْعث، ويزيدُ بنُ المُهلّب، بسبب ثَوْرتهما على الأُمويّين، وتأْثيرهما بذلك على مصالح يمانيّة الشّام[1]. ولم يتأَثّر الفخر القبليّ عند هؤلاء الشّعراء بالمعاني الإِسلاميّة إِلاّ ما كان من فَخْر النُّعْمان بن بشير بنُصْرة قومه للرسول عليه السّلام.

ويُسْتَفاد من مواكبة شعر الفخر للأَحْداث السّياسيّة والفِتَن القبليّة في العصر الأُمويّ أَنّ قبائل اليمن الشّاميّة كانت أَكبرَ أَنْصار الأُمويّين في معركة مرْج راهط، فثبّتت مُلْكَهم بعد أَنْ أَشْرفَ على الزّوال، كما كانت أَكْبر أَعوان يزيد بن الوليد في ثَوْرته على الوليد بن يزيد.

أَمّا فَخْرُهم الشّخْصيّ، فلاحظْنا أَنّه قليل في مُجْمله، وفيه افْتخَر الشُّعراء بكرمهم، وصَبْرهم وحِلْمهم، وشَرف أَنسابهم، ورئاستهم قبائلَهم، وبرز لدى بعض مواليهم موضوع جديد هو الفخر بقوّة المَلكة الشّعريّة. ولم يخرجْ الشّعراء في فَخْرهم عن معاني الجاهليّين، إِلاّ ما كان من بَيْهس بن صُهَيب الذي فَخَر بكرمه وصرّح بأَنّه يفعلُ ذلك خَشْية العار، وخوفًا من عِقاب الله تعالى.

---

(١) وانظر أَيضًا: أَنساب الأَشراف (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) المجلّد الثّاني ص: ٢١٥، وأَنساب الأَشراف ٥: ١٥٨–١٥٩، والتّنْبيه والإِشراف ص: ٢٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً : الهجـــــــاء

الهجاءُ والفخر من أكثر الأغْراض الشّعريّة ارْتباطاً بالعصبيّة الأعْرابيّـــــة والرّوح القبليّة، فالهجاء صدى لشُعور العَداء المُسْتَحكم في نُفوس شُعراء القبائـــل المُتَعادية وفُرْسانها، والفخرُ صدى لاعْتزاز شعراء القبيلة وفرسانها بقبيلتهم، وكانـــت المُناقضات القبليّة تدور على هذيْن الغَرَضَيْن (١).

ونشأ الهجاء قديماً مع الفخر، وكانت معانيه تقوم على الرّذائل الفَرْديّة والاجْتماعيّة، كالجُبْن والبُخل والفرار من المعركة، وضَعَةِ الأنساب والأحْساب، وغلبَ عليه في الجاهليـة الاعْتدال والبراءة من الفُحْش والإقْذاع (٢).

وتنوّعت موضوعات الهجاء عند شُعراء القبائل اليمانيّة الشاميّة في العصـــر الأمويّ، فنظموا شِعْراً في الهجاء السياسيّ، والهجاء القَبليّ، والهجاء الشّخْصيّ.

١ — الهجاء السّياســيّ.

ناصَرَ شُعراءُ القبائل اليمانيّة الشّاميّة بني أُميّة، ووقفوا إلى جانبهم، فَهجوا خُصومهم، وسَخِروا من آرائهـــم وبعض مُعْتَقداتهم، فقد سَخر حكيمُ بن عيّاش الكلبيّ من اعْتِقـــاد الشّيعة في مَهْديّهم، فقال حين قُتِل زيدُ بن عليّ بن الحُسيْن، وكان ثار على الأمويّيـــن، فأرسل إليه هشام بن عبد الملك يوسفَ بن عمر الثّقفيّ، ليُحاربه، فانْهزَم أصحابُ زيـــد، فقاتل حتى قُتِل، وكان ظهورُه سنة إحْدى وعشْرين ومائة للهِجْرة (٣) :

---

(١) العصبيّة القبلية وأثرها في الشعر الأمويّ ص: ٥٤١.
(٢) تاريخ النّقائض في الشّعر العربي ص: ٤٣—٤٤.
(٣) تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنيّة) ٥ : ١٣٥، وغُرر الخَصائـــص الواضحة ص: ٤٠٥، وانظر: معجم الأدباء ١٠ : ٢٤٨—٢٤٩، ومُخْتَصر تاريـخ دمشق لابن عساكر ٧ : ٢٤٠. والإصابة ٢ : ٢١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صَلَبْنا لكم زيْداً على جِذْعِ نَخْلَـــةٍ ولم نَرَ مَهْدِيّاً على الجِذْعِ يُصْلَبُ(١)
وقِسْتُم بِعُثْمان عليّاً سفاهـــــةً وعثمانُ خيرٌ من عليٍّ وأَطْيَـــب

فهو يَتهكَّم على الشِّيعة، ويسخرُ من مُعْتَقداتهم، ويُؤيِّد الأُمويِّين في تَفْضيل عثمان ابن عفّان على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما.

ولم يَسلمْ بعضُ خلفاءِ بني أُميَّة وأُمرائهم من هجاءِ شعراءِ اليمانيّة، فحينما هجا الأَخْطلُ الأَنصارَ(٢) بطلبٍ من يزيد بن معاوية، غَضِبَ الأَنْصار غضباً شديداً، لأَنَّهم علموا أَنَّ الأَخْطلَ ما كان ليَجْرُؤ على هجائهم لولا مُوافقةُ مُعاوية على ذلك(٣). فَنظَم النُّعْمانُ بن بشير الأَنْصاريّ قصيدةً طويلة سلكَ فيها مَسْلَك التَّهْديد والوَعيد، يقول فيها(٤):

مُعاويَ إِلاّ تُعْطِنا الحقَّ تَعْتَرِف لِحِسي الأَزِدَ مَشْدوداً عليها العَمائمُ
أَيشْتُمنا عبْدُ الأَراقمِ ضَلَّـــةً وماذ الذي تُجْدي عليك الأَراقم؟!(٥)
متى تَلْقَ منّا عُصْبةً خَزْرَجيَّـــةً أَو الأَوْسَ يوماً تَخْترِمْكَ المَخارِم(٦)

ثمَّ يقول:

فإِنْ كُنْتَ لم تَشْهَد ببدْرٍ وقيعـةً أَذلَّت قُرَيْشاً والأُنوفُ رَواغِـــم
فسائِلْ بنا حيَّي لُؤَيِّ بن غالِـبٍ وأَنتَ بما تُخْفي من الأَمر عالِـــم

ويُجاوز النُّعْمان هذا القَدْرَ من الثَّورة غضباً لقومه الأَنْصار، فيُقَرِّرُ أَنَّ الخلافة ليست حقّاً للأُمويِّين، بل هي من حقّ الهاشميِّين الذين سَيَصيرُ الأَمر إليهم بعد شتاته إِذْ يقول:

فلا تَشْتُمَنّا يا ابنَ حَرْب فإِنّمـا ترقَّى إلى تلك الأُمور الأَشائـــم
فما أَنت والأَمْر الذي لسْت أَهْلَه ولكنْ وليّ الحقّ والأَمر هاشِـــم
إِليهم يصيرُ الأَمر بعد شَتاتِـــه فَمَنْ لك بالأَمر الذي هـو لازِم

---

(١) البيت في: الكامل في اللّغة والأدب ٣: ١٣٧١ دون عزوه.
(٢) انظر: شعر الأَخْطل ص: ٣١٤.
(٣) نقائض جرير والأَخطل ص: ١٥٨، وانظر: طبقات فُحول الشّعراء ١: ٤٦٣، والأَخبار الموفّقيّات ص: ٢٢٨، والأَغاني ١٥: ٨٣، ١٦: ٨.
(٤) شعر النّعْمان بن بشير الأَنصاري ص: ١٥٠—١٥٨. ولهذه القصيدة مقدمة طويلة أَخلّ بها جامع شعر النّعْمان بن بشير الأَنْصاري. انظر: الإكليل ٢: ٢٠٤. وثمّة قصيدة قريبة في أُسْلوبها ومعانيها من قصيدة النّعْمان هذه، قالها أَحدُ اليمانيّة في تهديد معاوية إِثْر مُفاخرة الضّحّاك بن المُنذر الحِميَريّ له. انظر: الإكليل ٢: ٢٠١.
(٥) الأَراقم: أَحْياء من تَغْلِب. وعَبْد الأَراقم: المَقْصود به الأَخْطل.
(٦) المَخارِم: المَهالِك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالهجاءُ عند النُّعْمان هجاءٌ سياسيّ يتّخِذُ الوعيدَ والتّهْديدَ، والتلْويحَ بالثّـــورة وإشْهارَ السّلاح تارةً، والتّذْكيرَ بالكُفْر ومُحاربة دين الله تارةً أُخرى. وقد يكـــون سياسةً محْضة بإثْبات حقّ الخلافة لغير بني أُمَيّة تارةً ثالثة[1].

وهجا رجلٌ من تَنوخ يزيدَ بنَ مُعاوية بن أبي سُفيان، لمّا همّ بالحجّ وإتْيان اليمن، ورَماه بالعَبَث واللّهْو ومُلاعبة القُرود، وأتّهم أصحابه وبِطانَته بالانْحراف والفَساد فقال[2]:

يزيدُ صديقُ القِرْد مَلّ جِوارَنـا ... فحَنّ إلى أرْضِ القُرود يزيـــدُ
فتبّاً لمَنْ أمْسى علينا خليفـــةً ... صَحابتُه الأدْنون منه قُـــرود

وهلك يزيدُ بنُ معاوية بحُوّارين من أرض دمشق سنة أربع وستّين للهجرة، فقـال رجلٌ من عُذْرة[3]:

يا أيُّها القَبْرُ بحُوّارينـــا ... ضَمّنْتَ شرَّ النّاس أجْمعينـــا

وقال جَوّاسُ بنُ القَعْطل الكَلْبيّ يهجو عبْدَ العزيز بن مروان بن الحَكَم، من أبيات افْتخر فيها بنفسه، وذلك أنّه رأى منه جَفْوة له وتقْديمًا للحراق بن حُصَيْـن أحد بني نَوْفل بن عديّ بن جَناب[4]:

ألا بِئْسَ امرؤٌ من ضَرْب حِصْـنٍ ... أضاع قَرابتي وحَبا الحراقـا[5]

وقدم خِرْقةُ بنُ نَباتة الكلبيّ[6] على حَرْب بن خالد بن يزيد بن معاويـــة دمشق، فجفاه حَرْب فقال[7]:

كأنّي ونِضْوي عند حَرْبِ بنِ خالـدٍ ... من الجوع ذِئْبا قَفْرة عَلِـــزانِ[8]
وباتَتْ علينا جَفْوةٌ ما نُحِبُّهـــا ... وبِتْنا نُقاسي ليلةً كَتَمـــــان

---

(١) انظر: شِعر النّعمان بن بشير الأنْصاري ص: ١٤١، ١٤٤—١٤٦، ١٤٧.
(٢) أنساب الأشراف ٤: القسم الأوّل ص: ٢٨٧—٢٨٨.
(٣) مروج الذهب ٣: ٢٤٧.
(٤) أنساب الأشراف ٥: ١٤٢—١٤٣.
(٥) يُقال: في بني فُلان ضَرْب نساء من فلان، وأُمّ عبد العزيز بن مروان كَلْبيّة من بني حِصْن.
(٦) هو خِرْقة بنُ نَباتة بن الزّنْد — ويُقال: الزّيْد — بن عمرو بن عبْد مَناة الكلبيّ. وهو خِرْقة بن شِعاث — ويُقال: شِفاث — وشِعاث أمّه وبها يُعْرف. انظر: تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنيّة) ٥: ٢٩٦، ومُعْجَم الأدباء ١١: ٥٦، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥: ١٢٨.
(٧) تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنيّة) ٥: ٢٩٦. وانظر: مُعْجَم الأدباء ١١: ٥٦، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥: ١٢٨.
(٨) عَلِزان: العَلَز: شِبْهُ رِعْدة تأخذ الحَريص على الشّيء، فلا يَسْتقِرّ في مكانه من القلق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالشاعر لا يُصرِّح بهجاء حَرْب، وإنَّما يصفُ فِعْلَ الجُوع به وبراحلته عنده، ويشبِّهُ نفْسَه وراحِلَته بذئبَيْن جائعيْن، مُكتفيًا بما تَعْكس هذه الصّورةُ على حَرْب بن خالد من معاني الهجاء.

ونَظَم شاعرٌ بُحْتُريّ من طيّء بيْتَيْن بيَّن فيهما لَهْوَ سَعيد بن هشام بن عبد الملك وتعرُّضَه للنّساء (١). وقال مَنْصورُ بنُ جُمْهور الكلبيّ (٢) يَهْجو بني مروان بن الحَكَم، ويحمِّسُ اليمانيّة، ويَحُثُّها على تَقْويض حُكْم الأُمويّين، مُتَّهماً لهم بالطُّغْيان والجَوْر، وواصفًا خُلفاءَهم المتأخِّرين بأنَّهم غِلْمان، ومُنَدِّداً بسياستهم وفتكهم بروءساء اليمانيّة، وتَقْريبهم للمُضريّة (٣):

يا قوم لا تُغْلَبوا عن رأيكم فلقد	جرَّبْتُمُ الغَدْرَ من أولاد مَرْوانا
ما زال هذ قَتَلوا عمْراً بغَدْرهمُ	يُدْعونَ غدْراً بعهد الله كيْسانا (٤)
حتّى اسْتباحوا سنامَ الأرْض مملكةً	قَسْراً فوَلَّوا أُمورَ النّاس ولْدانا
ووَحْشوا بكتاب الله واتَّخذوا	هَواهمُ في معاصي الله قُرْبانا
ألا تَرى مُضَراً أضْحت تُثير معاً	حرباً وضرْباً شتات الأمر وجْدانا
يُقطِّعونَ بنا أعناقَ سادتِنا	ويُغْلقون بنا أبوابَ دُنْيانا

---

(١) انظر: أنساب الأشراف (مصوَّرة الجامعة الأُردنيَّة) المجلّد الثّاني ص: ٢٥٢.

(٢) هو مَنْصور بنُ جُمْهور بن حِصْن بن عمرو بن خالد بن حارثة بن العُبَيْد بن عامر بن عوف الكلبيّ، من أهل المزّة من قُرى دمشق، كان أعرابياً جافياً غيْلانيّاً، خرج مع يزيد بن الوليد علي ابن عمّه الوليد بن يزيد، لرأيه في الغيْلانيّة وحِمْيَة لقتْل خالد القسْريّ. وليَ العراق ليزيد بن الوليد ثم عزله عنها، فلحِق بالشّراة أصحاب الضّحّاك بن قيْس الشّيْبانيّ، بعد أنْ حاربهم بواسِط وقتلَ بعضَ قادتهم، فبايَعهم وانضمّ إليهم. وبعد مقْتل الضّحّاك ابن قيس خلعَ منْصور مروانَ بن محمّد، وسار إلى السِّنْد فغلبَ عليها إلى أنْ هزَمه موسى بنُ كعْب الذي وجّهه إليه أبو العبّاس السّفّاح، فمات عطشاً في الرّمال بمفازة بين السِّنْد وسَجِسْتان سنة (١٣٤هـ). انظر: أنساب الأشراف ٢: ٦٥، وتاريخ الرسل والملوك ٧: ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٥٢، ٢٧٠، ٢٨٤، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٥٢، ٤٦٤، وجَمْهرة أنساب العرب ص: ٤٥٨، وتاريخ مدينة دمشق (مصوَّرة الجامعة الأُردنية) ١٧: ١٠٨، وتاريخ ابن خلدون ٢: ٥١٩.

(٣) أنساب الأشراف (مصوَّرة الجامعة الأُردنيّة) المجلّد الثّاني ص: ٣٠١، والوليد بن يزيد: عرض ونقد ص: ٤٣٦–٤٣٧.

(٤) عمرو: لعلّه عمرُو بنُ سعيد بن العاص الذي قتله عبدُ الملك بن مروان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهجا عطيّةُ الكلبيّ — وكان مَوْلى لثابتِ بن نُعَيْم الجُذاميّ — مروانَ بن محمد آخر الخلفاء الأُمويّين، واتّهمه بأكْلِ مالِ اللّه ظُلْماً، في قصيدة خاطبَ فيها ثابتَ بن نُعَيْم وحرّضه واليمانية على الثّورة (١).

وقال مَعْدانُ بنُ عُبَيْد الطّائيّ (٢) يهجو مروانَ بنَ محمّد (٣):

أَلا مَنْ مُبْلِغٌ مروانَ عنّـي ... على ما كان من بُعْدِ المَـزارِ

أَلم ترَ للخلافة كيف ضاعَتْ ... لأَنْ صارت لأبناءِ السَّـراري

وكانت أُمّ مروانَ بن محمّد أَمةً، فهجاهُ الشّاعرُ بها، وصدّر في هجائه لـه عن اعْتِقاد الأُمويّين بأَنّ سُلْطانَهم يضيعُ في عهْدِ خليفة أُمُّه غير عربيّة فكانـوا لا يَعْهدون إلى أبناء الإماء منهم (٤).

وبذلك نرى أَنّ أَسْبابَ هجائهم للخُلفاء تعودُ إلى مُحاولة مُعاوية الفَضّ من شأن الأَنْصار، وسوء سلوك يزيدَ بن معاويةَ وفسادِ بطانته، وجَوْر بعض بني مروان ابن الحكم وطُغْيانهم وفَتْكهم برؤساء اليمانية، وأَنّ هجاءَهم للأُمراء كان بسبب جفائهم لبعض الشّعراء وتَقْريبهم لغيْرهم.

٢ — الهجاءُ القَبَليّ.

أَوّلُ ما يُطالِعُنا من هذا اللّون من الهجاء بيْتان للنُّعْمان بن بشير الأَنْصاري، يردُّ فيهما على الأَخطل التّغْلبيّ، حين هجا الأَنْصارَ بقوله (٥):

ذَهَبَتْ قُريشٌ بالمكارمِ والعُلـى ... واللُّؤْمُ تحْتَ عمائِمِ الأَنْصـارِ

ويُبالغ في هجاء التّغْلبيّين وإلْصاق اللُّؤْمِ بهم، حتّى جَعله علامةً مميّزة لهم، واضحة فيهم كالرَّقْم في ذِراع الحِمار يقول (٦):

---

(١) انظر القصيدة في: كتاب الوحْشيّات ص: ٢٠—٢١، وستَرِد في الدّراسة الفنّية في الفصل الرابع من هذه الدّراسة.

(٢) هو مَعْدانُ بن عُبَيْد بن الجَري بن عبد الله بن خَيْبريّ بن أَفلت الطّائيّ. انظر: أنساب الأشراف (مُصوّرة الجامعة الأردنيّة) المجلّد الثّاني ص: ٣٥٥.

(٣) أنساب الأشراف (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) المجلّد الثّاني ص: ٣٥٥—٣٥٦.

(٤) الأُمويّون والخلافة ص: ٤٤.

(٥) شعر الأخطل ص: ٣١.

(٦) شعر النّعْمان بن بشير الأَنْصاريّ ص: ١٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَبلغْ قبائلَ تَغْلبَ ابنةِ وائـــلٍ ... مَن بالفُرات وجانبِ التَّرْثـار (١)
فاللَّوْمُ بين أُنوفِ تَغْلبَ بيِّـــنٌ ... كالـرَّقْم فوقَ ذِراع كلِّ حِمـار

ولمّا احْتَدم الصِّراعُ بين شُعراءِ اليمانيّة والقيْسيَّة في معركة مَرْج راهـــط وفيما تلاها من وقائع بين قيْس وكلب، وفي العصبيَّة القبليَّة بين مُضَر واليمن، وقَعت مُناقضاتٌ شِعْريَّة بين شُعراء الطَّرفيْن، أَشْهرُها مُناقَضةٌ سنوردُها بعد قليل، بين جَوّاسِ بنِ القَعْطل وعمْرِو بنِ مِخْلاة الكلبيَّيْنِ من جِهة، وزُفَر بنِ الحارث الكلابيّ من جِهةٍ ثانية.

والنَّقائض فنٌّ جاهليّ قديم، نشأَ مع النَّهضة الشِّعْريَّة ساذجاً، ثمَّ تطـــوَّر فيما بعد، مُعْتمداً على فنَّيِ الفخر والهجاء (٢)، وأَخذ مساحةً متميِّزةً في شعر الحرب، لأَنَّه يقومُ على دَفْعِ الحُجَّة وتأْكيد الحقّ ونقْض الدَّليل (٣). فعندما انْتصر مروانُ بنُ الحَكَم واليمانيّة في مَرْج راهط، وانْهزَم زُفَرُ بنُ الحارث الكلابيّ أَحدُ قُوّادِ الضَّحّاك ابن قيس الفِهْريّ إلى قِرْقيسياء (٤)، وأَخذ يتفجَّعُ على هزيمة قيْس، ويتوَعَّدُ كلْباً وغيرَها من قبائل اليمن، ويعتذرُ عن فراره من المعركة، في قصيدة مَطْلعها (٥):

لعمْري لقد أَبْقَت وقيعةُ راهِـــطٍ ... لمروانَ صِرْعاً بيننا مُتَنـائيـــا

يقول فيها:

أَرِيني سِلاحي لا أَبالكِ إنَّنـــي ... أَرى الحرْبَ لا تزدادُ إلّا تَماديـا
أَيذهبُ يومٌ واحدٌ إنْ أَسأْتُـــه ... بصالح أَيّامي وحُسْنِ بلائيـــا

بلغت قصيدتُه هذه أَسْماعَ اليمانيّة، فبادر شُعراؤُها إلى نَقْضِها، ومنهـم جوّاسُ بنُ القَعْطل، الذي أَجابَ زُفَرَ بنَ الحارث بنَقيضةٍ أَظْهرَ فيها شماتَتَهُ بهزيمة قيس يوم المرْج، وهجا زُفَر وقومَه:

ثُـــمَّ فخـــــــر بقبيلتـــــــه

---

(١) التَّرْثار: نَهْرٌ بالعراق. والرَّقْم: الكتابة والخطّ.
(٢) تاريخ النّقائض في الشّعر العربيّ ص: ٥٥٢
(٣) د. نوري حمّودي القيْسيّ: شعر الحرب حتى القرن الأَول الهجْري ص: ٢٠٦.
(٤) تاريخ خليفة بن خيّاط ص: ٢٦٠، وأَنساب الأَشراف ٥: ١٤١.
(٥) تاريخ خليفة بن خيّاط ص: ٢٦٠. وانظر: كتاب الوحشيّات ص: ٥٠، وأَنساب الأشراف ٥: ١٤١، ومروج الذهب ٣: ٢٨٧، والتّنبيه والإشراف ص: ٢٦٨، والكامل في التاريخ ٤: ١٥٢، وشرح نهْج البلاغة ٦: ١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلب(١)، يقول(٢):

لعمْري لقد أَبقَت وقيعةُ راهِطٍ ... على زُفَرٍ داءً من الدّاءِ باقيا
مُقيمًا ثَوى بيْنَ الضُّلوعِ مَحلُّه ... وبين الحَشا أَعْيا الطَّبيبَ المُداويا
يُبكّي على قَتْلى سُلَيْمٍ وعامِرٍ ... وذُبْيانَ معْذورًا ويُبكي البَواكيا
دعا بسلاحٍ ثمَّ أَحْجَمَ إِذْ رأَى ... سُيوفَ جَنابٍ والطِّوالَ المَذاكِيا(٣)
عليها كأُسْدِ الغابِ فِتْيانُ نَجْدةٍ ... إِذا أَشْرعوا نحْوَ الكُماةِ العَواليا

وتبدو الروحُ القَبليّةُ الجاهليّة واضحةً في هذه النَّقيضة، وذلك أَنَّ كَلْباً يمانيّة وقيْساً نِزاريّة، كما تبدو التّقاليدُ الجاهليّة في نَقْض المعنى، إِذ أَفْسَد جوّاسُ بنُ القَعْطل ما قاله زُفَرُ في البيت الأَول من قصيدته، وفسّرهُ لصالحه في البيت الثّاني، وكذّبه ووَصَفه بالجُبْن، لأَنّه دعا بسلاحه ثمّ أَحْجَم لمّا رأَى سُيوفَ الكلْبيّين ورِماحَهم مُشْرعةً. وأَمّا من حيثُ الشّكلُ، فإِنّ النّقيضتيْن تتّفقان وزْنًا وقافيةً.

وقد يتغيّرُ شكلُ النّقيضة، فتأْتي مُخالِفةً من حيث القافيةُ، إِلاّ أَنّ المعاني التي تدور عليها المُناقَضةُ تظلُّ باقيةً، ويُلْزِم الشاعرُ نفسه بالردّ عليها هجاءً لما صَنَعه الشاعر الأَوّل، أَو إِضْعافًا لشأْنه(٤)، كقول عَمْرو بن مِخْلاة الكلبيّ، يردُّ على زُفَرَ بن الحارث لمّا قال قصيدته اليائيّة التي أَوردْنا أَبياتاً منها قبل قليل(٥):

بكى زُفَرُ القيْسيُّ من هُلْكِ قومِه ... بِعَبْرةِ عيْنٍ ما يجفُّ سُجومُها
يُبكّي على قَتْلى أُصيبَت براهِطٍ ... تُجاوبُه هامُ القِفارِ ورومُها

---

(١) العصبيّة القبليّة وأَثرها في الشعر الأُمويّ ص: ٤٣٤. وانظر: أَدب السّياسة في العصر الأُمويّ ص: ١٥٩، ورحلة الشّعر من الأُمويّة إِلى العبّاسيّة ص: ٣٣.
(٢) نقائض جرير والأَخطل ص: ٢٥–٢٦. وانظر: تاريخ الرسل والملوك ٥: ٥٤٢، والكامل في التاريخ ٤: ١٥٢، ونهاية الأَرب في فنون الأدب ٢١: ٩٣. وانظر أَبياتاً منها في أَنساب الأَشراف ٥: ١٤٢، والتّنبيه والإِشْراف ص: ٢٦٨، والمُؤْتلف والمُخْتلف ص: ٩٩. والبيت الأَول في الحيوان ٣: ٤٢٢ دون عزو. ونُسِب بيتان منها إِلى عمرو بن مِخْلاة الكلبي في: الأَغاني ١٩: ١٤١.
(٣) المذاكي: الخيل التي تمّ سنّها وكملت قوّتها.
(٤) شعر الحرب حتى القرن الأَول الهجريّ ص: ٢٠٦.
(٥) تاريخ الرسل والملوك ٥: ٥٤٣. وانظر: الكامل في التاريخ ٤: ١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَبحْنا حِمى للحيِّ قيسٍ براهِـطٍ ... وولَّت شِلالاً واستُبيحَ حَريمُهـا
يُبكّيهمُ حرّانَ تَجْري دُموعُـه ... يُرجّي نِزاراً أَنْ تئوبَ حُلومُهـا
فمُتْ كَمَداً أَوْعِشْ ذَليلاً مُهضَّماً ... بحَسْرةِ نفْسٍ لا تنامُ هُمومُهـا
إذا خَطرتْ حولي قُضاعةُ بالقَنا ... تخبّطُ فِعْلَ المُصْعَباتِ قُرومُهـا (١)
خبطْتُ بهم من كادَني من قبيلةٍ ... فمَنْ ذا إذا عزَّ الخُطوبُ يَرومُهـا

فهو يردُّ عليه ندّاً قبليّاً خالصاً في السُّخْرية والتّهكُّم من أعداء قبيلته، ويعتزُّ ببطولـة قومه وشدّةِ نِكايَتِهم في خُصومهم، ويتعصّبلقبيلته ويَسْتشْعر الحِماية في ظلّها، فهي التي تحْميه وتُدافعُ عنه ضدّ من يكيدونَ له، وما على غير هذه المعاني قامت العصبيّـة القبليّة في العصر الجاهليّ (٢).

وبعد أَنْ شنّت قيس غاراتِها الانتقاميّة على كلْب البادية، وتوالت الوقائعُ بينهما، اتّصلت المُناقضاتُ والأَهاجي بين شعراء الطّرفيْن، فنقضَ عُمَيْرُ بنُ الحُباب السُّلميّ بعد أَنْ أَصاب كلْباً بالسّماوة أَبياتَ هِنْد الجُلاحيّة التي نظَمتْها في رثاء قتلى قومها (٣)، بأَبْياتٍ من ذات الوزْن والقافية (٤)، فنقَضها عليه يَحْيى بن مُعاذ الكلْبيّ (٥)، وعُمَيْرةُ بنت حسّان الكلْبيّة، وأَخوها مُنْذِرُ بنُ حسّان بن الطُّرامة الكلبيّ، الذي قال في هزيمة عُمَيْر بن الحُباب في بني سُلَيْم وغيرهم من قيس يوم دُهْمان (٦):

---

(١) المُصْعب: الفَحْل من الإبل الذي يُترك فلا يُركب، ولا يمسّه حبْل، فيصير صَعْباً.
(٢) اتّجاهات الشّعر في العصر الأمويّ ص: ٢٥٦.
(٣) انظر: الأَغاني ٢٣: ١٨٧.
(٤) انظر: نفسه ٢٣: ١٨٧.
(٥) انظر: الحماسة الشّجريّة ١: ١٧١. وستَرِد أَبْياتُه في الدّراسة الفنيّـة في الفصل الرابع من هذه الدّراسة.
(٦) الأَغاني ٢٣: ١٩٠. وانظر بعض هذه الأَبيات في: أَنساب الأَشراف ٥: ١٤٨، ومعجم الشعراء ص: ٢٧٠. ونُسِبت بعض أَبياتها إلى عُمَيْرة بنت حسّان أُخت الشاعر، وقد أَنشدْناها في حديثنا عن الفخر القبليّ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبادية الجَواعرِ من نُمَيْـــرٍ تُنادي وهي سافِرةُ النِّقـــابِ(١)
تُنادي بالجَزيرة يالقيْـــسٍ وقيسٌ بئْس فتيانُ الضِّـــراب
قتلْنا منهمُ مائتيْن صَبْـــراً وأَلْفاً بالتِّلاع وبالرَّوابـــي
وأَفْلتَنا هَجينُ بني سُلَيْـــمٍ يُغدِّي المُهْرَ من حُبِّ الإيـــاب
فلولا اللّه والمُهْر المُفـــدّى لغودِرَ وهو غِرْبالُ الإهـــاب(٢)

فالشاعر يهجو قيْسًا بالجُبْن والقُعود عن نُصرة قومهم، ويفخرُ بإصابة قومـــه فُرسانَ قيس، ويُسجِّلُ على عُمَيْر بن الحُباب عارَ الفرار من المعركة فيقول: إنّه ما كـــان لينْجو لولا فرارُه على مُهْر سريع. ويُلاحظ أنّ هذه الأبيات أيضاً تتحدّث عن مَعـــانٍ جاهليَّة بأُسلوب جاهليّ، ولن نُخْدعَ باسم الجلالة الوارد في البيت الأخير، لأنّه كثيـراً ما تردَّدَ في أشعار الجاهليّين(٣).

وحينما أَصابَ حُمَيْد بنُ حُرَيْث الكلبيّ فَزارةَ — من قيس — شكَتْ إلى عبد الملك بن مروان فِعْلَ حُمَيْد بها، فاقْتطَع ديات قتلاها من أعطيات قُضاعة وحِمْير الذين كانوا بالشام(٤)، فقال عمرُو بنُ مِخْلاة الكَلْبيّ من قصيدة يُعيّرُ فيها بني ذُبْيان خاصّة قبولَهُم ديـــات قَتْلاهُم(٥):

خُذوها يا بني ذُبْيانَ عَقْـــلاً على الأَجْياد واعْتَقِدوا الخِداما(٦)
دراهمَ من بني مروان بيضـــاً يُنجّمها لكم عاماً فعامـــــا

فردَّ عليه عُويفُ القَوافي بنُ معاوية بأبيات نقض فيها قصيدَته هذه(٧).

---

(١) الجَواعر: جمعُ جاعِرة وهي: حَرْف الورك المُشْرف على الفَخِذ.
(٢) البيت في: الأشْباه والنّظائر ٢: ٢١٦ دون عزو، وفي: لسان العرب: مادّة: غَرْبل. وغِرْبال الإهاب: كناية عن تمْزيقه بدَنه وقتله.
(٣) اتّجاهات الشعر في العصر الأمويّ ص: ٢٥٤.
(٤) أنساب الأشراف ٥: ٣١٠، والأغاني ١٩: ١٤٧—١٤٨.
(٥) الأغاني ١٩: ١٤٨—١٤٩. وانظر القصيدة كاملة في: تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأردنيّة) ١٣: ٣٠٢. وانظر بيتيْن منها في: أنساب الأشراف ٥: ٣١٠.
(٦) الخِدام: جمعُ خَدَمة، ومن معانيها: الخُلْخال. ورواية أنساب الأشراف وتاريخ مدينة دمشق: "واعتقدوا الخِزاما" ولعلّها أقرب إلى قصْد الشاعر، لأنّ الخِزام: حَلقة تُجْعل في أحد مِنْخري البعير، ويُكنى بها عن الإبل.
(٧) انظر: أنساب الأشراف ٥: ٣١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويدلُّ صَنيعُ عبد الملك هذا على إدْراكه أنَّ استمرار العَداء بين قبائل الشّام لم يَعُد في صالح الدَّولة، بعد أنْ توطَّدت أركانُها. ومن أجْل ذلك نجدُه يحْرصُ على إطْفاء نار الفِتْنة بين كلب وقيْس، ويتدخَّلُ للإصْلاح، ولا يتردَّدُ في دفْع اثْنيْن من أشْراف فَزارة هُما: سَعيدُ بنُ عُيَيْنَة وحَلْحلةُ بنُ قيس إلى الكلْبيّين ليقيدوا منهما، لأنَّهما أشْعَلا نارَ الفِتْنة بين الحيَّيْن، فأصابا بُطوناً من كلب على ماءٍ يُقال له: بنات قَيْن، بعد أنْ حُقِنت الدّماء وتمَّ الصُّلْحُ وقُبِضَت الدّيات(١). ونَجدُه يسجُنُ في مُناسبة أُخرى عدداً من وجوه اليمانيّة وذوي الأخْطار منهم، بسبب مقْتل غُلامٍ من قيس عَقِب مَرْج راهِط(٢).

ووقعت مُناقضةٌ قصيرةٌ بين حكيم بن عيّاش الكلْبيّ والكُمَيْت بن زيد الأسَديّ، فقد كان حكيم بنُ عيّاش مُتعصِّباً لليمن، يهْجو مُضَر ويهجو عليّ بن أبي طالب وبني هاشم، فكانت شُعراءُ مُضَر تجيبُه وتهْجوه. وكان الكُمَيْت بن زيد يرقبُ هذه المعركة، ولكنَّه لا يخوضُ فيها خوفاً من بطْش خالد القَسْريّ أمير العراق لهشام بن عبد الملك، إلاّ أنَّ حِيادَهُ لم يَطُلْ، فسَرْعان ما اسْتَشاره شُعراءُ المُضَريّة بأنْ أسْمعوه هجاءَ حكيم لنساء بني نِزار، فحميَ الكُميتُ لعشيرته، وقال قصيدَته المُذْهَبة: "ألا حُيِّيت عنّا يا مَدينا" وقيل: إنَّها بلغت ثلاثمائة بيْت، لم يترك فيها حيّاً من أحْياء اليمن إلاّ هجاهم(٣). فأمر خالدٌ القَسْريّ بحبْسه.

وقد نقض حكيم بنُ عياش قصيدةَ الكُميت في قصيدة لم يصلْ إلينا منها سوى أبيات مُتفرِّقة، رمى فيها امرأةَ الكُمَيْت بأهل الحَبْس، وذلك أنَّها لبِسَت ثيابَ زوجها وأقامت في الحَبْس مكانه في أثناء فراره، يقول فيها(٤):

فما وُجِدَتْ بناتُ بني نِزارٍ ... حلائلَ أسْودينَ وأحْمَرينا
سَقَيْناهم دِماءَهمُ فسالَتْ ... فأبْررنا أليَّةَ مُقْسِمينا

وقال حكيم بنُ عيّاش الكلبيّ يهجو بني أسد(٥):

---

(١) انظر: أنساب الأشراف ٥: ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، والأغاني ٩: ١٤٧ — ١٥٠، والعصبيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأمويّ ص: ٢٤٤.
(٢) الأغاني ٢٢: ١٣٤.
(٣) نفسه ١٦: ٣٣٤، ٣٥٦، وخزانة الأدب ١: ١٧٩ — ١٨٠.
(٤) الأغاني ١٦: ٣٤١، ولسان العرب: مادّة: برر، وخزانة الأدب ١: ١٧٨ — ١٧٩.
(٥) الأغاني ١٦: ٣٥٧، وتاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنيّة) ٥: ١٣٥. وانظر: معجم الأدباء ١٠: ٢٤٨، وخزانة الأدب ١: ١٨١، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤: ٤٢٦. ونُسب البيتان إلى المُسوِّر بن هند العبْسيّ في: الشعر والشعراء ص: ٢١٦، وعيون الأخبار ٤: ١٣، والأغاني ١٠: ٣٢٤، وإلى يعيش الكلبي في: معجم الشعراء ص: ٥٠٥. والبيت الأول في: مُحاضرات الأدباء ١: ٣٤٢ دون عزو.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما سرّني أنّ أُمّي من بني أَسَدٍ وأنّ ربّي نجّاني من النّـــارِ
وأنّهم زوّجوني من بناتِهـــمُ وأنّ لي كلّ يوم ألْفَ دينـــار

فأجابه الكُميت(١) :

يا كلبُ مالكَ أُمّ في بني أَسَـدٍ معروفةٌ فاحْترفْ ياكلبُ بالنّـــار
لكنّ أُمّك من قومٍ شَنِئْتَ بهـــم قد قنّموكَ قناعَ الخِزْي والعـــار

فابنُ عيّاش يرفض أنْ يكون من أهل الجنّة، إذا كان دُخولُها يقْتضي أنْ تكونَ أُمّه من بني أسد قوم الكُمَيْت، ويأبى أنْ يتقاضى ألفَ دينار كلّ يوم على أنْ يتـــزوّجَ أَسَديّة، وهو يُعلن بذلك ألاّ شيء يُغريه بالانْتماء إلى قوم الكُميت أو الإصْهار إليهم، لا الربْح الدُّنيويّ العاجل، ولا الفوز بجنّة الخُلْد في الآجل. فينْبَري له الكُميت، فينقُض قوله نقْضاً منْطقيّاً، إذْ ينفي الأَسَديّة عن أُمّه ويدفعُه إلى النّار، ثُمّ يهْجوه بأُمّه، لأنّها من قوم ذوي خِسّة وضعة، حتى إنّهم أكْسبوا ابنَها الخِزْيَ والعار(٢).

ويعكس هذا النّقْض المنْطقيّ لمحةً من تطوّر فنّ النّقائض في العصر الأُمويّ إلاّ أنّ هذا الفنّ مع ذلك لم يبلغْ من الدقّة والجودة والنُّضْج ما بلغَه على يدي جرير والفرزْدَق والأَخْطل (٣).

وألْصقَ حكيم بن عيّاش اللُّؤْمَ ببني أسد، فجعله صفةً لازمة لهم مُقْترنة بهـــــم كاقْتران السّبت بالأحد، في قوله(٤) :

لن يَبْرحَ اللُّؤْمُ هذا الحيَّ من أَسَـدٍ حتّى يُفرّقَ بين السّبت والأَحـــدِ

وكان ابنُ ميّادة المُرّي عِرْيضاً للشرّ طالباً مُهاجاة الشّعراء ومسابّة النّاس(٥)، فهجا عدداً من الشُّعراء (٦) منهم شُقْران مولى بني سَلامان. فقد روى أبو الفَرَج الأَصْفهانيّ أنّ ابنَ ميّادة اسْتأْذنَ على الوليد بن يزيد ذات يوم وعنده شُقْران، فأَدْخله الوليدُ في صُندوق، وأَذِنَ لابن ميّادة، فلمّا دخَل، أَجْلسه على الصُّندوق واستنْشده هِجاءَ شُقْران،

---

(١) شعر الكُميت بن زيد الأسديّ ١ : ١٨٠ — ١٨١.
(٢) تاريخ النّقائض في الشعر العربيّ ص: ١٩٥، ٢٩٩ — ٣٠٠، والعصبيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأمويّ ص: ٥١٤، واتّجاهات الشعر في العصر الأُمويّ ص: ٢٨٥ — ٢٨٦
(٣) اتّجاهات الشعر في العصر الأُمويّ ص: ٢٨٦.
(٤) الأغاني ١٦ : ٣٥٧. وانظر: خزانة الأدب ١ : ١٨١.
(٥) نفسه ٢ : ٢٢٨.
(٦) د. حسين عطوان: الشّعراء من مُخضْرمي الدّولتيْن الأُموية والعبّاسيّة ص: ٣٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فجعلَ يُنشِده ، ثمّ أمر بفتح الصّندوق ، فخرج عليه شُقْران ، وجعلَ يهْدِرُ كالفَحْـــل ويقول (١) :

سأَكْعَمُ عن قُضاعَة كلبَ قيْـــس ٍ على حَجَرٍ فيُنْصِت للكِمـــام (٢)
أَسيرُ أَمامَ قيْسٍ كلَّ يـــوم ٍ وما قيْسٌ بسائرةٍ أَمامـــي

وربّما كان الهدفُ من تَهاجي الشّاعرين التّسْليةَ وقطْعَ أَوقات الفراغ وإِضْحـــاك الوليد بن يزيد ، ومُضاهاة شُعراء النّقائض في العراق ومُحاكاتهم (٣) ، ولكنّ هجاء شُقْران لابن ميّادة اتّخذَ طابعًا قبليّاً ، إِذ رأَيناه يُشبّهُه بالكلْب ويَهْجو قيْساً ويفخرُ عليهـــا بقُضاعـــة .

ووقعت مُهاجاة بين ابن ميّادة أيضًا وبين سِنان بن جابر الجُهنيّ (٤) ، ولكنّنا لـــم نظْفر بشيءٍ من شعر سِنان في هجائه . ودارتْ أُخرى بينه وبين عُبَيْد بن مَعْـــدان الطائيّ في أَيام مروان بن محمّد ، بسبب امْتِناع طيّءٍ عن أَداء الصّدقة (٥) .

٣ - الهجاء الشّخْصـــيّ .

أَبْرَزَ شُعراءُ القبائل اليمانيّة الشّاميّة في هذا اللّون من الهجاء مثالبَ مهْجوّيهـــم وضخّموها ، ودارَ هِجاؤُهم على التّعْيير بالقَذارة وقلّة المُروءة وضَعْف الرأْي وخمول الذِّكْـر ووضاعة النّسب والفقْر ، إِلاّ أَنّهم لم يُفْحِشوا فيه .

فمن الهجاء الشّخصيّ قولُ جَوّاس بن القَعْطل الكلبيّ يهْجو حسّان بنَ مالك بـــن بَحْدل الكلبيّ سالكًا في هجائه له أُسلوبَ التّصْوير السّاخر الذي يُظهر المَهْجوَّ فـــي أَبْشع صُوره ، فيصفه بأَنّه دَنِسُ الثّياب ، قميءُ الهَيْئة ، ناقصُ المُروءة ، سيّءُ المَنْبت ، عاجـــزُ الرأْي (٦) :

---

(١) الأَغاني ٢ : ٢٧٠ . وانظر : تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ٨ : ٤٧ وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٢٨ . ويُروى في : تاريخ مدينة دمشق : " سأَعكم " .
(٢) الكِمام : شيءٌ يُجْعل على فم البعير فيُشدّ . وقد يُجْعلُ على فم الكلْب أيضاً .
(٣) الشعراء من مُخضرمي الدّولتين الأُمويّة والعبّاسيّة ص : ٣٢٩ .
(٤) الأَغاني ٢ : ٢٧٦ .
(٥) انظر : أَنساب الأَشراف (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) المجلّد الثّاني ص : ٣٥٨ .
(٦) الحيوان ٣ : ٥٠٩ ، ووردت الأَبيات في : الحيوان ٦ : ٣٦٩ دون عزو .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هل يَشْتُمنّي لا أَبا لكـــمُ ... دَنِسُ الثّيابِ كطابخِ القِـــدْرِ
جُعَلٌ تَمطّى في غيابتِـــهِ ... زَمِرُ المروءَةِ ناقصُ الشَّبْـــرِ (١)
لزبابةٍ سوداءَ حَنْظلـــةٍ ... ولَعاجزُ التَّدْبيرِ كالوَبْـــرِ (٢)

وواضح أنّ الشاعر يستمدّ صُوَر هجائه من مشاهد بيئته المَحْسوسة فيشبّهُ ثيابَ حسّان بثياب طابخ القِدْر، ويخلعُ عليه صُورَة الجُعَل ويَقْرنُها بصورة فأْرةٍ سوداءَ بَغيضة.

ومنه قولُ عمرو الزُّهيْريّ من كلْب يهجو حسّان بن مالك أيضاً ويرميه بالضّعة وخُمول الذِّكْر، وبأنّه لم ينل المجْدَ والشُّهْرة بأبيه مالك، وإنّما نالهما بميْسون بنت بَحْدل، وابنِها يزيد بن معاوية بن أبي سُفيان، ولولاهما لما ارْتقى المنابرَ وقَضى بين النّاس. وكان معاوية بن أبي سفيان وجّه رسولاً إلى بَهْدل بن حسّان بن عديّ بن جَبلة الكلْبيّ، يخْطِبُ إليه ابنَته، فغلطَ الرسول ـ فيما يُقال ـ فمضى إلى بَحْدل بن أُنيْف الكلْبيّ، فخطب ابنته ميْسون (٣):

إذا ما انْتَمى حسّانُ يوماً فقلْ لـه : ... بميْسونَ نلْتَ المَجْدَ لا بابنِ بَحْدَلِ
ولولا ابنُ ميْسون لما ظلْتَ عامِلاً ... تَخَطُّ أبناءَ الأكارم من عَـــلِ
وما كان يرجو مالكٌ أنْ يرى ابْنَـهُ ... على مِنْبَرٍ يقضي القضاءَ بفَيْصَـلِ
ألا بَهْدلاً كانوا أرادُوا فضُلّـت ... إلى بَحْدلٍ نفْسُ الرّسولِ المُضَلّلِ
فشتّان إنْ قايسْتَ بين ابنِ بَحْدلٍ ... وبين ابن ذي الشّرْط الأغرّ المُحجّل

وكان لعديّ بن جَبَلة شرط في قومه ألاّ يدْفنوا ميّتاً حتّى يكون هو الذي يخطّ له موضعَ قبْـره.

---

(١) زَمِرُ المُروءة: قليلُها. والشّبْر: القامة.
(٢) الزّبابة: الفأْرة. والوَبْر: دُويبة على قَدْر السنّور، تكون في الصّحراء.
(٣) أنساب الأشراف ٤: القسم الأول ص: ١٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه أيضاً ما دار بين الشّعراء، فقد وقعت مُهاجاة بين عديّ بن الرّقـــاع العامليّ والرّاعي النُّميْريّ (١). وأُخْرى لم تَكْتمل بينه وبين جَرير في بلاط الوليد بن عبد الملك (٢). واجتمع بباب عديّ عدّ من الشّعراء ليماتِنوه فوجدوهُ غائباً، فسمِعَت ابنتُهُ زَوْاً من وَعيدهم فقالت (٣):

تجمّعْتُم من كلّ أَوْبٍ ووِجْهـةٍ ... على واحدٍ لا زِلْتُمُ قِرْنَ واحِـــدِ

وربّما كان حَسَدُ هؤلاء الشّعراء لعديّ، بسبب حظْوته عند الأُمويّين، وبخاصّـــة عند الوليد بن عبد الملك وراءَ هجائهم وتعرُّضهم له.

وكان شُقْران مولى بني سَلامان يَعيبُ ابنَ ميّادة ويحْسُدُه على مكانه من الوليد بن يزيد (٤)، فاجْتَمعا يوماً عند الوليد، فقال ابنُ ميّادة: يا أمير المُؤْمنين، أَتجْمَعُ بيني وبين هذا العَبْد، وليس بمِثْلي في حَسَبي ولا نَسَبي، ولا لِساني ولا مَنْصبي؟!. فقال شُقْـران يَفْتخرُ بأُصوله الرّوميّة والفارسيّة، ويصف ابنَ ميّادة بأنّه ابنُ نَزْوةٍ نزاها حقيرٌ فقيرٌ، فجاءَت بمولود ضعيف القوى (٥):

لعَمْري لئنْ كُنْتُ ابنَ شيْخي عَشيرتي ... هرقل وكِسْرى ما أَراني مُقَصِّـــرا
وما أَتمنّى أَنْ أَكونَ ابنَ نَـــــزْوةٍ ... نزاها ابنُ أَرْض [لم يَجِدِ] (٦) مُتمهّرا
على حائلٍ تَلْوي الصِّرار بكفِّهـــا ... فجاءَت بخوّارٍ إذا عُضَّ جَرْجَـــرا (٧)

---

(١) انظر: ديوان عديّ بن الرّقاع العامليّ ص: ١٧٥.
(٢) انظر: نفسه ص: ٢٦٢.
(٣) الكامل في اللّغة والأدب ١: ٣٤٣. وانظر: الحيوان ٣: ٦٤. وتاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ١٩: ٣١٣، وتاريخ مدينة دمشق (تراجم النّساء) ص: ٥٦٢، وتاريخ آداب اللّغة العربيّة ١: ٢٦٤، وأعلام النّساء ٢: ٢٤٩.
(٤) الأغاني ٢: ٢٦٦.
(٥) نفسه ٢: ٢٧٠. وانظر: تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ٨: ٤٧، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦: ٣٢٨.
(٦) في الأغاني: "لم تجد" والتّصحيح من تاريخ مدينة دمشق.
(٧) الصِّرار: خيط يُشدّ فوق خَلْف النّاقة لئلا يرضعها ولدها. وخوّار: ضعيف. وجَرْجَر: صوّت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلّ هجاءَ الأَزْواج هو أَطْرفُ موضوعات الهجاء الشّخْصيّ عند هـــؤلاء الشّعراء، وقد بَرَزت فيه حُمَيْدة بنتُ النُّعْمان بن بشير الأَنْصاريّ (١)، إذ كانت امرأةً ذاتَ لسانٍ وعارِضةٍ وشرّ، تهجو أَزْواجَها وتُناقِضُهم. وكانت في أَوّلِ أَمْرها تحْـــتَ خالدِ بنِ المُهاجِرِ بنِ خالد بنِ الوليد (٢)، تزوّجها لمّا قدم على عبد الملك بن مروان بدمشق، فنازَعَها يوماً فقالت فيـه:

كُهولُ دِمشقَ وشُبّانُهـــا ... أَحبُّ إلينا من الجالِيَـــهْ (٣)

صُنانٌ لهم كصُنانِ التُّيـــو ... سِ أَغْيا على المِسْكِ والغالِيَـهْ (٤)

واضطرب الأَخْباريّون القُدامى في نِسْبة هذه الأَبيات اضْطِراباً بيّناً، فَنَسَبها المُصْعَبُ الزُّبَيْريّ (٥) إلى عَمْرَةَ بنتِ النُّعْمان بن بشير، ونَسَبها البلاذُريّ (٦) إلى ابنةِ النُّعْمان بنِ

---

(١) هي حُمَيْدة بنت النُّعمان بن بشير الأَنْصاريّ، شاعرة دِمشقيّة مُجيدة مُكْثرة، أَصْلُها من المدينة. كانت ذات حُسْن وجمال، تزوّجها خالدُ بنُ المُهاجر بن خالد ابن الوليد بدمشق، ثمّ طلّقها فتزوّجَها روْحُ بنُ زِنْباع الجُذاميّ، ثم الفيْضُ بنُ محمّد الثّقفيّ. وكانت ذاتَ لسانٍ وعارضة وشرّ، فهجت أَزْواجَها جَميعهم، وتُوفّيت بالشام في أَواخر خلافة عبد الملك بن مروان. انظر: الأَغاني ١٦ : ٢١، وجمهرة أَنساب العرب ص: ٣٦٤، وسمط اللآلئ ص: ١٧٩، ومعجم الأُدباء ١١ : ١٨، ومُخْتصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ : ٣٠٨، والأَعلام ٢ : ٢٨٤، وشِعْر النّعمان بن بشير الأَنصاريّ ص: ١٣.
وذكرت بعض المصادر أَنّ اسمَها هِنْد، والحقّ أَنّه ليس للنُّعْمان بن بشير بنت اسْمُها هند، وإنّما وقع ذلك بسبب الخلْط بينها وبين هِنْد بنت النُّعْمان بن المُنذر اللّخْميّ. انظر: ابن قُتيْبة: أَدب الكاتب ص: ٤١، وأَنساب الأَشراف ٥ : ٢٠٣، والعقـــد الفريد ١ : ١٠٦، ٧ : ١٠٨، والبكريّ: التّنْبيه على أَوهام أَبي علي في أَماليه ص: ٣١، ومحاضرات الأُدباء ٣ : ٢١٠، وابن قيّم الجَوْزية: أَخبار النّساء ص: ٥٣، والسّيوطي: تُحْفة المَجالس ونُزْهة المُجالس ص: ٢٨٩، وأَعيان النّساء ٥ : ٢٥٦.

(٢) انظر ترجمته في: تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ٥ : ٦٣، وسير أَعلام النّبلاء ٤ : ٤١٥. وانظر بعض أَخباره في ترجمة أَبيه المُهاجِر بن خالد في: الأَغاني ٦ : ١٣٦.

(٣) الجالية: هم بنو أُميّة وأَشْياعهم الذين أَجْلاهم عبدُ اللّه بن الزّبيْر من الحِجاز إلى الشام. انظر: بلاغات النّساء ص: ٩٩.

(٤) الغالية: نوع من الطّيب.

(٥) نسب قُريش ص: ٣١٣.

(٦) أَنساب الأَشراف ٥ : ٢٠٢–٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بشير دون أَنْ يُصَرِّحَ باسْمِها ، تَهْجو زوجَها خالدَ بنَ المُهاجر ، وأَنْشَدها المَرْزوقيّ (١) دون أَنْ يعزوها إلى قائلةٍ بعَيْنِها ، وعزاها ابنُ عساكر (٢) إلى ليلى بنت هانئ الكِنْديّة زوْجِ النُّعمان بن بشير ، ولكنَّه عاد فذكَر أَنَّها تُرْوى لِعَمْرة أَولأُخْتِها حُمَيْدة .

ومن المُرَجَّح أَنَّ الأَبيات لحُمَيْدة بنت النُّعْمان بن بشير ، قالتْها في زَوْجها خالدِ بنِ المُهاجر بن خالد (٣) في أَثْناء خلافة عبد الملك بن مروان (٤) ، وليست لأُخْتها عَمْرة ، لأَنَّ عَمْرةَ قُتِلت في السَّنة الثّانية لولاية عبد الملك بن مروان ، قَتَلها مُصْعَبُ بنُ الزُّبَيْر سنةَ سبْع وستين للهجْرة ، وكانت تَحت المُخْتار بن أَبي عُبَيْد الثَّقفيّ (٥) ، ولأَنَّه لم يُرْوَ لعمْرةَ شعرٌ غير هذه الأَبيات ، على الرُّغم من أَنَّ ابنَ عساكر وصَفها بأَنَّها " امرأَةٌ شاعرة " (٦) .

ولمّا طلّق خالدُ بنُ المهاجر حُمَيْدةَ بنت النُّعمان ، تزوَّجها رَوْحُ بن زِنْباع الجُذاميّ (٧) فَفركَتْهُ وهجَتْهُ ، وأَفْرزت هذه العلاقةُ بينهما نقائضَ طريفة في هجاء الأَزواج منها : أَنَّه رآها ذاتَ يوم تنظرُ إلى قومه جُذام ، وقد اجْتَمعوا عنده ، فلامَها ، فقالت : ويحك ، وهل أَرى غير جُذام ، فواللّه ، ما أُحبُّ الحلالَ منهم فكيف بالحَرام ! (٨) ، وقالت تَهْجوه وقومه (٩) :

---

(١) شرح ديوان الحماسة ٤ : ١٨٤٠ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق (مُصَوَّرة الجامعة الأُردنيّة) ١٩ : ٢٤٥ ، ٢٦٣ . وانظر : تاريخ مدينة دمشق (تراجم النّساء) ص : ٣٤٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٣) بلاغات النّساء ص : ٩٨ ، والأَغاني ٩ : ٢١٨ . وانظر : شاعرات العرب في الجاهليّة والإسلام ص : ١٧٤ .

(٤) أَنساب الأَشراف ٥ : ٢٠٢ ، والأَغاني ٩ : ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٥) نفسه ٥ : ٢٦٣ .

(٦) تاريخ مدينة دمشق (مُصَوَّرة الجامعة الأُردنيّة) ١٩ : ٢٤٥ .

(٧) الأَغاني ١٦ : ٢١ . وانظر : جمهرة أَنساب العرب ص : ٣٦٤ ، وسمط اللآلي ص : ١٨٠ والاقْتِضاب ٢ : ٢٩ ، ٣ : ٥٠ ، ومعجم الأُدباء ١١ : ١٩ .

(٨) بلاغات النّساء ص : ٩٥ ، ١٦٥ . وانظر : العقد الفريد ٧ : ١٠٨ وفيه أَنَّها هِنْد بنت النُّعمان بن بشير ، والأَغاني ٩ : ٢٢٠ ، وأَخبار النّساء ص : ٥٣ ، ومعجم الأُدباء ١١ : ١٩ .

(٩) نفسه ص : ٩٥ . وانظر : الأَغاني ٩ : ٢٢٠ ، ١٦ : ٢١ — ٢٢ ، وسمط اللآلي ص : ١٨٠ ، والاقْتِضاب ٢ : ٢٩ ، ٣ : ٤٩ ، ومعجم الأُدباء ١١ : ١٩ — ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بكى الخزُّ من روْحٍ وأنكرَ جِلْـــدَه ... وعجّتْ عجيجاً من جُذام المطـارِفُ(١)
وقال العبا : قد كنْتُ حيناً لباسَهم ... وأكْسيةٌ كُرْديّةٌ وقطائـــــــــفُ

فقال يُجيبُها (٢) :

فإنْ تبْكِ منّا تبْكِ ممّنْ يُهينُهـــا ... وإنْ تَهْوكُم تَهوَ اللّئامَ المقارِفـــا (٣)

ويبدو أنّ حياةَ التحضُّر والتّرف والتأنّق في ارْتداء الملابس أوْحت لحُمَيْدَة بمعنى هجائيّ مُعاكس لهذه الحياة، فوصَفَت زوْجَها وقومه بالنَّتَن وخُبْث الرّائحة، حتّى إنّ الخَزَّ والمَطارف لتبكي منهم وتُنكِرُ جُلودَهم، فنَقَضَ روْح معناها هذا وعكسه قائلاً : إنّها تبكـي منّا لأنّنا نُهينُها، وتعشقكم أيّها اللّئام، لأنّكم تصونونَها وتتشبّثون بها شأن البُخلاء.

وقالت حُميدةُ تهجو روْحًا، وتُشبّهُه بالمُومِسَة الزّانية التي تتكحّلُ وتتطيّب آخـــر اللّيل، وتُعيّرهُ بأنّه اخْتانَ مالاً أوْدعه عنده رجلٌ جُذاميّ اسمه أوْس، فلم يردّه عليه (٤) :

تُكحّلُ عيْنيكَ بِرْدَ العَشِـــيّ ... كأنّكَ مومسةٌ زانيـــــةْ (٥)
وآيةُ ذلك بعد الخفـــوقِ ... تفلّفُ رأسكَ بالغاليـــةْ (٦)
وأنّ بنيكَ لريْبِ الزّمـــــا ... ن أمْست رقابهم حاليـــةْ (٧)
فلو كانَ أوْس لهم حاضِـــراً ... لقال لهم : إنّ ذا ماليـــةْ

فقال روح يُجيبُها (٨) :

وإنْ يكن الخُلْـعُ من بالكـــم ... فليس الخَلاعةُ من باليـــةْ (٩)
وإن كان مَنْ قد مضى مِثْلَكُـــم ... فأُفّ وتُفّ على الماضيـــةْ
وما إنْ برا اللّه فاسْتيقنيـــــ ... ـهِ من ذات بَعْلٍ ومن جاريـــةْ

---

(١) البيت في : جمهرة أنساب العرب ص: ٣٦٤، والقُرْطبيّ : بهجة المجالس وأُنْس المُجالس ٢ : ٤٠٠. ونُسِب البيت إلى الفرزدق في : محاضرات الأدباء ٤ : ٣٦٩. وهو في : الزّجاجي : الجُمل في النّحو ص: ٢٢٥ دون عزو، وفي : الثعالبيّ : التمثيل والمُحاضرة ص: ٢٨٤ دون عزو أيضاً. والخزّ والمطارف : صنوف من المَلبوس.

(٢) الأغاني ٩ : ٢٢٠. وانظر : بلاغات النّساء ص: ٩٥، ومعجم الأدباء ١١ : ٢٠.

(٣) المُقارِف : من كانت أمّه عربيّة، وأبوه ليس بعربيّ.

(٤) الأغاني ٩ : ٢٢٢. وانظر : بلاغات النّساء ص: ٩٧، وشاعرات العرب في الجاهليّة والإسلام ص: ١٧٥.

(٥) بِرْد العشيّ : نوم آخر النّهار.

(٦) الخفوق : من خفق اللّيل، إذا ذَهَب أكثره. والغالية : نوع من الطّيب.

(٧) حالية : متحلّية، والمراد أنّ رقابهم مطوقة من ريب الزمان.

(٨) الأغاني ٩ : ٢٢٣. وانظر : بلاغات النّساء ص: ٩٧، مع اختلاف في رواية بعض الأبيات.

(٩) الخُلْع والخَلاعة : أنْ تُطلّق المرأة بعد أنْ تأخذ منها ثمناً لطلاقها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شَبيهاً بكِ اليومَ فيمَنْ بَقـــي ... ولا كانَ في الأَعْصُرِ الخاليـــهْ
فبُعْداً لمحْياكِ إذْ ما حَييـــتِ ... وبُعْداً لأَعْظُمِكِ الباليـــــهْ

فهو يردُّ على حُمَيْدَة قولَها ، ويتَّهِمُها بالشُّذوذ عن بنات جِنْسها ، فيقول : إنَّ اللّـــه لم يَخْلق امرأَةً تُدانيها في شُرورها وصفاتها السَّيِّئة ، لا في الموتى ولا في الأَحْياء ، ثُـمَّ يدعو عليها بالبُعْد في حياتها وبعد مماتِها .

وقال لها روْح (١) :

أَثْني عليَّ بما عَلِمْتِ فإنَّنـــي ... مُثْنٍ عليكِ لبئْسَ حَشْوُ المِنْطَـــقِ (٢)

فقالت :

أُثْني عليكَ بأَنَّ باعَكَ ضيِّـــقٌ ... وبأَنَّ أَصْلَكَ في جُذامٍ مُلْصَـــقُ (٣)

فقال :

أَثْني عليَّ بما عَلِمْتِ فإنَّنـــي ... مُثْنٍ عليكِ بمِثْلِ ريحِ الجَـــوْرَبِ (٤)

فقالت :

فَثناؤُنا شرُّ الثَّناءِ عليكُـــمُ ... أَسْوا وأَنْتَنُ من سُلاحِ الثَّعْلَـــبِ

فهو يكيلُ لها معانيَ الهجاء ، فتنْقُضُها ، وتهجوه بأَشدَّ من هجائه لها .

وقال لها روح في بعض ما يتنازعان فيه : اللهمَّ إنْ بقيتْ بعْدي ، فابْلِها بِبَعْـلٍ يلْطمُ وجْهَها ويملأُ حِجْرَها قيئاً ، فتزوَّجَها بعده الفيْضُ بن محمَّد بن الحَكَم الثَّقفـــيّ ، وكان شاباً جميلاً يُصيبُ من الشَّراب ، فيلْطُمها ويقيءُ في حِجْرها ، فتقول : رحمَ اللّه روْحاً ، فقد أُجيبَ فيَّ دُعاؤُه (٥) ، وتقول (٦) :

سُمِّيتَ فيْضاً وما شيءٌ تفيضُ بـــه ... إلاّ سُلاحكَ بين البابِ والـدّارِ (٧)
فتِلْكَ دعوةُ روْحِ الخيْرِ أَعْرِفُهـــا ... سقى الإلهُ صداهُ الأَوْطفَ السّاري (٨)

---

(١) الأَغاني ٩ : ٢٢٠–٢٢١ . وانظر : بلاغات النّساء ص : ٩٥ ، ٩٦ .
(٢) البيت في : معجم الأُدباء ١١ : ٢٠ . والمِنْطَق : شقّة تلْبَسها المرأة ، وتشدّ وَسْطَها فترسل الأَعلى على الأسفل ، والأسفل ينجرّ على الأَرض .
(٣) البيت في : معجم الأُدباء ١١ : ٢١ ، وأَخبار النّساء ص : ٥٣ .
(٤) البيت في : ثمار القلوب ص : ٦٠٧ دون عزو ، وفي : معجم الأُدباء ١١ : ٢١ .
(٥) بلاغات النّساء ص : ٩٧ . وانظر : الأَغاني ٩ : ٢٢٣ ، ١٦ : ٢٢ ، وسمْط اللآلئ ص : ١٨٠ ، والاقتضاب ٢ : ٢٩ ، ٣٠ : ٥ ، وأَخبار النّساء ص : ٥٣ .
(٦) الأَغاني ٩ : ٢٢٣ . وانظر : بلاغات النّساء ص : ٩٧ ، والاقتضاب ٢ : ٢٩ ، ٣٠ : ٥ ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ : ٣١٠ ، وحياة الحيوان الكبرى ٢ : ٢١١ .
(٧) البيت في : الأَغاني ٩ : ٢٢٤ ، ١٦ : ٢٢ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٣٦٤ ، وسمط اللآلئ ص : ١٨٠ .
(٨) صداه : عظامه أو جسده بعد موته . والأَوطف : السَّحاب الداني من الأَرض ، المُسْتَرخي الجوانب لكثرة مائه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتقول فيه أَيْضًا (١) :

وليس فيْضٌ بفيّاض العَطاءِ لنا ... لكنّ فيْضًا لنا بالقيءِ فيّاضُ
ليثُ اللّيوث علينا باسِلٌ شَرِسٌ ... وفي الحُروب هَيوبُ الصّدْر جيّاض(٢)

فهو يفيضُ بالقيءِ وليس بالعَطاء ، جبان ينكصُ في الحَرْب، أمّا في السّلْم فإنّه ليْث اللّيوث.

وكان للفيْض ابنةٌ من حُمَيدة تزوّجها الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ ، فهجتْه حُمَيدة، مُظْهِرةً أَسَفها وندَمها لمُصاهَرته ، لأنّه ليس بكُفْءٍ لها (٣).

ويَظْهرُ ممّا أَسْلفنا أنّ شُعراءَ القبائل اليمانيّة الشّاميّة في العصر الأُمويّ ظلّوا يدورونَ حول معاني الهجاء التي ردّدَها الشُّعراءُ الجاهليّون قبلهم ، وأنّهم لم يَتهتّكوا في هجائهم ولم يُفْحِشوا فيه. وقد برز لديهم موضوعُ هجاء الأَزْواج ، وكانت لهم فيه عدّة مقطوعات.

أمّا من حيْثُ الشّكلُ فإنّهم نَظَموا معظَم أَهاجيهم في مقْطوعات قصيرة وساهموا في تشكيل فنّ النّقائض الذي ازْدهَر في عَصْرهم. فكانت لهم نقائضُ مع عددٍ من شُعراء القيْسيّة. وإن اخْتلفت في شكْلِها ومضْمونها وغاياتها عن نقائض جرير والفرزْدَق والأَخْطل.

---

(١) الأَغاني ٩ : ٢٢٣ . وانظر : بلاغات النّساء ص : ٩٨ ، ومُختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ : ٣١٠ ، وشاعرات العرب في الجاهليّة والإسلام ص : ١٧٥–١٧٦ .

(٢) الجيّاض : الرّواغ.

(٣) انظر : بلاغات النّساء ص : ٩٨ ، والأَغاني ٩ : ٢٢٤ ، ١٦ : ٢٢ ، ومُختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ : ٣١٠–٣١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامساً : الرثـــــاء

عرفَ الشُّعراءُ العربُ الرِّثاءَ منذُ العصر الجاهليّ ، فكانَ الرِّجالُ منهم والنِّساء يبكونَ المَوْتى ويقفونَ على قُبورهم ، يَنْدُبونَهم ويُعدِّدونَ مناقِبَهم ، وقد يَضُمُّون إلى ذلك صورةً من التَّعْزية والدَّعوة إلى الصَّبْر ، فالموت غايةُ كلّ حيّ ، ولا مردَّ لحُكْم القَضاء (١).

وعلى الرُّغم من ضَراوة المعارك التي خاضَتْها القبائلُ اليمانيَّة عامَّة ، وقبيلةُ كلْب خاصّة ، وسَقطَ فيها المئاتُ من القَتْلى مثل معركة مَرْج راهط ، والأيّام التي كانت بين قبيلتي كلب وقيْس عَقِبَ هذه المعركة . إلاّ أنّنا لم نَعْثُر لشُعرائها في المصادر التاريخيَّة والأدبيَّة على شعر رثائيّ كثير ، فإنَّ ما وصل إلينا من الرِّثاء القَبليّ لا يَعْدو مقطوعةً لهِنْد الجُلاحيَّة إحْدى شَواعر كلب ، وبضْعةَ أبياتٍ لجوّاس بن القَعْطل الكلْبيّ في رثاء قَتلى قومه . وأكثرُ ما بين أيْدينا من رثاء شُعراء اليمانيّة الشاميّين هو من نوع الرِّثاء الشَّخْصيّ ، كرثاء الأهْل والأحْباب والأصْدقاء وبعض رجالات العصر الأمويّ ، وهو مع ذلك قليل جدّاً إذا ما قُورِنَ برثاء غيرهم من شُعراء القبائل الأُخرى في هذا العصر .

ويَخْلو شعر اليمانيّة من رثاء خُلفاءِ بني أُميَّة وأُمرائهم ، ممّا يزيدُ من يَقيننا بضَياع قَدْرٍ كبير من شعرهم في الرِّثاء ، إذْ لا يُعْقل أنْ يخلو ديوانُ شاعر كبير مثل عديّ بن الرِّقاع العامليّ من رثاء الخُلفاء الذين ماتوا في حياته ، وبخاصّة الوليد بن عبد الملك ابن مروان .

١ — الرثاء القبلـيّ .

وهو الرِّثاء الذي يتّصلُ بالفِتَن والحُروب القبليَّة التي شَهِدها عصْرُ بني أُميَّة ، فقد خاضت بعضُ القبائل العربيَّة معارك ضارية ، أسْفرت عن صَرْعى وقَتْلى كثيرة ، فانبَرى شُعراؤُها يَنْدُبون قتْلاهم ، ويذْرفونَ عليهم دموعَ اللَّوعة والأسى (٢).

ومن هذه الفِتَن القبليَّة ما وقع بين قيس وكلب من وقائعَ وحُروب سَقط فيها كثيرٌ من القَتْلى من الطَّرفيْن مثل وَقْعة الإكْليل التي أغارَ فيها عُمَيْرُ بنُ الحُباب السُّلميّ على كلب ، فأوقعَ بها ، فقالت هِنْدُ الجُلاحيَّة ترثي قتلى قومها ، وتُحرِّضُ أحياءَ قبيلتِها على الثَّأْر(٣) :

---

(١) د . شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربيّ ، العصر الجاهليّ ، ص : ٢٠٧ .
(٢) العصبيّة القبليّة وأثرها في الشّعر الأمويّ ص : ٥٨٢ .
(٣) الأغاني ٢٣ : ١٨٧ . وانظر : تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيّة) ١٣ : ٣٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَلا هل ثائرٌ بدماءِ قـــومٍ ... أَصابَهُمُ عُمَيْرُ بنُ الحُبـــابِ؟ !
وهل في عامرٍ يومًا نكيـــــرٌ ... وحبيَّ عبْدِ وُدٍّ أَوْ جَنـــاب؟ !(١)
فإِنْ لم يثْأَروا من قد أَصابـــوا ... فكانوا أَعْبُداً لبني كِـــلاب(٢)
أَبْعدَ بني الجُلاح ومَنْ تركْتُـم ... بجانبِ كَوْكَبٍ تحْتَ التُّـــراب(٣)
تَطيبُ لفائرٍ منكم حيـــــاةٌ ... أَلا لاعيشَ للحيِّ المُصـــــاب

فالشاعرةُ ترثي قتلى قومِها، وترى أَنَّ حياةَ الأَحْرار من كلْب، لا تطيبُ إِلاّ بالاقْتِصـــاص من قبيلة قيس، فتحرِّضُ فُرسانَ قبيلَتِها من بُطون عامر وعبْدِ ودّ وبني جَناب على الثَّـــأْر للقتلى، وتُخوِّفُهم العارَ والهوانَ إِنْ هم قصَّروا في ذلك. وحينَ يكونُ التَّحْريضُ على الثَّأْر صادرًا عن امرأَة، فإِنَّه يكونُ أَوقعَ في النَّفْس، وأَبلغَ أَثرًا في إِثارة حَميَّة فُرسانِ القَبيلـــــة، لأَنَّ الرَّجُل يأْنَفُ من الظُّهور أَمامَ المرأَة بمظْهر الجَبان العاجز، ويكرهُ أَنْ تَطْعَنَـــه امرأَةٌ في رُجولته التي تَتمثَّلُ في شجاعَتِهِ، وقُدْرَتِهِ على الأَخْذ بالثَّأْر(٤).

وبكى جوّاسُ بنُ القَعْطَل الكلبيّ قتلى قومه الذين سَقَطوا في معركة مَرْج راهِـط، أَو في غيرها من المعارك التي خاضَتْها قَبيلتُهُ ضدَّ قبيلة قيس المُضَريَّة، فخلَّفَ قَتْلاهُـــم الغُصَّةَ في الحُلوق والدَّمْعةَ في العُيون، ووَصَفَهُم بالشدَّة على الأَعداء، وباللُّطْف واللِّيـــن على قومهم، مُهدِّداً خَصومَه بالانْتِقام منهم في قابل الأَيّام يقول(٥):

بَكِّي على قتلى القُبور فإِنَّهـــم ... طالتْ إِقامَتُهُم بِبَطْنِ بَـــرام(٦)
كانوا على الأَعداءِ نارَ حفيظـــةٍ ... ولقومهم حَرَمًا من الأَحْـــرام
لا تَهْلكي جَزَعاً فإِنّي واثِـــقٌ ... بِسُيوفِنا وعواقبِ الأَيّـــــام

وقال جوّاسُ بنُ القَعْطل أَيضًا(٧):

لا زالَ صَوْبٌ من رَبيعٍ وَصيـــفٍ ... بهضْبِ القَليب فالتِّلاعُ به خُضْـــرُ(٨)
يُروِّي عِظاماً لم تكن في حَياتِها ... يَمُنُّ بها حِنْثُ اليمينِ ولا الغَـدْرُ

---

(١) بنو عامر وبنو عبد ودّ وبنو جَناب: من بُطون قبيلة كلب.
(٢) بنو كلاب: من قبيلة قيس.
(٣) كَوْكَب: اسم موضـــع.
(٤) العصبيَّة القبليَّة وأَثرها في الشعر الأُمويّ ص: ٣٣٤، ٤٣٦، ٥٩٩، ٦٣٣.
(٥) الأَشباه والنظائر ٢: ١٣١.
(٦) بطنُ بَرام: موضع.
(٧) الأَشباه والنظائر ٢: ٣٣١–٣٣٢.
(٨) الصَّيف: مطر الصَّيف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يَسْتَسقي لقبور هؤلاء القتلى الذين كانوا لا يَحْنِثون بأَيْمانهم، ولا يَغْـــدرون بمَنْ عاهَدَهُـــم.

٢ — الرِّثاء الشَّخْصـــيّ.

أَسْهَمَ شعراءُ القبائل اليمانيّة الشاميّة وشاعراتُها في هذا اللَّوْن من الرِّثـــاء، فَنَظَموا مقطوعاتٍ وقصائدَ في رثاء أَهْليهم، وفي رثاء بعض رجالاتِ عَصْرِهم، وفي رثـــاء مَحْبوباتهم وأَصْدقائهـــم.

أ — رثاء الأَهْـــل.

يتَّسِمُ رثاءُ الأَهْل والأَقارب بصِدْق العاطفة وحَرارَتِها، لأَنَّه نابعٌ من شُعور عميـــق باللَّوعة والحُزْن، وإِحْساس صادق بفَداحة المُصاب. وقد رثى شُعراءُ اليمانيّة وشاعراتُها آباءَهم وإِخْوانَهم، ورَثَتْ حُمَيْدَةُ بنت النُّعْمان بن بشير زَوْجَها خالدَ بنَ المُهاجر رثاءً حارًّا. فمن رثاء الآباء مقطوعةٌ لحُمَيْدَة بنت النُّعْمان تبكي فيها أَباها لمّا قُتِل بعد معركـــة مَرْج راهِط، فتقول (١):

ليتَ ابنَ مِزْنةَ وابْنَـــــه ... كانا لحَتْفِك واقِيَـــهْ (٢)
وبنو أُميَّةَ كلُّهـــــم ... لم تَبْقَ منهم باقيَـــهْ
جاءَ البريدُ برأْســـــه ... يا للحُلوم الغاويَـــهْ
يَسْتَفْتِحون بقَتْلِـــــه ... دارت عليهـــم ثانِيَـــهْ
فلأَبْكِيَنَّ مَســـــرَّةً ... ولأَبْكِيَنَّ علانِيَـــهْ
ولأَبْكِيَنَّكَ ما حَيِيْـــ ... ـتُ مع الكلاب العاوِيَـــهْ (٣)

---

(١) مُخْتَصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ : ٣٠٨ — ٣٠٩. وانظر: تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيّة) ١٧ : ٢٩٥، والبداية والنّهاية ٨ : ٤٤٤ مع شيءٍ من الاضْطِراب واخْتلال الرّواية. ونسب البلاذُريّ بعضَ هذه الأَبيات إلى امرأَةٍ تبكي قَتْلى قُديد. انظر: أَنساب الأَشراف (مصوَّرة الجامعة الأُردنيّـــة) المجلّد الثّاني ص: ٣٧٩.

(٢) ابن مِزْنَة: لعلّه خالد الكلاعي الحِمْيريّ قاتلُ النُّعْمان بن بشير. انظر: تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيّة) ١٧ : ٢٩٥، وسير أَعلام النّبـــلاء ٣ : ٤١٢، والبداية والنهاية ٨ : ٢٤٤.

(٣) أَيْ في جوف اللّيل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهي تَصوغُ رثاءَها لأبيها في وَزْن قصير وعباراتٍ سَهْلة واضحة تدُلُّ على فَرْط حُزْنِها عليه وشدَّة انْفِعالها وانْكِسار نَفْسِها لما أصابه، فتتفَجَّعُ عليه وتَبْكيه في السِّرِّ والعَلانِيَة، بل إنَّها تُريد أنْ تبكيَه مدَّةَ حياتِها، وتَخْلطُ رثاءَها له بالدُّعاءِ على قاتِلِهِ بالهَلاك، وبُمهاجَمة بني أُميَّة، لأنَّهم كانوا السَّببَ في قَتْلِهِ، فتتمنَّى أنْ تدورَ الدّائرةُ عليهم.

ومن رثاءِ الآباءِ أيضًا أبياتٌ لابْنةِ حارثة بن عَمْرو بن صَخْر الغَيْنيّ، وكان أبوها في الجَيْش الذي وجَّههُ يزيدُ بن مُعاوية، لقتالِ أهْل المَدينة وحصار مكَّة، فقُتِل، فرثتْهُ بأبياتٍ استمدَّت معانيَها من التُّراث الجاهليّ، فوصَفَتْهُ بالشَّجاعة والإقْدام، شأْن الرِّجال الأَشدّاء من ذوي الأَحْساب الذين يَعْلمون أنَّ الصَّبْرَ في المعركة لا يُدْني من الرَّدى، كما أنَّ الخوفَ والفرارَ لا يُنْجيان منه، والذين لا يتورَّعون عن احْتِمال الشَّدائد ووُرود المَنايا، وبَذْل النَّفْس رخيصة، خوفًا من عار الفرار والهَزيمة فقالت(١):

بَذلْتَ حِذارَ العار نَفْسًا كَريمةً ... لكلِّ رُدَيْنيٍّ من السُّمْرِ عاتِرِ(٢)

كذاكَ ذوو الأَحْساب تَسْخو نُفوسُهُم ... لوِرْدِ المنايا واحْتِمال الجَرائرِ

[ولا يَحْسَبونَ](٣) الصَّبْرَ يُدْني من الرَّدى

ولا الخوف يُنْجي من عَدوٍّ مُسُاوِرِ

ومن رثاءِ الإخْوان أبياتٌ لشُقْران مولى بني سَلامان، يَرْثي فيها أخاه أبا أَرْوى فيقول(٤):

ذكرْتُ أبا أَرْوى فبِتُّ كأنَّني ... بَرَدِّ الأُمور الماضِيات وكيلُ

لكلِّ اجْتِماعٍ من خَليلَيْن فُرْقةٌ ... وكلُّ الذي دونَ الفراقِ قَليل

وإنَّ افْتِقاري واحدًا بعد واحدٍ ... دليلٌ على أنْ لا يدوم خَليل

وهي أبياتٌ تكْشِفُ عن رثائهِ لأخيه رثاءً هادِئًا، ليسَ فيه نحيبٌ ولا عويل، وعن تَعْزِيَتِه لنفسه تَعْزيةً صدَرَ فيها عن فَهْمٍ إسْلاميّ لحقيقة الحَياة التي لا بُدَّ لها من نهاية هي الموت، ولا بُدَّ لكلِّ خَليلَيْن فيها من فراق.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيَّة) ٤ : ٤٤.

(٢) الرُّمح العاتِر: هو المُهْتزّ المُضْطرب.

(٣) الكلمة في تاريخ مدينة دمشق غير واضحة.

(٤) تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيَّة) ٨ : ٤٧، والمنازل والدِّيار ص: ٤٣٤، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٢٧. والأبيات في البيان والتَّبْيين ٣ : ١٨١ دون عزو. والبيت الأوّل في بهجة المجالس ٢ : ١١٢. ونُسِب البيتان الثّاني والثّالث إلى عليّ بن أبي طالب لمّا دَفَن فاطمة رضي الله عنها، وقال ابنُ الأعرابيّ: هُما لشُقْران السَّلاميّ. انظر: العقد الفريد ٣ : ١٧٤، وزَهْر الآداب ١ : ٨٢، وبهجة المجالس ٢ : ٣٥٩. وهُما في: حَماسة البُحْتُريّ ص: ٢٣٣، دون عزو.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولأبان[1] بن النُّعمان بن بشير الأنصاريّ بيْتان يندُبُ فيهما أخاهُ يزيد نَدْباً حارّاً، ويصفُ فيهما شدّةَ حُزْنهِ وعَجْزه عن التَّصبُّر والسُلوّ، فيزيدُ أخوه لأُمّه وأبيه، وآثارُه و منازلهُ ماتزال باقيةً تُثيرُ في نَفْسه صُنوفَ اللَّوعة وألوانَ العذاب، حتّى ليكاد يَحْسبه محدّثُه مجْنوناً لفَرْطِ ذُهوله وحَسْرَته يقول[2]:

وأنا ابنُ أُمّك يا يزيدُ فمَنْ يكن ... يَسْلو فقلبي موجَعٌ محْزونُ[3]

وإذا رأيْتُ منازلاً خلّفْتَها ... حَسِبَ المُحدّثُ أنّني مَجْنون

وبكَتْ حُمَيدةُ بنت النُّعْمان خالدَ بنَ المُهاجر بن خالد بن الوليد، الذي تزوّجها عند قُدومه الشّام، ثُمَّ طلّقها بعد أنْ هَجْتهُ. وكان خالد قد أقام بالشّام فانْكسرت فَخِذُه، فمات من وَجَعه، فقالت[4]:

ألا يا ابنَ المُهاجِر قد ... دَهاني طارقٌ طَرَقا

دعاكَ فما أبيْتَ ولا ... سَدَدْنا دونكَ الغَلقا

ألا عينيَّ جُودا بالـ ... ـدُّموع عليه واسْتَبِقا

أعيناني بفَيْضِكما ... ومُجّا الدَّمع والعَلقا

فحميدةُ تنوحُ على ابن المُهاجر وتَنْدُبُه في مقطوعة قصيرة أفرغتْ فيها إحْساسَها وألَمها لفَقْده، في نَفَسٍ باكٍ محْزون هو مجزوءُ الوافر، ليتلاءَم مع جوّ النّياح، وتخيّرت لمعانيها بعضَ الألفاظ التي تدلُّ على مَبْلغ حُزْنها وذَرْفها الدّموع مثل: "دهاني" و "ألا عينيّ جودا"، و "اسْتَبِقا"، و "مُجّا الدَّمع والعَلقا". وبدا الموتُ في مقطوعتها في صورة صائد مُتربّص يطرقُ فريسَته ليلاً، فلا يقْدرُ على ردّه أحد. وواضح أنّها لم تذكر صفات ابن المُهاجر، ولم تتحدّث عن حالِها بعده، لأنّها لم تكن زَوْجه حين وفاته.

---

(١) لا تذكر له المصادر ترجمة مستقلة.

(٢) أُسامة بن مُنْقذ: لُباب الآداب ص: ٤٠٩-٤١٠.

(٣) أُمُّهما نائلة الكلْبيّة.

(٤) أنساب الأشراف: ٢٠٣. وفيه أنّ اسمها هِنْد، والصّحيح أنّها حُمَيْدة، إذ ليس للنُّعمان سوى ابنتيْنِ هما: حُمَيْدةُ وعَمْرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ رثاء بعض رجالات العصر.

في ما وصل إلينا من شعر اليمانيّة مثالٌ واحد على هذا اللّون من الرّثاء هو قول ذي المُنَق الجُذاميّ (١) يرثي مُصْعَب بن عبد الرحمن بن عَوْف رضي اللّه عنهما ـ وكان مع عبد اللّه بن الزّبير يوم حصاره بمكّة، فأصابه نبلُ أهل الشّام فقتله ـ ويصفه بالهُدى والعفّة والفِقْه والشّجاعة في دفاعه عن الكَعْبة(٢) :

وللّه عيْنا مَنْ رأى مِثْلَ مُصْعَبٍ ... أَعَفَّ وأَقْضى بالكِتاب وأَفْهَما
وقالوا : أَصابتْ مُصْعَبًا بعضُ نَبْلِهم ... فعزَّ علينا مَنْ أُصيبَ وعزَّما
وشدَّ أَبو بكر لذا الرُّكن شَدَّةً ... أَبتْ للحُصَيْن أَنْ يُطاعَ فيُكْرَما (٣)
مشدَّ امرئٍ لم يَدْخُل الذُّلّ قَلْبَه ... ولم يكُ أَعْمى من هَوى اللّه أَبْكَما

ويبدو الشّاعر في رثائه لمُصْعَب متأثّراً بموقفه السّياسيّ الرّافض لحصار الكَعْبة وقتال ابن الزّبير.

ج ـ رثاء المَحْبوبة.

لبيْهس بن صُهَيْب الجَرميّ قصيدتان في هذا اللّون من الرّثاء، فقد أَحبَّ ابنةَ عمّه صَفْراء، إلاّ أَنّ أَباها زوّجها رجلاً ثريّاً من بني أَسد، فماتت قبل أَنْ يدْخلَ بها، فقال بيْهس يرثيها من قصيدة مطلعها (٤) :

هل بالدّيارِ التي بالقاعِ من أَحَدٍ ... باقٍ فيسمع صوتَ المُدْلِجِ السّاري ؟ !

يقول فيها :

إن أُصْبِح اليومَ لا أَهْلٌ ذوو لُطُفٍ ... أَلْهو لديهم ولا صفراءُ في الدّارِ
أَرْعى بعيْني نجومَ اللّيل مُرْتفِقًا ... باطول ذلك من همٍّ وإسْهارِ
فقد يكون لي الأَهلُ الكرامُ وقد ... أَلْهو بصَفْراءَ ذات المَنْظر الواري
من المواجِدِ أَعْراقًا إذا نُسِبَتْ ... لا تَحْرِم المالَ عن ضَيْفٍ وعن جارِ
لم تَلْقَ بُؤْسًا ولم يضْرِر بها عَوزٌ ... ولم تُرَجِّفْ مع الصّالي إلى النّارِ

(١) ذو المُنَق الجُذاميّ : شاعر شاميّ اسمه المُلوَّح بن أَبي عامر. انظر : معجم الشعراء ص: ٤٤٨.
(٢) نسب قريش ص: ٢٦٩ وفيه أَنّها لرجلٍ من جُذام. والبيت الأَول والثّاني لذي المُنَق الجذاميّ في : معجم الشّعراء ص: ٤٤٨ـ٤٤٩. والبيت الثالث مع بيت آخر في : أَنساب الأَشراف : القسم الأَول ص: ٣٤٠ دون عزو.
(٣) الحُصَيْن : هو الحُصَيْن بن نُمَيْر السَّكوني، قائد أَهل الشّام في حصار مكّة الأَوّل.
(٤) الأَغاني ٢٢ : ١٣١ـ١٣٢. وانظر أَبياتاً منها في : المنازل والدّيار ص: ٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك الدَّهرُ، إنَّ الدَّهرَ ذو غِيَـــرٍ ... على الأنام ذو نقْضٍ وإمْـــرارِ
قد كان يَعْتادُني من ذِكْرها جَـزَعٌ ... لولا الحَياءُ ولولا رهبةُ العـــار (١)
سقى الإلهُ قُبوراً في بني أَسَـــــدٍ ... حولَ الرَّبيعة غيْثاً صوبَ مِـدْرار
مَن الذي بَعْدكم أَرْضى به بَـــدلاً ... أَوْ مَنْ أُحدِّثُ حاجاتي وأَسْراري ؟ !

فالشاعرُ قد صاغَ قصيدَته في رثاءِ مَحْبوبته في وزن البَسيط، واسْتَهلَّها اسْتِهلالاً جاهليّاً حافظ فيه على بعض التَّقاليد الفنّية الموروثة، فوصفَ ديارَها على طريقة الجاهليّين، ولكنّه لم يُطل في وصْفِه لها فسرْعان ما تخلّص بالحَديث عمّا أصابه من همٍّ وطول سَهَر بعـــد موتِها، إلى الحَديث عن صفاتها، فحَشَد لها عدداً من الصّفات الحِسّيّة والمعنويّة، فذكر أنّها فتاةٌ مُدلَّلةٌ مُنعَّمة، لم تُجرِّب خُشونةَ العيش ولم يضْرِر بها عَوَز، كما أنّها ذاتُ نَسَـب عريق، وكرم فيّاض، ورعاية لحقّ جيرانِها. ثمّ ينْفُذُ من ذلك إلى ذمّ الدَّهْر ووَصْف دَورانِه وتقلُّبه، ويخْتَتِم قَصيدَته بالاسْتِسْقاء لقبْر مَحْبوبته، ذاكراً أنّه لن يجِدَ بعْدَها مَنْ يسُـدُّ مكانَها، أو يَصْلحُ لأنْ يبثّه حاجاته وأَسْراره.

واجْتاز بَيْهَس وركْبٌ من قومه بلادَ بني أسد. وكانوا انْتَجعوا بلادَ الأَسَديّين فأَوْسعوا لهم، لِما كانَ بينَهم من صِهْر وحِلْف، فمرَّ بيْهس بقبْر صَفراء، فنزل عليـــــه، فقال له أَصحابُه: أَلا تَرْحل؟ فقال: لا واللّه، حتّى أَظلّ نَهاري كلّه عنده، فنـــزلوا (٢)، فأَنشأَ يقول وهو يبكـي (٣):

أَلِمّا على قبْرٍ لِصفْراء فاقْرَآ السّـــلامَ وقُولا حيِّنا أَيُّها القَبْـــــرُ
وما كان شيْئاً غير أَنْ لسْتُ صابِراً ... دُعاءَك قَبْراً دونه حِجَجٌ عَشْـــر
برابيةٍ فيها كِرامٌ أَحِبَّـــــــةٌ ... على أَنَّها إلاّ مضاجِعَهم قَفْـــر
عشيّةَ قال الرَّكْبُ من غَرَضٍ بنا: ... تروَّحْ أَبا المِقْدام قد جَنَح العَصْر (٤)
فقلتُ لهم: يومٌ قليلٌ وليلـــةٌ ... لصفْراء قد طال التجنُّبُ والهَجْـــر

---

(١) لعلّ الرّواية الصّحيحة: "قد كاد" بدلاً من كان.
(٢) الأغاني ٢٢: ١٣٢–١٣٣.
(٣) نفسه ٢٢: ١٣٣. وانظر: تاريخ مدينة دمشق ١٠: ٣٩٧–٣٩٨.
(٤) الغَرَض: الضجر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبتُّ وباتَ النّاسُ حوليَ هُجَّـداً ... كأنَّ عليَّ اللّيل من طوله شَهْـــر
إذا قُلت هذا حين أَهْجعُ ساعةً ... تَطاولَ بي ليلٌ كواكبُهُ زُهْـــــر
أَقولُ إذا ما الجَنْبُ مَلَّ مكانَـــه ... أَشوكٌ يُجافي الجَنْبَ أم تحته جَمْر؟
فلو أنَّ صخراً من عَمايةَ راسِيـــاً ... يُقاسي الذي أَلْقى لقد ملَّه الصَّخْر(١)

فهو لم يستطع أَنْ يمرَّ بقبر محبوبته دون زيارته وتَقْديم التَّحيَّة له، فيخاطب صاحبيْـــه على عادة الشّعراء الجاهليّين، ويطلبُ إليهما أَنْ يُلمّا بقبر صاحبته، ويصوّر ما دار بينـه وبين أَصحابه من حِوار، استطاع فيه أَنْ يُقْنِعَهم بالمَبيت حول القَبْر في تلك اللّيلة التـي طالت عليه حتى كأَنَّها الشَّهْر، ثُمَّ يصفُ حالَته التي باتَ فيها حزينًا باكيًا، بأَنَّها حالـةٌ لا يحتملُها الصَّخْر.

ويُلاحظ أَنَّ بيْهَس بن صُهَيْب ظلَّ يدور في قصيدته حول معاني الجاهليّـــن وصُورهم وتَشْبيهاتهم، ولم يُضمّنْها شيئًا من المعاني الإسْلاميّة.

د ـ رثاء الأَصْدقـــاء.

ومن رثاء الأَصْدقاء: قولُ شُقْران مولى بني سَلامان يتحسَّر على أَصحابه ذوي الثّقة والمودّة، الذين تساقطوا في حياض الموت كتساقط النُّجوم من السَّماء(٢):

أَجدَّكَ لن تزالَ الدَّهرَ عيْنـــي ... لها في إِثْر ذي ثِقَةٍ سُجـــومُ
وإِخوان رُزِئْتُهُم فبانـــــوا ... كما انقضَّت من الفَلَك النُّجـــومُ

وبعد أَن اسْتَعرضْنا معظمَ ما وصل إلينا من المقطوعات والقَصائد الرثائيّـــة التي نظمها شعراءُ القبائل اليمانيّة الشّاميّة في العصر الأُمويّ، فإنّنا نلمسُ أَنَّ الرثـاء القبليّ اقْترن عندهم بتَحْريض فُرسان القبيلة على الثَّأْر للقتلى، وبتَهْديد الخُصوم وتوعُّدهم بالانْتقام كما هو الشأْن في الرثاء الجاهليّ. وأَنَّ الرّثاء الشَّخْصيّ تنوَّعت موضوعاتُه عند هؤلاء الشّعراء، فرثوا أَهْليهم وبعضَ رجالات عَصْرهم ومَحْبوباتهم وأَصْدقاءَهم، وداروا في أَكْثر رثائهم لهم حول معاني الرّثاء الموروثة، فوصفوهم بالنَّخْوة والشَّجاعة والفَضْل والعفَّة

---

(١) عَمايـة: موضـع
(٢) الحماسة البصريّة (عالم الكتب ـ بيروت) ١: ٢٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والفِقْه والكَرم وعراقة النَّسب، وأَفاضوا في التَّعْبير عن آلامهم وأَحْزانهم التي ورثوها بفَقْدهم. وشاركت النّساء في هذه الموضوعات مشاركةً ظاهرة، فاستأْثرت الشّاعرات بموضوعي رثاء الآباء والبُعول. وتأَثّرت بعضُ موضوعات الرّثاء الشّخصيّ بمواقف الشّعراء من الأَوضاع السّياسيّة السائدة في عصرهم.

سادسًا : الوَصْف

تنوّعت موضوعاتُ الوصف عند شُعراء القبائل اليمانيّة الشاميّة، فوصفوا جانبًا من الوقائع الحربيّة في عصرهم، وحمل شعرُهم الوصفيّ بعضَ ملامح البيئة التي عاشوا فيها، ووصفوا الظُّعُن وحيوانات الصَّحراء كالخيل والإبل، وشبّهوها بالقَطا وحِمار الوحش، ومنهم من نَعَت الخمر وتحدّث عن صفة الشَّيْب والشَّباب.

١ - وَصْف الوقائع الحربيّة.

لا نجدُ فيما بين أَيْدينا من شعر هذه القبائل وصفًا مُفصّلاً دقيقًا للوقائع الحربيّة القبليّة والسّياسيّة التي خاضت القبائل غِمارَها، ولا سيّما معركة مَرْج راهط، التي لم يَصِفْها شعراءُ اليمانيّة وصْفًا مُسْهَبًا، يُلمّ بدقائقها وتتابُعِ أَحْداثها، وذلك على الرّغم من أَنّ بعضَهم شَهِدَها وقاتلَ القيْسيّة فيها.

وربّما يُردُّ ذلك إلى أَنّ الوصفَ عند هؤلاء الشّعراء لم يكن غَرضًا مقصودًا في ذاته، وإنّما كان مَعْبرًا إلى ما يَقْصده الشّاعرُ من المُفاخَرة أَو الهجاء، ولذلك فإنّهم لم يقفوا طويلاً عند وَصْفِ المعارك، ولم يُفصّلوا في أَحْداثها، وإنّما تناولوا هذا الوصف تناوُلاً خاطفًا، مضوا بعْدَه إلى الغاية التي يَقْصدونها (١).

وقد دارَ وصفُهم للوقائع القبليّة على بيانِ سَطْوة قبائلهم وعزّتِها وشدّة نِكايتِها في أَعدائها (٢)، وتحدّثوا عن هَوْلِ المعركة وضَراوتها، ووصَفوا فُرسانَ قبائلهم فذكروا أَنّهم ليوثُ حَرب أَشِدّاء، طوالُ الأَيْدي، يركبون الخيولَ الجُرْد ويتقلّدون السُّيوفَ الصّوارم (٣). ووصف بعضُهم ضخامةَ جيشِ قبيلته، وكثافةَ عددِ فُرْسانه، ومسيرِه إلى أَعْدائه،

---

(١) العصبيّة القبليّة وأثرها في الشّعر الأُمويّ ص: ٦٢٩، ٦٣٠.
(٢) انظر: تاريخ الرسل والملوك ٧: ٢٣٥، ٢٦١، والإكليل ٢: ٢٠٥.
(٣) انظر: أنساب الأشراف ٥: ١٤٦، والأغاني ١٩: ١٤٥، والتّنبيه والإشراف ص: ٢٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما وَصَفوا مقْتلَ عددٍ من فُرسان خُصومهم، وسجّلوا عارَ الهزيمة على بعض قادَتِهم مثل عُمَيْر بن الحُباب السُّلميّ (١) . أمّا قتلى أعدائهم، فإنّها لفَرْطِ كَثْرتها تَنْتَشِر في أرض المعركة دون دَفْن، وتُترك طعامًا لضِباع الأرض وذئابها، فتظلّ نساءُ هؤلاء القتلى بعدهم ثكالى يَجْتَرِعْنَ مرارةَ الأسى والحُزن عليهم (٢).

ولعلّ عمرو بنَ مِخْلاة الكَلْبيّ هو أبرزُ شاعر يمانيّ وَصَف بعضًا من أحداث وقعة المَرْج في قصيدته العَيْنيّة التي شَمِتَ فيها بهزيمة قيس وانْدِحارها وخِزْيِها، إذْ يقول(٣):

ويومٍ تُرى الراياتُ فيه كأنّها ... عَوايفُ طَيْرٍ مُسْتَدِيرٌ وواقِعُ (٤)

خَلا أَرْبُعٌ بعد اللّقاء وأَرْبُعٌ ... وبالمَرْج باقٍ من دمِ القوم ناقِعُ

[أصابت] (٥) رماحُ القوم بِشْرًا وثابتًا

وَحَزْنًا وكلًّا للعشيرة فاجِعُ (٦)

ونجّا حُبَيْشًا مُلْهِبٌ ذو عُلالَةٍ ... وقد حُزَّ من يُمنى يديه الأَصابِعُ (٧)

طعنّا زيادًا في اسْتِهِ وهو مُدْبِرٌ ... وثَوْرًا أصابتْهُ السّيوف القواطِعُ (٨)

وقد شَهِدَ الصِّفّيْن عَمْرُو بنُ مُحْرِزٍ ... فضاقَ عليه المرجُ والمَرْجُ واسِعُ (٩)

---

(١) انظر: تاريخ الرسل والملوك ٥ :٥٤٣، والأغاني ١٩ :١٥٢، ٢٣ :١٩٠.

(٢) انظر: الأغاني ١٩ :١٤٥، ١٥٢، ومعجم الشعراء ص:٤٥.

(٣) نقائض جرير والأخطل ص: ١٧-١٩. وانظر أبياتًا منها في: أنساب الأشراف ٥ :١٤٨، والأغاني ١٩ :١٤١، ومعجم الشعراء ص:٦٨، والمَرْزوقي: شرح ديوان الحماسة ٢ :٦٤٧-٦٤٨، والتبْريزيّ: شرح ديوان الحماسة ٢ :١٩٥-١٩٧، والحماسة الشجريّة ١ :١٧٢، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنيّة) ١٣ :٣٠٢.

(٤) عافت الطير: اسْتدارت وحامت حول الماء.

(٥) في: نقائض جرير والأخطل: "أجابت"، والتّصحيح من أنساب الأشراف ٥ :١٤٨.

(٦) بِشْر: هو بشر بن يزيد المُرّيّ من غطفان. وثابت: هو ثابت بن خُوَيلد البَجَليّ، وكان مع الضحّاك بن قيس. وحَزْن: هو حَزْن بن عمرو النّمريّ. وكلّهم قُتِلوا يوم المَرْج.

(٧) حُبَيْش: اسم شخص. والمُلْهِب: الفَرَس الشّديد الجَرْي المُثير للغُبار. والعُلالة: ما يُجلّل به الفرس.

(٨) زياد: هو زياد بن عمرو العُقيليّ. وثَوْر: هو ثور بن مَعْن السُّلميّ.

(٩) عمرو بن مُحْرِز، من أشْجع. انظر: التّبْريزيّ: شرح ديوان الحماسة ٢ :١٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأَدْرَكَ همّامًا بأَبيضَ صـــارمٍ ... فتى من بني عمروٍ صَبورٌ مُشايِـعُ[1]
هو الأَبْيضُ القرْمُ الطويلُ نِجـادُهُ ... من القوم لا فانٍ ولا هو يافِـــعُ
فَمَن يكُ قد لاقى من المرْج غِبْطَـةً ... فكان لقيس فيه خاصٍ وجـــادِعُ
فلن ينْصِبَ القيسيُّ للناس رايـــةً ... من الدَّهر إلاّ وهو خَزْيانُ خاشِـعُ

فإنّه وصَفَ فيها الْتِحامَ فُرسان اليمانيّة والقيسيّة، فبدت راياتُ القادة، وهي تَرْتفعُ وتَسْقطُ في أَرض المعركة، كأَنّها طيورٌ ترْتفعُ في السّماء، ثمّ ما تلْبثُ أَنْ تَحطّ في حركـــةٍ مُسْتمِرّة. ونقل إلينا مشاهدَ مُتتابِعة لمقْتلِ عددٍ من زُعماء قيس مثل: بِشْر بن يزيد المرّي، وحَزْن بن عمرو النّمري، وهمّام بن قَبيصة النُّميري، وغيرهم من روُساء عشائر قيس. وصوّر فرار بعضهم على فَرَس سريع مُجلّل.

وقد نقَضَ عليه زُفَرُ بنُ الحارث الكلابيّ قصيدَته هذه بأَبيات، منها قوله[2]:

فخرْتَ ابنَ مِخْلاة الحِمار بمَشْهَـــدٍ ... علاكَ به في المرْج مَنْ لا تُدافِـــعُ
فإِنْ نكُ نازَعْنا قُريشًا فإِنّهـــــم ... أَخونا ومولانا الذين نُنـــــازِع
فأَيّ قبيلَيْنا وأُمّكَ ما يكُـــــنْ ... له المُلْكُ تَتْبَعْهُ وخِدْكَ ضـــارِع

ففخر عليه زُفَر بالرابطة المُضريّة التي تَجْمع بين قبيلتي قيس وقريش، وعيّرَهُ انْقيادَ قبيلتـــه لبني أُميّة إِخْوةِ قيس في النَّسَب العَدْنانيّ[3].

ومن وَصْف المعارك السياسيّة إِلمامُ عديّ بن الرّقاع العامليّ في مَدْحِه للوليـــد بن عبد الملك بما حدثَ في مَرْج راهط[4]، ووصْفُه لخروج عبد الملك بن مروان لقتال مُصْعَب بن الزُّبير بجيش عظيم يُشبه صخبه لكثْرة عدده ضجيجَ القطا في الهلد المُخْصِب[5]، وحديثُه عن إِحدى غزوات عُمَرَ بن عبد العزيز للرّوم في قصيدته الرائيّة التي مدحه فيها[6].

---

(١) همّام: هو همّام بن قَبيصة النُّميريّ. وقد قَتَله الوازعُ بن زُوءالة الكلْبيّ. انظر: أَنساب الأَشراف ٥: ١٣٧، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّـــة) ١٧: ٣٦٠.
(٢) نقائض جرير والأَخطل ص: ١٩٠.
(٣) العصبيّة القبلية وأَثرها في الشعر الأُمويّ ص: ٤٣٥.
(٤) انظر: الدّيوان ص: ١٧٠.
(٥) انظر: نفسه ص: ٢٣٢، ٢٤٨.
(٦) انظر: نفسه ص: ١٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه قولُ الأُقَيْلِ القَيْنيّ (١) يصفُ حصارَ الحجّاج بن يوسف لعبد الله بن الزّبير بمكّة، ورميَه الكعْبةَ بالمَنْجنيق (٢) :

فلم أَرَ جَيْشًا غُرَّ بالحجّ قَبْلنا ... ولم أَرَ جيشًا مِثْلَنا غيرَ ما خُرْس(٣)
خرجْنا لبيت الله نَرْمي سُتورَه ... وأَحْجارُه زَفْنَ الولائدِ في العُرْس(٤)
دَلفْنا له يومَ الثّلاثاء من مِنًى ... بجيش كصَدْر الفيل ليس بذي رأْس

فهو يذكر أنّ الحجّاج سارَ بجيش ضخْم من فُرسان أهل الشّام، وأَوْهَمَهم أنّه يُريد الحجّ فعسْكر بمِنى، إلاّ أنّه مالبث أنْ خَرجَ منها يومَ الثّلاثاء لرَمْي الكَعْبة، فلم يعترِضْه أحد، ولم يُنكِرْ صَنيعه مُنكِر.

٢ — وصف البيئة.

على أنّ أكثرَ ما عَثرْنا عليه لشعراء القبائل اليمانيّة في هذا اللّون من الشعر كان في وَصْف الطبيعة الساكنة، وفي وَصْف بعض ظواهر البيئة الشاميّة التي عاشوا فيها. فمن هؤلاء الشعراء مَنْ وقفَ على الدّيار، فوصف عفاءَها وانْدِثار معالمها، وبكاها وتذكّر أهلها الظاعنين عنها. ومنهم من وَصَف السّحاب والمطر والبرقَ والرّعد والرّياح والنّجومَ، ومنهم من تغنّى بجمال بلْدَتِه وتمدّحَ برحابَتِها وخِصْبها.

واشْتُهِر عديّ بنُ الرّقاع العامليّ بشياع وصف الدّيار في عدد من مقدّمات قصائده، فوقف على الدّيار وبكى شَجْوَ التّذكار، واسْتَعْرَضَ طيفَ محبوبته فحنّ وأنّ، وكان

---

(١) الأُقَيْل القَيْنيّ: هو الأُقيبل بن نَبْهان بن خُنُف، من بني القَيْن بن جَسْر من قضاعة. شاعر أمويّ أسْود، اشْتُهِر زمن يزيد بن معاوية. وقد هجا الحجّاج ابن يوسف فطلبه، فهرب حتى أتى قبْر مروان بن الحكم فعاذ به، فأمّنه عبد الملك ابن مروان. وللأُقيبل قصائد ومقطّعات جياد في أشعار بني القين، ولكنّها ضاعت. ويُقال: إنّ ناقته صرعتْهُ في بعض أسْفاره فمات حوالي سنة (٨٥هـ). انظر: أنساب الأشراف ٥: ٣٥٨، والمؤتلف والمختلف ص: ٢٥-٢٦، وتاريخ مدينة دمشق (صوّرة الجامعة الأردنيّة) ٣: ٣٩، والأعلام ٢: ٦.

(٢) أنساب الأشراف ٥: ٣٥٨، والحيوان ٧: ١٠٢.

(٣) غير ما خُرْس: أي لا يتكلّم ولا يُنكر.

(٤) الزّفْن: اللّعب والرّقص.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منظرُ الآثار الدّارسة يثيرُ شُجونه، فيتحسّر على ما مضى من شبابه، ويبكي ذِكْرياتـــه الغابرة(١). يقول (٢) :

لِمَن المنازلُ أَقْفرت بِغَبـــاء ... لو شِئْتُ هيّجت الغداةَ بُكائـي (٣)
فالقَمْرِ غَمْرِ بني خُزَيْمَةَ قد تُرى ... مأْهولةً فَخَلَت من الأَحْيـــاء
لولا التجلُّد والتّعزّي أنّـــه ... لا قومَ إلاّ عَقْرهم لفَنـــــاء (٤)
لرثيْتُ أَصحابي الذينَ تتابَعوا ... ودَعوتُ أَخْرسَ لا يُجيبُ دُعائـــي

ويذكُرُ عَدِيّ في مقدّمة أُخرى أنّه لم يتمكّن من مَعْرفة دِيار محبوبته إلاّ بعد جُهْـــد، إذ ظلّ يتفرّس فيها حتى انْتَصف النّهار وفاضَت عيْناهُ بالدّموع يقول (٥) :

غَشيْتُ بعِفْرى أَو برِجْلتِها رَبْعـا ... رمادًا وأَحجاراً بقينَ بها سُفعـا (٦)
فما رُمْتُها حتّى غدا اليومُ نِصْفـه ... وحتّى امْترَت عيْنايَ كِلْتاهُما دَمْعا

ورَسم عدِيّ صورةً طريفةً لبكاء الدّيار الخالية التي تركها أَهْلُها، وعَدَت عليهـا عوادي الزّمن، فتركَتْها آثارًا دارسةً، بعد أَنْ كانت مأْهولةً عامرة، فذكرها بكثير من الحَسْرة والأَلم، وناجاها واسْتَسقى لها، فقال (٧) :

فهل انتَ مُنْصرفٌ فتنْظُر ما الذي ... أَبْقى الحوادث من رُسوم المَنْـزِل
دارٌ بإِحْدى الرّجْلتيْنِ كأَنّهـا ... قد عُفّيتْ حِجَجًا ولمّا تُحْلَـــل
وكأَنّ سُهْكَ المُمْصِرات كسَوْنَها ... تُرْبَ الغدافِرِ واليَفاع بِمُنْخُـــل (٨)

ثُمّ قال :

فُسقيت من دارٍ وإِنْ لم تَسْمعـي ... أَصْواتَنا صوبَ الرّبيعِ الهُطّـــل (٩)
قد كان أَهْلُكِ مرّةً لكِ زينـــةً ... فاسْتَبْدلوا بَدَلاً ولم تَسْتَبْدِلـــي

---

(١) عديّ بن الرّقاع العامليّ : حياته وشعره، رسالة ماجستير مخطوطة، الجامعة الأُردنيّة ص: ٦٩.
(٢) الدّيوان ص: ١٦١.
(٣) غَباء : موضع بالشام.
(٤) عَقْرهم : أَصْلهم.
(٥) الدّيوان ص: ٢٢٢.
(٦) عفري : ماء بناحية فلسطين. والرّجْلة : مسيل الماء من الرّوضة إلى الوادي. والسفع : السود.
(٧) الديوان ص: ٦٨ — ٧٠.
(٨) السهك : الريح الشديدة. والمُمْصرات : ذوات الإعصار.
(٩) صوب الربيع : مطره.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فابكي إذا بكت المنازلُ أَهْلَهـا ... مَعْذورةً وظَلَمْتِ إنْ لم تَفْعلـي
أَهلاً كراماً مَنْ بِحلّكِ مثلهـم ... في ذا الزّمان ولا الزّمان المُقْبل
تركوا الأَخادِيدَ التي صَرَفوا بها ... عن فُرْشهم قَضَضَ التّلاع المُسْبل (١)
ورمادَ نارٍ قد تهيّأَ للبلـى ... فسوادُ شامَتِهِ كَمَتْنِ الخَـرْدَل

وكرّر عديّ صورةَ الدّيار العافية في مُقدّمات قصائد أُخرى له (٢) . وتتجلّى قيمةُ وَصْفِهِ للديار في أَنّه خلّد في شعره أَسماءَ العديدِ من المواقع الشّاميّة (٣).

وخَلعَ بَيْهَسُ بنُ صُهَيْب الجَرْميّ صورةَ حُزْنِهِ وانْكِسارِ نَفْسِهِ وأَلَمِهِ لموت مَحْبوبتِـه صفراء على ديارها ، فبدَتْ مُقْفِرةً موحشة ، حتّى إنّه أَنكرَها لمّا أَلَمّ بها ، ولم يكَدْ يتبيّن معالِمَها ، لولا أَنّه رأَى نَخيلَ الرّمادِ بين الأَحْجار ، لأَنّ الرّياح عفّت رُسومَها وغيّرت ملامِحَها بما تسْفيه عليها من تُراب يقول (٤) :

هل بالدّيار التي بالقاع من أَحدٍ ... باقٍ فيسمع صَوْتَ المُدْلجِ السّاري
تلكَ المنازلُ من صَفْراءَ ليس بهـا ... نارٌ تُضيءُ ولا أَصواتُ سُمّـار
عفّتْ معارِفَها هَوْجاءُ مُغْبِـرّةٌ ... تَسْفي عليها تُرابَ الأَبْطَحِ الهاري (٥)
حتّى تَنكّرْتُ منها كلَّ مَعْرفَـةٍ ... إلاّ الرّمادَ نخيلاً بينَ أَحْجـار
طالَ الوقوفُ بها والعينُ تَسْبِقُني ... فوقَ الرّداءِ بوادي دَمْعِها الجـاري

ووصَفَ النّعْمان بنُ بشير الأَنْصاريّ السّحابَ والبَرْقَ والمطرَ والرّعد فقال (٦) :

سقى أُمَّ عبْدِ اللّه مُمْرِعُ السُّرى ... أَجَشُّ هَزيم يَحْفِشُ الوَدْقَ مُقْدِما
تَعَدْتُ له تُزْجي مطافيلَه الصَّبـا ... إذا ما دَنا منه صَبيرٌ تَحَمْحَمـا (٧)

---

(١) القَضُّ والقَضَضُ : صغار الحَصى .
(٢) انظر : الدّيوان ص : ٤١ ، ٤٩ ، ٨٢ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٧٧ .
(٣) انظر : نفسه ص : ٤٩ ، ٥١ ، ٦٤ ، ١٢١ ، ١٦١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ .
(٤) الأَغاني ٢٢ : ١٣١ . وانظر : المنازل والدّيار ص : ٩٠ .
(٥) الأَبْطح : مَسيل واسع فيه دِقاق الحَصى . والهاري : المُتصدّع .
(٦) شعر النّعْمان بن بشير الأَنْصاري ص : ١١٧ — ١١٩ .
(٧) المَطافيل : السّحب الصّفار . وصَبير : سحابٌ أَبيض لا يكاد يُمْطِر . وتَحَمْحُم الفَرَس : صوتُه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له هَيْدَبٌ دانٍ يزِلُّ جَهامُـهُ ... عن اكْلَفَ رجّافِ العَشيّات أَسْحَما (١)
إذا رَجَفت منهُ رَحى مُرْجَحِنَّةٌ ... إلى مُكْفَهِرٍّ كالأَخاشِبِ أَرْزَمـا (٢)
فلمّا تداعَتْ بالسِّجالِ ذَنوبُـهُ ... بَيَثْرِبَ تَمْري صادقَ الوَبْلِ مُظْلِمـا (٣)
ترى القُمْرَ بالقيعانِ جِئْنَ بُنانَه ... أَبابيلَ يَنْسُفْنَ الجَميمَ وصُيَّمـا (٤)

فالرياحُ تدفعُ قطعَ السَّحاب الأَبيض والأَسود، فتبدو كأَنَّها قطيعٌ من صِغار الغَنَـم، وإذا ما دَنَتِ السُّحُب الثَّقيلة المُحمَّلة بالمطر من السُّحب البَيْضاء الخَفيفة، فإنَّ رُعودَها تُحَمْحِم كَحَمْحَمة الفَرَس الأَصيل، وتَتدلّى أَهْدابُها نحو الأَرض حتّى تكاد تمسُّها وهي تُشْبهُ في حَركتِها وتموُّجِها وتَداخُلِها بحرًا أَسْحَم مُتلاطِمَ الأَمواج، فسُحُبٌ مُتلاحِمة مُتراكِبة كالجبال، وأُخْرى مُتفرِّقة، وثالثة ذاتُ ألوان تنثُّ المَطَر ويلمعُ فيها ضوءُ البَرْق، فيكشـفُ ما تحتها من مروج مُمْرِعـة(٥).

ووصَفَ النُّعمانُ بنُ بشير كذلك السُّهولَ المُمْتَدَّةَ والرياضَ اليانِعَة التي تبـدو تحت الشَّمس كأَنَّها بُسُطٌ مُزْرَكشة مرْقومـة(٦).

وقال جَوّاسُ بنُ القَعْطل يصفُ النُّجومَ في ليلةٍ مُظْلمة، مُشبِّهًا الشِّعْرى بقِنْديـل مُعلَّق، وسُهَيْلًا بشِهابٍ يَحْمِلُه القابِسُ فيحرِّكُهُ تجاه الرِّيح، فيزدادُ تَوَهُّجًا (٧):

---

(١) هيدَبُ السَّحاب: ما تهدَّب منه إذا أَرادَ الوَدْق كأَنَّه خيوط. والأَسْحم: الأَسْود.
(٢) مُرْجَحِنَّة: مُسْتَديرة ثقيلة. ومُكْفَهِرّ: أَسْود غليظ مُتراكب. والأَخاشِب: الجبال. وأَرْزَم: صوّت.
(٣) السِّجْل: الدَّلو إذا كان فيه ماء. وتَمْري: تَسْتَدِرّ.
(٤) القُمْر: طيور. بُنانَه: رؤوسُه. أَبابيل: فرق وجَماعات. ويَنْسُفْنَ: يَقْتلِعْـنَ. والجَميم: النَّبْت. والصُّيَّم: الصُّلْب الشَّديد.
(٥) شعر النُّعمان بن بشير الأَنْصاريّ ص: ٥٩.
(٦) انظر: نفسه ص: ٥٩، ١٢٤.
(٧) تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيّة) ٤: ٢٥. وانظر: تهذيـب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣: ٤١٧. والبيتان الثّاني والثّالث في: المُؤْتلـف والمُختلف ص: ٩٩ـ ١٠٠. والبيت الثالث في: ديوان المَعاني ١: ٣٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَرِقْتُ بَدَيْرِ الماطِرونَ كأنّني ... لساري النُّجوم آخر اللّيل حارِسُ[1]
وأَعْرَضت الشِّعْرى العَبور كأنّها ... معلّقُ قِنْديل عَلتْهُ الكنائس
ولاحَ سُهَيْلٌ من بعيدٍ كأنّه ... شِهابٌ نَحاهُ وِجْهَةَ الرّيح قابِس

وتأثّر عديّ بن الرّقاع ببيئة بلاد الشام الجميلة، إذْ وُلدَ فيها، واسْتَنشَقَ هَواءَها، وشاهدَ جِبالَها وسُهولَها، وأَنْهارَها ورياضَها، وأَشْجارَها وطيْرَها، وبرْقَها ومطَرَها. وتردّدت أسماءُ كثيرٍ من مُدُنِها وقُراها وأَنْهارِها في شعره[2]. وكانت صُوَرُ هذه البيئة تَمْتزجُ بأكثر أَغْراض شِعره، إلاّ أنّها كثُرت في الوصف كثرةً مُطْلقة. وقد استطاع تصويرَها تصويراً بارعاً اعتمد فيه على قوّة خياله ودقّة ملاحظته[3]. قال يذكر البرقَ والمطرَ والغَيْم والرّيح الشّاميّة[4]:

فقُمْتُ أُخْبرُهُ بالغَيْث لم أَرهُ ... والبَرْق إذ أنا محْزونٌ له أَرِقُ
مُزْنٌ تُسبِّحُ في ريح شآميةٍ ... مُكلّلٌ بسَماءِ الماءِ مُنْطلقُ[5]
لمّا اكْفَهرّ شُريقيّ اللوى وأوى ... إلى تَواليه من سُفّارهِ رَفَقُ[6]
تربّصَ اللّيل حتّى قال شائمُهُ ... على الرّوَيْشِدِ أَوْ خَرْجائه يَدِقُ

ثمّ يصفُ لمعانَه فيقول:

أَلْقى على ذاتِ أَحْفارٍ كَلاكِلَه ... وشَبّ نيرانَه وانْجابَ يأْتَلِقُ[7]

وقال يصفُ لمعانَ البَرْق[8]:

يا مَنْ يرى بَرْقاً أَرِقْتُ لضوئه ... أَمْسى تلألأُ في حَوارِكِهِ المُلسِ[9]

---

(١) الماطِرون: بكسر الطاء، اسم أعجميّ يلزم الواو وتُعرب نُونه. وهو موضعٌ بالشّام قُرب دمشق. انظر: معجم البلدان: الماطرون.
(٢) انظر: الديوان ص: ٥١، ٩٩، ١٠٠، ١١٠، ١١٨، ١٢١، ١٣٧، ١٥٦، ١٦٨، ١٧٢. وفي مواضع أخرى كثيرة.
(٣) عديّ بن الرّقاع العامليّ: حياته وشعره، رسالة ماجستير مخطوطة الجامعة الأردنيّة، ص: ٧٥.
(٤) الدّيوان ص: ١٤٦–١٤٧. وانظر: الدّيوان ص: ١٦٦.
(٥) المَطَرُ: كثرة السيل أو الماء.
(٦) اكْفَهرّ: غلظ وركب بعضه بعضاً. من سُفّاره: أي ما كان مُنْتَحياً منه.
(٧) كلاكله: أي مطره. وشبّ نيرانه: كثر لمعانه.
(٨) الدّيوان ص: ١٦٥–١٦٦.
(٩) حوارِكه: يُريد أعاليه، وأصْله من حارك البَعير وهو قُدّام السّنام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمّا تلحّلحَ بالبَياض عَمـــاوُهُ حَول الفُرَيْغَة كادَ يَثْوي أو ثَـــوى (١)
فأصابَ أَيْمنُهُ المَزاهِرَ كلَّهـــا واقتمَّ أَيْسَرُهُ أُثَيْدَةَ فالحَشـــــى (٢)

ووصَفَ عديّ البَرْقَ والرَّعد في قصائدَ أُخرى له(٣) ، وأشار أيضاً إلى أَنْواءِ الشّام(٤).

ومن وصْفِ البيئة الشّاميّة قولُ حَكيم بن عيّاش الكلبيّ يصفُ المِزّة، ويُفاخِرُ بهـــا ، ويتعصّبُ لها وكانَ أُسامةُ بنُ زَيد رضي اللّه عنهما خالُ الأَعْور قد قدم الشام على مُعاوية فقال له : اخْتَر لك مَنْزلاً ، فاخْتار أُسامةُ المِزّة، واقْتطع فيها هو وعَشِـرتُه(٥) :

إذا ذُكِرَت أَرْضٌ لقوْمٍ بِنِعْمَـــــةٍ فبلْدَةُ قومي تَزْدَهي وتَطيبُ
بها الدّين والأَفْضالُ والخَيْرُ والنّدى فَمَنْ يَنْتَجِعْها للرَّشادِ يُصيـــب(٦)
ومن يَنْتَجِعْ أَرْضاً سِواها فإنّـــــه سَيَنْدَمُ يوماً بعدها ويَخيـــبُ

إلى أَنْ يقول :

فأَسْكَنَها كَلْباً وأَضْحى ببلْـــدةٍ لها منزلٌ رَحْبُ الجنابِ خَصيبُ(٧)
فنِصْفٌ على برٍّ فسيح ونُزْهَـــةٍ ونِصْفٌ على بَحْرٍ أَغَرَّ [يطيـــبُ](٨)

فهو يَمْتدحُ بلْدَته فيقول : إنّ بها الخَيرَ والدّينَ والنّدى ، ويذكرُ أنّها خَصيبةُ رحْبَـــة الجناب، نِصْفُها على البرّ ونِصْفُها الآخر على البَحْر . وربّما جاز لنا أَنْ نَسْتَدِلّ من أَبيات حكيم بن عيّاش هذه على قيام مُفاخرات بين شُعراء القُرى الشّاميّة، واسْتِشْعـــار كلّ منهم العصبيّة لقريَتِه.

---

(١) تَلحْلَح : أَبْطأَ . عَماوُه : ماوُه . وَيثْوي : يُقيم.
(٢) اقتمّ : نكس وجرف كلّ شيء فيها . والمَزاهر وأُثَيْدة والحَشى : مواضـــع.
(٣) انظر : الدّيوان ص: ٢٢٣ .
(٤) انظر : نفسه ص: ٩١ .
(٥) تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ٣ : ١٤٨ ، ٥ : ١٣٥ . وانظر : معجم الأُدباء ١٠ : ٢٤٧ . وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٢١٩ ، ٤ : ٤٢٥ .
(٦) الصّواب : يُصِب، وبها يختلّ الوزن .
(٧) ويُروى البيت في : معجم الأُدباء هكذا : " فأَسْكَنها كَلْباً فأَضْحت بُلَيْدةً بها . . . " وهي رواية أقرب إلى المعنى الذي قَصَده الشّاعر.
(٨) في تاريخ مدينة دمشق : " ونصْفٌ على بحر أَغَرّ رطيب" وهو إقواء . والتّصْحيح من معجم الأدباء ١٠ : ٢٤٧ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ٤٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ — وَصْف الظَّعن.

وصفَ شُعراءُ الجاهليّة الظَّعنَ، وكانت مُقدّمةُ وصْفِها من الأَشكال الأَساسيّة لمقدّمات قصائدهم، إلاّ أَنّها تحوّلت إلى اتّجاه فرْعيّ عند مَنْ تلاهم من الشُّعراء المُخَضْرمين والشُّعراء الفُحول في العصر الأُموي[١]. وتحدّث عنها عددٌ من شعراء القبائل اليمانيّة الشّاميّة هم: النُّعْمانُ بنُ بشير الأَنصاريّ، والأُقَيْبِلِ القَيْنيّ، وعديّ بن الرّقاع العامليّ وشبيب بن يزيد بن النّعمان بن بشير الأَنْصاريّ.

فأَما النُّعْمان بن بَشير[٢]، والأُقَيْبِل القَيْنيّ[٣] وشَبيب بن يزيد بن النُّعمان[٤] فإنّهم وَصفوا الظّعن وصْفًا سَريعًا في بيت أَوْ بيْتَيْن. وأَمّا عديّ بن الرّقاع فقد وَصَفها في عدّة قصائد[٥]، استهلّ اثْنتين منها بوصْف الظّعن. أُولاهما في مدْح الوليد بن عبد الملك[٦] اقْتَصر فيها على أَرْبعة أَبيات وصفَ فيها حُمولَ خَليلته فتحدّث عن مَسيرها غُدْوةً، وعن حُداتِها، وعدّد المناطقَ التي قَطَعْنها، وشَبّهها بالنّخيل، ولكنّه لم يُطِل في وصْفِها.

والثّانية في مدْح مُرّي بن ربيعة الكلبيّ[٧]، وقد جاءَت أَكثرَ تَفْصيلاً، إذْ حافظَ فيها على كثير من العناصر الموروثة في وصْفِ الظّعُن، فذكر اسْتِعدادَ القوم للرحيل، وما شاع بينهم من أَصوات الاخْتلاف في الرأْي، ووَصف ارْتحالَهم في الفَلاة وتَعَرّضَ الآل دونَهم، وتحدّث عن الجِمال التي تَحْمِل الظّعن، والحُداة الذين يسوقونَها، ووَصَفَ أَلوانَ الهَوادِج.

---

(١) د. حسين عطوان: مقدّمة القَصيدة العربيّة في العصر الأُمويّ ص: ٧٦.
(٢) انظر: شعر النّعمان بن بشير الأَنْصاريّ ص: ١٢٣.
(٣) انظر: المُؤتلف والمُخْتلف ص: ٢٥.
(٤) انظر: معجم البلدان: أَعابِل.
(٥) انظر: الدّيوان ص: ١١٥، ١٢٨، ١٤٤.
(٦) انظر: نفسه ص: ٢٠٤.
(٧) انظر: نفسه ص: ٢٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومدحَ عديٌّ في قصيدته الهائيّة الوليدَ بن عبد الملك فابْتدأ بالغَزل ثمَّ انْتقَل إلى وصف الظُّعن، فبيَّن شوقه إليها وما تركه ارْتحالُها غُدوةً في نَفْسه من ألم وحَسْرة، ووصفَ مسيرَها في رحلتها الطّويلة، متّخذاً من الحديث عنها وسيلةً للتّعبير عن مخاوفه وأَحْزانه بانْقضاء عَهْد الشَّباب وأيّامه الحُلوة، وخوفه من النّهاية الحَتْميّة، بعد أنْ غَزا الشَّيبُ رأْسَه (١). فقال (٢):

يا شوقُ ما بك يومَ بانَ حُدو جُهُم ... من ذي العُويْقع غُدْوةً فرآهـا (٣)
وكأَنَّ نخْلاً في مطيطة ثاوبـاً ... بالكِمع بين قَرارها وحَجاهـا (٤)
وعلى الجِمالِ إذا ونَيْنَ لسائـق ... أَنزلْنَ آخرَ رائحاً فحَداهـا
من بين مُخْتَضعٍ وآخرَ مَشْيُـه ... رَقِلٌ إذا رُفعَتْ عليه عَصاهـا (٥)
من بين بِكْرٍ كالمهاةِ وكاعـبٍ ... شَفَعَ النَّعيمُ شَبابَها فغَذاهـا (٦)
لا مُكْثِرٌ غُسٌّ ولا ابنُ وليـدةٍ ... بادي المُروَّة يسْتَبيحُ حِماهـا (٧)
وجعلْنَ مَحْمل ذي السِّلاحِ مجنَّـةً ... رِعْنَ اليتيمةِ وافْترَشْنَ لِواهـا (٨)
أَصْعدْنَ في وادي أُثَيْدة بعدَمـا ... عَسَفَ الخميلةَ واحْزأَلَّ صُواهـا (٩)
قُرَّيةٌ حبلَ المقيظ وأَهْلُهـا ... بحشا مآبَ تُرى قُصورُ قُراهـا (١٠)
واحتلَّ أَهْلُكِ ذا القُتود وغُرَّبـاً ... فالصَّحْصَحان فأَينَ منك نَواهـا (١١)
فإذا تحيَّر في الفُؤادِ خيالُهـا ... شَرِقَ الشُّؤونُ بعبْرةٍ فبكاهـا (١٢)

---

(١) عدي بن الرّقاع العامليّ: حياته وشعره، رسالة ماجستير مخطوطة، الجامعة الأردنيّة، ص: ٧٧.
(٢) الدّيوان ص: ٩٧ — ١٠٠.
(٣) الحُدوج: مراكب النّساء.
(٤) مُطَيْطَة: موضع. والكِمْع: المُطْمئنّ من الأَرض. والحَجاء: ما أَشرف من الأَرض.
(٥) مُخْتَضع: أي يُطا من عنقه. وعصاها: يريد عصا الحُداة.
(٦) الكاعب: التي كعب ثدْيُها. وشَفَع: ثنّى.
(٧) الغُسّ: الضّعيف اللّين. والوليدة: الأمة.
(٨) الرِّعْن: أنف من الجبل يتقدّم منه.
(٩) احزأَلّ: انقبض واجتمع. والصُّوى: ما ارتفع من الأَرض وغَلُظ.
(١٠) قُرّية: من بني قُرّة بن عاملة. وحَبل المقيظ: أي حَبس القيظ، وهو شدّة الحرّ. والحَشا: الجانب. ومآب: من قرى البلقاء.
(١١) ذو القُتود: جبل. وغُرَّب والصَّحْصَحان: موضعان.
(١٢) الشُّؤون: واحدُها شأْن، ومنه مجْرى الدّموع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يُشبّهُ الظّعن وهي تَعْلو وتهبط وتتعرّج في سَيْرها في طَريق وَعِر بنَخْل مُطيْطة الذي لا يبدو مُسْتوياً . ويتحدّث عن الحُداة ، ويُعدّد المواضعَ التي اجْتازَتْها الظّعن ، ويَتتبّعُها وهي تَنْتقلُ من مكان إلى مكان ، ثمّ يتذكّر صاحبةَ الظّعن فيبْكيها بُكاءً حارّاً .

وواضحٌ أنّ عديّاً لم يَسْتوفِ عناصرَ وصْفِ الظّعن في قَصيدةٍ واحدة ، ولم يُفصّل في مشاهد ارْتحالها تَفْصيلاً دقيقاً .

٤ — وصْف حيوان الصّحْراء .

وَصَف شُعراءُ القبائل اليمانيّة الشّاميّة بعْضَ حيوانات الصّحْراء ، كالخيْل والإبل ، لما لها من مكانةٍ عزيزةٍ في نفوسهم ، فهي مصْدَرُ الخَيْر والرّزْق ، ورفيقُ السّفَر والحرْب .

أ — وصْف الخَيْل .

كانت صُور الخيْل في الشّعر الجاهليّ تَدورُ حولَ قُطْبيْن أساسيّين : خيلُ الغارة ، وخيل الصّيْد (١) . ولم يُفرد شُعراء اليمانيّة لوصْف خيْلِ الغارة قصائدَ أو مقْطوعات مُسْتقلّة ، وإنّما تَناثرت أبياتٌ في وَصْفِها في أشْعارهم التي قالوها يَفْتخِرون بها بسالة فُرْسانِ قبائلهم ، ويتمدّحونَ فيها بسَطْوتهم وعزّهم (٢) .

وانفرَد عديّ بنُ الرّقاع من بينهم بوصْف خيْل الصّيْد (٣) ، فقد كان من أوْصفِ الشّعراء للمطيّة (٤) ، فشبّه فرَسَه بتيْس الفَلاة أو جُؤذُرِ الحُلْب السّمين الذي يتميّزُ بالقوّة والنّشاط ، بسبب طيب مرْعاه (٥) .

وقال عديّ يصفُ حركةَ فرَسه وجِسْمَه ونشاطَه وسُرْعَته (٦) :

ولقد أغْتدي بأجْرَدَ نَهْـــــدٍ ... لاحَهُ بعد طيّه المِضْمـــــارُ (٧)

أيّدُ القُصْريْن ما قيدَ يومـــــاً ... ليُعنّى بصرعة بيْطـــــار (٨)

---

(١) د . نَصْرت عبد الرحمن : الصّورة الفنيّة في الشعر الجاهليّ في ضوء النّقْد الحديث ص : ٨٤ .

(٢) انظر مثلاً : ديوان عدي بن الرّقاع العامليّ ص : ٥٥ — ٥٦ ، والأغاني ١٩ : ١٤٥ ، والتّنْبيه والإشراف ص : ٢٦٧ .

(٣) انظر : الدّيوان ص : ٦٤ ، ١٧٩ ، ٢٥٠ .

(٤) الأغاني ٩ : ٣٠٤ .

(٥) انظر : الدّيوان ص : ٢٥٠ .

(٦) نفسه ص : ١٧٩ — ١٨٢ .

(٧) أجْرد : قصير الشّعر . ونَهْد : غليظ .

(٨) أيّد : شَديد . والقُصْرى والقُصَيْرى : ضلْع قصيرة في آخر الأضلاع ممّا يلي الخاصِرَة . وقال بعضُهم : هي الضّلع القصيرة ممّا يلي الصّدْر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حوشبُ الصُّلْبِ أُفْرِعَت كَتِفـاهُ ... في محاني ضُلوعه إِجْفـارُ (١)
ويُرى مُجْفِراً إِذا هو ولّـى ... في حَماتهِ شِدَّةٌ وانْتِـار (٢)
مُدْمَجًا خَلْقُهُ يكاد إِذا مـا ... راعَهُ صوتُ صارخ يُسْتَطـار
وإِذا اهتزَّ مُقْبِلاً زانَه أَتْلـعُ (م) ... كالجِذْعِ ما يُنالُ العِـذار (٣)
حَملتْهُ رِجْلٌ قَذوفٌ علـى (م) ... عَضْبِ يدٍ ما يُخافُ منها عِثـار (٤)
ونُسورٌ لها حَوافرُ صُـمٌّ ... ما يُرى في أَرْساغِهِنَّ انْتِشـار (٥)
كالجلاميد في المَسيل علاهُـنَّ (م) ... من الماءِ خُضْرةٌ واسْمِـرار
مُشِقَ اللَّحْمُ عن شَواهُنَّ مَشْقـاً (م) ... فَتَعالى واشْتَدَّت الأَوْتـار
وعَلا الزُّورُ مَنْبِضَ القلْبِ منـهُ ... بحَيازيمَ بينها أَسْتـار (٦)
وضُلوعٌ كأَنَّها حين ولّـى ... لاحَ منها بكلِّ ضلْعٍ شِجـار (٧)
فَعلا الصُّلْبُ فاسْتَتَبَّ إِلـى (م) ... حَيْثُ تكون الفُرْسانُ منه الفقـار
فهو طاوٍ أَقَبُّ كالمَسَدِ الأَملس (م) ... عاري الشَّوى مُـمَرٌّ مُفـار (٨)
فاقْتَنَصْنا به. وقيل بأَحْـوى ... ذاتِ فِرقَيْنِ عانةٌ وحبـار (٩)

فهو فرسٌ مُكْتملُ الصِّفات، سليمُ البدن لم يُعالج، قويّ الضُّلوع، أَجْرد، نشيط كَتِفاهُ مُرتفِعَتان جوفُه واسع، وفي ضُلوعه انْحِناءَةٌ من أَعلى أُصولها ممّا يدلّ على كرمه وعِتْقه. وهو طويلٌ عظيمُ الجَنْبيْن، شديدُ العدْو، دقيقُ الخَصْر، ضامرُ البطن، أَملسُ الظَّهْر، قوائمُه مَشوقـةٌ نحيفة. وهذه هي صفات الفرس المِثال.

---

(١) الحَوْشَب: المُنْتفخ الجنْبيْن. وأُفْرِعَتْ: أَشرفت.
(٢) مُجْفِر: مُنْتَفخ الجَنْبيْن. والحماة: لحمة في السّاق تُرى في عرضها.
(٣) التَّلَع: طول العُنُق.
(٤) عَضب: شدّة جدْل.
(٥) النُّسور: مثل النَّوى في بطن الحافر.
(٦) الزُّور: مقدّم الصّدر. وأَسْتار: مُسْتَترة.
(٧) الشِّجار: أَعواد تُشَدّ على مُقدّم الفَبيط ومؤخّره، ثمّ يُشدّ فوقَ الهودج.
(٨) المَسَد: حبل من جلود الإبل.
(٩) ذات فِرقين: موضع. والعانة: القطيع من الحمير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ وصف النّاقـــة.

حَظِيَت النّاقة بأكبر قدْر من صُور الحَيوان في الشّعر الجاهليّ (١) ، لأنّهـــا الحيوانُ الرئيسيّ الذي اعْتمد عليه العربُ في حياتهم. وقد وَصَفها اثْنان من شعراء القبائل اليمانيّة الشّاميّة هما : النُّعْمان بن بشير الأنْصاريّ ، وعديّ بن الرّقاع العامليّ . فأمّـــا ناقةُ النُّعْمان ، فإنّها من كرام الإبل البيْض، عظيمة في خَلْقها ، تبقُم كالظبية إذا ما مسّها لَغَب. وهي سريعةٌ تطْوي المَفـاوِز، وتَسْحقُ الحَصى والحِجارة حتّى تَدْمى أخْفافُهـا ، يقول (٢) :

فسلّ لُباناتِ الهَوى بجُلالـــةٍ ... جُمالِيّةٍ تكْسو الكَلالَ تبقُّمـــا (٣)
إذا انْدفعت تَمْشي المَنصّة بالفَتى ... وبالرَّحْل طابتْ نفْسُه فترنّمـــا (٤)
تُخاوِصُ للرأي البعيد وتتّقـــي ... بأعْقابِ عيْنَيْها القَطيعَ المُحرَّمـــا (٥)

ثمّ يقول :

سأعْمِلُها في النّصّ حتّى أكلّهـــا ... وحتّى تَبلّ الخُفّ من نَقبِ دَمـــا
وحتّى تَشكّى من كَلالٍ ونَهْكَـــةٍ ... ومن نَصَب الأخْياف خُفّاً ومنْسِمـــا

وأمّا عديّ بن الرّقاع فإنّه وَصَف ناقته وصفاً دقيقاً ، ورَسَم لها صُورةً خارجيّةً مُحْكَمة، وصوّر رِحْلَتها في الصّحْراء ، وشبّهها بحمار الوحش وأُتُنِه ، فأفاض في الحديث عن صفـات هذه الحُمُر الوَحْشيّة ، وتتبّع رِحْلَتها للبحث عن الماء بعد أنْ جاءَ الصّيْف واشتدّ بهـــا الظّمأ ، حتّى إذا بلغْنَ الماءَ ، تقدّم العَيْرُ صوبَه بحَذَر مخافةَ وجودِ قنّاص، وغالباً ما يَدَعُ الشّعراء ـ ومنهم عديّ ـ الحُمُرَ الوَحْشيّةَ تنعُمُ بالماء ، فلا يُفْزِعونَها بصيّاد ، ولكنّهـــم يُدْخِلون أحياناً عُنْصُرَ المُفاجأة، فيَصْعون صائداً فقيراً بجانب الماء ، كما نَجد عديّ في بعض قصائده ، ولكنّ سِهامَه تطيش، وتُولّي الحُمُر هاربةً(٦) . وشبّه ناقته أيضاً بقطاة تعيش في أرضٍ صُلبة خَصْبة (٧) . ليُدلّل على قوّتها وصلابتها وسُرْعَتها ، مُخالفاً بذلك شُعراءَ الجاهليّة

---

(١) الصّورة الفنيّة في الشعر الجاهليّ في ضوء النّقد الحديث ص: ٧٧.
(٢) شعر النّعْمان بن بشير الأنْصاري ص: ٥٨ـ٥٩، ١٢٣ـ١٢٥.
(٣) جُلالة : ناقة عظيمة. جُمالِيّة : عظيمة الخَلْق . والبقام : صوت الظبْيَة.
(٤) النّصّ : السّيْر الشّديد .
(٥) الأخْوص : الفـاتر العَيْنَيْن . والقَطيع : السوْط . ومُحرّم : جديد لم يُليّن بعد .
(٦) انظر : الدّيوان ص: ١٠٤، ١٥٣، ٢٧٦، والصّورة الفنيّة في الشعر الجاهليّ في ضوء النّقد الحديث ص: ٨٣.
(٧) انظر : الدّيوان ص: ٧٨ـ٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأنّهم كانوا يشبّهون خُيولَهم بالقَطا (١) . وكان عديّ يَسْتذْكرُ ناقَته عند ما تَتكالبُ عليه الهُموم ، ليُسرّيَ نَفْسَه بذِكْرِها ، ويحافظُ على العناصر الجاهليّة في وَصْفِه لها مُحافظةً شديدة ، فيقول بعد أنْ وَصفَ الأطلال ، وذَكَر عُزوفَ صاحبته عنه ، بسبب شَيْبه ، وتأمّلَ في الحياة التي لا تَدُوم (٢) :

فصرّما لهمّ إذْ ولّى بناجيةٍ ... عيْرانةٍ لا تشكّى الأَضْرَ والعَمَلا (٣)
من اللّواتي إذا استقْبلْنَ مَهْمَهةً ... نَجّينَ من هوْلِها الرُّكْبانَ والثّقلا
مَنْ فرّها يَرَها من جانبٍ سَدَسًا ... وجانبٍ نابُها لم يعْدُ أنْ بَزلا (٤)
حَرْفٌ تشذّرُ عن رَيّان مُفْتَمِسٍ ... مُسْتَحْقِبٍ رَزأَتْهُ رحمُها الجَمَلا (٥)
أوكَتْ عليه مَضيقًا من عَواهِنِها ... كما تَضمّن كَشْحُ الحُرّة الحَبَلا

ويَحْشِدُ عديّ لناقته الصّفات الحَسنة المُحبّبة ، فيقول مُتخلّصًا من حديثه عن مَحْبوبته (٦) :

أفلاتَنا ساها بذاتِ بَرايةٍ ... عَنْسٍ تَجُلُّ إذا السّفارُ بَراها (٧)
تَطْوي الإكامَ إذا الغَلاةُ توقّدَت ... طيَّ الخَنيف بوشْكِ رَجْعِ خُطاها (٨)
وَتشولُ خَشْيةَ ذي اليَمين بِمُسْبَلٍ ... وَحْفٍ إذا صَخِبَ الذُّبابُ حماها (٩)
متذيّلٍ لدْنِ المفاصل فوقَه ... عَجبٌ أصمُّ يسُدُّ خَوْرَ صَلاها (١٠)

---

(١) الصّورة الفنيّة في الشعر الجاهليّ في ضوء النّقد الحديث ص: ٨٦ .
(٢) الدّيوان ص: ٧٦–٧٧ .
(٣) الإضْر : الحَبْس الضيّق ، وقلّة العَلَف والمَرْعى .
(٤) فرّها : نظر إلى سِنّها . والسّدس والسّديس : التي بلغت ثماني سنين .
(٥) حرف : ضامر . وتشذّر : تَشولُ بذَنَبها .
(٦) الدّيوان ص: ١٠٠–١٠٤ .
(٧) ذات برايةٍ : أي ذات بقيّة إذا بَراها السّير . والعَنْس : الصّلْبة .
(٨) الخَنيف : ضرب من الكتّان رديء .
(٩) ذو اليمين : يعني السّوط . ومُسْبل : ذَنَب طويل . والوحْف : الكثيف .
(١٠) متذيّل : طويل . ولدْن : ليّن . والعَجب : أصل الذّنب . والصّلوان : مُكْتنفا الذّنب عن يمينه و شماله .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نُخِسَت به عُجُزٌ كأنّ محالَهـــا ... درجُ سليمانُ النبيِّ بَناهـــا (١)
بُنيَت على كَرْثٍ كأنّ حُرودَهـــا ... مُقُطٌ مُطوّاةٌ أُمِرَّ قُواهـــا (٢)
في مُجْفِرٍ حابي الضُّلوع كأنّـــه ... بِئْرٌ يُجيبُ الناطقينَ رَجاهـــا (٣)
ويقودُ ناهِضُها مَجامِعَ صُلْبِهـــا ... نَعباً وتَهْتِدرُ النَّجاءَ يَداهـــا (٤)
وتسوقُ رِجْلاها تَوالِيَ خَلْقِهـــا ... طرداً وتلتطِسُ الحَصى بِفُجاهـــا (٥)
أَلْقت على مَتْنِ الطَّريقِ جنينَهـــا ... بَتنوفةٍ قَفْرٍ يحارُ قَطاهـــا
فَغَدَت وأَصْبحَ في المُمرَّسِ ثاوِياً ... كالجِرْوِ مُلْتَفِعاً عليه سَلاهـــا
ولها مُناخٌ قلَّ ما بَركت بـــه ... وَمُصَمَّعاتٌ من بنات مِعاهـــا (٦)
سودٌ تَوائم من بقيَّة حَشْوِهـــا ... قَذَفت بهنّ الأرضَ غِبَّ سُراهـــا (٧)

فهي ناقةٌ قويّة تقطع المَفاوز وتطوي الفَلَوات، ذَنَبُها كالسَّوط يتحرّك فيُخيف الذُّبـــاب، فلا يَسْتَطيع الاقْتراب منها، وتُشبه فَقراتُ ظهرها الدّرج كنايةً عن عِظَمها وضَخامتهـــا، وهي ناقةٌ جوفُها واسعٌ كالبِئْر التي يتردّدُ فيها الصَّدى، وأَمْعاؤُها مَفْتولة كالحِبـــال. ولم ينْسَ عديّ أَنْ يرسُمَ صورةً لبَعراتِها السُّود اللَّواتي بَقِيْنَ في مُناخِها.

ووصف عديّ بن الرِّقاع الجَمَل أيضاً وشبّهه بعِيْرِ الفَلاة في النَّشاط والقوّة(٨). وله شعر شبّه فيه نَفْسَه بالحيّة(٩).

٥ — وصْف الخَمْـــر.

قلَّ شعرُ الخَمْر في القرن الأوّل الهجريّ قلّة ملْحوظة قِياساً إلى ما كان عليه فـــي الجاهليّة وصَدْر الإسلام. ويعودُ السَّببُ في ذلك إلى أنَّ الشّعراء وإنْ لم يَسْتَجِب بعضُهم

---

(١) المحال: الفقار.
(٢) الحُرود: الطّرائق اللّواتي في الكرش. والمُقُط: الحبال.
(٣) مُجْفِر: جوف واسع. وحابي الضّلوع: مُشْرف الضّلوع. ورجاها: ناحيتها.
(٤) ناهضُها: عنقها. والنّعب: ضرب من السّير. والنّجاء: السّرعة.
(٥) تلتطس: تدقّ. والفُجابة: عصبة في مُؤخّر الوظيف تمتدّ إلى الرّسغ.
(٦) مصمّعات: بعرات ملتصقات صغيرات.
(٧) حَشْوها: علَفها. وغِبّ سُراها: بعد سُراها.
(٨) انظر: الدّيوان ص: ٤٣—٤٧، ٦١، ٢٠٥—٢٠٧.
(٩) انظر: نفسه ص: ٢٦٥، والأشباه والنّظائر ٢: ٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لدعوة الإسلام إلى تحريم الخمر في حياته العمليّة فإنّهم استجابوا لها في شعرهم، فعزفوا عن ذِكْر الخَمْر في قصائدهم (١).

وينفرد عديّ بن الرّقاع من بين شعراء اليمانيّة بوصف الخمر، ففي ديوانه أبيات شبّه نفسه فيها بشارب الخمر، وذكر الخمرَ المقدّيّةَ الصّهباءَ التي تصْرعُ شَرْبَها، ووصف عِتْقَ خَمْر حُدَيْجاء وصفاءَها ومنابتَ كرْمِها فقال (٢):

أميدُ كأنّي شاربٌ لعبَتْ بـه ... عُقارٌ ثَوَت في دنّها حِجَجاً تِسْعا
مقدّيّةٌ صَهْباءُ تُتْخِنُ شَرْبَها ... إذا ما أرادوا أنْ يُراحوا بها صَرْعى (٣)
عُصارةُ كرْم من حُدَيْجاءَ لم تكن ... مَنابتُها مُسْتَحْدَثاتٍ ولا قُرْعا (٤)

وذكر عديّ خمر فلسطين فقال (٥):

فكأنّي من ذِكْرهم خالَطَتْني ... من فلسطينَ خَمْرُ جَلْسٍ عُقارا (٦)
عُتّقَت في القِلال من بَيْتِ رأسٍ ... سَنواتٍ وما سَبَتْها التّجارا (٧)
فهي صَهْباءُ تَتْرُكُ المرْءَ أعْشى ... في بَياضِ العَيْنَيْن منه احْمِرارا

فخمرُ فلسطين خمرٌ صَهباء، تُعتّق في بيت رأْس سنوات، فتُعْشي شارِبَها لجَوْدتها وشدّة تأثيرها.

٦ — وصْف الشّيْب والشّباب.

تحوّلت مقدّمةُ وصْفِ الشّيْب والشّباب من مقدّمة فرْعيّة في الجاهليّة إلى اتّجاه ثانويّ، على أيْدي الشعراء الفُحول في العصر الأُمويّ، لأنّهم لم يُكْثروا من اسْتِهْلال قصائدهم بها (٨).

---

(١) الشّعراء من مخَضْرمي الدّولتين الأُمويّة والعبّاسيّة ص: ٢٩٥. وانظر: نالينو: تاريخ الآداب العربيّة ص: ٢٩٩.
(٢) الدّيوان ص: ٢٣٢.
(٣) مَقَدّ: قرية بدمشق في الجَبل المُشْرف على الغَوْر. انظر: لسان العرب: مادّة: مَقَد.
(٤) حُدَيْجاء: قرية شاميّة. والأَقْرع: الذي لا نَبْت فيه.
(٥) الدّيوان ص: ١٧٧—١٧٨.
(٦) يُقال: إنّ بفلسطين دَيْراً يُقال له: الجَلْس. ويُقال: عَسَلٌ جَلْس: أي طَيّب. انظر: الدّيوان ص: ١٧٧.
(٧) بيت رأْس: قرية شاميّة.
(٨) مقدّمة القصيدة العربيّة في العصر الأُمويّ ص: ٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تفجّع عديّ بنُ الرّقاع على شبابه وجَزِعَ من مَشيبه وتقدُّم سنّه، وبدا في حديثه عن الشّيب إحْساسُه بالخوف من النّهاية، وهي الموت الذي يَنْتظر كلّ حيّ يقول (١) :

والشَّيْبُ يَخْتلِسُ الشَّبابَ تَخوُّنـاً ... حتّى يعودَ المرءُ مُنْتَقِضَ القُوى

وفي ديوانه قصيدتان استهلّهما بوصْف الشّيب والشّباب، فقال في أُولاهما يُصوِّر غِشْيانَ الشّيب رأْسَه في مديحه للوليد بن عبد الملك (٢) :

طال الكرى وألَمَّ الهمُّ فاكْتَنعـا ... وما تذكّرَ مَنْ قد فاتَ وانْقطعـا (٣)

كان الشَّبابُ رِداءً أَسْتكِنُّ بـه ... وأَسْتَظلُّ زَماناً ثُمَّتَ انْقَشَعـا

وبُدِّلَ الرأْسُ شَيْباً بعدَ داجيةٍ ... فَيْنانةٍ ما تَرى في صُدْغِها نَزَعـا

ويرى عديّ في قصيدته الثّانية أنّ الشّيْبَ مَدْعاةٌ للوَرَع والحِلْم بعد الجَهْل، فيقول مُسْتَهلّاً قصيدته في مدْح عمر بن الوليد بن عبد الملك (٤) :

علاني الشَّيبُ واشْتَعل اشْتِعـالا ... وقد غَشِيَ المَفارقَ والقَـذالا

وقد بُدِّلْتَ بعدَ الجَهْلِ حِلْمـاً ... وبعد اللَّهْوِ، فاسْترْضِ البِدالا

وشبّه الشّبابَ في إحدى قصائده بالضّيْف الزّائر. وربّما كان افْتقادُه اللذّةَ التي كانت المرأةُ محورَها، وما أَصابه من نَعيم في حياته، هو الذي جعله يُلحّ على ذِكْر شَبابه، فقد انغضّت الحسان من حوله وفَزِعْنَ من شَيْبه، يقول بعد أَنْ ذكر الأطلالَ وصاحِبتَها (٥) :

وراعهنَّ بوَجْهي بعد جِدَّتِـه ... شَيْبٌ تفشّغَ في الصُّدْغَيْن فاشْتَعـلا (٦)

وسارَ غَرْبُ شَبابي بعد جِدَّتـه ... كأَنّما كان ضَيْفاً خفَّ فارتَحَـلا (٧)

---

(١) الدّيوان ص: ١٦٥.
(٢) نفسه ص: ٢١٦.
(٣) في الدّيوان : " طال" والرّواية في غير الدّيوان : " طار الكرى" وهي أَقرب إلى قَصْد الشاعر. واكتنَعَ وكَنَعَ : قَرُبَ ودَنا.
(٤) الدّيوان ص: ١٠٨. وانظر : ص: ٢٣٢.
(٥) نفسه ص: ٧٣.
(٦) تفشّغَ : انْتشر.
(٧) غَرْب كلّ شيءٍ : جِدَّتُه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثمّ يُعزّي نَفْسَه بأَنْ لا شيءَ يبقى على قوّته، فالسّيف يَنْبو، والآمالُ البعيدةُ تُفْتال قبل أَنْ تَتحقّق، ولو كان يدومُ شيءٌ، أَو ينْجو من الموت ناجٍ، لنَجَت الوُعول التي تَسْكُن رُؤوسَ الجِبال، أَوْ الطّيور التي تسكنُ المناطِقَ الوَعِرَة العالية(١).

وممّن وَصَفوا قوّةَ الشّباب وَفَرْطَ نشاطه، ووَهَنَ المشيب وضَعْفه: بَيْهَس بن صُهَيْب الجَرْميّ، إِذْ ذَكَر شبابَه وخوْضَه غِمارَ المعركة، ثمّ قارَن ذلك بحالِ مَشيبه وضَعْفِه فقال (٢):

ولقد شَهِدْتُ الخَيْل تَعْثُر في القَنا ... تحتَ العَجاجة تدّعي وتَثوبُ
في كلّ مُعْتَرَكٍ يَدعْنَ مُناجِدًا ... فيه السِّنانُ وعاملٌ مخْضوب
ولقد أَفكُّ الغُلَّ عن مُسْتَسْلِمٍ ... فَزِعٍ أَقرَّ فُؤادَه التَّرْهيب
واليوم سَعْيي إِنْ سَعَيْتُ مُبادِرًا ... رَقْصٌ، ومَشْيي إِنْ مَشَيْتُ دَبيب

ولعلّنا لا نَبْتعدُ كثيراً عن الصّواب إذا قُلنا: إِنّ شعر القبائل اليمانيّة الشاميّة في وَصْف الخَمْر والشّيب والشّباب قد سقط، لأَنّنا لوا اسْتَثْنينا أَبياتَ بيْهس بن صُهَيْب السّابقة، فإِنّه يتّضحُ لنا أَنّ عديّ بنَ الرّقاع انْفرَد بوصْفِ الخَمْر والشّيب والشّباب، وأَنّه اسْتهلّ قصيدتَيْن بمقدّمة وصف الشّيب والشّباب، فحفظ ديوانُه بذلك شيْئاً من شعر القبائل اليمانيّة الشّامية في هذين الموضوعَيْن من الوصف.

---

(١) انظر: الدّيوان ص: ٧٤–٧٥، ٢١٨.
(٢) المؤْتلف والمُخْتلف ص: ٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سابعاً : العتاب

عرف الخلفاءُ الأُمويّون فضْلَ القبائل اليمانيّة الشّامية عليهم، فقرّبوا رجالَها واعْتمَدوا عليهم وخصّوا بعضَهم بمناصب كُبرى في الدّولة، فقد عَظُمَ سُلطانُ هذه القبائل في عهد يزيد بن معاوية، فكان منها عُظْمُ جيْشِه الذي قاتل أَهْل المدينة في موقعة الحرّة، ثمّ حاصر مكّة وأَحْرقَ الكعبةَ سنة ثلاثٍ وستّين للهجْرة(١) .

وبايعت هذه القبائلُ مروانَ بنَ الحكم في مُؤْتمَر الجابية، ونصرتْهُ على القبائل القيْسيّة في معركة مرْج راهط، بعد أَنْ أَشرفَ حكْمُ بني أُميّة على الزّوال، فخصّها عبدُ الملك بن مروان بأَهمّ المناصب في قَصْره، فكانَ منها موظّفو الدّواوين بدمشق كديوان الشُّرَط والجُنْد والخَراج والخاتم وبيت المال والحَرَس وغيرها من الدّواوين، كما كانت صُلْبَ الجَيْش الأُمويّ الذي يَحْرسُ الخلافةَ ويقْمَعُ المتمرّدينَ عليها (٢).

وفي عهد الوليد بن عبد الملك ضعُفَت سُلْطةُ القبائل اليمانيّة الشّاميّة، لأَنّه خصّ أَبناءَه وإِخْوَته وأَقْرباءَه ومواليه بالمناصب الكُبْرى، ولم يكد سُليمانُ بنُ عبد الملك يتولّى الخلافةَ حتّى ردَّ إلى هذه القبائل سُلْطَتَها، ففلَبت هي ومواليها على الدّواوين بدمشق (٣).

واحتفظ يزيدُ بن عبد الملك لهذه القبائل بمَنْزلةٍ عالية في دمشق وظلّ يتمسّكُ بها، لأَنّها كانت عمادَ جَيْش أَهْل الشّام، ولأَنّها امْتثلَت لأَمره حين نَدَبها لقتال المَهالِبة الذين خَرَجوا عليه، فهبّت للذّوْد عنه، وقَضَت على المَهالِبة وأَعْوانَهم، واسْتمرّت تُواليه وتُؤَيّده (٤).

ووازنَ هشامُ بنُ عبد الملك بين القُرى القبليّة من اليمنيّة والقيسيّة، ولكنّه ظلّ يعتمدُ على القُرشيّين من بني أُميّة وغيرهم (٥) .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٤٩٦، والوليد بن يزيد : عرض ونقد ص: ٤١٢. وانظر : الأُمويّون والخلافة ص: ٩٣.
(٢) الوليد بن يزيد : عرض ونقد ص: ٤١٢. وانظر : الأُمويّون والخلافة ص: ١٠٥.
(٣) نفسه ص: ٤١٤—٤١٥.
(٤) نفسه ص : ٢١.
(٥) نفسه ص: ٤١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أَيَّد شعراء القبائل اليمانيّة الشاميّة البيتَ الأُمويّ، ووقفوا في صفّه يُنافحون عن حقّه في الخلافة، ويُهاجمون خصومه ويُؤيّدون خلفاءه في عَقْد البيعة لأَبنائهم من بعدهم(١). وكانوا بموقفهم هذا يؤيّدون حقّ قبائلهم عليهم، وينطقون بألسنتها، ويُعبّرون عن مُساندتها لبني أُميّة ووقوفها إلى جانبهم. وكان هؤلاء الشعراء، وبخاصّة شعراء قبيلة كلب، يُحسّون بما لقبائلهم من فَضْل كبير على خلفاء بني أُميّة، فهي التي أَرسَتْ دعائم حُكْمهم، وبذلت التضحيات الجِسام في سبيل تثبيت مُلْكهم، ولذلك فإنّهم لم يكونوا يتورّعون عن عتابهم وتوجيه أَشدّ اللّوم إليهم، كلّما لمسوا منهم ازوراراً عن قومهم، أو تقريباً لخصومهم من قيس، فظهر بذلك لون من العتاب السّياسيّ الذي ربّما انفرَدَ به شعراء اليمانيّة الشاميّون في العصر الأُمويّ، فكان من شعرائه: الأَحْمَر بن شُجاع بن القَعْطل، وجَوّاس بن القَعْطَل، وأَبو الخطّار الحُسام بن ضِرار وجميعهم من كلب، وشَبيب بن يزيد بن النُّعْمان بن بشير الأَنصاريّ.

فقد قال الأَحْمر بن شُجاع الكَلْبيّ يفْخر بانتصار القبائل اليمانيّة على قيس في مَرْج راهط، ويصفُ كتيبة قومه بأَنّها كتيبة سوداء أَكبر من دجى اللّيل، لكثْرة عددها وضَخامة عُدّتها، ويُعاتب مروان بن الحكم ويذكّره بنصْر اليمانيّة له يوم المرج، ويُعبّر عن أَلمه وخيبة أَمله في خُلفاء بني أُميّة الذين تجاهلوا ذلك كلّه، فلم يقابلوا المعروف بمثله(٢):

ونحن صَقَعْنا قيسَ عيْلان صقْعَةً ... بكَتْها مَعاويل من الثُّكْل حُسَّرُ(٣)

بجأْواءَ تُعْشي النّاظرين كأَنّها ... دُجى اللّيل بل هي من دُجى اللّيل أَكبر(٤)

[فعلنا بهم فعل الكرام فأَصبحوا ... وما منهم إلاّ عن الشكر أَزور](٥)

فإن تُنْكِرَن مروانُ حُسْنَ بلائنا ... نكونن أَخاها حين تَخْشى وتُذْعر

وإن يكْفرونا ما صَنعْنا إليهم ... فما كلّ مَنْ يُؤْتى الصّنيعة يشكر

---

(١) انظر: أَنساب الأَشراف ٥: ٣٥٥، ٣٧٦، والبيان والتبيين ١: ٣٠٠، والأَمالي ١: ١٥٩.

(٢) المؤْتلف والمختلف ص: ٤١ـ٤٢. وانظر بعض هذه الأَبيات في: حماسة البحتريّ ص: ١٦١.

(٣) صَقَعْنا: ضَرَبْنا.

(٤) الجأْواء: الكتيبة.

(٥) البيت زيادة من حماسة البُحتريّ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرّغم من تقريب عبد الملك بن مروان لليمانيّة واعْتِمادِهِ عليهم ، إلاّ أنّ ظروف السّياسة كانت تقتضي منه أحياناً أنْ يُوازن في علاقته بين القبائل القيسيّة والقبائل اليمانيّة ، فراح يتألّف قيْساً وهم أعداؤه ، ويُوحش كلباً وهم أنصاره ، حتّى إنّه عزل كثيراً من رجال كلب الذين كانوا يتولّون بعض أعماله ، وجعل أبْدالهم من قيس ، فأثار بسياسته هذه حفيظة شعراء كلب الذين هالهم أنْ يُسوّي الأُمويّون بين خصومهم وأنصارهم (١). فعاتب جوّاس بن القَعْطَل عبد الملك بن مروان على موقفه هذا عتاباً شديداً فقال (٢):

أعبد المليك ما شكرْتَ بلاءَنا ... فكُلْ في رخاء الأَمْنِ ما أنت آكِلُ
بجابية الجولان لولا ابنُ بَحْدَلٍ ... هَلكْتَ ولم ينْطِق لقومك قائل
فلما علوْتَ الشّام في رأْس باذخ ... من العزّ لا يسطيعُهُ المُتَناول
نفحْتَ لنا سَجْلَ العَداوة مُعْرِضاً ... كأنّك ممّا يُحْدِث الدّهرُ جاهل (٣)
وكنْتَ إذا أشْرفْتَ من رأْس هَضْبةٍ ... تضاءلْتَ إنّ الخائفَ المُتضائل
[فلما قذفْتَ الرُّعْبَ عنك لقيتَنا ... بوجْهٍ كوجْهِ اللّيث واللّيثُ صائل] (٤)
فلو طاوعوني يوم بُطْنان أُسْلِمت ... لقيس فروجٌ منكمُ ومَقاتل (٥)

فهو يخاطب عبدَ الملك بن مروان بلهجة عنيفة قاسية فيقول له : إنّك لم تحْمد بلاءَنا في نصْرك ، ولم تقابل انْقطاعنا إليك وقتالنا مع أبيك ببعض ما وَجَب لنا من حقّ عليك ، فكُلْ في ظلال الأَمْن والهُدوء ما أنت آكِله في دُنْياك غير مُدافَع ولا مُنازع ، فلولا حسّانُ بن مالك بن بَحْدَل الكلبيّ ودعوته لكم بجابية الجولان لهلكْتَ ولضاعت الخلافة

---

(١) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ٣ : ١٤٩٥ .
(٢) التّبريزي : شرح ديوان الحماسة ٤ : ٦٨ — ٧٠ . وانظر : حماسة البُحْتريّ ص : ١١٣ ، والمرزوقي : شرح ديوان الحماسة ٣ : ١٤٩٥ — ١٤٩٦ ، ومعجم البلدان : الجابية ، على اختلاف في الرّواية . ونُسِبت الأبيات إلى خِراش بن بحدل الكلبيّ في : تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنيّة) ٥ : ٢٩٦ . وانظر : مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٨ : ٣٩ .
(٣) السَّجْل : الدّلو إذا كان فيها ماء .
(٤) البيت زيادة من حماسة البُحْتريّ .
(٥) بُطْنان : هو بُطْنان حَبيب ، موضع وصل إليه عبد الملك بن مروان بعد أنْ قتل ناتل بن قيس الجُذاميّ . انظر : أنساب الأشراف ٥ : ١٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من قومك . ثمّ يشتدّ جوّاس في عتابه لعبد الملك ، فيتّهمه بالجُبْن ويلوّح له بالثّورة والتمرّد فيقول : لمّا ملكْتَ ماتريد واستويت على عرش الشّام في عزّ باذخ لا يقْدر على تناول مثله أحد ، اطّرحْتَنا وأعْرضْتَ عنّا ومنحْتَنا العداوة والبغضاء ، كأنّك جاهل بالدّهر ونكباته وأحداثه وتقلّباته (١) .

ويعود جوّاس بن القَعْطل إلى مُعاتبة الأُمويّين في مقطوعة أخرى ، هو فيها أدْنى إلى العتب وإظهار الأسى منه إلى التّهْديد والوعيد ، فيقول (٢) :

صَبَغتْ أُميّةُ بالدّماء رماحَنا ... وطَوت أُميّة دونَنا دُنياها (٣)

أأُميّ ربّ كتيبةٍ مَجْهولة ... صيد الكُماة عليكُمُ دَعْواها (٤)

كُنّا ولاةَ طِعانها وضِرابها ... حتّى تجلّت عنكُمُ غمّاها (٥)

فالله يجزي لا أُميّة سعْينا ... وُعلاً شدَدْنا بالرّماح عُراها

جئْتُم من الحَجَر البعيد نياطهُ ... والشّام تُنكِر كَهْلها وفَتاها (٦)

إذْ أقبلت قيس كأنّ عيونَها ... حَدَأ الكلاب وأظْهرت سيماها (٧)

يقول : لقد نَصرْنا بني أُميّة ودافعْنا أعداءَهم وعرّضْنا أنفُسَنا للقتْل والقتال حتّى رَويت قناتُنا من دماء خُصومهم ومُعارضيهم الكارهين لدولتهم ، فلمّا وضعت الحرب أوزارها ، وقنّعت الفِتَن رُؤوسها في أنحاء بلاد الشّام ، استبدّ بنو أُميّة بطيّ الدنيا وزيّها ، وفازوا بأعراضها من دوننا . ثم أخذ يُذكّرهم بمواقف قبيلته معهم قائلاً : ربّ كتيبة مجهولة الشّأن لم تستطيعوا الوقوفَ في وجْهها ولا صَرْفَ شرّها . قد تولّينا قراع أبطالها الأشدّاء دفاعاً عنكم حتّى زال بلاؤُها وانكشف عنكم غمُّها (٨) ، فإن تُنكِروا ما فعلناه لكم فإنّ الله تعالى سيجزي بلاءنا وحُسن سعْينا خيراً .

---

(١) المرزوقيّ : شرح ديوان الحماسة ٣ : ١٤٩٥ — ١٤٩٦ .

(٢) التبريزي : شرح ديوان الحماسة ٤ : ٧٠ — ٧٢ . وهي في حماسة البحْتريّ ص : ١١٢ — ١١٣ ، وفي المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ٣ : ١٤٩٧ — ١٤٩٨ على اختلاف في الرواية . وانظر : أدب السياسة في العصر الأموي ص : ٤٧٣ .

(٣) البيت في : عيون الأخبار ٣ : ١٩ دون عزو ، ومحاضرات الأدباء ٣ : ١٥ دون عزو أيضاً .

(٤) صيد الكماة : أي أبطالها ذوو كبر وتيه . وعليكم دعواها : أي معاريةٌ لكم .

(٥) غمّاها : كرْبها .

(٦) أراد بالحجر : الجنس ، والمراد : جئْتُم من المكان الكثير الحجر . ومن بلاد الحجر : يعني الحجاز . ويروى : من الحِجز (بالزاي) : أي الحجاز . انظر : المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ٣ : ١٤٩٨ — ١٤٩٩ . والبعيد نياطه : البعيد مُعلّقه . وقوله : " والشام تنكر كهلها وفتاها " : أي لم يكن الأمويّون من أهلها فاستغربتْهم .

(٧) يريد : أظهرت سيما الكلاب في إقبالها .

(٨) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ٣ : ١٤٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال أبو الخطّار الكلبيّ (١) يُعاتِبُ بني مروان بن الحَكَم ويُحذّرُهم الاستمرارَ في تَجاهُلِ قبائل اليمن والازورار عنها (٢) :

أقامَت بنو مروان قيْسًا دماءَنا ... وفي اللّه إنْ لم يُنْصِفوا حَكَمٌ عَدْلُ
كأنّهُمُ لم يَشْهَدوا مرْجَ راهِطٍ ... ولم يَعْلَموا مَنْ كانَ تَمَّ له الفَضْل
وقيناكُمُ حَرَّ القَنا بنُفوسِنا ... وليسَ لكُم خيْلٌ سِوانا ولا رَجْل
فلمّا رأيْتُم وافدَ الحَرْب قد خَبا ... وطابَ لكم منْها المَشارِبُ والأَكْل (٣)
تَغافَلْتُم عنّا كأنّا لم نكن لكُم ... صَديقًا وأنْتُم ما علمتُ لها فُعْل
فلا تَعْجلوا إنْ دارت الحَرْبُ دَوْرةً ... وزلّتْ عن المَوطاة بالقَدَم النَّعْل
[فَينْتقضُ الحَبْلُ الذي قد فتلْتُم ... ألا رُبّما يُلوى فَينْقضُ الحَبْل] (٤)

---

(١) هو أبو الخطّار حسام بن ضرار بن سَلامان الكلبيّ ، من أهل دمشق ، أمير الأندلس وليها سنة (١٢٥هـ) من قِبَل حنْظلة بن صَفْوان الكلْبيّ والي إفْريقية لهشام بن عبد الملك ثمّ للوليد بن يزيد . ويُقال : إنّ أهلَ الأندلس كتبوا إلى حَنْظلة بن صَفْوان يَسْألونه أنْ يَبْعَثَ إليهم والياً يجتمعون عليه ، فبعث أبا الخطّار هذا ، فانتقل إليها من تُونس وأقام بقُرْطُبَة ، وكثُر أهلُ الشّام عنده ففرّقهم في البلاد . وقد دانت له الأندلس جَمْعاء إلى ولاية مروان بن محمّد آخر خلفاء بني أميّة . وكان أبو الخطّار شاعرًا فصيحًا شُجاعًا ، أعرابيًا عَصَبيًّا ، تعصّب لليمانيّة فأسْخَط المضَريّة ، فثاروا عليه وخلعوه من الإمارة فلحق بباجة ثمّ هُزم بعد ذلك وقُتِل حوالي سنة (١٣٠هـ) انظر : المؤتلف والمُختلف ص: ٢٣ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنيّة) ٤ : ٢٠١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٧٥ ، ٤٩١ ، والحلّة السّيراء ص: ٦١ ، ونفح الطيب ١ : ٢٣٧ ، ٣ : ٣٢ ، وموتلف مجهول : أخبار مجموعة ص: ٤٥ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ١٥٠ .

(٢) كتاب الوحْشيّات . ص: ٤٢ — ٤٣ . وانظر : الحماسة الشّجَريّة ١ : ٩ — ١٠ ، وتاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنيّة) ٤ : ٢٠١ ، والحلّة السّيراء ١ : ٦٤ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ١٥٠ — ١٥١ . وهي في : حماسة البُحتريّ ص: ١١١ ، ونُسبت إلى بِشْر بن صَفْوان الكلبيّ في الحماسة البَصْريّة (تحقيق د . عادل جمال سليمان) ١ : ٢٦٧ . وفي : الحماسة البصريّة (عالم الكتب بيروت) ١ : ٨١ وقَع خلط بين اسمي الشاعرَيْن هكذا : " وقال أبو الخطّار بشْر بن صَفوان الكلابيّ " . وانظر بعض هذه الابيات في : أنساب الأشراف ٥ : ١٤٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٧٢ ، والبيان المُغْرب ١ : ٥٠ — ٥١ .

(٣) ويُروى : وطاب لكم فيها . أي في الشّام .

(٤) البيت زيادة في الحُلّة السّيراء ١ : ٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد اختُلِفَ في مناسبة هذه الأبيات، فقيل: إنَّ أبا الخطّار قالها، لأنَّ هشام بن عبد الملك صَرَفَ بِشْرَ بنَ صَفْوان الكَلْبيّ عن ولاية إفْريقية. وولّاها عُبَيْدَةَ بنَ عبد الرحمن السُّلميّ، فوجدت اليمانيّة لذلك. وكان عُبَيْدَةُ أخذَ عُمّالَ بِشْر بن صَفْوان وأصْحابَه فحبَسَهُم وأغْرَمَهم وعذّبَ بعضَهُم، ومنهم أبو الخطّار الكَلْبيّ الذي عزله عُبَيدةُ ونكّلَ به (١). ويُقال: بل إنّه قالها لمّا تتابَعَ وُلاةُ إفْريقية والأنْدلس من قيس، فقال هذا الشّعر يُعاتبُ الأُمويّين ويُذكّرهم فيه بيوم مَرْج راهط وما كان فيه من بلاء كلب مع مروان بن الحكم، فلمّا بلغَ الشّعرُ هِشامَ بنَ عبد الملك أمر حنْظلةَ بنَ صَفْوان الكَلْبيّ عاملَه على إفْريقية أنْ يُولّي أبا الخطّار الأنْدلس(٢). وهي على كلّ حال تكشِفُ عن سُخْطِ الشّاعر على الأُمويّين، وشُعورِه بالفَجيعة، لتنكّرهم للقبائل اليمانيّة، وإيثارِهم ظُهورَهم لها، مُتجاهِلين مواقِفَها معهم ونُصْرَتَها لهم.

ويذكُرُ أبو الفَرَج الأصْفهانيّ (٣) أنّ شَبيبَ بنَ يزيد بن النُّعْمان بن بشير كان شاعراً مُكْثِراً مُجيداً، وأنّ له قصيدةً طويلةً عاتبَ فيها الأُمويّين على اخْتِلاف أمْرِهم، وعدمِ اسْتماعهم إلى مَنْ يَعِظُهم ويَنْصَحُهم، ومُقاتلةِ بعْضِهم بعضاً في أيّام الوليد بن يزيد ومَقْتَلِه مطلعها:

يا قلبُ، صبْراً جميلاً لا تَمُتْ حَزَنا ... قد كُنْتَ من أنْ تُرى جَلْدَ القُوى قَمِنا

يقول فيها:

بل أيُّها الراكبُ المُزْجي مطيَّتَه ... لُقِّيتَ حيْثُ توجَّهْتَ الثّنا الحَسَنا
أبْلِغْ أُميّةَ أعْلاها وأسْفلَها ... قَولاً يُنفّرُ عن ألْبابِها الوَسَنا
أنّ الخلافةَ أمْرٌ كان يُعْظِمُه ... خيارُ أوّلكُم قِدْماً وأوّلنا

---

(١) الحلّة السّيراء ١: ٦٤، ٦٦، والبيان المُغْرب ١: ٥٠.
(٢) الكامل في التاريخ ٥: ٢٧٢–٢٧٣، والحلّة السّيراء ١: ٦٥.
(٣) الأغاني ١٦: ٣٠. وانظر: تاريخ آداب اللّغة العربيّة ١: ٢٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا يتبيَّنُ لنا أَنَّ شعراءَ القبائل اليمانيّة الشاميّة نَظَموا شعراً عتابيّاً هو من نوع العتاب السياسيّ الذي يكشفُ عن نُصْرة قبائلهم لبني أُميَّة، ويُصوِّرُ دالةَ هذه القبائل على خُلفاء الأُمويّين، وشُعورها بأَنَّ الدّولةَ قامت على أَكْتاف رجالها، كما يُصوِّر غضبَ تلك القبائل وتذمُّرها وإِحْساسَها بالخَطَر الذي يتهدَّدُ وُجودَها ومصالِحَها في الشّام كُلّما قرَّب الأُمويّون غيرَها من القبائل العربيّة الأُخرى، أَو حاولوا أَنْ يُقيموا تَوازُناً في المناصب الكبرى بينها وبين القبائل القيْسيّة، وإِذا اسْتَثْنينا قصيدة شبيب بن يزيد بن النّعمان فإِنّنا نُلاحظ أَنَّ شُعراءَ هذا النَّوع من العِتاب هم من قبيلة كلب، وأَنَّ فَحْوى عتابِهم هو بَيانُ تَضْحيات الكلبيّين في معركة مَرْج راهط خاصّة في سبيل تَثْبيت حُكْم بني أُميَّة، ثمَّ شُعورُهم بالفَجيعة، لأَنَّ الأُمويّين تنكَّروا لهم فلم يُكافِئوهم المكافأَةَ الحَسنة التي كانوا يتوقَّعونها بعد اسْتِتْباب الأَمْن في أَرْجاء الدّولة.

ونُلاحظُ أَيضاً أَنَّ شُعراءَ قبيلة كلب صاغوا شِعْرَهم العتابيّ في مقطوعات مُسْتقلّة، وأَمّا شبيب بن يزيد فإِنَّه سار على طريقة الشّعراء الجاهليّين فابْتَدأَ قصيدَته بالغَزل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثامناً : الحنيـــــن

لم نَعْثُر لشعراء القبائل اليمانيّة الشاميّة في العصر الأُمويّ في الحنين إلاّ على قصيدة واحدة لميْسون بنت بَحْدل الكلبيّة(١) ، وذلك أنّها لمّا تزوّجت مُعاوية بن أبي سُفيان ، نَقَلها من بادية كلب إلى ريف دمشق ، وكانت ذاتَ جمال باهر وحُسْن غامر ، فأُعْجِبَ بها معاوية وهيّأ لها قصْراً فَخْماً يُشرف على الغُوطة ، وزيّنه بأنواع الزّخارف ووَضَع فيه ما يُلائمه من أَوانيّ الذّهب والفضّة ، ونَقَل إليه من الدّيباج الرّومي المُلوّن والموشّى ما يليقُ به ، ثمّ أَسْكَنها مع وصائفها اللّواتي يُشبِهْنَ الحُورَ روعةً وجمـــالاً ، فلبِسَت ميْسونُ يوماً أَفخرَ ثيابِها ، وتزيّنت بما أُعِدَّ لها من الحليّ والجَوْهر . وجلسَت في رَوْشَنِها وحولها وصائفها ، فنَظرت إلى الغُوطة وأَشْجارِها ، وسَمِعت تَجاوُبَ الطّيور في أَوكارها ، وشَمّت نسائمَ الأَزهار ورَوائحَ الرّياحيـــن والنّوار ، فتذكّرت قومَهـــا وحنّت إلى أَتْرابِها وأُناسِها ، فقال لها مُعاوية : أنتِ في مُلْكٍ عظيم وما تَدْرين قَدْرَه وكُنْتِ قبلَ اليوم في العَباءَة(٢) ، فقالت تتشوّقُ إلى البادية وتُفَضّل شقاءَها علـــى حضارة دمشـــق ورَخائها ، وتُقارِنُ بين بيئـــة البادية وبيئة المدينـــة ، فتفضّل البَدْو على الحضَر ، وتُفضّـــل خُشونـــةَ عيْشِهـــم ولباسَهُم وحيواناتهـــــم علـــى رَغَـــــدِ عيـــْـــش الحَضَـــــر ولباسِهـــــــم

---

(١) هي ميْسون بنت بَحْدل بن أُنَيْف بن رِلْجة بن قُنافة الكلبيّة . زوج معاوية بن أبي سُفيان وأُمّ ابنه يزيد . كانت امرأةً لبيبة ورعة . انظر : تاريخ الرســـل والملوك ٥ : ٤٩٩ ، والتّنبيه والإشراف ص : ٢٦٢ ، وتاريخ مدينة دمشق (تراجم النّساء) ص : ٣٩٧ ، والحدائق الغنّاء في أخبار النّساء ص : ٣٣ — ٣٥ . والبداية والنّهاية ٨ : ١٤٥ ، وخزانة الأدب ٨ : ٥٠٥ ، والأعلام ٧ : ٣٣٩ .

(٢) الأَشْباه والنظائر ٢ : ١٣٧ ، والحماسة الشّجريّة ٢ : ٥٧٣ ، وتاريخ مدينة دمشق (تراجم النّساء) ص : ٤٠١ ، وشرْح المفصّل ٧ : ٢٥ ، وحياة الحيوان الكبرى ٢ : ٢٥١ ، وخزانة الأدب ٨ : ٥٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحَيواناتهم(١) :

لَبيْتٌ تخفق الأَرْواحُ فيـــه ... أَحبُّ إِليَّ من قَصْرٍ مُنيـــف(٢)
وَبكْرٌ يتْبَعُ الأَظْعانَ سَقْبـــاً ... أَحبُّ إِليّ من بَغْلٍ زَفُـــوف(٣)
وكلبٌ يَنبَحُ الطُّراقَ عنّـــي ... أَحبُّ إِليَّ من قِطٍّ أَلِـــــوف
ولُبْسُ عَباءَةٍ وتقرَّ عيْنـــــي ... أَحبُّ إِليَّ من لُبْسِ الشُّفـوف(٤)
وأَكْلُ كُسَيْرَةٍ في كِسْرِ بيْتـــي ... أحبّ اليّ من أَكْلِ الرَّغيـــف(٥)
وأَصواتُ الرّياح بكلّ فَـــجٍّ ... أَحبُّ إِليَّ من نَقْرِ الدُّفـــوف(٦)

---

(١) خزانة الأدب ٨ :٣٠٥ـ٥٠٤. وانظر القصيدة كاملةً في : شرْح المفضّل ٧ :٢٥، وغُرر الخصائص الواضحة ص: ٣٥، وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ص: ١٥٧ـ ١٥٨. وانظر أبياتاً منها في : الأَشْباه والنظائر ٢ :١٣٧، والحماسة الشّجريّة ٢ :٥٧٣. والحَريري :درّة الغوّاص في أَوهام الخواص ص: ٢٤، وتاريخ مدينة دمشق (تراجم النّساء) ص: ٣٩٩ـ٤٠١، والحدائق الغنّاء في أخبار النّساء ص: ٣٤، ٣٥، ولسان العرب : مادّة : مَسَن، والمخْتصر في أخبار البشر ١ :١٩٢ـ١٩٣، وحياة الحيوان الكبرى ٢ :٢٥١، ولويس شيخو : شعراء النّصرانيّة بعد الإسلام ص: ٦٣ـ٦٤، وأعلام النّساء ٥ :١٣٦ـ١٣٧. ونسب ابن طيفور بعض هذه الأبيات إلى امرأة من ولد طلْبة بن قيس بن عاصم المِنْقريّ. انظر : بلاغات النّساء ص: ١١٦.

(٢) الأَرْواح : جمع ريح كالرّياح. والمُنيف : العالي.

(٣) البَكْر : الفتيّ من الإبل. والزّفوف : السّريع.

(٤) الشّفوف : جمع شِفّ وشَفّ بكسر الشّين وفتحها : الثّوب الرّقيق. والبيت من شواهد النّحاة. انظر : سيبويه : الكتاب ١ :٤٢٦، والمبرّد : المقتضب ٢ :٣٦، والجُمل في النّحو ص: ١٨٧، وابن هشام : أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك ٣ :١٨١، وابن هشام : مُغْني اللّبيب ١ :٢٦٧، وابن هشام : شرْح قطر النّدى وبلّ الصّدى ص: ٦٥، وابن جني : سرّ صناعة الإعراب ١ :٢٧٣ وابن جنّي : المُحْتسب في تبْيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها ١ :٣٢٦ وابن الشّجري : الأمالي الشّجريّة ١ : ٢٨٠، وشرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك ٢ : ٣٥٨. وهو الشّاهد الوحيد الذي استشْهد به بعض نُحاة القرن الثّاني الهجري من شعر هذه القبائل.

(٥) كُسَيْرة : تَصْغير كِسْرة : الخُبز. والكِسْر : طرف الخِباء من الأرض.

(٦) الفَجّ : الطّريق الواسع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخِرْقٌ من بني عمّي نَحيـــــفٌ ... أَحبُّ إليَّ من عِلْجٍ عَليـــف(١)
خُشونةُ عيْشَتي في البَدْو أَشْهى ... إلى نَفْسي من العَيْش الطَّريف
فما أَبْغي سوى وَطَني بَديـلاً ... فَحسْبي ذاكَ من وطَنٍ شَريف

ويُقال : إنَّ مُعاوية طلّقها بعد سماعه هذه الأبيات. وأَرْسَلها إلى أَهْلِهـــا وهي حامِل ، فأَنْجَبت ابْنَه يزيد بن مُعاوية.

وإذا تجاوَزْنا بقصيدة ميْسون حُدودَ التَّجْربة الذاتيّة، فإنّنا نَجِدُها تُعبِّر عن شُعور الإنْسان العربيّ بالقَلَق والتَّذَبْذُب بين نَمط حياته البدويّة وبين التطوّر الحضاريّ الذي أَصاب المُجْتَمع في العصر الأُمويّ.

---

(١) الخِرْق : الكريم، والعِلْج : الصُّلْب الشَّديد . والعَليف : المُسمَّن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تاسعاً : الحِكَم والآداب والمَواعِظ

معظم ما وصل إلينا من شعر هذه القبائل في الحِكَم والآداب والمواعظ هو للشاعر الحكيم صالح بن جَناح اللَّخْميّ (١) الذي يبدو أنّه اختصّ في هذا الفنّ من الشعر فاسْتفْرَغ شعره فيه، إذْ نَظَم شعراً في ذِكْر الهَوى، وفي العَقْل والأدب، وفي طَلاقَة الوجْه وحُسْن الخُلُق والكذب، وفي الرُّفَقاء في السَّفَر، وفي الجَهْل والنَّهْي عن القَبيح، والمُواخاة والمُداراة، والإعْسار والإيْسار، ومُجالسة أَهْل الأَهْواء، والبِدَع والنَّميمة، وتأْديب النَّفْس وغير ذلك (٢).

فمِنْ حِكَمه : قولُه في الأَحْمق الذي لا يَفْهم إنْ حدَّثْتَه، ولا يَفْقَه إنْ أَفْهمْتَه، ولا يَقْبلُ وَعْظَك إنْ وعظْتَه، فالحُمْق داءٌ ليس له دَواء (٣) :

المرءُ يُصْرَعُ ثمَّ يشْفى داؤُه ... والحُمْق داءٌ ليس منه شِفاءُ
والحُمْقُ طَبْعٌ لا يَحولُ مُرَكَّبٌ ... ما إنْ لأَحْمَقَ فاعلَمَنَّ دَواء

وقوله فيمَن فعل أَمراً لا يُحْسِنُ أَنْ يَحْتالَ له : اعْلَم أَنَّ القتالَ لا يكونُ بغير عُدَّة، والخِصام لا يكونُ بغير حُجَّة، والصِّراع لا يَحْسُن بغير قوَّة، فإن ابْتُليتَ بقتال أَحد، أَوْ مُخاصَمته، أَو صراعه، فأَحْسِن له العُدَّة، واعرف عُدَّته، وأَبْصِر حُجَّته واخْتبِر قُوَّته، فإن رأَيْتَ تقدُّماً وإلاّ كان التأَخُّر قبل النَدَم خيْراً من النَّدَم بعد التقدُّم، وفي ذلك يقول (٤) :

إذا ما أَرَدْتَ الأَمْر فاعْرِفْهُ كلَّه ... وقِسْهُ قياسَ الثَّوب قبل التقدُّمِ
لعلَّكَ تنْجو سالماً من نَدامةٍ ... فلا خيرَ في أَمْرٍ أَتى بالتَّندُّم

وقوله في الجَهْل : إيّاك والجَهْل فإنّما تَجْهل على ثلاثة : رجل هو أَعزُّ منك، ورجل أَنت أَعزُّ منه، ورجل أَنت وهو في العِزّ سواء. فأَمّا جَهْلُك على مَنْ هو أَعزّ منك فحَيْف.

---

(١) هو صالح بن جَناح اللَّخْميّ الشاعر، أَحد الحُكَماء. وهو ممَّن أَدْرك الأَتْباع بلا شك، وكلامه مُسْتفاد في الحكمة والمواعظ والآداب. وذكر ابن عساكر أنّ الجاحظ قال عنه : إنّه شاعر دمشقي، بينما ذكر المَرْزُباني أنّه كوفيّ. والجاحظ أقدم.
انظر : تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأردنيّة) ٨ : ٩٦–٩٨، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٦٩، ود. إبراهيم السّامرائيّ : من الضائع من معجم الشعراء للمَرْزُبانيّ ص : ٧٧.

(٢) انظر : رسائل البُلَغاء ص : ٣٨٥–٤٠٣.

(٣) نفسه ص : ٣٨٨.

(٤) نفسه ص : ٣٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمّا جَهْلُك على مَنْ أنت أعزّ منه فلُؤْم، وأمّا جَهْلُك على مُساويك في العزّ فهِراش مثل هِراش الكلْبيْن اللّذيْن لن يَفْترقا إلاّ مَفْضوحَيْن أو مجْروحَيْن، وليس هذا من فِعْل الحُكماء والعُلَماء، فالحَليم رَزين والجَهول ناقص. وفي ذلك يقول (١) :

ماتمّ عِلْمٌ ولا حِلْمٌ بـــلا أدَبٍ ... ولا تَجاهُلَ في قوْمٍ حَليمـــانِ

ولا التّجاهل إلاّ ثوبُ ذي دَنسٍ ... وليس يلْبَسُه إلاّ سَفيهـــان

ومن قوله في آداب الرأْي والمُشاوَرة : إذا اسْتُشيرَ قوْمٌ أنتَ أحدُهم فكُنْ آخرَ مَنْ يُشير، فإنّه اسْلَمُ لك من التّلَف، وأبعد لك من الزّلل، وأمكن لك من الفِكر، وأقرب لك من الحَزْم، وفي ذلك يقول (٢) :

ومن الرّجال إذا زكَت أحْلامُهُـم ... مَنْ يُسْتَشارُ إذا اسْتُشيرَ فيُطْـرِقُ

حتّى يجولَ بكلّ وادٍ قَلْبُـــهُ ... فيَرى ويَعْرفُ ما يقول فينْطِـــقُ

إنّ الحَليمَ إذا تفكّر لم يكـــد ... يَخفى عليه من الأُمور الأَوْفَـــقُ

وقوله في مُعاملة ذي الوَجْهين : إنّ مَنْ أظْهَر لكَ ما تُحِبّ أو تكْرَه، فإنّما يُقاسُ ما أضْمَره بما أظْهَره لك من مَحبّةٍ أوْ كَراهية، لأنّك لا تَسْتَطيع أنْ تَعْرفَ ما في سِرّه، وفي ذلك يقول (٣) :

ليس المُسيءُ إذا تغيّبَ سـوْءُه ... عِنْدي بمَنْزلة المُسيءِ المُعْلِـنِ

مَنْ كانَ يُظْهِرُ ما أُحِبُّ فإنّـــه ... عِنْدي بمَنْزلة الأَمير المُحْسِـــن

واللّه أعلمُ بالقلوب وإنّمـــا ... لكَ ما بَدا لكَ منهُمُ بالألْسُـــن

ولقد يُقالُ خِلافَ ذلك إنّمـــا ... لكَ ما بدا لك منهُمُ بالأَعْيُـــن

ولمّا كان في النّاس مَنْ يَجْهلُ إذا حَلمْتَ عنه، ويَحْلُم إذا جَهِلْت عليه، ويُقابل الإحْسانَ بالإساءَة، والإساءَةَ بالإحْسان، والإنْصافَ بالظُّلْم، والظّلمَ بالإنْصاف، فلا بدّ من خُلُـــقٍ يُنْصِفُك من خُلُق هذا النوْع من البَشَر، ولا بدّ لك من قِحَة تُنْصفك من قِحته، وجَهالة تحدّ من جَهالته، وإلاّ أذلّكَ لأنّ بعضَ الحِلْم إذْعان، وقد ذلّ مَنْ ليس له سَفيه يَعْضُـــدُه

---

(١) رسائل البُلغاء ص: ٣٩٦.

(٢) نفسه ص: ٤٠١.

(٣) نفسه ص: ٣٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وضلّ من ليس له حكيم يُرشده (١) . وقد رَسَم صالح بن جَناح أُسْلوبًا للتّعامُل مع مَنْ كان هذا خُلُقه في قوله (٢) :

لئنْ كُنْتُ مُحْتاجًا إلى الحِلْم إنّني ... إلى الجَهْلِ في بعض الأحايين أَحْوَجُ
ولي فَرَسٌ للحِلْم بالحِلْم مُلْجَمٌ ... ولي فَرَسٌ للجَهْل بالجَهْل مُسْرَج
فَمن شاءَ تَقْويمي فإنّي مُقَوَّمٌ ... ومَنْ شاءَ تَعْويجي فإنّي مُعَوَّج
وما كُنْتُ أَرْضى الجَهْلَ خِدْناً ولا أَخاً ... ولكنّني أَرْضى به حين أُحْرَج
فإنْ قالَ بعضُ النّاس فيه سَماجَةٌ ... فقد صَدَقوا والذُّلُّ بالحُرِّ أَسْمَج

ومن مَواعظه قوله (٣) : اعْتَبِرْ ما لم تَرَه من الدُّنْيا بما قد رأَيْتَه ، وما لم تَسْمَعْهُ بما سَمِعْتَه ، وما لم يُصِبْكَ بما أَصابكَ ، وما بقيَ من عُمرك بما مَضى ، وما لم يَبْل منك بما بلي ، واعلم أنّه :

إنّما الدُّنْيا نهارُ ... ضوؤُه ضوءٌ مُعارُ
بَيْنَما غُصْنُكَ غَضٌّ ... ناعِمٌ فيه اخْضِرارُ
إذْ رَماهُ زَمَناه ... فإذا فيه اصْفِرارُ
وكذاكَ اللّيلُ يأتي ... ثُمّ يَمْحوهُ النّهارُ

فهذه صِفَة الدُّنيا ، وما لم أَصِف منها أَدْهى وأَمَرّ ، فما أَصنعُ بأَمْرٍ إذا أَقْبل غَرّ وإذا أَدْبَر ضَرّ ؟ !.

ويحُثُّ صالح بن جَناح على التفكُّر فيما بعد الموت ، والاسْتِعْداد للحِساب فيُنْشِد (٤) :

نَموتُ ونُنْسى غيرَ أَنّ ذُنوبَنا ... إذا نحنُ مِتْنا لا تموتُ ولا تُنْسى
أَلا رُبَّ ذي عَيْنَيْن لا تَنْفَعانِه ... وهل تَنْفَع العَيْنان مَنْ قَلْبُه أَعمى ؟ !

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٦٩ .
(٢) تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ٨ : ٩٧ . وانظر الأَبيات في : العَبْدلْكاني : حَماسة الظّرفاء ١ : ٧٢–٧٣ دون عزو ، والحماسة البَصريّة (عالم الكتب بيروت) ١ : ١٥–١٦ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٦٩ . ونَسَب ابنُ قُتَيبة الأَبيات إلى مُحمّد بن وُهَيْب . انظر : عيون الأَخبار ١ : ٢٨٩ . ونَسَبها الوطواطُ إلى عليّ بن أَبي طالب كرّم اللّه وجْهه . انظر : غُرَر الخصائص الواضحة ص : ٣٩٥ . وانظر بعض هذه الأَبيات في : قُدامة بن جَعْفر : نقد الشعر ص : ١٥٥ ، وبَهْجة المَجالس ١ : ٦٢٠ ، ومُحاضرات الأُدباء ١ : ٢٤١ ، دون عزو ، والمُسْتطرف ص : ١٧٢ دون عزو ، وحياة الحيوان الكبرى ١ : ١٩٩ دون عزو .
(٣) نفسه ٨ : ٩٧ ، ورسائل البُلغاء ص : ٣٩٨ .
(٤) تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ٨ : ٩٧ ، ورسائل البُلغاء ص : ٣٩٨ . وانظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنها قوله : إنّ طولَ الصّمت ومشيَ القَصْد من أخلاق الأتقياء ، وإنّ كثرة الكلام ومشي الخُيَلاء من أخلاق الأشقياء ، فإذا ما مشيْت فوق الأرض، فاذْكُر مَنْ تحتها وكيف كانوا فوقها ، ثمّ حلّوا بَطْنَها ، واعلمْ أنّ الإنسانَ قويّ مالم تُصِبْهُ أدنى شوكة وأدنى مَرَض، فإذا أصابَه شيءٌ من ذلك ، فهو أهْونُ من الذّرّة، وأمْهَنُ من البعوضة، فلا تغترّ بتجبّره وتكبّره ، واسْتطالَتِه وتغرّعُنه ، ثمّ يقول (١) :

ولا تَمْشِ فوقَ الأرض إلاّ تواضُعـــاً ... فكم تحتَها قوم همُ منك أرفـــعُ
فإنْ كُنْتَ في عزّ وحِرْزٍ ومَنعَـــةٍ ... فكم طاحَ من قوم همُ منك أمْنَـــعُ

أمّا ما سوى صالح بن جَناح من شُعراء القبائل اليمانيّة الشّاميّة في العصـــر الأمويّ ، فإنّ ما وَصل إلينا من شعرهم في هذا الفنّ قليل . ومنه قول الأُقَيْبِل القَيْنيّ(٢) :

إذا صَفْحةُ المَعْروفِ ولّتكَ جانبـاً ... فُخُذْ صَفْوَها لا يَخْتلط بك طينُهـا
إذا كانَ في صَدْرِ ابن عمّك حِشْنةٌ ... فلا تَسْتَثِرْها سوفَ يبدو دَفينُهـا (٣)
متى ما يَسُؤْ ظنّ امْرِئٍ في صَديقـه ... يُصدِّق بلاغاتٍ يَجي يُقينُهـــا

فهو يقول : عامِلْهُ على ظاهر عَيْبه ، ولا تَسْتَثِرْ ما يُخْفيه صَدْرُه ، فإنّ الأيّام ستُبْدي لك ذلك في بعض أحْواله وأفْعاله . وإنّ الإنسانَ إذا ساءَ ظنُّه بصديقه ، فإنّه يُصدّق كلّ شيءٍ يَبْلُغُه عنه .

ومنه قول عديّ بن الرّقاع العامليّ يُعْلِنُ أنّ ثمّةَ فوارق بين بني البَشَر ، وأنّهم يَختلفون في أخْلاقِهم وشِيَمِهم وأعْمالِهم ، وإن تشابَهوا في هيْئاتِهم وصُورِهم(٤) :

والنّاسُ ليسوا يَسْتَوونَ فمنهُـــمُ ... ورعٌ وآخرُ ذو نَدى وغنـــاءِ (٥)
والناس أشْباهٌ وبين حُلومِهِـــم ... بَوْنٌ كذاك تَفاضُل الأشْيـــاءِ
كالبَرْقِ منهُ وابلٌ مُتتابِـــعٌ ... جَوْنٌ وآخر ماينوءُ بمِـــاءِ

---

(١) رسائل البلغاء ص : ٤٠٠ .
(٢) سمط اللآلئ ص : ٩٠٤ . وانظر بعض هذه الأبيات في : المؤْتلف والمُخْتلف ص : ٢٥ ، ولسان العرب : مادّتي : أحـنَ ، وحَشن .
(٣) في بقية المصادر : إحْنة بدلاً من حِشْنة . والإحْنة والحِشْنة : الحقد . وهذا البيت ورد منسوباً إلى مَعْروف بن عمرو الطائيّ في : حماسة البُحتري ص : ١٨ ، ولِولى أبي الطّمحان القينيّ في : أمالي المُرتضى ١ : ٢٥٩ ، وبهجة المجالس ١ : ٧٨٦ . وورد مع بيت آخر في : الحماسة البصريّة (عالم الكتب — بيروت) ١ : ٦٤ دون عزو .
(٤) الدّيوان ص : ١٦٣ .
(٥) وَرع : جَبان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله يتحدّث عن حقيقة الموت والفناء، ويصدر في حديثه عنها عن فَهْم إسلاميّ لها، فالموتى لا يرْجِعون، والحياة لا تَدوم لإنسان، وإن تَقلّب في لذّاتها وانْغَمَس في مُتَعِها حيناً، والأَجَلُ مُنْقَضٍ لا مَحالة، وساعة انْقِضائه لا تَسْتقْدِم ولا تَسْتأْخِر(١):

وما تَرى مَيّتاً يَحْيا فتسأَلَه ... ولا الشَّبابُ إلى ذي شَيْبةٍ رَجَعا
وما يُؤَخّر موتاً عاجِلاً هَرَبٌ ... ولا تَعَرّض بأْسٌ زادَهُ سَرَعا
وما الحياةُ لإنْسيٍّ بدائمَةٍ ... ولو تزوّدَ من لذّاتها مُتَعا

وقول أبي الخَطّار الكَلْبيّ يدعو إلى اخْتِيار الصّديق بالاعْتِماد على أَمْرَيْن: الحَسَب والدّين. ثمّ يُقرّر أَنّ ما قدّر اللّه عليه في مالِه وولَدِه لا بدّ أَنْ يَقع(٢):

إذا اتّخذْتَ صديقاً أَو هَمَمْتَ به ... فاعْمَد لذي حَسَبٍ إنْ شِئْتَ أَو دِينِ
ما يقدُر اللّه في مالي وفي وَلَدي ... لا بدّ يُدْرِكُني لو كنْتُ بالصّينِ

ونلْمسُ بعد أَنْ مثّلْنا على ما نَظَمه شُعراءُ القبائل اليمانيّة الشّاميّة في الحِكَم والآداب والمواعظ، أَنّ الشعراء كانوا يصوغون حِكَمَهُم ومواعِظَهُم في أُسلوب واضح بسيط، وفي أَبيات قليلة، لأَنّها تُمثّل خُلاصة تجاربهم وخِبْرتهم في الحياة.

---

(١) الديوان ص: ٢١٨. وانظر ص: ٢٤١.
(٢) الحلّة السّيراء ١: ٦٥–٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عاشراً : موضوعـــات أُخْـــرى

وثمّةَ موضوعات آخران طَرَقها شُعراءُ القبائل اليمانيّة الشّاميّة في العصر الأُمويّ هما : طَلَبُ الأَمان والتّهْنِئَة.

فأمّا طَلَبُ الأَمان فمنه قول الأُقَيْبِل القينيّ ، لمّا هجا الحجّاجَ بنَ يوســـف فَطَلَبه ، فعاذَ بقبْرِ مروان بن الحكم (١) :

إنّي أَعوذُ بقبْرِ لسْتَ مُخْفِـــرَه ... ولا أَعوذُ بقَبْرٍ بعدَ مروانـــا

فقال له عبد الملك : وأَنا لا أُعِيذُ به أَحداً بعدك . وأَمر كاتِبَه أَنْ يكتبَ له إلى الحجّاج بأَنْ يُمْسِكَ عنه ، ويُعْلِمَه أَنّه قد آمنه . فقال له قومه : إنّك إِنْ أَتيتَ الحجّاجَ قتلك ، فطَـــرح الكتاب وهرب.

ومنه قول بَيْهس بن صُهَيْب الجَرْميّ ، بعد أَنْ اتُّهم بقَتْل غُلامٍ من قيس ، فعاذ بمحمّد ابن مروان بن الحكم واسْتَجاره ، فأَجاره إلاّ من حَدٍّ تُوجِبُه عليه شهادة ، فرَضي بذلك (٢) :

فإنّي والعقاب وما أُرَجّـــي ... لكالسّاعي إلى وَضَح السَّـــراب

فلمّا أَنْ دَنا فَرَجٌ بربّـــي ... يُكشّف عن مُخفّقة يبَـــاب (٣)

من البُلْدان ليس بها غريـــبٌ ... تَخُبُّ بأَرْضِها زُلُّ الذّئـــاب (٤)

وظنّي بالخليفة أَنّ فيـــه ... أَماناً للبريءِ وللمُصـــاب

وأَنّ مُحمّداً سيَعودُ يومـــاً ... ويَرْجِعُ عن مُراجَعةِ العتـــاب

فيجبر صِبْيتي ويحوط جـــاري ... ويُؤْمنُ بعدها أَبداً صِحابـــي

هو الفَرع الذي بُنيتْ عليـــه ... بُيوتُ الأَطْيبَين ذوي الحِجـــابِ

فلم يزل محمّد بن مروان قائماً وقاعداً في أَمْره مع أَخيه عبد الملك بن مروان ، حتّى آمنَ بيْهس ابن صُهَيْب وعشيرته ، واحْتَمل دِيةَ المَقْتول لقيس وأَرْضاهُم.

---

(١) أَنساب الأَشراف ٥ : ٣٥٨ ، والمؤْتلف والمُخْتلف ص : ٢٥ .
(٢) الأَغاني ٢٢ : ١٣٤ - ١٣٥ .
(٣) مُخفّقة : من خَفَق المكان : أَي خلا .
(٤) الذئب الأَزلّ : السّريع الخفيف الوركين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمّا التّهْنِئَة فمثالُها قول عدّي بن الرّقاع يُهنّئ عبدَ العزيز بن الوليد بن عبد الملك، بزواجه من أُمّ حكيم بنْت يحْيى بن الحكم، وكان يُقال لها : الواصِلة، لأنّها وصلت الشّرفَ بالجمال (١) :

قَمرُ السّماءِ وشَمْسُها اجْتَمعا ... بالسّعْد ما غابا وما طَلَعا

ما وارت الأَسْتارُ مِثْلَهُما ... مَنْ ذا رأى هذا ومَنْ سَمِعا ؟ !

دامَ السّرورُ له بها ولَها ... وتَهنّيا طولَ الحياة مَعا

فقال له الوليد بن عبد الملك : لئن أقللْتَ فلقد أحْسَنت. وهو أوّلُ مَنْ شبّه الزّوجيْن بالشّمس والقمر (٢).

ويتّضحُ من كلّ ما سَلَف من شعر القبائل اليمانيّة الشاميّة في العصر الأُمويّ أنّ شُعراءَها نَظَموا في معظم الأغراض الشعريّة التي طَرَقها الشّعراءُ قبلهم، فَمَدَحوا وتغزّلوا وافْتخروا وهَجوا ورَثوا ووصفوا وعاتَبوا وحنّوا إلى ديارهم، ونَظَموا شِعْراً في الحِكْمة والآداب والمواعظ، وفي طلب الأمان والتّهْنِئَة بالزّواج، إلاّ الزّهد فإنّني لم أعثُر لهم على شعر فيه. ويتّضح أيضاً أنّ شعرَهم السّياسيّ والحَرْبيّ يصوّر آمالَهم العَريضةَ في السُّلْطان، بعد أنْ قاتلوا في معركة مرْج راهط وهَزَموا القيْسيّة أنْصارَ عبد الله بن الزُّبيْر، وثبّتوا حُكْمَ الأُمويّين ووَقفوا دونهم. ويُصوّر كذلك تذمُّرَهم من خلفاء بني أُميّة وامْتِنانَهم عليهم ومُطاوَلَتهم لهم، لأنّهم لم يَخُصّوهم دون غيرهم، ولم يَصْطَنِعوهم وَحْدهم، بل جعلوا لرجال قيس حظّاً في الأعمال والولايات، وقدّموا القيسيّة على اليمانيّة وحكّموهم في أمْرهم في بعض العُهود والأزْمان.

---

(١) الدّيوان ص: ٢٥٧.

(٢) ثمار القلوب في المُضاف والمَنْسوب ص: ٢٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من المُفيد قبل الشُّروع في دراسة الجوانب الفنيَّة في شعر القبائل اليمانيَّة الشاميَّة في العصر الأُمويّ أنْ نُشير إلى أنّنا لا نستطيع أنْ نحكُم على شعر هذه القبائل حُكْماً دقيقاً ، لأنّه لم يصل إلينا كاملاً ، وإنّما وصلت إلينا منه قصائد ومقطوعات وأبيات مُجْتزأة من قصائد . وسنُحاول في هذا الفصل أنْ ندرُسَ بِنْيةَ ما بين أيدينا من هذا الشعر ولغته ومعانيه والصُّور البلاغيَّة فيه .

١ — البناء الفنيّ .

يُمكن القول : إنّ معظم شعراء القبائل اليمانيّة الشاميّة في العصر الأُمويّ لم ينظموا شعرهم في قصائد طويلة ، وإنّما صاغوه في قصائد ومقطوعات قصيرة ، فلو اسْتَثْنَينا منهم النُّعْمان بن بشير الأنْصاريّ وعديّ بن الرّقاع العامليّ ، فإنّنا لا نَجِدُ من بينهم شاعراً بنى شعره بناءً تقليديّاً يُحاكي القصيدة الجاهليّة في نَمطِها المَعْروف من نَسيب ووقوفٍ على الأطْلال ووصف للمطيّة والرّحلة وحيوانات الصّحراء ، وانْتِقال إلى المديح أو إلى غيره من الموضوعات ، بل نَجِدِ أنّهم نَظَموا مجْموعةً من المقطوعات والقصائد القَصيرة في الأحْداث السّياسيّة والفِتَن القبليّة والوقائع الحربيّة التي خاضَتْها قبائلُهم في العصر الأُمويّ ، وفي الموضوعات التقليديّة التي طَرَقها الشّعراءُ قبلهم . وحتى في هذه الموضوعات التقليديّة فإنّ شعرَهم قليل ، إذ ليس لهم في المديح والغزل إلاّ عدد قليل من المقطوعات . ونَظَموا عدداً من القصائد والمقطوعات في الفخر ، وافْتَتحوا بعضَها بالغزل (١) .

وأسْهَمَ شعراءُ اليمانيّة في تطوير فنّ الهجاء ، فنظموا أهاجيَهم في مقطوعات قصيرة مُسْتقلّة ، لا في قصائد طويلة مُتعدّدة الموضوعات ، وشاركوا في تَشْكيل فنّ النّقائض ورفدوه بجمْلة من المقطوعات التي ناقضوا فيها شُعراءَ القيسيّة مثل : الأخطل التّغْلبيّ ، وزُفَر بن الحارث الكلابيّ ، وعُمَيْر بن الحُباب السُّلميّ ، والرّاعي النُّميريّ ، وابن ميّادة المُريّ ، والكُمَيْت بن زيد الأسديّ .

---

(١) انظر : تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٥–٢٣٦ .

(٢) انظر : شعر النُّعمان بن بشير الأنْصاريّ ص : ١٤٩ ، وديوان عديّ بن الرّقاع العامليّ ص : ١٧٥ ، ونقائض جرير والأخطل ص : ٢٥–٢٦ ، والأغاني ١٦ : ٣٥٧ ، ٢٣ : ١٨٧ ، ١٩٠ ، والحماسة الشجريّة ١ : ١٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظلّت المرثية عند بَيْهس بن صُهَيْب الجَرْميّ متأثّرةً بالتّقاليد الفنيّة الموروثة، فاسْتَمرّ يصبُّ رثاءَه في الأوزان الطّويلة، ويَفْتتحُه بوصف الدّيار ومُخاطبة الأَصْحاب، ولكنّه لم يُطل في هذه المقدّمات، بل كان يُلِمُّ بها إلْماماً سريعاً، فيُسْقطُ كثيراً من العناصر التي وقف عندها الشعراء الجاهليّون (١). في حين أنّ شكل المرثيّة قد تطوّر عند غيره من شعراء اليمانيّة، فصاغوها في مقطوعات مستقلّة اسْتَخْدَموا فيها الأَوْزانَ الطّويلة والقصيرةَ والمَجْزوءَة (٢).

ونظم شعراء كلب مقطوعات في عِتاب بني أُميّة، ولم نعْثُر لغيرهم من شعراء القبائل اليمانيّة الشّاميّة إلاّ على قِطْعة من قصيدة نَظَمها شَبيبُ بنُ يزيد بن النُّعْمان وافْتتحها بالغزل على طريقة الجاهليّين (٣).

وجاءَت أَشعارُهم في الحِكَم والآداب والمواعظ في أُسلوب واضح بسيط، وفي مقطوعات قصيرة، لأنّها تُمثّل خُلاصة تَجاربهم وخِبْرتهم.

والنُّعمان بن بشير الأَنْصاريّ، وعديّ بن الرّقاع العامليّ هما أكثر شاعِرَيْن تأثّرا بتقاليد الجاهليّين في شعرهم. فأمّا النّعمان بن بشير، فقد زاوَجَ في شعره بين التّقليد والتّجْديد، إذ نراه يَفْتتحُ قصيدته المبيّة في تَهْديد مُعاوية بالغزل، ثمّ ينْتَقِل إلى الفخْر، فيفخرُ بنفسه، ويُعدّدُ أَسْماءَ آبائه وأَجْداده شأْن الجاهليّين، ويذكر صفاتهم من جود وندى وشجاعة وحِلْم وصَبْر، ولكنّه لا يقْتصرُ على ذلك، بل يفخر بهم في الإسلام، فهم الذين أَذلّوا المُشْركين وهَزموا الكُفّار. ويمضي بعد ذلك إلى تَهْديد مُعاوية بن أَبي سُفيان وتوعُّده، ويخْتَتِم قصيدَته بمدْح الهاشميّين (٤). ويجْري في غزله على النّمط الجاهليّ، فيأْتي به في مطالع قصائده، وقد يخصّص له بعضَ القِطَع والقصائد (٥).

ولم يَسْتعمل النُّعمان في شعره الأَوْزانَ الصّعبة كالمديد والمُضارع (٦)، ولذلك فإنّ شعرَه هو شعرُ الحضارة الذي فيه سُهولة ولين وعُذوبة وبساطة حين يكون الحديث

---

(١) انظر: الأَغاني ٢٢: ١٣١، ١٣٣.
(٢) انظر: أنساب الأشراف ٥: ٢٠٣، والأَغاني ٢٣: ١٨٧، وتاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ٨: ٤٧، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧: ٣٠٨-٣٠٩.
(٣) انظر: الأَغاني ١٦: ٢٠.
(٤) انظر: الإكليل ٢: ٢٠٤-٢٠٧.
(٥) انظر: شعر النّعمان بن بشير الأَنْصاري ص: ٥٧، ١١٧، ١٣٧، ١٣٨.
(٦) نفسه ص: ٥٦، ٥٧-٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُنبعِثًا من القلب ومُرْسَلاً على السَّجيَّة. أمّا حين يلْتزمُ بأُصول الشّعر وعَموده وينظم في موضوعات تقليديّة كالفخر والحماسة ووصف الدّيار والمطر والسَّحاب، فإنّه يقْتَرِب كثيراً في بناء قصائده من النَّهج الجاهليّ (١).

وأمّا عديّ بن الرّقاع فهو أشهر شاعر يمانيّ شاميّ احْتَذى التّقاليد الجاهليّة الموروثة في بناء قصائده، فافْتَتح عدداً منها بالمقدّمة الطّلليّة(٢)، فوقف على الأطلال وتحدّث عن الدّيار الدّارسة، وتأملها وخاطَبَها وبكى فراقَ أهلها الظاعِنينَ عنها. وحافظ في وصفه لها على كثير من العناصر الجاهليّة، كتحْديد موقع الدّيار، وتَهْييج الأشواق، والسّؤال، والاسْتعجام، ووصف النّؤي، والأثافيّ وفِعْل الرّياح. وشبّه آثارَها بخطّ الكتاب وعُنْوانه، ولعلّه ربط بين مَشْهد انْدِثار الدّيار وعفائها وبين صورة الضّعف الذي يعتريه كلّما تقدّمت به السّن، فعبّر في مُخاطَبته لها عن إحْساسه بالحزن والألم لانْقِضاء عهْد الشّباب.

وربط عديّ في بعض مقدّمات قصائده بين الطّلل والمرأة، فتحدّث عنها ووصف ظعنها ورحلتها في الصّحراء. ومن مقدّماته الطّلليّة قوله(٣) :

لمَن الدّارُ مثل خَطّ الكتابِ ... بالمَراقيدِ أو بذِكْرِ المُقابِ(٤)

وقوله(٥) :

عَرَفَ الدّيارَ توهُّماً فاعْتادَها ... من بعد ما شَمل البلى أبْلادَها

وقوله(٦) :

ليتَ شِعْري هل تُخْبرنّي الدّيارُ ... بيقينٍ عن أهلها أيْنَ ساروا

وافْتَتح عدداً آخر من قصائده بالغزل(٧) كقوله(٨) :

---

(١) انظر : شعر النّعمان بن بشير الأنْصاري ص: ٦٥.
(٢) انظر الدّيوان ص: ٤١، ٤٩، ٧٣، ٨٢، ٩٦، ١٢١، ١٢٨، ١٦١، ١٧٧، ٢٢٢، ٢٢٦.
(٣) نفسه ص: ٤٩.
(٤) المَراقيد وذكر المُقاب : موضعان.
(٥) الدّيوان ص: ٨٢
(٦) نفسه ص: ١٧٧.
(٧) انظر : نفسه ص: ٦٠، ١١٥، ١٦٨، ١٨٦، ١٩٢، ٢١٠.
(٨) نفسه ص: ١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بانت سعادُ وليس الودُّ ينصَرِمُ ... وداخَلَ الهمَّ مالم تُمضِهِ سَقَمُ

وقوله (١) :

عِما يا ابْنَتَيْ قيس صباحاً ومظْلما ... وإن كنْتُما أَجْمَعْتُما البيْنَ فاسْلَما

وحافظ عدي على عددٍ من المقدّمات التّقليديّة، فافْتتح إحدى قصائده بمقدّمة وصف الطّيف (٢)، واستهلّ اثْنتيْنِ من قصائده بمقدّمة وصف الشّيْب والشّباب (٣)، واثْنتيْن بمقدّمة وصف الظعن (٤).

وللوقوف على مَدى تقليد عدي وتجْديده في مقدّمات قصائده، نَخْتار له قصيدتيْن يقول في أُولاهما (٥) :

لِمَن الدّارُ كعُنْوان الكِتـــابِ ... هاجَتِ الشّوقَ وعيّت بالجَـــوابِ
لم تزدْكَ الدّارُ إلاّ طَرَبـــــاً ... والصّبا غير شَبيهٍ بالصّـــــواب
موضع الأَنْضاد لأْياً ما يُـــــرى ... ورمادٌ مثل كُحْل العَيْنِ هـــاب (٦)
صدّ عنه السّيلَ مجْرى تَلْعـــةٍ ... خُدُدٌ باقٍ كأُخْدود الكِـــراب
ضَربتْهُ سلْفعٌ مملوكـــــــة ... بغُراب الفأْس في وجْهِ التُّـــراب (٧)
تدفعُ السّيْلَ به حتّى جَـــرى ... صَحْصَحانيّ الصّحاري والرّكـــاب (٨)
وبما قد كان فيها ساكِنـــاً ... أَهلُ أَنْعام وخيْل وقبـــــاب (٩)
ورَعابيـــب حِسانٌ كالدُّمـــى ... لا يُنلْنَ الشّيبَ لذّات الشّبـــاب (١٠)

فالدّار دارسة كعُنْوان الكتاب وهو أَوّلُ ما يفْنى منه، صامتة لا تردُّ جواباً ولا يُهْتَدى إلى موضع الأَنْضاد فيها إلاّ بعد جُهد ومشقّة. وقد صدّ عنه السّيل مجرى تلْعة خُدُد، ضربتْهُ سلْفعٌ مملوكة بحدّ الفأْس. ونحسّ في هذه البدايات اقتداء الشّاعر بمطوّلة النابغة الذّبْيانيّ (١١) اقْتِداءً واضحاً، حتى إنّه يستخدم المُفْردات التي استخْدمها النابغة

---

(١) الديوان ص: ١٩٢.
(٢) انظر : نفسه ص: ١٩٧.
(٣) انظر : نفسه ص: ١٠٨، ٢١٦.
(٤) انظر : نفسه ص: ٢٠٤، ٢٣٤.
(٥) انظر : نفسه ص: ٤١–٤٧.
(٦) الهَبْوة : الغُبار.
(٧) سلْفع : جارية بذيّة. وغُراب الفأْس : حدّها.
(٨) الصّحْصَح : المستوي من الأَرض الأَملس الصّلب.
(٩) وبما : أي : كان هذا الخلاء مأْهولاً عامراً.
(١٠) الرّعْبوبة : الفتاة البيْضاء النّاعمة.
(١١) انظر : ديوان النّابغة الذّبْيانيّ ص: ٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في قصيدته مثل : " عيّت جواباً "، و " لأْياً "، و " النّضد "، و " ضربها ". ويمضي عديّ في قصيدته قائلاً :

فَذَر اللّهوَ لمن يَلْهو بـــه ... واكْسُ أَقْتادَك جَوْناً ذا هبـاب(١)
حَملتْهُ بازلٌ كوْدانـــةٌ ... في ملاطٍ ووعاءٍ كالجـــراب(٢)

فبعد أَنْ أَوْشَك على التخلُّص من هُموم الوقوف والتّذكار وصمْت الدّار قال : " فَذَر اللّهْو لمن يلهو به " وهي عبارةٌ تُقابلُ عبارة النّابغة : " فعدّ عمّا ترى إِذْ لا ارْتِجاعَ له ". ولمّا كانت ناقةُ النّابغة قويّةً عظيمةً ، فإِنّ عديّاً يمْتَطي في هذه القصيـــدة بعيراً أَسودَ نشيطاً ، ويصفُه بالعَديد من صفات القوّة ، ويُشبّهُه بحِمار الوَحْش. ثمّ تَفْلُظ صُوره وهي تُشْرفُ على الضُّوى ليسْتَدِلّ على مسايل الوِدْيان يقول :

نِعْمَ قُرقور المَرْوراة إِذا ... غَرِقَ الحِزّانُ في آلِ السَّـــراب(٣)
كمُدِلٍّ ظلّ في عانتِـــهِ ... بِضُوى الرِّجلة شَرْقيّ غُـــراب(٤)

حتّى إِذا أَوردَ هذا العَيْرُ أُتُنَـه انْقطعت الصّورة ولم تَجدِ للقصيدة بقيّة(٥).

والقصيدةُ الثّانية في مدْح عُمَر بن الوليد بن عبد الملك ، إِذْ تأْخُذ قصائد المديح عنده نَمَطها التّقليديّ ، حيث يكون النُّزوحُ والنأْي والبعاد ، بعد المودّة والتّدلّل والوصال . وتبدو الحبيبةُ في مطْلعها أَسيلةَ الخدّيْن بيضاءَ ، خَوْداً ، تتثنّى في مِشْيَتِها وتَميـــسُ في حركتها كسيْر الماء على الكَثيب الأَهْيَل يقول (٦) :

شطّت بجارتك النوَى فتحمّـــلِ ... ونأَتْكَ بعد مودّةٍ وتدلُّـــلِ
ولئن فَعلْتِ لقد علتْني كَبْـــرَةٌ ... وأَطلْتُ صَرْمك فاهْجُريني أَوصِلي
وأَسيلةِ الخدّين ساجٍ طَرْفُهـــا ... بيضاءَ مونقةٍ لِعَيْن المُجْتلـــي
خَودٌ من اللّائي يَمْسَحْنَ تـــأَوُّداً ... مَشْيَ المياهِ على الكَثيب الأَهْيل

---

(١) الجَوْن : الأَبيض والأَسود . وهو هُنا الأَسود المُشرب حُمْرةً. والمِلاط : الجَنْب.
(٢) بازل : ناقة أُتت عليها تسعُ سنين . والكَوْدانة : الغليظة الشّديدة. والمِلاط : الجَنْب.
(٣) المَرْوراة : الفلاة. والآل : يكون ضحْوة، والسّراب : نِصْف النّهار. وحِزّان : جمع حَزيز : وهو الغليظ المُنقاد.
(٤) المُدلّ : عَيْر الفلاة يُدِلّ بقوّته ونشاطه. وعانَتُهُ : أُتُنُه. وغُراب : جبل.
(٥) الدّيوان : المقدّمة ص: ١٦–١٧.
(٦) نفسه ص: ٦٠–٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثمّ يفخرُ بنفسه، ليُبْعِدَ عنها شُبْهةَ الوقوع في حُبّ هذه المرأة والتّهالُك عليها، مُبيّناً أنّه امروءٌ طاهرُ الثّوب، نقيّ السّريرة، واسعُ المَعْروف، يقول:

لا قيْتُ في غَرب الشّباب فلم يكن ... قلبي لها غَرَضاً ولم اسْتَقْتِلِ
وأنا امروءٌ منّي المَعافُ ولم أكُنْ ... دَنِسَ الثّياب ولا مُريبَ المَدْخَلِ

وينْتَقِل الشاعر بعد ذلك انْتِقالَ القُدَماء بجِسْر لفْظيّ يقطعهُ إلى الصّحراء المُقْفِرة على جَمَلٍ قويّ شَديد، يُشبّهُهُ بحمار الوَحْش وأُتُنِهِ الضّوامِر، فيُفيض في رَسْم صورة المُشبّه به الذي يَظْهرُ في الغالب نَهاراً، وتَقْترنُ صُورتُهُ بنهايةِ الرّبيع وبداية الصّيف وحَرارته، إذْ تذْبل النّباتات، ويلِحّ عليه العَطَش، فتبدأُ رِحْلةُ البحْث عن الماء. وهي صورة تقليديّة نَجِدها عند الشعراء الجاهليّين، يقدّمها عديّ في قصيدته باذِلاً في تَزْويقها جُهْدَه، لتبدو رائعةً مُسْتوفاة، ويحرص - كما حَرص الشعراءُ الجاهليّون - على أن يكون الوُرُودُ بعد اخْتِلاط الظّلام يقول:

أفلا تَناساها وتَترك ذِكْرَها ... إذْ حَمّلتْكَ إخالُ مالم تَحْمِلِ
بعُذافِرٍ يشْري الجَديلَ كأنّهُ ... عيْرٌ تَصيّفَ في نَحائصَ ذُبّلِ (١)

ثمّ يقول:

حتّى إذا رمَت الهَواجِرُ في الثّرى ... والنّبْتُ بعد بلولةٍ وتربُّلِ (٢)
وشربْن كلّ بقيّةٍ صادَفْنَها ... في الأرْض من مَطَر السّماك الأعْزَلِ
راحَت وراحَ من الفلاة فأصْبَحا ... بمَجامع التّلْعات فوق الضّلْضُلِ (٣)
فظللْنَ من وادي الذّباب بشُعْبةٍ ... أو بالأُخَيْرِم قاربات المَنْهَلِ (٤)
فوردْنَه ونُهودُهنّ نواشِزٌ ... وعُيونُهنّ سَواهِرٌ لم تَغْفُلِ (٥)
حتى إذا اخْتلط الظّلامُ وردْنَهُ ... ولقد بَكينَ بهَيْبَة وتَجفّلِ

ثمّ يرسمُ عديّ صُورةً لفَرسه وهو يمدُّ عِنانَه لطولِ عُنُقِهِ واعْتِماره باللّجام فيقول:

---

(١) العُذافر: القويّ الشّديد من الجِمال. ونَحائص ذُبّل: ضَوامر.
(٢) التّربُّل: أنْ ينفطر النّبْت وتظاهر منه الحُفْرة، وذلك في أيّام الصّفْريّة وهي آخر القيْظ.
(٣) الضّلْضُل: موضع.
(٤) وادي الذّباب والأُخَيْرم: موضعان. وقاربات: من القَرَب وهو السّيرإلى الماء.
(٥) نواشز: مُرتفعة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأتَيْنَ مُشْتَرفاً يمدُّ عِنانَـــهُ ويد الفُلامِ بطَعْنة في المِسْحَـل (١)

ويُدقّق في صورته، فيصف أجْزاءَه وأعضاءَه. ويُمثّل هذا التّداخُلُ في القصيدة والانْتِقـال من مرْحلة وصْف الجَمل وتَشْبيهه بعَيْر الفـلاة إلى وصف الفَرس حالةً جديدة في البنـاء التّقليديّ للقصيدة العربيّة، بعد أن أصْبحت تأخذُ شكلاً مُتناسِقاً من حيث التدرُّج وموَحّداً من حيث المُتابعة، ومَنْهجيّاً من حيث استِخْدام الحيوانات في مثل هذه اللّوحات. وفي أبيات وصْف الفَرس إثارةٌ جديدة لأنّه يُباشِر بعدها الحَديث عن رُسوم المَنْزل قائلاً:

فهل أنتَ مُنْصَرفٌ فتَنْظُر ما الـذي أبقى الحوادثُ من رُسوم المنـزل

ويبدو أنّ تعلُّقَ الشاعر بالمُقدّمة وتمسُّكَه بالدّيار، حَمله على العودة إلى اسْتِذكار رُسوم المنزل. وتتكرّرُ الصُّورُ والعناصر التي عَرفْناها في وصف الدّيار من اسْتِواءِ الأرض، ولعْب الرّياح، والدّعاء بالسّقيا، والتّعْريج على ذِكْر أهل الدّار الذين اسْتَبْدلوا بها دِياراً جديدة، ولم يبقَ من آثارهم إلاّ أخاديد. وتُفْضي هذه المُقدّمة إلى المَمْدوح وهو عمرُ بنُ الوليد بن عبد الملك، الذي تَرعْرَع يافِعاً، وتَرك الفَواحِش، وانْتَمى إلى حَسَب رفيع(٢).

وعلى الرُّغم من قلّة تصوير الجَمل في أشعار الجاهليّين (٣) إلاّ أنّ عديّاً وَصَفه في قصيدتيه السّابقتين. ولم تكن هذه الظّاهرة عامّة في شعره، فقد وصف النّاقة في قصائده أكثر من الجَمل، وتتبّع صفاتها التّقليدية، وبدا في وصْفِه لها قادراً على مُحاكاة القُدَماء (٤). وشبّهها بحِمار الوحش والقَطاة مُخالِفاً بذلك الجاهليّين؛ لأنّهم كانوا يُشبّهون خُيولَهم بالقطا (٥).

وأهملَ عديّ في مُقدّمات قصائده عُنْصُرَي الحيوان والنّبات اللّذين اسْتَعان بهما الجاهليون في رَسْم صُور الأطلال والدّيار المُوحِشَة الخالية(٦). وكان يتجاوز ذِكْرَ النّاقة

---

(١) المِسْحَل: الحديدة التي تحت الحنك من اللّجام.
(٢) الدّيوان: المقدّمة ص: ١٨ — ٢٠.
(٣) الصّورة الفنيّة في الشعر الجاهليّ في ضوء النّقد الحديث ص: ٧٧.
(٤) انظر: الديوان ص: ٧٣، ٩٦، ١٣٦، ١٥٠.
(٥) الصّورة الفنية في الشعر الجاهليّ في ضوء النّقد الحديث ص: ٨٦.
(٦) انظر: عديّ بن الرّقاع العامليّ: حياته وشعره، رسالة ماجستير مخطوطة، الجامعة الأردنيّة، ص: ١١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في بعض قصائده المدحيّة (١)، فلا يصفها ولا يتحدّث عنها. وهذا يُعَدُّ تجديداً في البناء الفنّي للقصيدة، وتخلّصاً من بعض الرّسوم التّقليديّة للقصيدة الجاهليّة.

ومن قصائده التي نلمسُ في مقدّمتها جدّة: قصيدته اللاّميّة في مدْح الوليد بن عبد الملك (٢)، فقد قدّم لها بيتَيْن عن الأطلال جَمع فيهما من الصّور والتراكيب ما أغْناه عن التّفاصيل، ثم انتقل إلى وصف محبوبته، لينفذ من ذلك إلى الحديث عن الإنسان والقوّة والسّلاح الذي يغلّ تلك القوّة، وهو حديث يدخل في إطار الفلسفة الواضحة. ويبقى المجهول سرّاً غامضاً لا يُهتدى إليه، وتظلّ المنيّة تُلاحِق الإنسان دون أنْ يَقْدر على الاحْتراز منها. ويضرب عديّ المَثل باسْتحالة الفرار من الموت بالوَعِل المُتوحّش، وهو الرّمز التقليديّ لمُجابهة الموت والصّراع الأبَديّ، وبطائر من عتاق الطير، يسكن ما علا من الأرض، ولا ينزل إلاّ فوق شاهقة وقت الظلام، لأنّهما من أبْعَد الأحْياء عن أسْباب الموت، إلاّ أنّ المنيّة تُدْرِكُهما. وبعد أنْ تتكاثر هُموم الشاعر ويشتدّ هاجس الأحْزان، وترتفع أصوات القوّة، تتبادرُ إلى ذِهْنِه صورة الانْتقالة اللّفظية عند الجاهليّين، فيُسرّي همّه بناقة صلْبة قويّة، لا تَشْتكي ولا تتضجّر، لتكون أقْدَر على المُقاومة، وأصْبَر على مَتاعب الرّحلة الشاقّة ويشبّهها بالقطاة، ثمّ ينْتقل إلى المديح. وتبدو هذه المقدّمة جديدة في تَسلْسُل موضوعها، إذ تَجاوزَ فيها كثيراً من العناصر التقليديّة، كالتّدْقيق في وصف الأطلال والنّاقة وحيوانات الصّحراء (٣).

ويبيّنُ النقّادُ أهمّيّة جُمْلة من عناصر البناء الفنّي للقصيدة العربيّة منها: المطلع والتخلّص وخاتمة القصيدة ووحْدتها. فأمّا المطلع، فله أهمّيّة كبيرة، لأنّ حُسْنَ الافْتتاح داعية الانْشراح ومطيّة النّجاح، كما يقول ابن رشيق (٤). ولأنّه أول مايقرع السّمع، وبه يُسْتدلّ على ما عند الشاعر من أوّل وَهْلة، فإنْ كان حسنًا، فإنّه يكون داعياً إلى الاسْتماع لما بعده. وينبغي على الشاعر أنْ يُجوّد في ابْتداء شعره، فيجعله جيّدَ اللّفظ ظاهرَ المعْنى، واضحَ الأسلوب، مُناسِباً لموضوع القصيدة، تحقيقاً للقاعدة البلاغيّة المعروفة: "مُطابقة الكلام لمُقْتضى الحال".

---

(١) انظر: الديوان ص: ٨٢، ١١٥، ١٦١، ١٦٨، ١٩٧، ٢١٠، ٢٢٢.
(٢) انظر: نفسه ص: ٧٣.
(٣) نفسه: المقدّمة ص: ٢١—٢٢.
(٤) العُمْدة ١: ٢١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وُفّق بعضُ شُعراء القبائل اليمانيّة الشّاميّة في اخْتِيار مطالع قصائدهم، من حيث اسْتِخْدامُ الألفاظ المُناسبة، والمعاني الرّشيقة، والأُسْلوب الواضح، ومنهم: النُّعْمان بن بشير الأَنْصاريّ في قوله (١):

ألا أيُّها القلبُ الذي لا يُلائمُ لذاذَةَ نومٍ والعيونُ نَوائمُ

فإنّه يُعبّر عن اضْطِرابه وقلقه وسهره، وهو مطلع يلائم موضوع القصيدة التي نَظَمها النُّعْمان في تَهْديد مُعاوية بن أَبي سُفْيان وهجائه.

ومنهم: عديّ بن الرّقاع العامليّ، وأكثرُ قصائده تقليديّة ابْتَدأها بالأَطلال والنَّسيب، ومنها قوله (٢):

لمَن الدّارُ كعُنْوانِ الكتابِ هاجَتِ الشّوقَ وعيّت بالجوابِ

فَتَشْبيهُهُ الدّار بعنوان الكتاب وهو أوّل ما يَفْنى منه، يدُلّ على دُروسها وانْدِثار معالِمها، وذِكْرُه الشّوقَ والاسْتِعجام، يُمهّدُ للحديث عن أَهلها. وقوله (٣):

أتعْرِفُ الدّارَ أَمْ لا تَعْرف الطّللا بلى فَهيّجت الأَحْزانَ والوَجَلا

ومن مطالعه الغزليّة قوله (٤):

بانت حُسَيْنةُ وائْتمّت بمَنْ بانا واسْتَحْدَثت لك بعد الوَصْل هِجْرانا

وقوله (٥):

غدا ولم يَقْضِ من سلّومةَ الوَطَرا وما تلبّثَ إذْ ولّى وما انْتَظرا

واسْتَخدم شُعراءُ اليمانيّة في مطالع قصائدهم ومقطوعاتهم الحُروفَ والألفاظَ التي اسْتَخدمها الشعراءُ الجاهليّون قبلهم مثل: "لقد" و "ألا" و "خليليّ". ومن ذلك قول عُوَيْج الطّائيّ (٦):

لقد عَلِمَ الأَقوامُ وقْعَ ابن بَحْدل وأُخْرى عليهم إن بَقي سيُعيدُها

وقول سِنان بن جابر الجُهَنيّ (٧):

لقد طارَ في الآفاقِ أنّ ابنَ بَحْدَل حُميْداً شَفى كلْباً فقرّت عُيونُها

---

(١) الإكليل ٢: ٢٠٤.
(٢) الدّيوان ص: ٤١.
(٣) نفسه ص: ٧٣.
(٤) نفسه ص: ١٦٨.
(٥) نفسه ص: ١٨٦.
(٦) تاريخ الرسل والملوك ٥: ٥٤٤.
(٧) الأغاني ١٩: ١٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه قول حُميدة بنت النُّعْمان (١) :

أَلا يا ابنَ المُهاجِرِ قـــد دَهاني طارقٌ طَرَقـــا

وقول هِنْد الجلاحيَّة (٢) :

أَلا هل ثائرٌ بدماءِ قـــومٍ أَصابَهُم عُمَيْرُ بنُ الحُبـــابِ

ومنه أَمثلة في شعر يَحْيى بن مُعاذ الكلبيّ (٣) ، وصَخْر بن صَفْوان الكلاعيّ (٤) ، وذي الإِصْبع الكلبيّ (٥) .

ومن استِخدام "خليليّ" قول الأُقَيْبِل القَيْنيّ (٦) : "خليليّ قوما في سما ديـــر فانْظُرا" . ويرى بعض النقّاد أَنّ الابْتِداءَ بهذه الحروف والألفاظ من علامات الضَّعـــف والتَّكلّف ، إلاّ للقُدماء الذين جَروا على عِرْق وعَمِلوا على شاكلة (٧).

واشترطوا في المطالع الجيِّدة أَنْ تكون مُصرَّعة ، لأَنّ التَّصريع يزيدُ جَمالَ الشعـــر ، ويدلّ على قوّة طَبْع الشاعر وسَعَة بَحْره وكثرة مادّته ، ولذلك لم يكد الشّعراء الفحـــول يَعْدِلون عنه في مطالع قصائدهم (٨) . ويرى ابنُ رَشيق القيْروانيّ أَنّ الشاعر إذا لم يُصرِّع قصيدته ، فإِنّه يكون كالمُتسوِّر الدّاخل من غير باب (٩).

ومن شُعراء اليمانيّة مَن اهتمّ بالتَّصْريع في مطالع قصائده ، ومنهم مَنْ أَهْمله . فممَّن اهتمّوا به : النُّعْمان بن بشير في قصيدته الميميّة (١٠) ، وعديّ بن الرِّقاع ، وهو أَشْهرُ مَنْ اهتمّ به منهم ، إذ لم يُهْمِلْهُ إلاّ في أَربع قصائد هي : السّادسة (١١) ، والثّانية والعِشْرون (١٢) ،

---

(١) أَنساب الأَشراف ٥ : ٢٠٣ .
(٢) الأَغاني ٢٣ : ١٨٧ .
(٣) انظر : الحماسة الشَّجريّة ١ : ١٧١–١٧٢ .
(٤) انظر : تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ٨ : ١٨٢ ، وتَهْذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٤٤٦ .
(٥) انظر : المُؤْتلف والمُخْتلف ص : ١٧١ .
(٦) نفسه ص : ٢٥ .
(٧) العمدة ١ : ٢١٧–٢١٨ .
(٨) نقد الشعر ص : ٥١ .
(٩) العمدة ١ : ١٧٧ .
(١٠) انظر : الإِكليل ٢ : ٢٠٤ .
(١١) انظر : الديوان ص : ٩٦ .
(١٢) انظر : نفسه ص : ٢٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والثالثة والعشرون (١) ، والسادسة والعشرون (٢) . وجاء بالتَّصْريع في ثنايا قصيدته الدالية في مَدْح الوليد بن عبد الملك ومطلعها (٣) :

عَرَفَ الدّيارَ توهُّمًا فاعْتادَها من بعد ما شمل البلى أبلادَها

فقال :

بانت سُعادُ وأَخْلَفت ميعادَها وتباعَدت منّا لِتمْنَعَ زادَها

ممّا يدلّ على تمكّنه وسعة بَحْره ، إلاّ أنّ التَّصْريع إذا كثُر في القصيدة دلّ على تكلّف (٤).

وممّن اهتمّوا بالتَّصْريع أيضاً : عِمْرانُ بنُ حِطّاء الكلْبيّ ، فإنّه صرّع قصيدته التي تَحَلها الوليدَ بن يزيد فقال (٥) :

أَلم تَهْتَجْ فتذّكر الوِصالا وحبْلاً كانَ مُتّصِلا فَزالا

وصرّع قصيدته التي نظمها في نَقْض هذه القصيدة فقال (٦) :

قفي صَدْرَ المطيّة يا جُلالا وجُذّي حبْلَ مَنْ قَطَع الوِصالا

ومن الذين أَهْملوا التَّصريع في مطالع قصائدهم : عمْرُو بن مِخْلاة الكلْبيّ في قصيدته العَيْنيّة (٧) ، وعُمَيْرةُ بنت حسّان الكلبيّة (٨) ، وسِنانُ بنُ جابر الجُهَنيّ (٩) ، وبَيْهَسُ بنُ صُهَيْب الجَرْميّ في رثائه لصُفْراء (١٠) ، وعطيّةُ الكلْبيّ مولى ثابت بن نُعَيْم الجُذاميّ (١١) . ومن الطّبيعيّ أنْ تخلو المقطوعات من التَّصْريع ، لأنّها لا تَحْتمله لقلّة عدد أبياتها .

ويُعدُّ حُسْنُ التّخلّص شَرْطاً أساسيًّا في القصيدة الجيّدة ، فالشعراءُ المُجيدون هم الذين يُحْسِنون الانْتِقال من موضوع إلى موضوع في القصيدة الواحدة ، دون أنْ يَشْعُرَ السّامع بانْعِدام التّرابط بين أَجْزاء القصيدة ، أو انْقِطاع المعْنى بسبب الانْتِقال المُفاجِئ .

---

(١) انظر : الديوان ص : ٢١٠ .
(٢) انظر : نفسه ص : ٢٢٦ .
(٣) انظر : نفسه ص : ٨٢ .
(٤) العمدة ١ : ١٧٧ .
(٥) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٤ — ٢٣٥ .
(٦) نفسه ٧ : ٢٣٥ — ٢٣٦ .
(٧) انظر : نقائض جرير والأخطل ص : ١٧ — ١٩ .
(٨) انظر : الأغاني ١٩ : ١٥٢ .
(٩) انظر : نفسه ١٩ : ١٤٥ .
(١٠) انظر : نفسه ٢٢ : ١٣١ ، ١٣٣ .
(١١) انظر : كتاب الوحشيّات ص : ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة حُسْن التخلّص عند شعراء اليمانية قولُ الأُقَيْلِ القَيْنيّ مُتخلّصاً من وصف حُمول صاحبته إلى الحديث عن قصّته مع الحَجّاج بن يوسف الثقفيّ (١) :

كانت عَلاقته هذا على قَدَرٍ ... وكلّ أَمْرٍ إذا ما حُمَّ مقْدورُ
إنّي لأَعْلَمُ والأَقْدارُ غالبةٌ ... أَنّ انْطِلاقي إلى الحجّاج تَغْريرُ

فقد مهّد بذِكْر القَدَر في البيت الأوّل للحديث عن هروبه وتوعُّد الحجّاج له بالقَتْل .

ومنها قول عديّ بن الرّقاع مُنْتقِلاً من الغزل إلى مدْح عُمر بن الوليد (٢) :

تقولُ وإعْلانُ العتابِ ملامةٌ ... أَأَجْمَعْتَ هِجْراناً لنا وتجنُّبا
فقلت لها : لا ، بل تألّفني امرؤٌ ... وريُّ الزّناد يحْسب الحَمْد مَنْهبا

وثمّة أمثلة لحُسْن التخلّص في شعر بَهْبس بن صُهَيْب الجَرْميّ (٣) ، وعِمْران بن حِطّاء الكلبيّ (٤) .

وكان مذهبُ القُدماء في التخلُّص واحداً ، وهو لا يخرج عن قولهم عند الخروج إلى المدْح ، أو عند فراغهم من نَعْت الإبل وذِكْر القِفار " دع ذا " و " عدّ عن ذا " ثمّ يأخذون فيما يريدون . أو يأتون بـ " إنّ " ابْتِداءً للكلام الذي يقصدون ، وربّما قالوا بعد صفة النّاقة والصّحراء : " إلى فلان قَصدْت " ، و " حتّى نَزلْت فِناءَ فلان " وما شابه ذلك (٥).

وقد اقْتدى بعضُ شعراء اليمانيّة بمذْهب القدماء في تخلّصهم من موضوع إلى موضوع. ومن أمثلة ذلك قولُ النُّعْمان بن بشير الأنْصاريّ مُتخلّصاً من الغزل إلى وصف النّاقة(٦) :

فسلْ لُبانات الهوى بجُلالةٍ ... جُمالِيّةٍ تكْسو الكَلالَ تبقُّما

وقول عديّ بن الرّقاع مُنْتقِلاً من وصف الخَمْر إلى وصف البرْق (٧) :

فدَعْ ذا ولكن هل ترى ضوءَ بارقٍ ... وَميضاً ترى منه على بُعْدِه لَمْعا

---

(١) المؤتلف والمختلف ص: ٢٦ .
(٢) الديوان ص: ٢٣٠ .
(٣) انظر : الأغاني ٢٢ : ١٣١ .
(٤) انظر : تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٦ .
(٥) العُمْدة ١ : ٢٣٩ ، ود . يوسف حسين بكّار : بناء القصيدة العربية ص : ٢٩٤ — ٢٩٥ .
(٦) شعر النّعمان بن بشير الأنْصاري ص: ١٢٣ .
(٧) الديوان ص: ٢٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله (١) : " فَذَرِ اللَّهْوَ لِمَنْ يلْهو به" ، وقوله (٢) " فصرِّم الهمَّ إذ ولّى بناجيـــة" ، وقوله (٣) : " أفلاتنا ساها وَتترك ذِكْرها" . وفي شعره أمثلة أُخرى مُتعدِّدة (٤) :

ومنها قول عِمْران بن هِلْباء الكلبيّ مُتخلِّصاً من الغَزل إلى الفَخْر في القصيدة التي نَحلَها الوليد بن يزيد (٥) :

فَدع عنكَ ذِكارَكَ آلَ سُعْـدى فَنَحْنُ الأَكْثَرون حَصى ومـــالا

وإذا لم يكن التخلُّصُ جيِّداً سُمِّي اقْتِضاباً ، وهو أَنْ يقطع الشاعر كلامه ويستأنف كلاماً غيره ، من مدْحٍ أو هجاء أو غيرهما ، دون أن يكون لكلامه اللّاحق صِلَة بكلامـــه السّابق . والاقْتِضاب هو مذْهب القُدماء ، أمّا المُحْدَثون ، فإنّهم أبْدَعوا فـــي التخلُّص(٦) . ومن أمثلة الاقْتِضاب في شِعْر القبائل اليمانيّة الشاميّة قول عديّ بـن الرّقاع يصِفُ حُمُرَ الوَحْش ، ثمّ ينتقلُ إلى مدْح الوليد بن عبد الملك فجأة دون تَمْهيد(٧) :

فشربْنَ ثمَّ صدَرْنَ غير سَواكِـــنٍ من لون حَمْأَتِهِ لهُنَّ حُجـــولُ
فاذْكُرْ أميرَ المُؤْمنين بمدْحَـــةٍ إنّ الوليدَ له عليَّ فُضـــول

وقوله بعد أَنْ وَصَف البَرْق والمَطَر(٨) :

تَهجّجَ مجّاجاً من الغَيْث لم يَـذَرْ أباطِحَ إلّا يطّرِدْنَ ولا تلْعـــا
مدحْتُ أميرَ المُؤْمنين الذي دَعوا إليه وخير النّاس عن دِينِهم دَفْعا

واهتم النقّادُ بالخاتمة وعدُّوها قاعِدَةَ القصيدة ، لأنّها آخر ما يبقى منها في الأَسْماع ، ولذلك دَعوا الشُّعراءَ إلى تَجْويدها ، وإلى أَنْ يَجْعلوا ما يقع فيها من الكلام أَحْسَن مما يَنْدرجُ منه في حَشْو القصيدة ، لأنّه ليس أقبح من كَدَر بعد صَفْـو ، ومـــع

---

(١) الديوان ص: ٤٣ .
(٢) نفسه ص : ٧٦ .
(٣) نفسه ص : ٦١ .
(٤) انظر : نفسه ص : ١٠٠ ، ١٢٤ ، ١٣٩ ، ١٥٣ .
(٥) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٤ — ٢٣٥ .
(٦) العمدة ١ : ٢٣٩ ، وبناء القصيدة العربية ص : ٣٠٠ .
(٧) الديوان ص : ٢٠٧ .
(٨) نفسه ص : ٢٢٣ . وانظر : ص ٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك فإنّ اهْتِمامَهم بها كان أقلّ من اهْتِمامهم بالمطلع(١) .

وأجادَ عددٌ من شُعراء القبائل اليمانيّة في اخْتِتام قصائدهم ومقطوعاتهم ولاءَمَ بعضُهم بين خاتمة القصيدة وموضوعها ، ومنهم : الأحْمر بن شُجاع الكلْبيّ الذي اخْتَتَم مقطوعته في عتاب بني أُمَيّة بمَثَل فقال (٢) :

وإنْ يكْفُرونا ما صَنَعْنا إليهم فما كلّ مَنْ يُؤْتى الصَّنيعة يَشْكُر

وبيْهس بن صُهَيْب الجَرْميّ ، إذْ يقول مُخْتَتِماً قصيدة في رثاء صَفْراء (٣) :

مَن الذي بَعْدكم أَرْضى به بَدَلاً أَو مَنْ أُحدّث حاجاتي وأَسْراري؟ !

ومنهم عديّ بن الرّقاع العامليّ (٤) الذي رُبّما اخْتَتَم بعض قصائده المدْحيّة بطَلَب الجائزة (٥) .

واخْتَتَم عمرانُ بن هِلْباء قصيدَته في الردّ على القصيدة المَنْسوبة إلى الوليد ابن يزيد بالتّهْديد والوَعيد فقال (٦) :

ستلْقى إن بَقيتَ مُسوّمات عوابِسَ لا يُزايلْنَ الحِلالا

ويرى المتتبّع لشعر هذه القبائل أنّ خواتم عددٍ من القصائد ضاعت ، وبخاصّة قصائد عَمْرو بن مِخْلاة الكلْبيّ (٧) ، والأُقَيْبِل القَيْنيّ (٨) ، وعديّ بن الرّقاع العامليّ (٩) ، وشَبيب بن يزيد بن النُّعْمان بن بشير (١٠) .

وأخلّ بعضُ الشّعراء بوحْدة البيت ، فاتّصل المَعْنى بالبيت الذي يليه ، وهو عيْب من عيوب القافية يُسمّى التّضْمين ، ومن النقّاد مَنْ لا يرَوْنَه عيْباً (١١) . ومنه ما وقع في شعر عَمْرو بن مِخْلاة (١٢) ، وعديّ بن الرّقاع (١٣) ، والأَصْبغ بن ذُؤالة الكلْبيّ (١٤) .

---

(١) العمدة ١ : ٢١٧ ، وبناء القصيدة العربية ص : ٣٠١ .
(٢) المؤتلف والمختلف ص : ٤١ — ٤٢ .
(٣) الأغاني ٢٢ : ١٣٢ .
(٤) انظر الديوان ص : ٧٢ ، ٩٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ .
(٥) انظر : نفسه ص : ١١٤ .
(٦) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٦ .
(٧) انظر : نقائض جرير والأخطل ص : ١٧ — ١٩ ، والتّنْبيه والإشراف ص : ٢٦٧ .
(٨) انظر : المؤتلف والمختلف ص : ٢٥ .
(٩) انظر : الديوان ص : ٤١ ، ٩٦ ، ١٢٧ .
(١٠) انظر : معجم البلدان : أعامل .
(١١) بناء القصيدة العربية ص : ٢٥٠ .
(١٢) انظر : الأغاني ١٩ : ١٤٨ .
(١٣) انظر : الديوان ص : ٢١٩ — ٢٢٠ .
(١٤) انظر : الأغاني ٧ : ٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه : قول صالح بن جَناح اللَّخْميّ (١) :

يا أيّها الملِكُ الذي بِيَمينِـــه ... بابُ الزّمان وصَوْلةُ الحَدثـــان
أنْعِم صَباحًا بالسُّيوق وبالقَنـا ... إنّ السِّلاحَ تحيّة الفُرْســـان

وقول شُقْران مولى بني سَلامان في قَتْل الوليد بن يزيد (٢) :

إنّ الذي ربّصها أمْـــرَه ... سرّاً وقد بيّن للسامـــع
لكالتي يَحْسَبُها أهْلُهـــا ... عَذْراءَ بِكْراً وهي في النّاسـع

وتحقّقت الوحدةُ الموضوعيّة في المقطوعات التي نَظَمها شعراءُ اليمانيّـــة ، فقد تخفّفوا فيها من كثير من التّقاليد الفنيّة التي نَجِدُها في القصائد الطّويلـــة فلم يَفْتَتِحوا مقطوعاتهم بالمقدّمات التقليديّة ، كالمقدّمة الطّلليّة أو الغَزليّـــة أو مقدّمات وصْف الظّعن والخمر والشّيْب والشّباب والطّيف ، ولم يتحدّثوا عن الرّحلـة في الصّحْراء ، ولا عن حُمُر الوَحْش ومَناظِر الصّيْد ؛ لأنّهم كانوا يُعبّرون عن أحداث ومواقف ومُناسَبات مُعيّنة في أبْيات مُحْكَمة البناء ، مُركّزة الإحْساس ، كقول يَحْيى بـــن مُعاذ الكَلْبيّ يُعْلِنُ انْتِصار قبيلته على قيس في واحدةٍ من المَعارك التي دارَت بينهما ، ويفخرُ بقَتْل الكلبيّين سَراةَ سُلَيْم وعامر ، وتَرْكهم طعاماً للذّئاب ، ويشمتُ بانْدِحـــار القيْسيّين ووقوع نسائهم سبايا في أيْدي الكَلْبيّين (٣) :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ زُفَراً رَسَـــولاً ... ومُبْلِغه عُمَيْرَ بنَ الحُبـــاب
ضَرَبْنا جَمْعَكُم حتّى تَولّـــى ... بكلّ مُهنّدٍ مثل الشّهـــاب
فِدىً لبني جَناب جُلّ مالـي ... أجَلْ ، وحَليلتي لبني جَنـــاب
هُمُ تَركوا سَراةَ بني سُلَيْـــم ... وعامِرَها طعاماً للذّئـــاب
وهُم ضَربوهُمُ حتّى تَولّـــوا ... وخلّوا كلّ بهْكَنَةٍ كَعَـــاب

وقول يزيد بن خالد القَسْريّ يُندّدُ بقَتْلِ القيْسيّة لأبيه غدْراً وعُدْواناً ، وهو المُسْلم الصّالح ، ويشْمَتُ باغْتيال الوليد بن يزيد ، مُرَدّداً أنّه قَتله بأبيه ، وكان يزيد بن خالد أتـــى الوليدَ وهو مُجَنْدَل ، فضَربه تِسْعَ ضَربات (٤) :

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأردنيّة) ٨ : ٩٧ .
(٢) نفسه ٨ : ٤٨ . وانظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ : ٣٢٧ .
(٣) الحماسة الشّجرية ١ : ١٧١ — ١٧٢ .
(٤) أنساب الأشراف (مصوّرة الجامعة الأردنيّة) المجلّد الثّاني ص : ٣٣٥ والوليد بن يزيد ، عرض ونقد ص : ٤٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قَتَلْتُم خالداً بالظُّلْمِ قَسْـــراً وما يَبْغي سِوى الإسلامِ دِيْنـــا
قَتَلْتُ إمامكُم بأبي فحَسْبـــي وقد قَتلوا سِواه آخرينـــــا

وقول عُوَيْج الطّائي يَمْتَدِحُ كَلْباً وقائدَها حُمَيْدَ بن حُرَيْث بن بَحْدَل الكَلْبيّ، في الوقائع التي كانت بينها وبين قيس بعد مَرْج راهِط[1]:

لقد عَلِمَ الأَقْوامُ وقْعَ ابنِ بَحْـدَل وأُخرى عليهم إنْ بقي سيُعيدُهـــا
يقودونَ أولادَ الوَجيه ولاحِـــقٍ من الرّيف شَهْراً ما يَني مَنْ يقودُها
فهذا لهذا ثمّ إنّي لنافِـــضٌ على النّاس أقْوالاً كثيراً حُدودُهـــا
فلولا أميرُ المُؤمنين لأَصْبحـت قُضاعة أَرْباباً. وقيسٌ عَبيدهـــا

وواضح أنّ المُقدّمات التّقليديّة لا تَصْلُح لمثل هذه الإعْلانات الشّعْريّـــة التي يصوغُها الشُّعراءُ في أبيات قليلة، ليسهُل حِفْظُها وانْتِشارُها بين القبائل.

وتحقّقت الوحْدةُ الموضوعيّة أيضاً في القصائد التي نَظَمها شعراءُ اليمانيّة مثل قصيدة ميْسون بنت بَحْدَل الكلبيّة في الحَنين، فإنّ فيها وحدةً موضوعيّة تفْتقِدُها كثير من القصائد الأُمويّة عند غير شعراء الغزل العُذْريّ، فهي تُعبّرُ عن مَشاعرَ متقاربة من الشّوق والحَنين، وزاد قِصَر أبياتها وقُرْبها إلى شَكْل المقطوعة من تَماسُكِهـــا ووحْدتها الشّعوريّة. ومثل قصيدة النُّعْمان بن بشير الميمّة[2] التي تُسيْطِر عليها عاطفةُ الشّوق إلى زَوْجهِ أُمّ عبد الله، على الرّغم من تَعدُّد موضوعاتها. وقصيدة ابن حَوْشَب ذي ظُلَيْم الحِمْيَريّ في تَهْديد مُعاوية بن أبي سُفْيان[3].

ومن هذه القصائد أيضاً: قصيدتا بَيْهس بن صُهَيْب الجَرْميّ في رثـــاء صَفْراء[4]. وقصيدة عطيّة الكَلْبيّ مولى ثابت بن نُعَيْم الجُذاميّ وهي تَتوالى على هذا النّحْو[5]:

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ٥: ٥٤٤.
(٢) انظر: شعر النُّعْمان بن بشير الأنصاريّ ص: ١١٧—١٢٧.
(٣) انظر: الإكليل ٢: ٢٠١—٢٠٢. وسَتَرِد: أبيات من القصيدة بعد قليل.
(٤) انظر: الأغاني ٢٢: ١٣١، ١٣٣.
(٥) كتاب الوحشيّات ص: ٢٠—٢١، وانظر أبياتاً منها في: أنساب الأشراف (مُصوّرة الجامعة الأردنيّة) المجلّد الثّاني ص: ٣٥٢—٣٥٣، وتاريخ الموصل ص: ٦٦، ومعجم الشّعراء ص: ١٥٨—١٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَبلغْ بني القَيْن عن قيسٍ مُغَلْغَلةً ... قومي وَمَشْجَعةَ النائي بها الوَطَنُ
ودّي إذا غِبْتُمُ عن نَصْر قومكم ... كنْتُم جَميعاً وأَدْنى دارِكُم عَدَن
يا ثابتُ بنَ نُعَيْم دَعْوة جَزِعاً ... عقّت أَباها وعقّت أُمَّها اليَمَن
كم من أَخٍ لك أو مولى فُجِعْتَ به ... يوم الوقيعةِ لم يُنْشَر له كَفَن
ومن يمانيةٍ بيضاءَ مُوجَعةٍ ... ما إنْ يَسوغُ لها ماءٌ ولا لَبَن
مَفْجوعةٍ بذوي القُرْبى إذا ظَمِئَتْ ... رَدّ الشَّرابَ عليها الثُّكْلُ والحَزَن
يا ثابتُ بنَ نُعَيْم ما بكم شُوَرٌ ... أَبَعْدَ عامِك هذا تُطْلَبُ الإحَن
بيِّن لنا يأْمُرُ الجُنْدان أَمْرهُما ... ماذا تُريد بأَنّا منكمُ قمن
قد طالَ ما قد أَرى أَشْرافَنا أَكلت ... أَحْسابَها وتأَتّيناك مذ زَمن (١)
ياخَيْرَ مَنْ طَلَب اللّهُ الدِّماءَ به ... حاشا النبيّ وإنْ قالوا هَنٌ وهَن
أَنائمٌ أَنتَ أَمْ مُغْضٍ على مَضَضٍ ... كلاّ وأَنتَ على الأَحساب مُؤْتَمَن
وتاركٌ أَنتَ مالَ اللّه يأْكُلُه ... عَيْرُ الجَزيرة والأَشْرافَ تُرْتَهَن (٢)
أَو يَهْجَعَنَّ سليماً في منازله ... أَو يأْمنَنَّ وأَهلُ الخوف ما أَمِنوا

فهو لم يبدأْ قصيدته بالمقدّمة الطَّلليّة أو الغَزليّة أو غيرهما من المقدّمات التّقليديّة، بل نَظَمها في موضوع واحد هو تَحْريض ثابتِ بن نُعَيْم واليمانيّة على الثّورة، مُبيّناً في أثناء ذلك ظُلْمَ مروان وتسلُّطَه. فلمّا بلَغت قصيدتُه مروانَ، أَحْضَره وسأَله عنها فاعْتَرف بها فقَتَله. وكانت السَّبب في خُروج ثابت بن نُعَيْم على مروان سنة سبْعٍ وعشْرين ومائة للهجرة(٣).

وتأَلّفت قصائدُ عديّ بن الرّقاع من قِسْمَين هما: المقدّمة على تَعدُّد أَشْكالها، والموضوع وغالباً ما يكون المَديح.

---

(١) لعلّ الصّواب: تأَيّيْناكَ (بمائين) من قولهم: تأَيّيتُ الشّيءَ إذا تَعمّدْتُ آيته أي شَخْصه.

(٢) عَيْرُ الجَزيرة: لقبٌ لمروان بن محمّد. وكان يُلقّب أيضاً بالجَعْديّ.

(٣) تاريخ الموصل ص: ٦٦، ومعجم الشعراء ص: ٤٥٨–٤٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ — اللُّغة والمعاني .

تحدَّثنا في الفصل الثّاني من هذه الدّراسة عن لغة القبائل اليمانيّة الشاميّة، وبيّنا أنّ هذه القبائل لم تكن يمانيّة ولا جنوبيّة من الوِجْهة اللُّغويّة، لأنّها تعرّبت منذ العصر الجاهليّ ، واتّخذت العربيّةَ المُضَريّة أو الشّماليّة العَدْنانيّة لغةً لها ، كما أنّها لم تتأثّر باللّغة السُّريانيّة، لأنّها ظلّت في مَجْموعها قبائلَ بدويّة تتنقّلُ بخِيامها وأنْعامها من مكان إلى مكان في جنوبيّ بلاد الشّام . ولم يكن لها اخْتِلاطٌ كبير بالطّوائف السُّريانيّة التي سكنَت المُدُنَ الشّاميّة الكُبرى . وذكرْنا أنّ عُلماءَ اللُّغة العراقيّين وفُقَهاءَها قد منحوا هذه القبائل ثِقةً ضئيلةً، فلم يَهْتمّوا بلُغتِها ، ولم يَحْتجّوا بشعرها ، لأنّها كانت خارجةً عن مُحيط اللّغة العربيّة الفَصيحة الذي تَواضَعوا عليه .

ويُمْكِنُنا بعد أنْ دَرَسْنا شعرَ القبائل اليمانيّة الشّامية في العصر الأُمويّ أنْ نقول : إنّ لغةَ هذا الشعر بعامّة لغةٌ جزْلة رَصينة مُحْكَمة تجْري على الطّبع والذّوق السّليم ، وإنّ ألفاظَه تتباينَ من حيث الجزالةُ والقوّة من موضوع إلى موضوع، فهي في الغَزل والتّهْنِئة أرقُّ منها في المديح والفخر والرّثاء والوَصْف وغيرها من الموضوعات التّقليديّة التي اسْتَخْدموا فيها الألفاظَ الفَخْمة والتّراكيب الجَزْلة والمَعاني التي لا تخلو من مُبالغة ، كقول ابن حَوْشب ذي ظُلَيْم الحِمْيريّ يفخرُ بقومه ويُهدِّدُ مُعاوية بن أبي سُفْيان (١) :

مُعاويَ مَهْلاً من تَهدُّد قومنا ... فإنّا وَرَدْنا الحَوضَ عند الكَبائرِ
أقَمْنا على صِفّين حتّى تَوَرَّدَت ... صَفائحُ في أيدي حُماةٍ مَساعِرِ
مُعاوي إلاّ تَقْضِ بالحقّ تَعْتَرِف ... نَواصي خَيْلٍ مُنْعَلات الحَوافِرِ
عليهن هَيْسٌ من مقاويل حِمْيَر ... مُعيدون يوم الرَّوع جَدْعَ المَناخِرِ
إذا ما مَشوا في السّابريّ حَسِبْتَهم ... هَرابِذَةً من تحت سُود المَغافِر(٢)
كأنّهمُ في النّاس أنْجُمُ حِنْدِسٍ ... تلألأُ في أعلى بُروج المناظِرِ
لنا المُلْكُ قِدْماً لا نُدافَعُ دونَه ... وما زالَ في قَحْطان سَطْوةُ قادرِ

---

(١) الإكليل ٢ : ٢٠١ — ٢٠٢ .
(٢) الهرابِذة : قومَة بيت النّار عند الهُنود ، وتُطلق على عُظماء الهُنود وعُلمائهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكلُّ رَقيقِ الحدِّ يقطُرُ مـــاؤُه وكلِّ صَليبٍ من قنا الخطِّ شاجِـــر
وكلِّ كُمَيْتٍ لا يُنالُ قَذالُـــــهُ وأَشْقَرَ مثل السِّيد نَهْدِ الزَّوافـــر

على أنَّها مع ذلك تظلّ ألفاظاً وتراكيب مألوفة استَخْدَمها الشُّعراءُ قبلهم.

وكانت معاني هذا الشّعر في جُمْلتها تقليديّةً مُكرَّرة، وبخاصّة في الفخر والهجاء، بسبب ترسُّخ القِيَم الجاهليّة في نُفوس الكثيرين من شعراء هذه القبائل. وراوَح الشُّعراء في المديح والرّثاء بين المعاني الجاهليّة والمعاني الإسلاميّة، وتخفّفوا في الرّثاء من المعاني التقليديّة التي تتمثّل في أُسلوب التّعْزِيَة الذي يقومُ على وَصْف الصِّراع بين كلاب الصَّيد وحُمُر الوَحْش، والحَديث عن هلاك أَقْوى حيوانات الصَّحراء وأَشدِّها ضراوةً.

ومن معانيهم الجديدة: الفخرُ بعُمْق المَوْهِبَة الشِّعريّة كما رأَينا عند شُقْران مولى بني سَلامان. والتَّهْنِئَة بالزَّواج، وهي من المعاني الإسلاميّة التي لم يُرْوَ لشعـــراء الجاهليّة شيءٌ منها (١).

ونكاد لا نَجِدُ صُعوبةً في الألفاظ إلاّ عند النّعْمان بن بشير الأَنصاريّ وعدّي بن الرّقاع العامليّ، بسبب تقليدهما للشُّعراء الجاهليّين، بحيث يتعذّر تَفْسيرُ الكثيـــر من مُفْرداتها دون الرُّجوع إلى مُعْجَمات اللّغة، وذلك حين يَنْظِمان في الموضوعات التقليديّة مثل: وصف النّاقة والفَرَس والصَّحراء وحيواناتها، ووصْف السَّحاب والبَرْق والمطر، وهي الموضوعات التي امتازت لغتُها منذ العصر الجاهليّ إلى أَواخر العصر الأُمويّ بالغَرابة والصُّعوبـــة. فمن المُفْرَدات الصَّعْبة في شعر النُّعْمان بن بشير(٢): "يَحْفِشُ الوَدْق" (٣)، و"بُنانَه" (٤)، و"صُمَّ" (٥)، و"القَطيع المُحَرَّم" (٦)، و"مُرْجَحِنَّة" (٧). ومن أَمْثِلَتِها في شعر عدّي بـــن الرّقاع قوله يصفُ إبلاً (٨):

---

(١) الشّعراء الشّاميّون ص: ٣٩.
(٢) انظر: قصيدة النّعْمان بن بشير الهمَيَّة في: شعر النُّعْمان بن بشير الأَنْصاريّ ص: ١١٧.
(٣) يَحْفِش: يسيل من كلّ جانب إلى مُسْتَنْقَعٍ واحد. والوَدْق: المطر.
(٤) بُنانه: رؤوسُه.
(٥) الصَّمّ: الصُّلب الشّديد.
(٦) القَطيع المُحَرَّم: السّوط الجديد الذي لم يُلَيَّن بعد.
(٧) مُرْجَحِنّة: مُسْتَديرة ثقيلة.
(٨) الدّيوان ص: ١٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحْسَبُ النّاظِرونَ مالم يسفُرّوا ... أنّها جِلّةٌ وهنّ فِتـــاءُ (١)
قد نما في ضُروعها النّيّ والحَمْلُ ... تِماماً واسْتَرْخَتِ الأَصْـــلاءُ (٢)
فَنتَجْنا قَناعِساً رَعَت الحـــوّة ... أو جَوْشَ فهي قُعْسٌ نِـــواءُ (٣)

ومنها (٤) : "الكِمْع" (٥) ، و "الحَجاء" (٦) ، و "احْزألّ صُواها" (٧) و "مُصمّعات" (٨) ، و "ائتلأبّ" (٩) ، و "مُسْتلبِئ" (١٠) ، وغيرها من الألفاظ (١١).

أمّا حين يَنْظِمان في الموضوعات الرّقيقة كالغزل والتّهنِئة، فإنّهما يَسْتخدِمان الألفاظ الرّقيقة والمعاني الحَضَريّة العَذْبة، ومثال ذلك قول النّعْمان بن بشير (١٢) :

إنّي لعَمْرو أبيك يا ابْنةَ هانـــئ ... لو تَصْحَبينَ ركائبي لشَقيـــت (١٣)
وتَسرُّ أُمُّك أنّنا لم نَصْطَحِـــب ... فَدعي التّبسُّطَ للّقاءِ نسيـــت (١٤)
واقْني حياءَكِ واقْعُدي مَكْفِيّـــةً ... إنْ كُنْتِ للرشْد المُصبِّ هُدَيـــت
ولعلّ ذلك أنْ يُرادَ فتكرَهـــي ... وهناك إنْ عِفْتِ السّفارَ عُصيـــت

---

(١) لم يغُرّوا : لم ينظروا إلى أسْنانها . وجِلّة : كبيرة السنّ . وفِتاء : أي فتيّة .
(٢) نما : ارتفع . والأصْلاء : جمع صلا ، والصّلوان : مكْتَنِفا الذّنب .
(٣) قناعِس : شِداد . والحوّة : حرّة لكلب . وجَوْش : أرض لبني القَيْن . والقَعَس : نقيض الحَدَب . ونِواء : سِمان .
(٤) انظر : قصيدته الهائيّة في : الديوان ص : ٩٦–١٠٧ .
(٥) الكِمْع : المُطْمئنّ من الأرض .
(٦) الحَجاء : ما أشرف من الأرض .
(٧) احْزألّ : اجتمعَ وانْقبض . والصّوى : حجارة تُوضَع على المَشارف ليُسْتدلّ بها .
(٨) مُصمّعات : بَعرات مُلْتزِقات .
(٩) ائتلأبّ : استقام .
(١٠) مُسْتلبِئ : أي يشرب اللّبأ .
(١١) انظر : الديوان ص : ١٧٧ .
(١٢) شعر النّعْمان بن بشير الأنْصاريّ ص : ١٣٨–١٣٩ .
(١٣) ابنة هانئ : هي ليلى بنت هانئ الكِنْديّة زوج النّعْمان بن بشير .
(١٤) التبسُّط : ترك الاحتِشام . ويُقال : تبسّط في البلاد : سار فيها طولاً وعرضاً .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَتَى تَذكُّرها وغَمْرةُ دُونهـــا هيهاتَ بطْنُ قَناة من بَرْهـــوت (١)

وقول عديّ بن الرّقاع في تَهْنِئَة عبد العزيز بن الوليد بالزّواج (٢) .

وقولـه (٣) :

ومِمّا شَجاني أنّني كنْتُ نائمـــاً أُعلَّلُ من فَرْط الكَرى بالتّنسُّـــم
إلى أنْ بكَتْ وَرْقاءُ في غُصْنِ أَيكَةٍ تُردّدُ مَبْكاها بِحُسْن التّرنُّـــم
فلو قبل مَبْكاها بكيْتُ صَبابـــةً بليلى شَفيْتُ النَّفْس قبل التّنـــدُّم
ولكنْ بكَتْ قبلي فهاجَ لي البُكـــا بُكاها فقلتُ : الفَضْلُ للمُتقـــدِّم

فهو يتخيّر ألفاظًا سَهْلة رقيقة لتتلاءم مع المعاني التي ضمّنها مقطوعته التي يبدو فيهـــا أثرُ نُعومة العيْش واضحاً (٤) .

ومن المُفْردات الحَضاريّة في شعر عديّ بن الرّقاع (٥) ، القَلَم ، والدّواة ، والكِتاب ، والبَريد ، والتّجار في قوله (٦) : " قلم أَصابَ من الدّواة مِدادَها " وقوله (٧) : " لِمَنْ رسـمُ دارٍ كالكتاب المُنَمْنَـم " ، وقوله (٨) :

ونحنُ بأَرضٍ قِلّ ما يَجْشُم السُّـرى بها العِيسُ إلّا الحِسانُ الحَرائـــرُ
كثير بها الأَعداءُ يحْصُر دونهـــا بريدُ الأَمير المُسْتحثّ المُثابـــر

وقوله في الخمر (٩) :

عُتِّقَت في القِلال من بيْـت رأْسٍ سَنَوات وما سَبَتْها التّجـــار

وتأَثّر عديّ بن الرّقاع بأُسلوب القُرآن الكريم ولغته ، فازْدادَت لُغَتُه بهذا التأَثُّـــر عذوبةً وطلاوة ، وظَهرت الألفاظُ الدّينيّة في شعره بوضوح ، وبخاصّة في مدْحِه للوليد بـــن عبد الملك (١٠) وعمر بن عبد العزيز (١١) . وله قصيدة ضمّنها بعض القصص القُرآني ، فذكـــر قِصّة نوح وداود عليهما السّلام ، وقصّة ثَمود ، وأَشار تَفْصيلاً إلى قصّة السّفينة والطوفـان ،

---

(١) غَمْرة : موضع . وقناة : وادٍ بأَتي من الطّائف . وقناة أَيضاً : وادٍ بالمدينة . وبرهوت : وادٍ باليَمَن . وقيل : بئر بحَضْرَموت .
(٢) انظر : الديوان ص : ٢٥٧ .
(٣) انظر : نفسه ص : ٢٦٦ .
(٤) الشّعراء الشّاميّون ص : ٣١ .
(٥) نفسه ص : ٣٤ .
(٦) الدّيوان ص : ٨٥ .
(٧) نفسه ص : ١٢٨ .
(٨) نفسه ص : ١٩٧ .
(٩) نفسه ص : ١٧٧ . وانظر : ص : ١٥٦ .
(١٠) انظر : نفسه ص : ١٥٠ ، ١٦٨ ، ٢١٦ .
(١١) انظر : نفسه ص : ١٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانتهى إلى أنّ الإنسان غير خالد (١) .

واستَشْهَد بعضُ اللّغويين والنّحْويّين المُتأخّرين بأبيات من شعر عديّ بن الرّقاع وحكيم بن عيّاش الكَلْبيّ . منها : قول عديّ بن الرّقاع(٢) :

حَرْفٌ تشذّرُ عن رِبْلان مُغْتَمِسٍ مُسْتَحْقِبٍ رَزَأَتْهُ رِحْمُها الجَمَلا

وهو من شَواهد تأنيث الرّحم(٣) . وقد استَشْهَدَ ابنُ مَنْظور في مُعْجَمه بأربعة وتسعين بيتاً لعديّ بن الرّقاع وُزّعت على خمس وستّين مادّة(٤) .

ومنها : قول حكيم بن عيّاش الكَلْبيّ (٥) :

فما وُجِدَت بناتُ بني نِزارٍ حلائلُ أَسْوَدَين وأَحْمَرينا

وهو شاهد على شُذوذ جَمع أسود وأَحْمر جَمْع تَصْحيح . وأَجاز ابنُ كيْسان أَحْمَرون وسَكْرانون ، واسْتَدلّ بهذا البيت ، وهو عنده غير شاذّ (٦).

وَوَرَدت في شعر القبائل اليمانيّة الشّاميّة ألوانٌ من المُحَسّنات اللّفْظيّة والمَعْنويّة كالجِناس والتّصْوير والطّباق والتّقْسيم والمُبالغة والاحْتِراس والتّفْسير . فمن المُحَسّنات اللّفظيّة : الجِناس، ومنه جناس الاشْتِقاق كقول النّعْمان بن بشير يُجانِس بين بَدْر وتَبْتَدِرُكم(٧) :

" أَلم تَبْتَدِرْكُم يومَ بَدْر سُيوفُنا " . ومن الجِناس التامّ قول حُمَيْدة بنت النّعمان بن بشير في زوجها القَيْض بن محمّد الثّقفيّ (٨) :

أَلا يا قَيْضُ كنْتُ أَراكَ فَيْضاً فلا فَيْضاً أَصبْتُ ولا فُراتا

وزاوَجَت حُمَيْدة بين الجناس والطّباق فقالت في رَوْح بن زِنْباع(٩) :

سُمّيتَ رَوْحاً وأَنتَ الغَمُّ قد عَلِموا لا رَوَّح اللّه عن رَوْح بن زِنْباعِ

---

(١) انظر : الديوان ص: ٢٣٩ .
(٢) نفسه ص: ٧٧ .
(٣) لسان العرب : مادّة : رحم .
(٤) د . ياسين الأيّوبي : معجم الشعراء في لسان العرب ص: ٢٧٩ .
(٥) الأغاني ١٦ : ٣٤١ .
(٦) خزانة الأدب ١ : ١٧٨ .
(٧) شعر النّعْمان بن بشير الأنْصاريّ ص: ١٥٥ .
(٨) الأغاني ٩ : ٢٢٣ .
(٩) بلاغات النّساء ص: ٩٦ . وانظر : الأغاني ٩ : ٢٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن جناس الاشتقاق قول صالح بن جَناح اللَّخْمي يُجانس بين أُحْسِنُ ويُحْسِن «ومُحْسِنوهم»، وبين الإساءة وأساءوا (١) :

وكنْتُ إذا صَحِبتُ رجالَ قوم ... صَحِبْتُهُم وشيمَتيَ الوَفاءُ
فأُحْسِنُ حين يُحْسِنُ مُحْسِنوهم ... وأَجْتَنِبُ الإساءَةَ إنْ أَساءوا

وقول عدّي بن الرّقاع مُجانِسًا بين المَسامح وسَماحة(٢)، وبين «غيثًا» وأَغاث(٣) :

نزل الوليدُ بها فكان لأهلها ... غيثًا أَغاثَ أنيسَها وبلادَها

وجانس أيضًا بين صلّى والصّلوات، و«أَجْمَعوا والجُمَعا» (٤)، ومَسْبوق وسَبّاق (٥) :

ومنها : التّصْدير أو ردّ العَجُز على الصّدر، وهو يُكْسِب البيت الذي يكون فيه أُبَّهةً ويكْسوهُ رَوْنَقًا ودِيباجة، ويزيدُه مائيّة وحلاوة(٦).

ومنه قول صالح بن جَناح اللَّخْميّ (٧) :

ولا خيرَ قبل الماءِ في الطّيّب كلّه ... وما الطّيّب إلّا الماءُ قبل التطيُّبِ

وقول شُقْران مولى بني سَلامان (٨) :

أَسيرُ أمام قيس كلّ يوم ... وما قيسٌ بسائرةٍ أمامي

ومن المُحسّنات المعنويّة في أشعار اليمانيّة : الطّباق، وهو من المُحسّنات التي تُعمّق المَعْنى وتزيده وُضوحًا. وأمثلته كثيرة منها : قول عبد الله بن النُّعْمان بن بشير الأنصاريّ يُطابقُ بين غائب وشاهد، وبين الدنوّ والتّباعُد (٩) :

ماذا رجاؤُكَ غائبًا ... مَنْ لا يسرُّكَ شاهِدا
وإذا دَنوْتَ يزيدُه ... منك الدنوُّ تباعُدا

وقول صالح بن جَناح مُطابقًا بين الجَهْل والحِلْم (١٠) :

---

(١) رسائل البُلَغاء ص: ٣٩٥.
(٢) انظر : الديوان ص: ٩٣.
(٣) نفسه ص: ٩١.
(٤) نفسه ص: ٢١٩.
(٥) انظر : نفسه ص: ٢٥٢.
(٦) العُمْدة ٢ : ٣.
(٧) رسائل البُلَغاء ص: ٣٩٩.
(٨) الأغاني ٢ : ٢٧٠.
(٩) نفسه ١٦ : ١٩.
(١٠) المُسْتطرف في كلّ فنّ مُسْتَظْرف ص: ١٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا كُنْتَ بين الجَهْلِ والحِلْم قاعِداً وخُيِّرْتَ أنّى شِئْتَ فالحِلْمُ أَفْضَلُ

وقوله مُطابِقًا بين يُكْتُم ويُبْدي (١) :

تَظَلُّ في قلبه البَغْضاءُ كامنةً فالقلبُ يكتُمُها والعينُ تُبْديها

وأمثلة الطّباق في شعر صالح بن جَناح مُتعدِّدة (٢) .

ومن الطّباق قول عُوَيْج الطّائي يُطابق بين أَرْباب وعَبيد (٣) :

فلولا أَميرُ المُؤْمنينَ لأَصْبَحَت قُضاعةُ أَرْباباً . وصِرْنا عَبيدُها

و منه في شعر عديّ بن الرّقاع قوله يُطابق بين الوُرود والصُّدور والترحُّل والنُّزول (٤) :

يَرِدونَ ثُمَّتَ يَصْدُرون فمنهُمُ مُترحِّلونَ وآخرونَ نُزولُ

والطّباق في شعره كثير (٥) .

وطابق المُسيَّبُ بنُ رِفْل الكَلْبيّ بين الحقّ والباطل فقال (٦) :

قَتَلْنا يزيدَ بنَ المُهلَّب بعْدَما تمنَّيْتُمُ أنْ يغْلِبَ الحقَّ باطِلُه

وطابَقَ الحَنْتَفُ الضِّنّي (٧) بين الطّارف والتّلْد فقال (٨) :

إيْهاً فِداكُم طارفي وتَلْدي فجالِدوا عن دينكم بجِدِّ

ومنها : التّقْسيم في قول الأُقَيْلِ القَينيّ (٩) :

فما القيْدُ أَبْكاني ولا القَتْلُ شفَّني ولا أنَّني من خَشْية الموت أَجْزَعُ

وفي قول عديّ بن الرّقاع يصف امرأة (١٠) :

قُضاعيَّةُ الكَعْبَيْن كِنْديَّة الحَشا خُزاعيَّةُ الأَطْراف طائيَّة الفَم

لها حُكْمُ لُقْمان وسُورة يوسف ومنْطِقُ داود وعفَّة مَرْيَم

---

(١) رسائل البُلَغاء ص: ٣٨٧ .
(٢) انظر : نفسه ص: ٣٨٨ ، ٣٩٨ .
(٣) تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٣٤٤ .
(٤) الديوان ص: ٢٠٨ .
(٥) انظر : نفسه ص: ٧٢ ، ١١٣ ، ١٧١ ، ١٧٧ ، ١٩٣ ، ٢٠٤ .
(٦) أنساب الأشراف (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيّة) المجلّد الثّاني ص: ٢١٥ . وانظر : التّنبيه والإشراف ص: ٢٧٨ .
(٧) الحَنْتَف الضِّنّي : شاعر من بني ضِنّة بن سعد بن ليْث بن زيد ، من قضاعة . انظر : أنساب الأشراف (مصوَّرة الجامعة الأُردنيّة) المجلّد الثّاني ص: ٣٤٨ .
(٨) أنساب الأشراف (مصوَّرة الجامعة الأُردنيّة) المجلّد الثّاني ص: ٣٤٨ .
(٩) تاريخ مدينة دمشق (مصوَّرة الجامعة الأُردنيّة) ٣ : ٣٩ .
(١٠) الديوان ص: ٣٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي قوله للوليد بن عبد الملك (١) :

فأَنْتَ غِيْثٌ بإِذْن اللّه أَرْسَلَـــه للمُسْلمينَ حيًا والأَرض عِمْرانـــا
فلا تَرى نائلاً يَجْري كنائلـــه ولا كبُنْيانِه في الأَرْض بُنْيانـــا

ومنها : المُبالغة وهي " أَنْ تبلُغَ بالمعنى أَقصى غاياته، وأَبْعد نِهاياته ولا تَقْتَصِر في العبارة عنه على أَدنى منازله وأَقْرب مراتبه " (٢) .

والمبالغة ضَرْبان (٣) : ضَرْبٌ فيه ملاحةٌ وقَبول، وضَرْب فيه إِسراف وخُروج بالصِّفة عن حدِّ الإِنسان .

فمن الضَّرْب الأَوّل المقبول مُبالغة الشّعراء في تَصْوير قوّة قبائلهم وكَثْرة فُرسانها وظَفَرها بأَعدائها (٤) ، وفي تَصْوير قُبْح مَهْجوّيهم وقَذارتهم وخُمول ذِكْرهم (٥) . ومنه قول أَحد شعراء اليمانيّة الذين حَضَروا مُفاخرة الضّحاك بن المُنذر الحِمْيَري لمُعاوية بن أَبي سُفْيان (٦) :

إِذا النّاسُ عدّوا المَكْرُمات فإِنّمـــا لنا فَوقهم طُرًّا ثلاثُ مكـــارمِ
بعَمْرو وبَنْهد المُعْلمين لدى الوَغى وبَفْخَرُهم عند السَّخاء بحاتـــم (٧)
وَنَفْخَرُ بامري القيس مَنْ كان شاعـــرًا
من الإِنْس والجِنّان يوم التَّـــلازُم

ومن الضَّرْب الثّاني قول عديّ بن الرّقاع (٨) :

وبقيتُ حتّى ما أُسائلُ عالِمـــاً عن عِلْم واحدةٍ لكي أَزْدادَهـــا

حتّى إِنّ أَبا جَعْفَر محمّد بن موسى المُنجّم قال : ما ذُكِر لي أَحَدٌ فأَحْبَبْتُ أَنْ أَراه إِلاّ ابن الرّقاع، فكنْتُ أَعْرِضُ عليه أَصْناف العُلوم، فكلّما مرَّ به شيءٌ لا يُحْسِنه أَمرْتُ بصَفْعِه (٩) .

---

(١) الديوان ص: ١٧٣.
(٢) أبو هلال العَسْكري : كتاب الصّناعتَيْن ص: ٣٦٥.
(٣) د. عبدالعزيز عتيق : علم البديع ص: ٩١.
(٤) انظر : تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٣٥، والأَغاني ١٩ : ١٥٢.
(٥) انظر : الحيوان ٣ : ٥٠٩، وأَنساب الأَشراف ٤ : القسم الأول ص: ١٤٩.
(٦) الإِكليل ٢ : ٢٠١.
(٧) عمرو : هو عَمْرو بن مَعْدي كَرِب الزُّبَيْديّ. وبَنْهد لعلّه : خالد بن يزيد النَّهْدي. وحاتم : هو حاتم الطائيّ الجواد المشهور.
(٨) الديوان ص: ٩١.
(٩) الأَغاني ٩ : ٣٠٣، والمُوشّح ص: ١٧٣، ومُحاضرات الأُدباء ١ : ٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله يمدح الوليدَ بن عبد الملك [١] :

صلّى الذي الصَّلواتُ الطّيّبات لـــه ... والمسلمونَ إذا ما أَجْمَعوا الجُمَعـا
على الذي سَبَقَ الأَقوامَ ضاحيـــةً ... بالأَجْر والحَمْد حتّى صاحباه مَعـا
هو الذي جَمَعَ الرحمنُ أُمَّتـــــه ... على يديه وكانوا قبله شِيَعـــــا

فصورةُ المبالغة في هذه الأبيات تبدو مقبولةً، لأنه جعل ممدوحه كالرّسول يُصلّي عليه اللّه والمسلمون، وهو الذي جَمَعَ اللّه الأُمّةَ على يديه، وهذه صفات لا تَنْطبق إلّا على الرّسول [٢].

ومنه قول عَتِيْد [٣] بن ضِرار الكَلْبيّ [٤] :

تغيّرت البلادُ ومَنْ عليهـــا ... ورثّ العَيْشُ إنْ أَبْغَضْتُمانـــي
وهان عليَّ صَرْمُ بني حُصَيْـــن ... وبُعْدُهم إذا لم تَصْرِمانـــي

فالبلاد لا تتأثّر بتغيّر العلاقات الاجتماعيّة بين الناس.

ومن المُحسّنات المعنوية أيضاً : الاحْتِراس والتّفْسير. فأمّا الاحْتِراس فمنه قول بَهْدَل بن صُهَيْب الجَرْميّ يصف قَبْرَ محبوبته [٥] :

برابيةٍ فيها كرام أَحبّـــةً ... على أنّها إلّا مضاجعهم قَفْـــر

فقوله : "إلّا مَضاجِعهم" إتْمام للمعنى بالاحْتِراس والتحرُّز.

ومنه قول خَلَف بن خليفة البَجَليّ يذكُر مقتل الوليد بن يزيد [٦] :

تركْنَ أَمير المُؤْمنين بخالـــده ... مُكِبّاً على خيْشومهِ غير ساجـد

فاحْتَرَسَ بقوله : "غير ساجد" عن كونه مُكبّاً للصّلاة.

وأمّا التّفْسير فمنه أمثلة في شعر الضّحّاك بن المُنْذر الحِميريّ [٧]، وفي شعر رجل من بَلْقَيْن في بيعة عبد الملك بن مروان [٨]، ومنه قول صالح بن جَناح اللَّخْميّ [٩] :

---

(١) الديوان ص: ٢١٩ — ٢٢٠.
(٢) رِحْلة الشعر من الأُمويّة إلى العبّاسيّة ص: ١٠٣.
(٣) هو عَتِيْد بن ضرار بن سَلامان بن جُشَم بن ربيعة بن حِصْن بن ضَمْضَم بن عديّ بن جَناب الكلبيّ. وهو أخو أبي الخطّار حُسام بن ضِرار. انظر : المُؤْتلف والمُخْتلف ص: ٢٢٨.
(٤) المُؤْتلف والمُخْتلف ص: ٢٢٨. وانظر : تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ١١ : ٣٤٠.
(٥) الأغاني ٢٢ : ١٣٣.
(٦) تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٦٠.
(٧) انظر : الإكليل ٢ : ٢٠٠.
(٨) انظر : أنساب الأشراف ٥ : ٣٥٥.
(٩) تاريخ مدينة دمشق (مصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ٨ : ٩٧، ونقد الشعر ص: ١٥٥ — ١٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لئن كنتُ مُحْتاجاً إلى الحِلْمِ إنّني إلى الجَهْلِ في بعضِ الأحايين أَحْوَجُ

وفسّر ذلك بأنْ قال :

ولي فَرَسٌ للحِلْمِ بالحِلْمِ مُلْجَمٌ ولي فَرَسٌ للجَهْلِ بالجَهْلِ مُسْرَجُ

فلم يزد المعنى ولا نَقَص منه، ثمّ فسّر البيتَ الثّاني فقال :

فمَنْ رامَ تَقْويمي فإنّي مُقَوَّمٌ ومَنْ رامَ تَعْويجي فإنّي مُعَوَّجُ

ومنه أمثلة في شعر عديّ بن الرّقاع العامليّ (١) .

وتدلُّ هذه المُحَسّنات اللّفظيّة والمعنويّة على مَهارة شُعراء اليمانيّة في استِخدام اللُّغة وتَجْويد المعنى وتَوْضيحه، وتزيدُ في جَمال الشعر وروعته. أمّا إذا كَثُرت فإنّها تدلُّ على تكلُّف.

ومن المآخذ اللّغويّة والنّحويّة على شعر اليمانيّة : الإقْواء، وهو اخْتِلاف حركة الرَّوِيّ، في شعر أبي ثُمامة الكَلْبيّ (٢) وعمْرو بن مِخْلاة الكَلْبيّ (٣) . والتّذْنيب : وهو من عُيوب ائْتلاف اللّفظ والوَزْن، كأنْ يأتي الشاعر بألفاظ تقْصُرُ عن العَروض، فيضطرّ إلى الزيادة فيها (٤) . كقول جوّاس بن القَعْطل الكَلْبيّ لعبد الملك بن مروان (٥) : " أعبدَ الملك ما شكرْتَ بلاءَنا " .

ومنها : أنّ الأصْمَعيّ عابَ على عديّ بن الرّقاع قوله يمدح عُمَر بن عبد العزيز (٦) :

له رايةٌ تهْدي الجُموعَ كأنّها إذا خَطَرت في تَغْلَب الرّيح طائرُ

وقال : الرّاية لا تَخْطر، وإنّما الخَطَران للرّمح (٧) .

واعتبر الآمديّ قول عديّ (٨) :

وكفّك سَبْطة ونَداك سَحٌّ وأنت المرءُ تَفْعل ما تَقولُ

من خطأ الشعر، إذ جَعل ربّه مرءاً (٩) .

---

(١) انظر : الديوان ص : ١٣٠ .
(٢) انظر : نقائض جرير والأخطل ص : ١٧ .
(٣) انظر : التّنْبيه والإشراف ص : ٢٦٧ .
(٤) نقد الشعر ص : ٢٥٠ .
(٥) التبْريزيّ : شرح ديوان الحماسة ٤ : ٦٨ .
(٦) الديوان ص : ٢٠٠ .
(٧) المُوازنة ١ : ٤٧ .
(٨) الديوان ص : ٢٦١ .
(٩) المُوازنة ١ : ٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنها : أَنْ يلْجأَ الشاعر إلى تَرْك جَزْم الفعل المُضارع، لإقامة الوَزْن ، كقول حكيم بن عيّاش الكلْبيّ في بلْدَته المِزَّة [1] : " فمَن يَنْتَجِعْها للرشاد يُصيبُ " وحقُّ الفعل المُضارع أَنْ يكون مجْزوماً بمَنْ ، لأَنّه جوابُ الشَّرط ، فتُحْذف منه الياء .

على أَنّ هذه المآخذ اللّغوية والنَّحويّة قليلة في أَشعارهم ، كما أَنّها من المآخذ التي وُجِدَت في أَشعار من سَبَقَهم ومن لَحِقَهم من الشّعراء . ولم نَجِدْ في لُغَتِهم ومَعانيهم أَثراً للغة سُرْيانيّة أَو ثقافة أَجْنبيّة .

٣ — الصّور البلاغيّة .

كان ازْدهارُ الشعر في العصر الأُمويّ من الظّواهر التي لمسها النقّاد ، وعرفوا فيه جمالَ الصّور وجوْدة التشْبيهات .

وقد حفل شعرُ القبائل اليمانيّة الشّامية بالصّور البيانيّة كالتَشْبيه والاسْتِعارة والكِناية ، وبالأَساليب البلاغيّة كالاسْتِفهام والأَمر والنَّهْي . وجاءَت صورُهم في أَكثرها تقليديّة تُحاكي صُوَرَ الجاهليّين وأَخْيلتهم ، ومنها : صورةُ المنازل المُقْفرة والأَطلال الدّارسة التي لعبت بها الرّياح فغيّرت مَعالِمَها ، فأَصبحت لا تكاد تُعْرَف إلاّ توهُّماً ، وهي ديار صامته لا تردُّ جواباً ، ولم يبقَ فيها غير النُؤْي والأَثافيّ والرّماد [2] .

ومنها : صورة الرّياح الزَّواري التي تَهيل الرّماد على الأَطلال [3] . وصورة النّاقة العظيمة القويّة التي تقطع المَفاوز دون كَلَلٍ أَو ملل ، وتَشْبيهها بحِمار الوَحْش وأُتنه في النَّشاط والقوّة . وقد ظلّت هذه الصّورة تعيشُ في الشعر الأُمويّ كما كانت تعيش في الشعر الجاهليّ ، لأَنّ شعراءَ العصر الأُمويّ اتّخذوا من الشعر القديم نماذجَ يحْذون حَذْوَها ، ممّا جعل التّقليدَ سنّة يُطالب النقّادُ الشّعراءَ بعدم الخروج عليها [4] ، ومنها أَيضاً : صورةُ البَرْق والسّحاب والمَطَر [5] .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ٣ : ١٤٨ ، ٥ : ١٣٥ .
(٢) انظر مثلاً : ديوان عديّ بن الرّقاع العامليّ ص : ٤١ ، ٨٢ .
(٣) انظر : نفسه ص : ٦٨ ، ١١٥ ، والأغاني ٢٢ : ١٣١ .
(٤) د . علي البَطَل : الصّورة في الشعر العربيّ حتى آخر القرن الثّاني الهجْري ص : ١٦٢ — ١٦٣ .
(٥) انظر : شعر النّعْمان بن بشير الأَنصاريّ ص : ١١٧ ، وديوان عديّ بن الرّقاع العامليّ ص : ١٤٦ ، ١٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورَسَم شُعراءُ اليمانيّة صُوراً لخيل الغارة، وأَسْبَغوا عليها عدداً من الصِّفات التّقليديّة مثل : العِتْق والسُّرْعة والقُوّة وطول القامة والضُّمور وصلابة البُنْيان (١) . وتنوّعت صورُ خَيْلِهم فمنها : " العِتاق الجُرْد " (٢) ، و " الطِّوال العَذاكي " (٣) ، والضّامِرات اللّواتي " ما تَجِقّ لُبودها " (٤) ، ومنها ما تُشْبِه الجِبال (٥) لضخامتها وَمتانة أَجْسامِها ، ومنها ما تُشْبه القَطا في السُّرعة(٦) ، وتيس الفَلاة أو جُؤذر الحُلَب السَّمين في النَّشاط والقُوّة(٧).

ومن الصُّور التّقليديّة عندهم : صورة المرأة، فقد شبّهوها بالدُّمْيَة(٨) ، والظَّبْيَة(٩) ، وَبَيْضة النَّعام (١٠) . وشبّهوا ظعنَها بالنَّخل (١١) شأن الجاهليّين .

وَحظِي عديّ بن الرّقاع بعناية النقّاد ، لأَنّه كان شاعراً بارِعاً يُعْنى بتَثْقيف شعره وتَقْويمه وتَجْويده يقول (١٢) :

وقَصيدةٍ قد بِتُّ أَجْمَعُ بَيْنَها ... حتّى أُقوِّم مَيْلَها وسِنادَها (١٣)

نَظَر المُثقِّف في كُعوب قَناتِه ... حتّى يُقيمَ ثِقافُه مُنآدَها

ورسمَ صوراً بارعة كانت مثار إِعْجاب النقّاد وحَسَد الشُّعراء ، منها : قوله في صفة الظَّبْيَة التي انْفَرَدت عن سِرْبِها ، وخَذَلت صَواحِبَها لترعى وَلَدَها ، وتَشْبيهه قَرْنَ الظَّبْي بقَلَم غُسِّ في مِداد (١٤) :

---

(١) انظر : شعر النُّعْمان بن بشير الأَنصاريّ ص: ١٥٢ ، وديوان عدي بن الرّقاع العامليّ ص: ٥٥ ، ونقائض جرير والأَخْطل ص: ٢٦ ، والأَغاني ١٩ : ١٤٥ .

(٢) الأَغاني ١٩ : ١٤٥ .

(٣) نقائض جرير والأَخطل ص: ٢٦ .

(٤) التّنْبيه والإِشراف ص: ٢٦٧ .

(٥) انظر : الأَخبار الطّوال ص: ٣٦٧ ، وتاريخ الرسل والملوك ٧ : ٣٥ .

(٦) انظر : شعر النّعمان بن بشير الأَنصاريّ ص: ١٥٢ .

(٧) انظر : ديوان عدي بن الرّقاع العامليّ ص: ٥٥ ، ١٧٩ ، ٢٥٠ .

(٨) انظر : نفسه ص: ٢٣٦ ، والمُؤْتلف والمُخْتلف ص: ٢٥ .

(٩) انظر : نفسه ص: ٨٤ ، ١٦٨ .

(١٠) انظر : نفسه ص: ٢١١ .

(١١) انظر : نفسه ص: ٩٧ ، والمُؤْتلف والمُخْتلف ص: ٢٥ .

(١٢) الديوان ص: ٨٨ — ٩٠ .

(١٣) السِّناد : من عيوب القافية .

(١٤) الديوان ص: ٨٤ — ٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كالظَّبْيَة البِكْر الفَريدة تَرْتَعي ... من أَرْضِها قَفَراتها وعِهادَها
تُزْجي أَغَنَّ كأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ ... قَلَمٌ أَصابَ من الدَّواة مِدادَها (١)

فقد وَصَف ابنُ رَشيق القَيْروانيّ تَشْبيهه هذا بأَنّه من التَّشْبيهات المُفْحِم التي لم يُسْبَق أَصْحابُها إليها، ولا تَعدّى أَحَدٌ بَعْدَهم عليها (٢). واسْتَحْسَنَهُ ابنُ قُتَيْبَة الدِّينَوَريّ فقال: وعدِيّ أَحْسَن مَنْ وَصَف ظَبْية (٣). كما اسْتَحْسَنَهُ صاحبُ لسان العَرب (٤)، ووصفه أَبو هلال العَسْكريّ بأَنّه من المَشْهور الذي ليس له شَبيه (٥). وقال عنه البَصْريّ: إِنّه من التَّشْبيه الرائع (٦). وأُعْجِبَ به جَرير وحَسَدَه عليه (٧).

ومن صُوره التي انْفَرد في رَسْمها، وأَبدَع في تَحْبيرها: صورةُ أُمّ القاسم التي شبَّه فُتورَ عَيْنَيْها بعَيْني جُؤْذَر وَسْنان من جآذر جاسم فقال (٨):

لولا الحَياءُ وأَنّ رأْسيَ قد عَشا ... فيه المَشيبُ لزُرْتُ أُمَّ القاسِمِ
وكأَنّها وَسْط النِّساء أَعارَها ... عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ من جآذر جاسِم
وَسْنانُ أَقْصَدَهُ النُّعاسُ فرَنَّقَتْ ... في عَيْنه سِنَةٌ وليس بنائِم (٩)

فاسْتَحْسَن الأَصْمَعيّ قَوله هذا وفضّله على أَبيات للنّابغة الذُّبْيانيّ (١٠). وروى الخالِديان أَنّ الأَصْمَعيّ اسْتَحْسَن البَيْتَيْن الثّاني والثّالث وقال: إِنّهما أَحْسن ما قيل في قَتْرة الجُفون. وعقّبا على البيْتين بقولهما: "ولعمْري إِنّ بيْتي ابن الرّقاع هذين في نهاية الحُسْن" (١١). وأُعْجِبَ أَبو عُبَيْدة بالبيْت الثّالث وقال فيه: "ما قال أَحد

---

(١) الرّوق: القَرْن.
(٢) العُمدة ١: ٢٩٦–٢٩٧.
(٣) الشّعر والشّعراء ص: ٤١٠.
(٤) لسان العرب: مادّة: بلد.
(٥) ديوان المعاني ٢: ١٣٢.
(٦) الحماسة البَصْرية (عالم الكتب – بيروت) ١: ١٤١.
(٧) الأَغاني ٩: ٣٠٧–٣٠٨، ومُعْجَم الشّعراء ص: ٨٦–٨٧. وانظر: الكامل في اللّغة والأَدب ٢: ١٠٤٦، والعِقْد الفريد ٦: ١٤١، والمُرْقصات المُطْربات ص: ٤٠.
(٨) الديوان ص: ١٢٢.
(٩) رَنَّقَت: دارت وماجت.
(١٠) العُمدة ١: ٣٠١.
(١١) الأَشباه والنّظائر ١: ١٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مِثْل هذا المَعْنى أَحْسن منه في هذا الشّعر" (١) .

وذكر الشّريف المُرْتَضى الأبيات وقال عنها : ما وَصَف أَحَد عيْني امْرأَة إلاّ احْتاجَ إليها (٢) . وكان أبو عمرو بن العَلاء يسْتَحْسِنُ أَبْياته هذه ويُنْشِدُها فقال رجل كان يَحْضُر مَجْلِسه : أَعْرابيّ كأَنّه مَدَنيّ ، ثم قال : أَما واللّه ، لو رأَيته مَشْبوحًا بين أَربعة ، وقُضْبانُ الدُّفْلى تأْخذه لزاد اسْتِحساني له . يَعْني لو يُغَنّي به على العود (٣).

وقال الثّعالبيّ : " لم أَسمع للمُتقدّمين شعرًا في الغزل أَملَح وأَظْرَف وأَغْنَج من قول عديّ في تَشْبيه المرأَة بالظّبي الوَسْنان" (٤) . وكان جَرير يَسْتَحْسِن أَبياته هذه ويصفه بأَنّه أَنسَب الشّعراء ، ويقول : ما كان يُبالي إن لم يَقُلْ بعدها شيئًا (٥) . وأُعْجِب القاضي عليّ بن عبد العزيز الجُرْجانيّ بالبيت الثّالث فقال : إنّه زاد به على كلّ مَنْ تقدّم وسبق بفضْله جميعَ مَنْ تأَخّر . ولو قلتُ : إنّه اقْتَطَع هذا المعنى فصار له ، وحَظَر على الشّعراء الشّركة فيه ، لم أُبْعِد عن الحقّ ولم أُجانب الصّدْق (٦).

ومن صوره الطّريفة وصْفُه لطول اللّيل إذْ يقول (٧) :

وكأَنّ ليلي حين تَغْرُبُ شَمْسُه ... بسَوادِ آخر مثله مَوْصولُ

أَرْعَى النّجومَ إذا تَغيّبَ كوكبٌ ... أَبْصَرْتُ أُخْرى كالسِّراج تَجول

فاللّيل عنده مُتّصل بليل آخر طويل . وقد نَقَل بشّارُ بنُ بُرْد هذه الصّورة فقال (٨) :

وطالَ عليَّ اللّيلُ حتّى كأَنّه ... بليلَيْنِ موصولٌ فما يَتزَحْزَحُ

وعديّ أَوّل من شبّه الزّوْجَيْن بالشّمس والقَمَر في تَهْنِئَته لعبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك (٩) . وأَخذ الكُتّاب من قوله في مدْح الوليد بن عبد الملك (١٠) : "وأَتمّ نِعْمَتَه

---

(١) الأغاني ٩ : ٣٠٥ .
(٢) آمالي المُرْتَضى ١ : ٥١١ .
(٣) الأغاني ٩ : ٣٠٤ .
(٤) خاص الخاص ص : ١٠٦ .
(٥) الأغاني ٩ : ٣٠٧ .
(٦) الوَساطة بين المُتنبّي وخُصومه ص : ٣٢ .
(٧) الديوان ص : ٢٠٤ .
(٨) المُخْتار من شعر بشّار ص : ١٧ ، والعُمْدة ٢ : ٢٩٤ .
(٩) انظر : الديوان ص : ٢٥٧ ، وثِمار القلوب في المُضاف والمَنْسوب ص : ٢٩٩ .
(١٠) الديوان ص : ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه وزادَ ها" قولَهم : " وأَتمّ نِعْمَته عليك وزادَ فيها عندك"(١).

ونَقل عديّ صورةً لعِراك حِمارَيْن وَحْشيّين ، مُشبِّهاً الغُبار الذي خلّفاه وراءهما بمُلاءَة نسَجاها ، أو نَسَجها هو حولهما ، ومُشبِّهاً اخْتِفاءَ الغُبار على الأَرض الصّلْبة وظُهورَه على الأَرض السَّهْلة بالطيّ والنَّشْر فقال (٢) :

يَتعاوَران من الغُبـــار مُلاءَةً بيضاءَ مُحْدَثةً هما نَسَجاهـــا (٣)

تُطْوى إذا عَلَوا مكاناً جاسِياً وإذا السَّنابكُ أَسْهَلت نَشَراهـا

وهي صورة تقْليديّة أَخَذها عديّ من قول شاعر جاهليّ من بني عقيل (٤) :

قِفارٌ مَرْوراةٌ يَحارُ بها القطـا ويُمْسي بها الجأْبانِ يَقْتربـــان (٥)

يُثيران من نَسْج الغُبار عليهما قَميصَيْن أَسْمالاً ويرْتَديـــان

إلا أَنّه زاد في جمالها ، وأَظْهَر في رَسْمها قُدْرةً ومهارةً تَشْهَد له بالتَّجْويد والإِبْداع(٦). فقد اسْتَحْسَنها قدامةُ بنُ جعفر(٧) ، وقال عنها أَبو هلال العَسْكريّ : لا أَعـــرفُ في صِفَة الغُبار أَحْسَن ولا أَتمّ من قول عديّ بن الرّقاع وأَنشد البيتَيْن (٨) . وقَـرَن أَبو تمّام حَبيب بن أَوس الطّائي مُلاءة الغُبار بعديّ وجَعلها من متاعه الخـــاص فقال (٩) :

يُثيرُ عَجاجةً في كلّ ثَغْـــر يَهيمُ به عديّ بن الرّقـــاع

وقلّد عديّ في تَصْويره لعلاقته بأُخْتِ بني لُؤَيّ (١٠) أَعْشى بني قيس بن ثَعْلَبة فـــي مُطوّلته (١١) ، واسْتعارَ بعضَ صور عديّ بن زيد العِباديّ (١٢) ، وأَبي دُؤاد الإِياديّ(١٣).

---

(١) الشّعر والشّعراء ص: ٤١١ ، وديوان المعاني ٢ : ٢٢٣ .
(٢) الديوان ص: ١٠٥ .
(٣) يَتعاوران : أي تصير الغَبرة مَرّة للغَيْر ومَرّة للأَتان .
(٤) زهر الآداب ٤ : ٩٩٧ .
(٥) الجأْب : حِمار الوَحش .
(٦) رِحْلة الشّعر من الأُمويّة إلى العبّاسيّة ص: ٢٤٩ — ٢٥٠ .
(٧) نقد الشّعر ص: ١٣٨ .
(٨) ديوان المعاني ٢ : ١٣١ — ١٣٢ .
(٩) ديوان أَبي تمّام ٢ : ٣٣٧ .
(١٠) انظر : الديوان ص: ٩٦ .
(١١) انظر : ديوان الأَعشى الكبير ص: ١٠٧ .
(١٢) سمط اللآلي ، ص: ٨٧٦ .
(١٣) أَبو عُبَيْدة : كتاب الخَيْل ص: ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واعتَمَد شعراءُ اليمانيّة في تَشْكيل صُورهم البيانيّة على التّشْبيه والاسْتِعارة والكِناية. والتّشْبيهات على ضُروب مُخْتلفة، فمنها : تَشْبيه الشّيء بالشّيء هَيْئَةً وصورة. ومنها : تَشْبيهه به حركةً ولوْناً وصوتاً . ومنها : تَشْبيهه به معْنىً . وربّما امْتَزجت هذه المعاني بعضها ببعض، فإذا اتّفقَ في المُشبَّه مَعْنيان أو ثلاثة معان من المُشبَّه به قَوِي التّشْبيه، وتأكد الصّدْق فيه، وحَسُن الشّعر به.(١)

ولمّا كانت البيئةُ من العوامل المؤثّرة في الأدب، لأنّها تخْلعُ عليه ألوانها، وتُعْطيه بعضَ مظاهرها، فقد تأثّرت صُورُ شُعراء اليمانيّة بالبيئة الشّاميّة التي عاشوا فيها، فانْتزعوا كثيراً من تَشْبيهاتهم منها كقول النُّعْمان بن بشير يُشبّه السُّهولَ المُمْتدّة بالبسط المُزوْكَشة(٢) :

إذا الغائط المرّوت أمْسى كأنّه يُرى في شُعاع الشّمس بُرْداً مُنَمْنما

وقوله يُشبّه شيْبه بنبات الثّغام(٣) :

فكيف ولون الرأس منّي كأنّه ثَغامٌ يُرجّى ردُّ نأْيٍ وعاتم

وشبّه جوّاسُ بنُ القَعْطل عُيونَ القَيْسيّين بأحْداق الكِلاب(٤)، وشبّه فُرسانَ قومه بأُسْد الغاب(٥)، وشبّههم عمرُو بن مِخْلاة الكلْبيّ بالمُصْعَبات وهي الفُحول من الإبل (٦) . وشبّه ارْتفاعَ الرّايات في أيدي القادة وسقوطها يوم الهرج بالطّيور التي تعلو وتنْخفض، وهو تَشْبيه حَركيّ (٧) . ومنهم من شبّه نفْسَه بالذّئب(٨).

ومن التّشْبيهات المُنْتزَعة من البيئة أيضاً : تَشْبيه السّيف بالشّهاب في شعر يَحْيى بن مُعاذ الكلْبيّ (٩) . ومنها : قول رَوْح بن زِنْباع الجُذاميّ يهجو زوجه

---

(١) ابن طَباطبا : عيار الشّعر ص: ٢٣ .
(٢) شعر النّعمان بن بشير الأنصاريّ ص: ١٢٤ .
(٣) الإكليل ٢ : ٢٠٤ .
(٤) انظر : التبْريزيّ : شرح ديوان الحماسة ٤ : ٧٠-٧٢ .
(٥) انظر : نقائض جرير والأخطل ص: ٢٥-٢٦ .
(٦) انظر : تاريخ الرسل والملوك ٥ : ٥٤٣ .
(٧) انظر : نقائض جرير والأخطل ص: ١٧ .
(٨) انظر : نفسه ص: ٢٦ .
(٩) انظر : الحماسة الشّجريّة ١ : ١٧١-١٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حُمَيْدة بنت النُّعْمان ، مُشَبِّهاً رائحَتها برائحة كلب مَمْطور (١) :

ريحُ الكَرائم معروفٌ له أَرَجٌ وريحُها ريحُ كلب مسَّه مَطَـــرُ

وقول عديّ بن الرّقاع يصف فَرَسه بالمَتانة والقوّة، فيشبّه حَوامل أَوْصاله بالحَبْـــل المَفْتول (٢) :

أُمِرَّت حَوامِلُ أَوصالـــه كما تَسْتمِرّ قُوى القُنَّـــبِ

وقوله يشبّه صوتَ الحَصى تحت أَخْفاف الإبل بصَليل الدَّراهم (٣) :

وكأَنَّ رنَّة ما يُصِبْنَ من الحصـى في كلّ فَدْفَدة صَليل دَراهِـــم

وشبّه عديّ نفسه بشارب الخمر في عدّة قصائد (٤) . وشبّه أبو الخطّـــار الكلبيّ القتلى بجُذوع النَّخيل المُطَرَّحة في المسايل فقال (٥) :

قَتَلْتُ به تِسْعين تَحْسَب أَنَّهـم جُذوعُ نخيل طُرِّحَت في المَسايـل

وقامت بعضُ صورهم على الاسْتِعارة، وهي أَفضل المَجاز وأَول أَبواب البَديـع وليس في حلى الشّعر أَعْجب منها . وهي من محاسن الكلام إذا وَقَعت موقِعَهـــا ونزلت موضِعَها (٦) . فقد جعل جَوّاسُ بنُ القَعْطل الخلافةَ ناقةً لا تدرّ إلا لبنـــي أُميّة (٧) ، وشبّه الدنيا بصَحيفة تُطْوى فقال (٨) :

صَبغت أُميّة بالدّماء رماحَنـــا وطَوت أُميّة دونَنا دُنْياهـــا

واسْتعار السِّجْل للعداوة في خطابه لعبد الملك بن مروان فقال (٩) :

نَفَحْتَ لنا سَجْل العَداوة مُعْرِضـاً كأَنّك مِمّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ جاهـــل

واسْتعارَت حُمَيْدةُ بنت النُّعمان البُكاءَ للخزّ والعَجيج للمَطارف والقول للعبا والأَكْسية (١٠) . وشبّه عدي بن الرّقاع المَهْجة بالصّائد (١١) . وجعل الأَثافـــيّ

---

(١) الحيوان ١ : ٢٢٦ . وانظر : بهْجة المجالس ٢ : ٣٩ .
(٢) الديوان ص : ٢٥٠ .
(٣) نفسه ص : ١٢٤ .
(٤) انظر : نفسه ص : ٧٣ ، ١١٧ ، ١٧٧ ، ٢٢٢ .
(٥) المُؤْتلف والمُخْتلف ص : ٢٣ — ٢٤ . وانظر : تاريخ مدينة دمشق (مُصوَّرة الجامعة الأُردنيّة) ٤ : ٢٠١ ، والحلّة السّيراء ١ : ٦٦ .
(٦) العُمْدة ١ : ٢٦٨ .
(٧) انظر : أنساب الأشراف ٥ : ٣٧٦ .
(٨) التبريزيّ : شرح ديوان الحماسة ٤ : ٧٠ .
(٩) نفسه ٤ : ٦٨ — ٧٠ .
(١٠) انظر : بلاغات النّساء ص : ٩٥ .
(١١) انظر : الديوان ص : ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رواحلَ للقدور، والزّمان إنساناً يَسْتلب الرّماد فقال (١) :

كانت رواحل للقُدور فعُرِّيت منهنّ واسْتلبَ الزّمانُ رمادَها

ومن الاستعارات التّمْثيليّة في أشعار اليمانيّة قولُ الأحْمر بن شُجاع الكَلْبيّ مُتحدّثاً عن بني أُميّة (٢) :

وإن يكْفُرونا ما صَنَعْنا إليهم فما كلّ مَنْ يُؤْتى الصّنيعة يَشْكرُ

وقول عديّ بن الرّقاع للرّاعي النُّمَيْريّ (٣) :

فإنّك والشّعر إذ تُزْجي قَوافيه كمُبْتَغي الصّيد في عرّيسة الأسدِ

وهو مَثل يُضْرَب لِمَنْ يطلب الشّيءَ في غير مَوْضعه.

ومنها قول شُقْران مولى بني سَلامان (٤) :

كُنّا نُداريها وقد مزّقت واتّسَع الخَرْقُ على الرّاقع

وهو مَثلٌ يُضْرب في اسْتحالة تَدارُك الأمر.

واسْتخدَم الشّعراء الكناية في أشعارهم. وهي من أكثر وسائل الصّورة قُرْباً من الإشارة (٥). ومن أمثلتها قول عمْرو بن مِخْلاة الكَلْبيّ (٦) : " شفى النّفسَ قتلى لم تُوسَّد خُدودُها " كناية عن عدم دَفْنها. وقوله في قاتل هَمّام بن قَبيصة النّميريّ (٧) : " هو الأبيض القرْم الطّويل نِجاده " كناية عن الشّجاعة.

ومنها قول الوازع بن ذُؤالة الكَلْبيّ في فُرْسان قُضاعة (٨) :

إذا لقِحَت حرْبٌ مَرَتْها سيوفُهم وأيدٍ طوالٌ لم تَخُنْها الأشاجِعُ

فقوله : " لم تَخُنْها الأشاجع " كناية عن القوّة والنّهايات.

وقول عُمَيْرة بنْت حسّان الكَلْبيّة (٩) :

أراق البَحْدليّ دماءَ قيْسٍ وألْصقَ خدَّ قَيْس بالتّرابِ

---

(١) الديوان ص: ٨٢.
(٢) المؤتلف والمُختلف ص: ٤٢.
(٣) الديوان ص: ١٧٦.
(٤) تاريخ مدينة دمشق (مُصوّرة الجامعة الأُردنيّة) ٨: ٤٧، ٤٨. وانظر: تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦: ٣٢٧.
(٥) العُمدة ١: ٣٠٢.
(٦) التّنبيه والإشراف ص: ٢٦٧.
(٧) نقائض جرير والأخطل ص: ١٨.
(٨) أنساب الأشراف ٥: ١٤٦.
(٩) كتاب الوحْشيّات ص: ٧—٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كناية عن إذلاله قَيْساً .

وقول عديّ بن الرّقاع(١) : " كأنّ ثَناياها بناتُ سحابة" كناية عن بياضها وصفائها . وقوله يمدح الأسْوار وقومه (٢) :

وأبى الحَمْدُ أنْ يُحالِفَ قوماً غيرَهم فهو صائرٌ حيثُ صاروا

وهي كناية عن نِسْبة .

وقول عطيّة الكَلْبيّ يُخاطب ثابتَ بنَ نُعَيْم الجُذاميّ (٣) :

كم من أخٍ لك أو مولى فُجِعْتَ به يوم الوقيعة لم يُنْشَر له كَفَنُ

كناية عن عدم دَفْنه .

واستخدم الشّعراءُ جُمْلةً من أساليب الاسْتِفهام والأمر والنّهي ، وأخْرجوها عن معانيها الحقيقيّة إلى معان بلاغيّة . فمن الاسْتِفْهام ما يُفيد معنى الإنكار كقول النّعمان بن بشير يُخاطب معاويةَ بن أبي سفيان (٤) :

أيشْتُمُنا عبدُ الأراقم ضلّةً؟ وماذا الذي تُجْدي عليك الأراقِمُ؟ !

ومنه ما يُفيدُ معنى التّحْقير والاسْتِهزاء كقول جَوّاس بن القَعْطل (٥) :

هل يَشْتُمنّي لا أبا لكُمُ دَنِسُ الثّياب كطابخ القِدْرِ؟ !

ومنه ما يُفيد التّعظيم كقول عمرو بن حُجْر الكَلْبيّ (٦) :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ قيساً رَسولاً بأنّا قد شَفَيْنا واشْتَفَينا؟ !

ومن أساليب الأمر التي تُفيد التّحقير والسّخْرية قول عمرو بن مِخْلاة الكَلْبيّ يُعيّر بني ذُبْيان أخْذَ الدّية (٧) : " خُذوها يا بني ذُبْيان عَقْلاً" . ومن أساليبه التي تُفيد التحسُّر قول جَوّاس بن القَعْطل (٨) : " بكّي على قتلى القُبور" . ومن الأمر الذي يُفيد معنى الالْتِماس قول الأُقَيْبِل القَيْنيّ (٩) : "خَليليّ قوما في سَمادير فانْظُرا" .

---

(١) الديوان ص: ١٩٧ .
(٢) نفسه ص: ١٨٥ .
(٣) كتاب الوحشيّات ص: ٢٠ .
(٤) شعر النّعْمان بن بشير الأنصاريّ ص: ١٥١ .
(٥) الحيوان ٣ : ٥٠٩ .
(٦) معجم الشّعراء ص: ٤٥ .
(٧) الأغاني ١٩ : ١٤٨ .
(٨) الأشباه والنّظائر ٢ : ١٣١ .
(٩) المؤتلف والمُخْتلف ص: ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن النَّهي ما يُفيد معنى التَّهديد كقول النُّعمان بن بشير لمُعاوية[١] :

فلا تَشْتُمنّا يا ابنَ حَرْب فإنّمـــا ... تَرقّى إلى تلك الأُمور الأَشائـــم

ومنه ما يُفيد الدّعاء كقول عمرو بن مِخْلاة لهمّام بن قَبيصة النُّميْريّ[٢] :

بما جَرَمت كفّاك لا قَيْتَ ما تَســـرى ... فلا يُبْعد الرّحمنُ غيرَك هالِكـــا

ومنه ما يُفيد النُّصْحَ والإرْشاد كقول الأُقَيْلِ القَيْنيّ[٣] :

إذا كان في صَدْرِ ابن عمّكَ حِشْنَـــةٌ ... فلا تَسْتَثِرْها سوف يبْدو دفينُهـــا

وهكذا نرى أنّ شعراءَ اليمانيّة اعْتمدوا في تشْكيل صُورهم على التَّشْبيـــه والاسْتِعارة والكناية ، وأنّ صورَهم تأثّرت بالبيئة الشّاميّة وكانت في أكثرها تقْليديّـــة تُحاكي صور القُدماء وتشْبيهاتهم، وأنّ عديّ بن الرّقاع قد أجاد في تَشْبيهاتـــه، وجدّد في بعض صوره ، فاسْتَحْسَنها النقّاد وحَسَده عليها الشّعراء .

---

(١) شعر النّعْمان بن بشير الأنصاريّ ص: ١٥٧ .
(٢) الأخبار المُوفّقيّات ص: ٥٠٩ .
(٣) سمط اللآلي ص: ٩٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاتمـــــــة

استوطنت القبائل اليمانية بلاد الشام قبل الإسلام، وكانت قبيلة قضاعـــة الحِمْيريَّة، أوّل مَنْ نزل الشّام من عرب اليَمن، إذ هاجر القضاعيّون من ديارهـــم بتِهامة وما يليها إلى بلاد الشّام. وانْضافوا إلى ملوك الرّوم فملّكوهم على عرب الشـام بعد أنْ تنصّر أكْثرهم. ثم تَبِعَتْها قبائل يمانية من فروع كهلان بن سبأ، مثل قبيلـــة الأزد، ومن فروعها: الغساسنة الذين انتزعوا ملك عرب الشام من القضاعيين واستمر حكمهم حتى ظهور الإسلام، وكان آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم الغسّاني.

وقد وَقَفت القبائل اليمانيّة الشّامية موقفًا عدائيًّا من دعوة الرّسول عليـــه السّلام، بسبب خُضوعها للسُّلْطة البيزنطيّة، فقاتل بعضُها المُسْلمين في معركتـــي مُؤْتة واليرموك، ثمّ إنّها أسلمت بعد ذلك.

وجاءت إلى الشّام في أثناء الفتح قبائل يمانيّة جديدة، شاركت في فَتْحِهـا وانْضافت إلى أسْلافها الذين اسْتَوْطَنوها قبل الإسلام، فكَثُرَ العُنْصُر اليمانيّ فـــي تلك البلاد.

واسْتمرّت هذه القبائل تسكنُ بلادَ الشام في صدر الإسلام والعصر الأُمويّ، ووقفت إلى جانب مُعاوية بن أبي سُفْيان في معركة صِفّين. وتوطّدت صِلاتها بخلفـاء بني أُميّة بعد ذلك، فاعْتَمدوا عليها وقرّبوا رجالها، فأيّدتْهُم بدافع من حِرْصهـــا على مَصالحها، وقاتلت معهم في مرْج راهط، وثبّتت حُكْمَهم بعد أنْ أشرف على الزّوال. ولم يتغيّر ولاؤها لهم إلاّ في أواخر العصر الأُمويّ، بسبب تعصّب بعض الخلفاء عليها وتقريبه لخصومها.

وقد غَلَبَتِ القبائل اليمانيّة على بلاد الشام في العصر الأُمويّ، فسكنت أجْنادَها الخمسة، وهذه القبائل هي: حِمْير (ومن بُطونها: شَعْبان وحَضْرَموت) وقُضاعـــة (ومن بُطونها: تَنوخ وكَلْب وبَهْراء وبَلِيّ وسَليح والقَيْن وجُهَيْنة وعُذْرة وخُشَيْن وجَرْم) من قبائل حِمْير بن سبأ. والأزْد (ومنها: غسّان وعكّ) ولَخْم وجُذام وكِنـــدة،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ومنها : السّكاسك والسّكون) وهَمْدان وطيّء وخَثْعَم وبَجيلة ومَذْحِج (ومنها : زُبَيْد وعَنْس ورَهاء والنَّخَع) وعامِلَة والأَشْعَرون وخَوْلان ، من قبائل كَهْلان بن سَبأ .

ولم تكن بيئةُ بلاد الشّام قبل الإسلام بيئةً عربيّة خالصة ، فقد سكنت حَواضرها الكُبْرى طوائف من الرّوم والسُّريان ، الأمر الذي جعل القبائل اليمانيّة تستطيع أن تُحافظ على لُغتها وثقافتها العربيّة ، لأنّها ظلّت في مجموعها قبائل بدويّة تَنْتقِل من مكان إلى مكان في بوادي الشّام ، ولم يكن لها اختلاط كبير بالسُّريان والرّوم .

وقد اتّخذت هذه القبائل لهْجةَ قُريش التي سادت القبائلَ العربيّة منذ العصر الجاهليّ لغةً لها ، ولم تكن تتكلّم الحِمْيريّة لغة عرب اليمن . ومع ذلك ، فإنّ علماءَ اللّغة العراقيّين أهْملوا لغةَ هذه القبائل ، ولم يَحْتَجّوا بشعرها ، لأنّها كانت عُرْضةً للاختلاط بالأعاجم .

وشاركت القبائل اليمانيّة في حركة الشّعر منذ العصر الجاهليّ ، وظَهر من بينها شعراءُ عِظام ، على رأسهم : امرؤُ القيس الكِنْديّ . ووَفَد الشُّعراء على ملوك الحِيرة اللّخْميّين ، وعلى ملوك الغَساسنة في بلاد الشّام ، فمدَحوهم ونالوا جَوائزَهم ، وكان هؤلاء الملوك يتذوّقون الشّعر وينْقُدونه . وبدافع من العصبية القبلية ، فقد تنازعت القبائل العَدْنانيّة واليمانيّة الشعرَ في الجاهليّة ، وجعلت كلُّ قبيلة أوليّة الشعر لشاعرها . وحَظِيَ الشّعراء في القبيلة اليمانيّة بمكانة مَرْموقة ، لأنّهم هم الذين ينصرونها وَيَنْشُرون مفاخِرَها ويُدافعون عن حقّها . وظَهرت في قبائل اليمن أُسَرٌ أنْجَبت عدداً لا بأْس به من الشّعراء الجاهليّين والإسْلاميّين ، ويدلّ ذلك على عَراقة الشعر في القبائل اليمانيّة كعراقته في القبائل العَدْنانيّة . وقد سمّى العلماءُ عدداً كبيراً من شعراء القبائل اليمانية في الجاهليّة والإسلام ، وجَمَعوا شعر هذه القبائل في دواوين بلغ مجموعها ثمانية عشر ديواناً . ومع ذلك فإنّ ما وصل إلينا من شعر القبائل اليمانيّة الشّامية قبل الإسلام قليل ، وربّما كان السّبب في ذلك أنّ شعرَها لم يصل إلى رُواة الشّعر في الجزيرة العربيّة ، أو أنّهم أعْرَضوا عن روايته ، لأنّه لم يكن لعرب الشّام في الجاهليّة سُلْطان واسع على قبائل الجزيرة العربيّة ، ولأنّه لم تَنْعقِد بينهم وبينها مودّة دائمة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظنّ بعضُ الباحثين أنّ شعرَ القبائل اليمانيّة في فُتوح الشام قليل جدّاً. والحقُّ أنّ لها شعراً في تلك الفُتوح، لا يقلّ عن الشعر الذي قيل في فتوح العراق.

ونَظَم شُعراءُ القبائل اليمانيّة الشاميّة في صدر الإسلام قصائدَ وأرْجازاً في معركة صِفّين، وهي تكْشِف عن بلاءِ قبائلهم فيها، وعن تأْييدها لمُعاوية بن أبي سفيان.

واعْتقد بعضُ الباحثين أنّ ظاهرة قلّة الشعر في بلاد الشّام في العصر الأُمويّ ترجع إلى أنّ سكّانَها كانوا من القبائل اليمانيّة، وهي عندهم لا تُضارع القبائل المُضريّة فصاحةً وشاعريّة، وإلى أنّهم استقرّوا في حواضر بلاد الشّام، وخالطوا الطوائف الرّومية والسريانية، وتأثّروا بها. وقد تبيّن لي أنّ قلّة الشعر في القبائل اليمانيّة عامّة وفي القبائل اليمانيّة الشّاميّة خاصّة، لا ترجع إلى عوامل النّسب والبيئة والاسْتِقرار التي ذكرها الباحثون، وإنّما ترجع إلى ضياع معظم مصادر شعر تلك القبائل ومنها: كُتُب القبائل اليمانيّة الشاميّة الجامعة لأشعارها وأخبارها، وبعض كتب فتوح الشّام خاصّة، وكتب الفُتوح العامّة التي تحتوي فتوحَ الشّام وغيرها، وكتب الأحداث التي وَقَعت بالشّام، وكتب الصّوائف والشّواتي، وحروب أهل الشّام مع الرّوم، وكتب تاريخ بني أُميّة وأهل الشّام.

ويُضافُ إلى ذلك أنّ رُواةَ الأشعار العراقيّين أهْملوا شعرَ هذه القبائل، بسبب الخُصومة السياسيّة واشْتِداد العصبيّة الإقليميّة والعلميّة بينهم وبين علماء أهل الشّام، وأنّ علماءَ اللّغة العراقيّين في القرنَيْن الأول والثاني عَزَفوا عن الاسْتِشهاد به، لخروجه عن مُحيط اللّغة الفصيحة الذي تَواضعوا عليه. وكذلك فإنّ انْتِقال السّيادة من الشّام إلى العراق، وانْحِطاط قبائل اليمن الشّامية في الوقت الذي بدأ فيه العلماء بجَمْع الأعمال الشّعريّة، وما جُوبِهَت به مُخلّفات العصر الأُمويّ من صُدود، قد أدّى إلى ضياع معظم شعر هذه القبائل، فظَهرت القبائل اليمانيّة في جُمْلة القبائل المقلّة في الشعر، وظَهرت البيئات التي سكنتْها في جُمْلة البيئات التي لم تَشْهَد حركةً شعريّة نشطة.

وارتبَط كثير ممّا وصل إلينا من شعر القبائل اليمانيّة الشاميّة في العصر الأُمويّ بالأحداث السياسيّة والوقائع الحربيّة التي خاضَتْها. وأغزرُ شعر هذه القبائل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأَشْهره، هو ما قاله شعراؤُها في وقعة مرْج راهِط وفيما تلاها من أَيّام بين قبيلتي قيس وكلب، وفي مَصْرع الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

وتنوّعت موضوعات شعر تلك القبائل، فنظم شعراؤُها في معظم الموضوعات التّقليديّة كالمديح والغزل والفخر والهجاء والرّثاء والوَصْف والعِتاب والحَنين، والحِكَم والآداب والمواعظ وطَلَب الأَمان والتهْنِئة، إلاّ الزُّهْد فإنّي لم أَعْثُر لهم على شعر فيه.

وكان أَكثر هؤلاء الشُّعراء من قبيلة كلب، وأَغلب ما بقي من شعرهم يتّصل بمعركة مرج راهط وما تلاها من معارك بين قيس وكلب، وما حَدَث في الشام من أَحداث سياسيّة وعسكريّة. ومن أَشْهَرهم: عمرو بن مِخْلاة، وجوّاس بن القعطل، وعمران بن هلباء، و حكيم بن عيّاش. وأبو الخطار الحسام بن ضرار، على أَنّ أَشهر شعراء القبائل اليمانية الشامية في العصر الأُمويّ هو عدي بن الرقاع العامليّ.

وقد صوّر شعرُ اليمانيّة في الشام آمالَهم العَريضة في السُّلْطان بعد أَنْ هَزَموا القيسيّة في مرْج راهط، ونَصَروا بني أُميّة، ووقفوا دونهم يُقاتلون عنهم. وصوّر أَيضاً تذمُّرَهم من خلفاء الأُمويّين وامْتِنانَهم عليهم ومُطاولتهم لهم، كلما لمسوا منهم تحوّلاً عنهم وتقريباً لخُصومهم. ودلّ شعرُهم على أَنّ القبائل اليمانيّة الشاميّة كانت أَكبر أَعوان الأُمويّين في معركة المرج، وفي غيرها من المعارك، وعلى أَنّها كانت أَكْبر أَنصار يزيد بن الوليد في ثورته على ابن عمّه الوليد بن يزيد. وكَشَف عن احْتِدام الصّراع القَبَليّ، واشْتِداد نار العصبيّة القبليّة بين قبائل الشّام اليمانيّة والقيْسيّة في العصر الأُمويّ.

ولم ينظم معظم شعراء القبائل اليمانيّة شعرَهم في قصائد طويلة مُتعدّدة الموضوعات، بل صاغوه في قصائد ومقطوعات قصيرة مُسْتقلّة، ويُستَثْنى منهم النُّعْمان بن بشير الأَنصاريّ وعديّ بن الرّقاع العامليّ. فأَمّا النُّعمان بن بشير، فقد زاوَجَ في شعره بين التّقليد والتّجْديد، وأَمّا عدي بن الرّقاع، فهو أَشهر شاعر يمانيّ شاميّ احْتَذى التقاليد الجاهليّة الموْروثة في قصائده، فافْتتَح مُعْظَمها بالمقدّمة الطّلليّة والغزليّة، وحافظ على عددٍ من المقدّمات التّقليدية مثل: وصف الطيف والشّيْب والشّباب والظّعن. وعلى الرّغم من ذلك فإنّه كان يُجدّد أَحياناً في بناء بعض قصائده، فيُخلّصها من كثير من الرّسوم التّقليدية للقصيدة الجاهليّة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووفّق عددٌ من شعراء القبائل اليمانيّة الشّاميّة في اخْتِيار مطالع قصائدهم واهتمّوا بالتّصْريع فيها ، وأَحْسَنوا التّخلّص من موضوع إلى موضوع ومنهم مَن اقْتَدى بالشّعراء الجاهليّين في تخلّصهم. وأَجادَ بعضُهم في اخْتِتام قصائدهم ومقطوعاتهم ولا ءُموا فيها بين خاتمة القصيدة أو المقطوعة وموضوعها .

وتحقّقت الوحدة الموضوعيّة في المقطوعات والقصائد القصيرة التي نَظَمها شعراء اليمانيّة، لأنّهم عبّروا فيها عن أحداث ومواقف مُعيّنة، في أبيات قليلة لا تَصْلُح فيها المقدّمات التّقليديّة، أمّا القصائد الطّويلة مثل قصائد عديّ بن الرّقاع، فإنّها تتألّف من مقدّمة وموضوع.

وكانت لغةُ شعر القبائل اليمانيّة الشّاميّة في العصر الأُمويّ بعامّة لغة جَزْلة رصينة مُحْكَمة، وتباينت ألفاظه من حيث الجَزالة والقوّة من موضوع إلى موضوع، فكانت في الغزل والتّهْنئة أرقّ منها في المديح والفخر وغيرهما من الموضوعات التقليديّة. ونكاد لا نَجِدُ صُعوبة في الألفاظ إلاّ عند النُّعْمان بن بشير، وعديّ بن الرّقاع، وذلك حين ينْظِمان في الموضوعات التّقليديّة مثل : وصْف النّاقة والفَرَس والصّحْراء وحيواناتها والسّحاب والبرْق والمطَر. أمّا حين ينْظِمان في الموضوعات الرقيقة كالغَزل والتّهْنِئة، فإنّهما يستخدمان الألفاظ والمعاني الحَضَريّة الرّقيقة.

وكانت معاني هذا الشّعر في جُمْلتها تقليديّة مكرّرة. ومن معانيهم الجَديدة : الفخر بعُمْق المَوْهِبة الشّعريّة، والتّهْنِئة بالزّواج . وقد راوَحَ بعض الشّعراء بين المعاني الجاهليّة والمعاني الإسلاميّة، وتأثّر عديّ بن الرّقاع بأُسْلوب القرآن الكريم ولغته، فظهرت الألفاظ الدينيّة في شعره بوضوح .

ووردت في شعر القبائل اليمانيّة ألوانٌ من المُحسّنات اللفظيّة والمعنويّة كالجِناس والتّصْدير والطّباق والتّقسيم والمُبالغة والاحْتِراس والتّفْسير. وأخذ العلماءُ على شعرهم قليلاً من المآخذ اللّغويّة والنّحْويّة.

وحفل شعر القبائل اليمانيّة بالصّور البيانيّة التي قامت على التّشْبيه والاسْتِعارة والكناية، وبالأساليب البلاغيّة كالاسْتِفهام والأمر والنّهي ، وتأثّرت صورهم بالبيئة الشّاميّة ، وكانت في أكثرها تقليديّة تُحاكي صور القُدماء وتشبيهاتهم. وأجاد عديّ بن الرّقاع في تشْبيهاته وجدّد في بعض صُوره فاسْتَحْسنها النّقّاد ، وحَسَده عليها الشّعراء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجـــــع

أ ـ المطبوعـــــة :

١ ـ اتّجاهات الشعر في العصر الأُمويّ : للدكتور صلاح الدين الهادي ـ طبع مطبعة المدنيّ بالقاهرة، ط ١، ١٩٨٦م.

٢ ـ الأَخبار الطّوال : لأَبي حنيفة، أَحمد بن داود الدّينَوريّ (ـ٢٨٢هـ) ـ تحقيق عبد المنعم عامر ـ طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، ١٩٦٠م.

٣ ـ أَخبار مجموعة في فتح الأَندلس : لمؤلّف مجهول ـ نشر مكتبة المثنّى ببغداد، طبع مطبعة ربد نير بمدينة مجريط، ١٨٦٧م.

٤ ـ الأَخبار الموفّقيات : للزّبَيْر بن بكّار (ـ٢٥٦هـ) ـ تحقيق الدكتور سامي مكّي العاني ـ طبع مطبعة العاني ببغداد، ١٩٧٢م.

٥ ـ أَخبار النّساء : لأَبي عبد الله، محمد بن بكر الزرعيّ الدمشْقيّ المعروف بابن قيّم الجوزيّة (ـ٧٥١هـ) ـ طبع مطبعة التقدّم العلميّة بمصر، ط١، ١٣١٩هـ.

٦ ـ أَدب السياسة في العصر الأُمويّ : للدكتور أَحمد محمد الحوفي ـ دار القلم بيروت ـ لبنان، ١٩٦٥م.

٧ ـ أَدب الكاتب : لأَبي محمّد، عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة (ـ٢٧٦هـ) ـ تحقيق محمد الدالي ـ مؤَسّسة الرّسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٨ ـ الاسْتيعاب في معرفة الأَصحاب : لأَبي عمر، يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّ (ـ٤٦٣هـ) ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ طبع مكتبة نهضة مصر بالقاهرة.

٩ ـ الأَشباه والنّظائر : للخالديّيْن أَبي بكر، محمّد بن هاشم (ـ٣٨٠هـ) وأَبي عثْمان، سعيد بن هاشم (ـ٣٩١هـ) ـ تحقيق الدكتور السيد أَحمد يوسف ـ طبع لجنة التأْليف والتّرجمة والنّشر بالقاهرة، ١٩٥٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠ــ الاشْتِقاق : لأَبي بكر، محمّد بن الحَسَن بن دُرَيْد الأَزديّ (ــ٣٢١هـ) ــ تحقيق وشرْح عبد السّلام محمّد هارون ــ نشر مكتبة المثنّى ببغداد ،ط٢، ١٩٧٩م.

١١ــ الإصابة في تمييز الصّحابة :لأبي الفضْل ،أحمد بن عليّ بن حَجَر العَسْقلانيّ (ــ٨٥٢هـ) ــ تحقيق علي محمّد البجاوي ــ طبع دار نهضة مصر بالقاهرة، ١٩٧٠-١٩٧٢م.

١٢ــ الأعلام : لخير الدين الزّركْلي ــ دار العلم للملايين ،بيروت،ط٦ ، ١٩٨٤م.

١٣ــ أعلام النّساء في عالمي العرب والإسلام : لعمر رضا كحّالة ــ طبع المطبعة الهاشميّة بدمشق ،ط٢، ١٩٥٩م.

١٤ــ أعيان النّساء عبر العُصور المُخْتلفة : للخطيب الشّيخ محمد رضا الحكيمي ــ مؤسّسة الوفاء بيروت ــ لبنان ،ط١ ، ١٩٨٣م.

١٥ــ الأغاني : لأبي الفَرَج ،عليّ بن الحسين الأُمويّ الأَصْفهانيّ (ــ٣٥٦هـ) ــ طبع دار الثقافة ببيروت.

١٦ــ الاقْتِضاب في شرح أدب الكتّاب : لأبي محمّد ،عبد الله بن محمّد بن السيد البطليوسي (ــ٥٢١هـ) ــ تحقيق الأستاذ مصطفى السقّا ،والدكتور حامد عبد المجيد ــ طبع الهيئة المصريّة العامة للكتّاب، القاهرة، ١٩٨٣م.

١٧ــ الإكمال : للحافظ بن ماكولا (ــ٤٧٥هـ) ــ تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ــ نشر محمد أمين دمج ،بيروت، ١٩٦١م.

١٨ــ الإكليل : لأبي محمّد ،الحَسَن بن أحمد بن يعقوب الهَمْدانيّ (ــ بعد ٣٣٤هـ)

أ ــ الجزء الأول ــ تحقيق أوسكار لوفجرن ــ بريل ــ ليدن، ١٩٥٤م.

ب ــ الجزء الثّاني ــ تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ــ (ب.ن).

ج ــ الجزء العاشر ــ تحقيق محبّ الدين الخطيب ــ الدار اليمنيّة للنشر والتوزيع ط١، ١٩٨٧م.

١٩ــ الأمالي : لأبي عليّ ،إسماعيل بن القاسم بن عيذون القالي (ــ٣٥٦هـ) ــ طبع مطبعة السّعادة بمصر، ١٩٥٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٠ــ الأَمالي الشَّجريَّة : لأَبي السّعادات، هبة الله بن علي بن محمّد بن حمزة العلوي، المعروف بابن الشَّجريّ (ــ ٥٤٢هـ) ــ طبع حيدر آباد الدكــــن بالهند، ١٣٤٩هـ.

٢١ــ أَمالي المُرْتضى : لأَبي القاسم، عليّ بن الحسين الموسويّ العلويّ (ــ ٤٣٦هـ) ــ تحقيق محمد أَبو الفضل إبراهيم ــ طبع دار إحياء الكتب العربيّـــــة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٤م.

٢٢ــ الإمامة والسّياسة : لأَبي محمّد، عبد الله بن مُسْلم بن قُتَيبة الدّينوريّ (ــ ٢٧٦هـ) ــ طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأَولاده بمصر، ط٢، ١٩٥٧م.

٢٣ــ أُمراء غسّان : لشيودور نولدكه ــ ترجمة الدكتور بندلي جوزي والدكتـــــور قُسْطَنْطين زريق ــ طبع المطبعة الكاثوليكيّة ببيروت، ١٩٣٣م.

٢٤ــ الأُمويّون والخلافة : للدكتور حسين عطوان ــ طبع دار الجيل ببيروت، ١٩٨٦م.

٢٥ــ الإنْباه على قبائل الرّواة : لأَبي عمر، يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ (ــ ٤٦٣هـ) ــ تحقيق إبراهيم الأَبياري ــ نشر دار الكتاب العربي ببيروت، ١٩٨٥م.

٢٦ــ أَنساب الأَشراف : لأَبي الحَسَن، أَحمد بن يحيى بن جابر البلاذُريّ (ــ ٢٧٩هـ)

أ ــ الجزء الأَول ــ تحقيق الدكتور محمد حميد الله ــ طبع المعـــارف بمصر، ١٩٥٩م.

ب ــ الجزء الثّاني : أَبو طالب وولده ــ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ــ نشر مؤسّسة الأَعلمي للمطبوعات ببيروت، ١٩٧٤م.

ج ــ الجزء الرابع : القسم الأَول ــ اعْتنَى بنشره شلوسنجر ــ طبع القدس، ١٩٧١م.

د ــ الجزء الخامس ــ اعتنى بنشره غويتين ــ طبع القدس، ١٩٣٦م.

٢٧ــ أَهل اليمن في صدر الإسلام : للدكتور نزار عبد اللّطيف الحديثي ــ نشـــر المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنشر ببيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٨— أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك : لأبي محمّد ، عبد الله جمال الدّين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاريّ المصريّ (—٧٦١هـ) — نشر المكتبة التجاريّة الكبرى بمصر — طبع مطبعة السّعادة بمصر، ط٤ ، ١٩٥٦م.

٢٩— البداية والنّهاية في التاريخ : لأبي الفداء ، إسماعيل بن عمرو بن كثير (—٧٧٤هـ) — نشر مكتبة المعارف ببيروت ، ط٤ ، ١٩٨١م.

٣٠ — بلاغات النّساء : لأبي الفضل ، أحمد بن أبي طاهر (—٢٨٠هـ) — تصحيح وشرح أحمد الألفي — طبع مطبعة مدرسة والدة عبّاس الأول بالقاهرة، ١٩٠٨م.

٣١— البُلْدان : لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي (—٢٩٢هـ) — نشر المطبعة الحَيْدرية بالنجف، ط٣ ، ١٩٥٧م.

٣٢— بناء القصيدة العربيّة : للدكتور يوسف حسين بكار — طبع دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٧٩م.

٣٣— بهجة المجالس وأُنس المجالس : لأبي عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ النمريّ القرطبيّ (—٤٦٣هـ) — تحقيق محمد مرسي الخولي — طبع دار الكتب العلميّة ببيروت، ط٢ ، ١٩٨٢م.

٣٤— البيان المُغْرب في أخبار الأندلس والمَغْرب : لابن عذاري المراكشي (— بعد ٧٠٦هـ) — نشر وتحقيق ج .س كولان ، و إ . ليفي بروفنسال — طبع أ . ج . بريل — ليدن ، ١٩٤٨م.

٣٥— البيان والتّبيين : لأبي عُثْمان ، عمرو بن بحر الجاحظ (—٢٥٥هـ) — تحقيق وشرح عبد السلام هارون — نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة — طبع مطبعة المدني بمصر، ط٥ ، ١٩٨٥م.

٣٦— تاريخ آداب العرب : لمصطفى صادق الرافعيّ — طبع مطبعة الأخبار بمصر، ١٩١١م.

٣٧— تاريخ الآداب العربيّة من الجاهليّة حتى عصر بني أُميّة : لكارلو نالينو — طبع دار المعارف بمصر، ط٢ ، ١٩٧٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٨— تاريخ آداب اللّغة العربيّة : لجُرْجي زيدان — نشر دار مكتبة الحياة ببيروت.

٣٩— تاريخ الأدب العربيّ : لريجيس بلاشير — ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني — طبع دار الفكر بدمشق، ط٢، ١٩٨٤م.

٤٠— تاريخ الأدب العربيّ : للدكتور شوقي ضيف.

أ — العصر الإسلاميّ — طبع دار المعارف بمصر، ١٩٦٣م.

ب — العصر الجاهليّ — طبع دار المعارف بمصر، ١٩٦١م.

٤١— تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام : لأبي عبد الله، محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبيّ (—٧٤٨هـ) — تحقيق محمد محمود حمدان — نشر دار الكتب الإسلاميّة ودار الكتاب المصري بالقاهرة، ودار الكتاب اللبناني ببيروت، ١٩٨٥م.

٤٢— تاريخ ابن خلدون : لعبد الرحمن بن محمّد بن خلدون (—٨٠٨هـ) — نشر مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ببيروت.

٤٣— تاريخ خليفة بن خيّاط : الخليفة بن خيّاط العصفريّ (—٢٤٠هـ) — تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمريّ — نشر دار القلم دمشق — بيروت، ومؤسّسة الرسالة ببيروت — طبع مطبعة محمد هاشم الكتبي، ط٢، ١٩٧٧م.

٤٤— تاريخ الرّسل والملوك : لأبي جعفر، محمّد بن جرير الطبريّ (—٣١٠هـ) — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — طبع دار المعارف بمصر.

٤٥— تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء : لحمزة بن الحسن الأصفهاني (—قبل ٣٦٠هـ) — نشر دار مكتبة الحياة ببيروت، ط٣، ١٩٦١م.

٤٦— تاريخ اللّغات الساميّة : ل أ. ولفنسون — طبع دار القلم ببيروت، ١٩٨٠م.

٤٧— تاريخ مدينة دمشق : لأبي القاسم، علي بن الحسن بن عساكر (—٥٧١هـ)

أ — المجلدة الأولى — تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد — طبع المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٥١م.

ب — المجلّدة العاشرة — تحقيق محمد أحمد دهمان — طبع المجمع العلمي العربي بدمشق.

ج — تاريخ مدينة دمشق (تراجم النساء) — تحقيق سكينة الشهابي، دمشق، ١٩٨٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٨ـ تاريخ الموصل : لأبي زكريا يزيد بن محمّد بن إياس الأزديّ (ـ ٣٣٤هـ) ـ تحقيق الدكتور علي حبيبة ـ طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، ١٩٦٧م.

٤٩ـ تاريخ النّقائض في الشعر العربيّ : لأحمد الشّايب ـ طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ط٢، ١٩٥٤م.

٥٠ـ تاريخ اليعقوبي : لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي (ـ ٢٩٢هـ) ـ طبع دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٠م.

٥١ـ تُحْفة المجالس ونزهة المجالس: لجلال الدين عبد الرحمن السّيوطي (ـ ٩١١هـ) ـ تصحيح السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي ـ طبع مطبعة السعادة بمصر، ١٩٠٨م.

٥٢ ـ التطوّر والتجديد في الشعر الأمويّ : للدكتور شوقي ضيف ـ طبع دار المعارف بمصر، ط ٣، ١٩٦٥م.

٥٣ ـ تقريب التّهذيب : لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ) ـ تقديم محمد عوّامة ـ طبع دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت، ١٩٨٦م.

٥٤ـ التمثيل والمحاضرة : لأبي منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثّعالبي (ـ ٤٢٩هـ) ـ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ـ طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة، ١٩٦١م.

٥٥ـ التّنبيه على أوهام أبي علي في أماليه : لأبي عُبَيْد، عبد الله بن عبد العزيز البكريّ (ـ ٤٨٧هـ) ـ طبع مطبعة السّعادة بمصر، ط٣، ١٩٥٤م.

٥٦ ـ التنبيه على حدوث التّصْحيف : لحمزة بن الحسن الأصفهانيّ (ـ قبل ٣٦٠هـ) ـ تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ـ طبع مطبعة المعارف ببغداد، ١٩٦٧م.

٥٧ ـ التّنبيه والإشراف : لأبي الحسن، عليّ بن الحسين المَسْعودي (ـ ٣٤٦هـ) ـ تصحيح عبد الله إسماعيل الصّاوي ـ طبع دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف بالقاهرة، ١٩٣٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٨ـ تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر : للشيخ عبدالقادر بدران ـ طبع دار المسيرة ببيروت، ط٢ ، ١٩٧٩م.

٥٩ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : لأبي منصور، عبدالملك محمد بن إسماعيل الثعالبي (ـ٤٢٩هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبع دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م.

٦٠ ـ الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي : للدكتور حسين عطوان ـ طبع دار الجيل ببيروت، ١٩٨٧م.

٦١ ـ الجُمل في النحو : لأبي القاسم، عبدالرحمن بن إسحق الزجاجي (ـ٣٤٠هـ) ـ تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد ـ نشر مؤسسة الرسالة ببيروت، ودار الأمل بالأردن ، ١٩٨٤م.

٦٢ ـ جمهرة أنساب العرب : لأبي محمد ،علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ـ٤٥٦هـ)ـ تحقيق عبدالسلام محمد هارون ـ طبع دار المعارف بمصر، ١٩٦٢م.

٦٣ ـ الحدائق الغنّاء في أخبار النساء :لأبي الحسن ،علي بن محمد المعافري المالقي (ـ٦٠٥هـ) ـ تحقيق وتقديم الدكتورة عائدة الطيبي ـ طبع الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، ١٩٧٨م.

٦٤ ـ الحلّة السّيراء: لأبي عبدالله ، محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبّار (ـ٦٥٨هـ) ـ تحقيق وتعليق حسين مؤنس ـ نشر الشركة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٦٣م.

٦٥ ـ حماسة البحتري : لأبي عُبادة ،الوليد بن عُبَيْد الطّائي (ـ٢٨٤هـ) ـ ضبط كمال مصطفى ـ نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ طبع المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٢٩م.

٦٦ـ الحماسة البَصْرية : لصدر الدين بن أبي الفرج البصري (ـ٦٥٩هـ)

أ ـ تحقيق الدكتور عادل جمال سليمان ـ نشر وزارة الأوقاف بالقاهرة، ١٩٧٨م.

ب ـ نشر عالم الكتب ببيروت، ١٩٦٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٧— الحماسة الشّجريّة : لأبي السّعادات، هبة اللّه بن علي بن محمد بن حمزة العلويّ، المعروف بابن الشّجريّ (— ٥٤٢هـ) — تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي — نشر وزارة الثقافة بدمشق، ١٩٧٠م.

٦٨— حماسة الظّرفاء من أشعار المُحْدَثين والقُدماء : لأبي محمد، عبد الله بن محمد العبد لكاني (— ٤٣١هـ) — تحقيق محمد جبّار المعيبد — طبع دار الحريّة للطباعة ببغداد، ١٩٧١م.

٦٩— الحياة الأدبيّة، عصر بني أُميّة : لمحمّد عبد المنعم خفاجي — نشر مكتبة القاهرة — طبع دار الطباعة المحمديّة بمصر.

٧٠— حياة الحيوان الكبرى : لكمال الدين محمد بن موسى الدّمِيْري (— ٨٠٨هـ) — طبع دار الفكر ببيروت.

٧١— حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثّاني الهجري : للدكتور يوسف خليف — طبع دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٦٨م.

٧٢— الحيوان : لأبي عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ (— ٢٥٥هـ) — تحقيق عبد السلام محمد هارون — طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٧٣— خاصّ الخاص : لأبي منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثّعالبي (— ٤٢٩هـ) — تقديم حسن الأمين — نشر دار مكتبة الحياة ببيروت.

٧٤— خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : لعبد القادر بن عمر البغدادي (— ١٠٩٣هـ) — تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون :

أ — الجزء الأول والجزء الثّالث — طبع دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٦٧م.

ب — الجزء السابع — نشر الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٩٧٩م.

ج . الجزء الثامن — نشر مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨١م.

٧٥— الخصائص : لأبي الفتح، عثمان بن جنّي (— ٣٩٢هـ) — تحقيق محمد علي النجّار — طبع دار الكتب المصريّة بالقاهرة، ١٩٥٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٦ — خطط الشام : لمحمد كرد علي — نشر مكتبة النّوري بدمشق — طبع مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ببيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٧٧ — دُرّة الغوّاص في أوهام الخواص : لأبي محمد القاسم بن علي الحريري (—٥١٦هـ) — طبع مطبعة الجوائب بالقسطنطينيّة، ١٢٩٩هـ.

٧٨ — ديوان أبي تمّام : حبيب بن أوس الطّائيّ (—٢٣١هـ) — تحقيق محمد عبده عزام — طبع دار المعارف بمصر.

٧٩ — ديوان الأعشى الكبير : ميمون بن قيس البكريّ — شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين طبع مؤسّسة الرسالة ببيروت، ط٧، ١٩٨٣م.

٨٠ — ديوان شعر عديّ بن الرّقاع العامليّ — تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي، والدكتور حاتم صالح الضامن، طبع مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧م.

٨١ — ديوان المعاني : لأبي هلال، الحسن بن عبد الله العسكريّ (٣٩٥هـ) — طبع مكتبة القدسي بالقاهرة، ١٣٥٢هـ.

٨٢ — ديوان النابغة الذّبياني — جمع وشرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور — نشر الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، ١٩٧٦م.

٨٣ — رحلة الشعر من الأموية إلى العبّاسيّة : للدكتور مصطفى الشكعة — نشر عالم الكتب ببيروت، ١٩٧٩م.

٨٤ — رسائل البُلغاء : لمحمد كرد علي — طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ط٣، ١٩٤٦م.

٨٥ — الرواية الأدبيّة في بلاد الشام في العصر الأموي : للدكتور حسين عطوان — طبع دار الجيل ببيروت، ١٩٨٨م.

٨٦ — الرّواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي : للدكتور حسين عطوان — طبع دار الجيل ببيروت، ١٩٨٦م.

٨٧ — زُبدة الحَلَب من تاريخ حلب : لأبي القاسم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم (—٦٦٠هـ) — تحقيق سامي الدّهان — طبع المعهد الفرنسي للدراسات العربيّة بدمشق، ١٩٥١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨٨ـ زهر الآداب وثمر الألباب : لأبي إسحق ،إبراهيم بن علي الحصـــري القيرواني (ـ٤٥٣هـ) ـ شرح الدكتور زكي مبارك ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ طبع دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ببيـــروت ، ط ٤ ، ١٩٧٢م.

٨٩ـ سرّ صناعة الإعراب : لأبي الفتح ،عثمان بن جنّي (ـ٣٩٢هـ) ـ دراســـة وتحقيق الدكتور حسن هنداوي ـ طبع دار القلم بدمشق ، ١٩٨٥م.

٩٠ـ سمط اللآلئ : لأبي عُبَيْد ،عبد الله بن عبد العزيز البكري (ـ٤٨٧هـ) ـ تحقيق عبد العزيز الميمني ـ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ١٩٣٦م.

٩١ـ سِيَر أعلام النُّبلاء : لأبي عبد الله ، محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبـــي (ـ٧٤٨هـ) ـ أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه شعيب الأرناؤوط ـ طبع مؤسسة الرسالة ببيروت ، ١٩٨١م.

٩٢ـ السّيرة النبويّة : لأبي محمد ،عبد الملك بن هشام (ـ٢١٨هـ) ـ تحقيـــق مصطفى السقا وزميليه ـ طبع دار إحياء التّراث العربي ببيروت.

٩٣ـ شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام : لبشير يموت ـ نشر المكتبة الأهليـــة ببيروت ـ طبع المطبعة الوطنية ببيروت ، ١٩٣٤م.

٩٤ـ شذرات الذّهب في أخبار مَنْ ذَهب : لأبي الفلاح ،عبد الحيّ بن العمـــاد الحنْبليّ (ـ١٠٨٩هـ) ـ طبع دار المسيرة ببيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩م.

٩٥ـ شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري : ـ ضبط وتصحيح عبد الرحمـــن البرقوقي ـ نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ طبع المطبعة الرحمانيـة بمصر، ١٩٢٩م.

٩٦ـ شرح ديوان الحماسة : لأبي زكريّا ،يحيى بن علي الخطيب التبريزي (ـ٥٠٢هـ) ـ تحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد ـ نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ طبع مطبعة حجازي بالقاهرة، ١٩٣٨م.

٩٧ـ شرح ديوان الحماسة : لأبي علي ،أحمد بن محمد بن الحسن المرْزوقـــي (ـ٤٢١هـ) ـ تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ـ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ١٩٥١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٨ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ـ٧٦٩هـ) ـ نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ لجنة مطبعة السعادة بمصر، ط١٤، ١٩٦٤م.

٩٩ـ شرح قطر الندى وبل الصدى : لأبي محمد ،عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ـ٧٦١هـ) ـ نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ـ طبع مطبعة السعادة بمصر، ط١٠، ١٩٥٩م.

١٠٠ـ شرح المفصل : ليعيش بن علي بن يعيش النحوي (ـ٦٤٣هـ) ـ طبع عالم الكتب ببيروت.

١٠١ـ شرح نهج البلاغة : لعز الدين أبي حامد بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد (ـ٦٥٥هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٩م.

١٠٢ـ شعر الأخطل : غياث بن غوث التغلبي ـ نشر الأب أنطون صالحاني ـ طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت، ط٢.

١٠٣ـ شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري : للدكتور نوري حمودي القيسي ـ طبع عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية ببيروت، ١٩٨٦م.

١٠٤ـ الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي : للدكتور حسين عطوان ـ نشر مكتبة المحتسب بعمان ودار الجيل ببيروت، ١٩٧٤م.

١٠٥ـ شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام : للنعمان عبد المتعال القاضي ـ نشر الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٦٥م.

١٠٦ـ شعر الكميت بن زيد الأسدي : ـ جمع وتقديم الدكتور داود سلوم ـ نشر مكتبة الأندلس ببغداد ـ طبع مطبعة النعمان بالنجف، ١٩٦٩م.

١٠٧ـ شعر النعمان بن بشير الأنصاري : ـ تحقيق وتقديم الدكتور يحيى الجبوري ـ طبع مطبعة المعارف ببغداد، ١٩٦٨م.

١٠٨ـ الشعر والشعراء : لأبي محمد ،عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ـ٢٧٦هـ) ـ تحقيق الدكتور مفيد قميحة ـ طبع دار الكتب العلمية ببيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠٩ـ الشّعراء الشاميّون : لخليل مردم بك ـ طبع دار صادر ببيروت.

١١٠ـ الشّعراء من مُخَضْرمي الدولتين الأُموية والعبّاسيّة : للدكتور حسين عطوان ـ نشر مكتبة المحتسب بعمان ودار الجيل ببيروت، ١٩٧٤م.

١١١ـ شعراء النّصرانية بعد الإسلام : للويس شيخو ـ طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت، ط٣، ١٩٨٢م.

١١٢ـ الصّاحبي في فقه اللّغة : لأبي الحسين، أحمد بن فارس (ـ ٣٩٠هـ) ـ تحقيق وتقديم مصطفى الشويمي ـ طبع ونشر مؤسّسة أ. بدران للطباعة والنشر ببيروت، ١٩٦٣م.

١١٣ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا : لأحمد بن عبد الله القَلْقَشَنْدي (ـ ٨٢١هـ) ـ شرح محمد حسين شمس الدين ـ طبع دار الكتب العلمية ببيروت، ١٩٨٧م.

١١٤ـ صفة جزيرة العرب : للحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني (بعد ٣٣٤هـ) ـ تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ـ نشر دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض، ١٩٧٤م.

١١٥ـ الصورة الفنيّة في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث : للدكتور نصرت عبد الرحمن ـ نشر مكتبة الأقصى بعمّان، ط٢، ١٩٨٢م.

١١٦ـ الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري : للدكتور علي البطل ـ طبع دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٠م.

١١٧ـ ضحى الإسلام : لأحمد أمين ـ طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ط٩، ١٩٧٩م.

١١٨ـ طبقات فحول الشعراء : لأبي عبد الله، محمد بن سلاّم الجُمَحي (ـ ٢٣١هـ) ـ قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ـ طبع مطبعة المدني بالقاهرة، ١٩٧٤م.

١١٩ـ الطبقات الكبرى : لمحمد بن سعد بن منيع (ـ ٢٣٠هـ) ـ طبع دار صادر ببيروت.

١٢٠ـ العِبَر في خبر مَنْ غَبَر : لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبي (ـ ٧٤٨هـ) ـ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ طبع دائرة المطبوعات والنشر بالكويت، ١٩٦٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢١ــ عُجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النَّسب : لأَبي بكر، محمد بن أَبي عثمان الحازمي الهَمْداني (ــ ٥٨٤هـ) ــ تحقيق عبد الله كنون ــ طبع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأَميريّة بالقاهرة، ١٩٦٥م.

١٢٢ــ العرب في سوريا قبل الإسلام : لرنيه ديسو ــ ترجمة عبد الحميد الدواخلي ــ راجعه الدكتور محمد مصطفى زيادة ــ طبع لجنة التأْليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ١٩٥٩م.

١٢٣ــ العرب في الشام قبل الإسلام : لمحمد أَحمد باشميل ــ طبع دار الفكر، ١٩٧٣م.

١٢٤ــ العرب قبل الإسلام : لجرجي زيدان ــ مراجعة الدكتور حسين مؤْنس ــ طبع دار الهلال بمصر.

١٢٥ــ العصبيّة القبلية وأَثرها في الشعر الأُموي : للدكتور إحسان النصّ ــ طبع دار الفكر بدمشق، ط٢، ١٩٧٣م.

١٢٦ــ العقد الفريد : لأَحمد بن محمد بن عبد ربّه (ــ ٣٢٨هـ) ــ تحقيق محمد سعيد العريان ــ طبع دار الفكر بدمشق، ١٩٤٠م.

١٢٧ــ علم البديع : للدكتور عبد العزيز عتيق ــ طبع دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت، ١٩٨٥م.

١٢٨ــ العُمْدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : لأَبي علي، الحسن بن رشيق القيراوني (ــ ٤٥٦هـ) ــ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ــ نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ــ طبع مطبعة السعادة بمصر، ط٣، ١٩٦٣م.

١٢٩ــ عيار الشعر : لمحمد بن أَحمد بن طباطبا العلوي (ــ ٣٢٢هـ) ــ شرح وتحقيق عباس عبد الستار ــ طبع دار الكتب العلمية ببيروت، ١٩٨٢م.

١٣٠ــ عيون الأَخبار : لأَبي محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ــ ٢٧٦هـ) ــ نشر دار الكتاب العربي ببيروت ــ طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣١ــ غُرر الخصائص الواضحة وعُرَر النقائص الفاضحة : لأبي إسحق ، بُرْهان الدين الكتبي المعروف بالوطواط ـ طبع دار صعب ببيروت .

١٣٢ــ الفاخر : للمفضّل بن سلمة بن عاصم (ــ ٢٩١هـ) ــ تحقيق عبد العليم الطحاوي ــ مراجعة محمد علي النجّار ــ طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٦٠م .

١٣٣ــ فتوح البلدان : لأبي الحسن ، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ــ ٢٧٩هـ) ــ راجعه وعلّق عليه رضوان محمد رضوان ــ طبع مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٩م .

١٣٤ــ فتوح الشام : لمحمّد بن عبد الله الأزدي (ــ ٢٣١هـ) ــ تحقيق عبد المنعم عامر ــ طبع مؤسّسة سجل العرب بالقاهرة ، ١٩٧٠م .

١٣٥ــ فتوح الشام : لمحمّد بن عمر الواقدي (٢٠٧هـ) ــ طبع دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ببيروت .

١٣٦ــ فجر الإسلام : لأحمد أمين ــ نشر مكتبة النهضة المصريّة ــ طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، ط ١٠ ، ١٩٦٥م .

١٣٧ــ فحولة الشعراء : لأبي سعيد ، عبد الملك بن قريب الأصمعيّ (ــ ٢١٦هـ) ــ شرح وتحقيق ونشر محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني ــ طبع المطبعة المنيريّة بالأزهر ، ١٩٥٣م .

١٣٨ــ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : لأبي عُبيْد ، عبد الله بن عبد العزيز البكري (ــ ٤٨٧هـ) ــ تحقيق الدكتور إحسان عبّاس والدكتور عبد المجيد عابدين ــ طبع دار الأمانة ومؤسّسة الرسالة ببيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٣م .

١٣٩ــ الفهرست : لمحمّد بن إسحق بن النديم (ــ ٣٨٥هـ) ــ تحقيق رضا ــ تجدّد ــ طبع طهران ، ١٩٧١م .

١٤٠ــ في الأدب الجاهلي : للدكتور طه حسين ــ طبع دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٤١ــ قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزّمان : لأَحمد بن عبد الله القَلْقَشَنْدي (ــ٨٢١هـ) ــ تحقيق وتقديم إبراهيم الأَبياري ــ نشر دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري بالقاهرة ، ودار الكتاب اللبناني ببيروت ، ط٢ ، ١٩٨٢م .

١٤٢ــ الكامل في التاريخ : لأَبي الحسن ، علي بن محمد بن الأَثير (ــ٦٣٠هـ) ــ طبع دار صادر ببيروت ، ١٩٧٩م .

١٤٣ــ الكامل في اللّغة والأَدب : لأَبي العبّاس ، محمد بن يزيد المبرّد (ــ٢٨٥هـ) ــ تحقيق وتعليق محمد أَحمد الدالي ــ طبع مؤَسّسة الرسالة ببيروت ، ١٩٨٦م .

١٤٤ــ الكتاب : لأَبي بشر ، عمرو الملقّب بسيبويه (ــ١٨٣هـ) ــ طبع مطبعة بولاق بمصر ، ١٣١٦هـ .

١٤٥ــ كتاب الأَصنام : لهشام بن محمد بن السائب الكلبيّ (ــ٢٠٤هـ) ــ تحقيق الأُستاذ أَحمد زكي ــ نشر الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ، نسخة مُصوَّرة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٤م .

١٤٦ــ كتاب الخيل : لأَبي عُبَيْدة ، معمر بن المُثنّى (ــ٢٠٩هـ) ــ تحقيق الدكتور محمد عبد القادر أَحمد ــ طبع مطبعة النهضة العربية بالقاهرة ، ١٩٨٦م .

١٤٧ــ كتاب الصناعتين : لأَبي هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ــ٣٩٥هـ) ــ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ــ طبع دار إحياء الكتب العربيّة ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٥٢م .

١٤٨ــ كتاب الفتوح : لأَبي محمد ، أَحمد بن أَعثم الكوفي (ــ٣١٤هـ) ــ طبع حيدر أَباد الدكن بالهند ، ١٩٦٨م .

١٤٩ــ كتاب الوحشيّات : لأَبي تمام ، حبيب بن أَوس الطّائي (ــ٢٣١هـ) ــ تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي ــ طبع دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣م .

١٥٠ــ لباب الآداب : لأُسامة بن منقذ (ــ٥٨٤هـ) ــ تحقيق أَحمد محمد شاكر ــ طبع المطبعة الرّحْمانية بمصر ، ١٩٣٥م .

١٥١ــ لسان العرب : لمحمّد بن مكرم الأَنصاريّ (ــ٧١١هـ) ــ طبع دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر ببيروت ، ١٩٥٥م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٥٢ـ المُؤتلف والمُختلف : لأَبي القاسم، الحسن بن بشر الآمدي (ـ ٣٧٠هـ) ـ تحقيق عبد الستّار أَحمد فراج ـ طبع دار إِحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة، ١٩٦١م.

١٥٣ـ مجموعة المعاني : لمؤلف مجهول ـ طبع مطبعة الجوائب بالقسطنطينية، ١٣٠١هـ.

١٥٤ـ محاضرات الأُدباء ومحاورات الشعراء والبُلغاء : لأَبي القاسم، حسين بن محمد الأَصْبَهاني (ـ ٥٠٢هـ) ـ نشر دار مكتبة الحياة ببيروت، ١٩٦١م.

١٥٥ـ المُحبَّر : لأَبي جعفر، محمد بن حبيب البغدادي (ـ ٢٤٥هـ) ـ تحقيق الدكتورة إِيلزة ليختن شتيتر ـ طبع حيدر آباد الدكن بالهند، ١٩٤٢م.

١٥٦ـ المُحْتَسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإِيضاح عنها : لأَبي الفتح، عثمان بن جنّي (ـ ٣٩٢هـ) ـ تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجّار والدكتور عبد الفتاح إِسماعيل شلبي ـ طبع المجلس الأَعلى للشؤون الإِسلامية، لجنة إِحياء التراث الإِسلامي بالقاهرة، ١٣٨٦هـ.

١٥٧ـ المُختار من شعر بشّار : للخالديّين أَبي بكر، محمد بن هاشم (ـ ٣٨٠هـ) وأَبي عثمان، سعيد بن هاشم (ـ ٣٩١هـ) ـ تصحيح محمد بدر الدين العلوي ـ طبع مطبعة الاعتماد بالقاهرة، ١٩٣٤م.

١٥٨ـ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر : لمُحمّد بن مكرم الأَنصاري المعروف بابن منظور (ـ ٧١١هـ).

أ ـ الجزء السابع ـ تحقيق أَحمد راتب حموش ومحمد ناجي العمر ـ طبع دار الفكر بدمشق، ١٩٨٤م.

ب ـ الجزء الثامن ـ تحقيق مأْمون الصاغرجي ـ طبع الفكر بدمشق، ١٩٨٥م.

١٥٩ـ المختصر في أَخبار البشر : لأَبي الفداء، عماد الدين إِسماعيل (ـ ٧٣٢هـ) ـ طبع دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٦٠- المخلاة : لبهاء الدين محمد بن الحسين العامليّ (١٠٣١هـ) - طبع دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت، ١٩٧٩م.

١٦١- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع : لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (-٧٣٩هـ) - تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي - طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة، ١٩٥٤م.

١٦٢- المرقصات المطربات : لنورالدين علي بن الوزير أبي عمران : (٦٧٣هـ) - نشر دار حمد ومحيو، ١٩٧٣م.

١٦٣- مروج الذّهب ومعادن الجوهر : لأبي الحسن ،علي بن الحسين المسعودي (-٣٤٦هـ) - تصحيح شارل بلا - طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت، ١٩٦٥م.

١٦٤- المُزهر في علوم اللّغة وأنواعها : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السّيوطي (-٩١١هـ) - شرح وضبط وتصحيح محمد أحمد جاد المولى بك وزميليه - نشر المكتبة العصرية بصيدا - بيروت، ١٩٨٦م.

١٦٥- المستطرف في كلّ فنّ مستظرف : لمحمّد بن أحمد الأبشيهي (-٨٥٢هـ) - تحقيق وتقديم عبد الله أنيس الطباع - طبع دار القلم ببيروت، ١٩٨١م.

١٦٦- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية : للدكتور ناصر الدين الأسد - طبع دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٢م.

١٦٧- المعارف : لأبي محمد ،عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (-٢٧٦هـ) - تحقيق وتقديم الدكتور ثروت عكاشة - طبع دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٩م.

١٦٨- معجم الأدباء : لأبي عبد الله، ياقوت بن عبد الله الحموي (-٦٢٦هـ)
أ - الجزء العاشر - طبع دار المستشرق ببيروت.
ب - الجزء الحادي عشر - طبع دار إحياء التراث العربي ببيروت.

١٦٩- معجم البلدان : لأبي عبد الله، ياقوت بن عبد الله الحمويّ (-٦٢٦هـ) - طبع دار إحياء التراث العربي ببيروت، ١٩٧٩م.

١٧٠- معجم الشّعراء : لأبي عبيد الله، محمد بن عمران المرزباني (-٣٨٤هـ) - تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج - طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، ١٩٦٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٧١ـ معجم الشعراء في لسان العرب : للدكتور ياسين الأيوبي ـ طبع دار العلم للملايين ببيروت، ١٩٨٠م.

١٧٢ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : لأبي عُبَيْد ،عبد الله بن عبد العزيز البكري (ـ٤٨٧هـ) ـ تحقيق مصطفى السّقا ـ طبع عالم الكتب ببيروت.

١٧٣ـ المعرّب من الكلام الأعجميّ على حروف المعجم : لأبي منصور، موهوب بن أحمد ابن محمد الجواليقيّ (ـ٥٤٠هـ) ـ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ـ طبع طهران، ١٩٦٦م.

١٧٤ـ المغازي : لمحمد بن عمر الواقدي (ـ٢٠٧هـ)ـ تحقيق الدكتور مارسدن جونس ـ طبع عالم الكتب ببيروت.

١٧٥ـ مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب : لأبي محمد ،عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن هشام الأنصاري (ـ٧٦١هـ) ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ (ب.ت).

١٧٦ـ المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام : للدكتور جواد علي ـ طبع دار العلم للملايين ببيروت، ١٩٧٦م.

١٧٧ـ المُقْتضب : لأبي العبّاس، محمد بن يزيد المبّرد (ـ٢٨٥هـ) ـ الجزء الثاني ـ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ـ طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة، ١٣٩٩هـ.

١٧٨ـ مقدّمة القصيدة العربية في العصر الأمويّ : للدكتور حسين عطوان ـ طبع دار المعارف بمصر.

١٧٩ـ المنازل والديار : لأسامة بن منقذ (ـ٥٨٤هـ) ـ تحقيق الأستاذ مصطفى حجازي ـ طبع المَجْلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي بالقاهرة، ١٩٦٨م.

١٨٠ـ من تاريخ الأدب العربي ،العصر الجاهلي والعصر الإسلامي : للدكتور طه حسين ـ طبع دار العلم للملايين ببيروت، ط٤، ١٩٨١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٨١ــ من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني : للدكتور إبراهيم السّامرائي ــ طبع مؤسّسة الرسالة ببيروت، ١٩٨٤م.

١٨٢ــ المُنمّق في أخبار قريش: لمحمّد بن حبيب البغدادي (ــ ٢٤٥هـ) ــ طبع حيدر آباد الدكن بالهند، ١٩٦٤م.

١٨٣ــ الموازنة بين شعر أبي تمّام والبُحْتريّ : لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ــ ٣٧٠هـ) ــ تحقيق السيد أحمد صقر ــ طبع دار المعارف بمصر، ١٩٦١م.

١٨٤ــ الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء : لأبي عبيد الله، محمد بن عمران المرْزُباني (ــ ٣٨٤هـ) ــ وقف على طبعه واستخرج فهارسه محبّ الدين الخطيب ــ طبع المطبعة السلفيّة ومكتبتها بالقاهرة ط٢، ١٣٨٥هـ.

١٨٥ــ نسب قريش : لأبي عبد الله، مُصْعَب بن عبد الله الزُّبيري (ــ ٢٣٦هـ) ــ نشر وتصحيح وتعليق إ. ليفي بروڤنسال ــ طبع دار المعارف للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٥٣م.

١٨٦ــ نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب : للشيخ أحمد بن محمد المقرّي التلمساني (ــ ١٠٤١ هـ) ــ تحقيق الدكتور إحسان عبّاس ــ طبع دار صادر ببيروت، ١٩٦٨م.

١٨٧ــ نقائض جرير والأخطل : لأبي تمّام، حبيب بن أوس الطّائي (ــ ٢٣١هـ) ــ عُنِيَ بنشره الأب أنطون صالحاني اليسوعي ــ طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت، ١٩٢٢م.

١٨٨ــ نقد الشعر : لقدامة بن جعفر البغدادي (ــ ٣٣٧هـ) ــ تحقيق كمال مصطفى ــ نشر مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٦٣م.

١٨٩ــ نهاية الأرب في فنون الأدب : لأحمد بن عبد الوهاب النويريّ (ــ ٧٣٣هـ) ــ نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب ــ نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسّسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ــ طبع مطابع كوستاتسوماس وشركاه بالقاهرة ــ والجزء الحادي والعشرون ــ تحقيق علي محمد البجاوي ــ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ١٩٧٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٩٠ـ الوساطة بين المتنبّي وخصومه : للقاضي علي بن عبد العزيز الجُرْجاني (ـ٣٦٦هـ) ـ تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ـ طبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ، ط٣

١٩١ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان : لأبي العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان (ـ٦٨١هـ) ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ طبع دار الثقافة ببيروت ، ١٩٦٨م.

١٩٢ـ وقعة صفين : لنصر بن مُزاحم المِنْقري (ـ٢١٢هـ) ـ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ـ نشر المؤسّسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة ـ طبع مطبعة المدني بالقاهرة، ط٢ ، ١٣٨٢هـ.

١٩٣ـ الوليد بن يزيد : عرض ونقد : للدكتور حسين عطوان ـ طبع دار الجيل ببيروت، ١٩٨١م.

ب ـ المخطوطة : ـ

١٩٤ـ أنساب الأشراف : لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ـ٢٧٩هـ) ـ مُصوّرة مكتبة الجامعة الأُردنيّة عن مخطوطة استانبول .

١٩٥ـ تاريخ مدينة دمشق : لأبي القاسم، علي بن الحسن بن عساكر (ـ٥٧١هـ) ـ مُصوّرة مكتبة الجامعة الأُردنيّة عن مخطوطة المكتبة الظاهريّة بدمشق .

١٩٦ـ حركة الشعر في اليمانيين في الجاهلية الأخيرة : لداود غطاشة ـ رسالة دكتوراة مخطوطة بمكتبة الجامعة الأُردنية، ١٩٨٥م.

١٩٧ـ عديّ بن الرّقاع العاملي : حياته وشعره : لتحسين محمد الصّلاح ـ رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة الجامعة الأُردنية، ١٩٨٦م.

ج ـ الدوريّات : ـ

١٩٨ـ مجلّة دراسات (العلوم الإنسانية) ـ المجلّد الرابع عشر ـ العدد الرابع ـ طبع مطبعة الجامعة الأُردنية، عمان ، ١٩٨٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

This Thesis is a study of the poetry of the Levantine Yemeni tribes in the Umayyad era. It consists of four chapters.

The First Chapter provides an historical background about the Pre-, and past-Islamic Yemeni tribes in the levant. This chapter has been divided into three sections. The first part deals with the Yemeni tribes that lived in the Levant in the Pre-Islamic era; whereas the second part is about the Yemeni tribes who participated in the Islamic Conquest of the Levand and settled there since then. Finally in the third section, I provided a comprehensive picture of all the Yemeni tribes who lived in the levant in the Umayyad era.

The Second Chapter investigated the Language of those tribes and its influence on their poetry. I have shown that these tribes spoke classical Arabic. Nevertheless, Linguists paid no attention to the language of thése tribes and made no reference to their poetry because they were liable to non-Arab influences. I concluded that their poetry is as original as the poetry of the Mudhari tribes, but most of it was lOst for several reasons.

The Third Chapter deals with the major themes of the poetry of those tribes that include: Praise, Love Poetry, pride , Sative, Elegy, Description, Blame, Aphorisom, Congrafulation, and preacling.

Finally, in the fourth chapter, I studied the structure, meaning, images and Language of the Ppetry of those tribes.

٣٧٨١٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The University of Jordan
Faculty of Graudate Studies
Department of Arabic

The Poetry of the Levantine Yemini Tribes in the Umayyad Era.

By:
Mefleh A. Al-Fayez

Supervisor:
Professor Husein Atwan

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Arts in Arabic Literadive, Faculty of Arts, University of Jordan.

1988-1989

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit